الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال الملتقى الدّوليّ الموسوم

التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ

-من المصادمة إلى المواءمة-

احْتفاءً باليَوم العَالميّ للتّنوّع الثّقافيّ

من أجل الحوار والتّنمية

مَنشُورَات المَجلِس 2025م

أعمال الملتقى الدّوليّ الموسوم
التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ
-من المصادمة إلى المواءمة-
احْتفاءً باليَوم العَالميّ للتّنوّع الثّقافيّ
من أجل الحوار والتّنمية

تأليف: مجموعة من الباحثين

قياس الصّفحة: 29,7/21

عدد الصّفحات: 238 ص

الإيداع القانونيّ: 21 ماي 2025

ردمك: ISBN 978-9931-681-67-0

52، شارع فرنكلين روزفلت

ص. ب 575، ديدوش مراد، الجزائر العاصمة

الهاتف: 023.48.72.75

النّاسوخ: 023.48.72.72

الموقع الإلكترونيّ: www.hcla.dz

فَهْرس المَوضُوعَات

أعمال الملتقى الدّوليّ الموسوم

التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ

-من المصادمة إلى المواءمة-

احتفاءً باليَوم العَالميّ للتّنوّع الثّقافيّ

من أجل الحوار والتّنمية

التّنسيق العامّ للملتقى

أ. حنيسة كاسحي

المدقّق اللّغويّ

أ. حسن بهلول

تصفيف وتوضيب

أ. العالية حمدان

محتويات الكتاب

العنوان	الصّفحة
الكلمـــــة الافتتاحيّة الدّيبـــــاجـــــة	13-11
كلمـــــة رئيس المجلس أ. د. صـــالح بلعيد	23-15
كلمـــــة رئيس الملتقى أ. د. حبيب مونسي	29-25
كلمة رئيس اللّجنة العلميّة د. محمد حـــــراث	32-31
في ضياعِ اللّغة ضياعٌ للثّقافة وللذّات وللهُويّة الوطنيّة. د. عبد النّاصر بوعلي	39-33
التّنوّع الثّقافيّ بين الضّرورة والضّرر. أ. د. إبراهيم بوخالفة	53-41
التّعدّد الثّقافيّ واللّغويّ -دراسة في المفاهيم والأصول- د. سليمة عشو	66-55
منـصّات التّـواصل الاجتماعـيّ وسـؤال الوحـدة في ضوء الـتّنوّع. أ. د. عبد المجيد عطار	76-67
الثّراء اللّغويّ العربيّ وتأثيره الثّقافيّ والمعرفيّ في الحضارة الغربيّة. د. عبد الله باوني	92-77
مبدأ التّنوّع وملء النّقائص الحضاريّة، معايَنة لتجارب عالميّة. د. أبو بكر زروقي	100-93
ماليزيا تجربة راشدة في الاحتواء والاستثمار الثّقافيّ واللّغويّ. د. زينب عبد العزيز	111-101
"أمننة" اللّغة: كيف تسهم السّياسات اللّغويّة في تحقيق الاستقرار الاجتماعيّ؟ -الجزائر أنموذجا- د. سحقي سمر	124-113
حوار الثّقافات في ظلّ ترجمة معاني القرآن الكريم. د. محمد بلبشير	141-125

دور النّشاطات المدرسيّة اللاّصفية في تعزيز التّعايش اللّغويّ والثّقافيّ. د. نبيلة بومنقاش	151-143
التّرجمة والثّقافة واللّغات: تحدّيَات التّفسير والدّقّة في نقل المعانيّ. د. لويزة وعزار	160-153
جهود الجزائر في تكريس التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ الوطنيّ. د. خولة ميسي	170-161
نحو استثمار الثّورة الرّقميّة والتّقنيّة في الحفاظ على الثّقافة والهويّة العربيّة. د. إيمان بلحداد	179-171
التّعدّد اللّغويّ واللّهجيّ ودورهما في التّأسيس لتنوّع ثقافيّ في المجتمعات. د. سهى حيمور	191-181
التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ: تحدّيَات الوحدة وآفاق التّكامل في بناء الهويّة المشتركة. ط. د. إيمان شرشار	204-193
العلاقة بين التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافيّ واستراتيجيَّات تعزيز وحدة الهويّة وتحقيق الوئام بينَ المُجتمعات اللّغويّة المختلفة في البلد الواحد. ط. د. رئاب القاسم طالب د. كراش بن خولة	215-205
معجم الثّقافة الجزائريّة في خدمة التّنوّع اللّغويّ والثّقافيّ في الجزائر. أ. زينة رميلي-علاّوة	224-217
التّنوّع الثّقافيّ في دول الخليج وأثره في الهويّة اللّغويّة للمنطقة -دولة قطر أنموذجا- ط. د. فتيحة مقدم	236-225

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيموقراطيّة الشّعبيّة

رئاسة الجمهوريّة

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

أعمال الملتقى الدّوليّ الموسوم
التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ
-من المصادمة إلى المواءمة-
احتفاءً باليوم العالميّ للتّنوّع الثّقافيّ
من أجل الحوار والتّنمية

برنامج الملتقى الدّوليّ

الجلسة الافتتاحيّة: [09:00 -10:00]

منسّقتا الملتقى: أ. حنيسة كاسحي + أ. أمال حمزاوي، المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

آيات بيّنات من الذّكر الحكيم
السّلام الوطنيّ
كلمة رئيس الملتقى: أ. د. حبيب مونسي
كلمة رئيس اللّجنة العلميّة: د. محمّد حرّاث
كلمة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة: أ. د. صالح بلعيد
كلمات شرفيّة
استراحة (15 دقيقة).

الجلسة العلميّة الأولى: [10.00 – 11.10]

رئيس الجلسة: أ. د. حبيب مونسي – عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة

الرّقم	اسم المحاضر	عنوان المداخلة	التّوقيت
1	أ.د. عبد النّاصر بوعلي جامعة تلمسان	في ضياعِ اللّغة ضياعٌ للثّقافة وللذّات وللهُويّة الوطنيّة	10.00 10.10
2	د. عبد الحق بلعابد جامعة قطر	فصل المقال ما بين التّنوّع الثّقافيّ والتّنوّع اللّغويّ من اتصال	10.10 10.20

3	أ.د. إبراهيم بوخالفة المركز الجامعة تيبازة	التّنوّع الثّقافيّ بين الضّرورة والضّرر	10.20 10.30
4	د. سليمة عشو جامعة سوق أهراس	التّعدّد الثّقافيّ واللّغويّ-دراسة في المفاهيم والأصول-	10.30 10.40
5	أ. د. عبد المجيد عطار جامعة تلمسان	منصّات التّواصل الاجتماعي وسؤال الوحدة في ضوء التّنوّع	10.40 10.50
6	د. عبد الله باوني جامعة تبسة	الثّراء اللّغويّ العربيّ وتأثيره الثّقافيّ والمعرفيّ في الحضارة الغربيّة	10.50 11.00
7	د. أبو بكر زروقي جامعة بسكرة	مبدأ التّنوّع وملء النّقائص الحضاريّة، معاينة لتجارب عالميّة	11.00 11.10

الجلسة العلميّة الثّانية: [11:10 – 12:10]

تلمسان رئيس الجلسة: أ. د. عبد الناصر بوعلي – جامعة

1	د. زينب عبد العزيز جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	ماليزيا تجربة راشدة في الاحتواء والاستثمار الثّقافيّ واللّغويّ	11.10 11.20
2	د. سحقي سمر جامعة البليدة 2	"أمننة" اللّغة: كيف تسهم السّياسات اللّغويّة في تحقيق الاستقرار الاجتماعيّ؟ -الجزائر أنموذجا-	11.20 11.30
3	د. محمد بلبشير جامعة تلمسان	حوار الثّقافات في ظلّ ترجمة معاني القرآن الكريم	11.30 11.40
4	د. نبيلة بومنقاش المدرسة العليا للأساتذة العلمة سطيف	دور النّشاطات المدرسيّة اللاّصفية في تعزيز التّعايش اللّغويّ والثّقافيّ	11.40 11.50
5	د. لويزة وعزار المدرسة العليا للتسيير والاقتصاد الرّقمي-الجزائر	التّرجمة والثّقافة واللّغات: تحدّيات التّفسير والدّقّة في نقل المعاني	11.50 12.00
6	د. خولة ميسي جامعة سوق أهراس	جهود الجزائر في تكريس التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ الوطنيّ	12.00 12.10

الجلسة العلميّة الثّالثة: [12:10 – 13:40]

رئيس الجلسة: أ. د. نوار عبيدي – عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

الرّقم	اسم المحاضر	عنوان المداخلة	التّوقيت
1	د. لمياء واعمر جامعة قسنطينة 1	مسألة هويّة المجتمع الجزائريّ في ظلّ التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافيّ	12.10 12.20
2	د. إيمان بلحداد جامعة باتنة 1	نحو استثمار الثّورة الرّقمية والتّقنيّة في الحفاظ على الثّقافة والهويّة العربيّة	12.20 12.30
3	د. سهى حيمور جامعة گالمة	التّعدّد اللّغويّ واللّهجيّ ودورهما في التّأسيس لتنوّع ثقافيّ في المجتمعات	12.30 12.40
4	ط. د. إيمان شرشار جامعة سيدي بلعباس	التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ: تحدّيّات الوحدة وآفاق التّكامل في بناء الهويّة المشتركة	12.40 12.50
5	ط. د. رئاب القاسم طالب جامعة تيارت د. كراش بن خولة جامعة تيارت	العلاقة بين التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافيّ واستراتيجيات تعزيز وحدة الهويّة وتحقيق الوئام بين المجتمعات اللّغويّة المختلفة في البلد الواحد	12.50 13.00
6	أ. زينة رميلي (علاوة) المجلس الأعلى للّغة العربيّة	معجم الثّقافة الجزائريّة في خدمة التّنوّع اللّغويّ والثّقافيّ في الجزائر	13.00 13.10
7	ط. د. فتيحة مقدم المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	التّنوّع الثّقافيّ في دول الخليج وأثره في الهويّة اللّغويّة للمنطقة -دولة قطر أنموذجا-	13.10 13.20
8	أ. د. نوار عبيدي – عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة	محاولات الاستعمار في طمس التّنوّع اللّغويّ والثّقافيّ الجزائريّ	13.30 13.40

الجلسة الختاميّة: [13.40 – 14.30]

قراءة التّوصيّات: أ. د. عبد الناصر بوعلي، جامعة تلمسان؛
كلمة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة.
توزيع الشّهادات.

الرّاعي الرّسمي للملتقى.

موبيليس
معا، نصنع المستقبل

وسائل التّواصل:

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

52 شارع فرانكلين روزفلت ص. ب 575، ديدوش مراد، الجزائر

elmadjlisse.dz@gmail.com

www.hcla.dz

☎ الهاتف: 023-48-72-78 🖷النّاسوخ: 023-48-72-62

الكلمة الافتتاحيّة

1/-الدّيباجة: يعدّ الاختلاف سنّة كونيّة في البشر، ليس في اللّغة والثّقافة فقط، بل هذا تابع لاختلافات كثيرة كاختلاف اللّون والبيئة، والمعتقد والتّفكير. والتّنوّع هو المظهر المشرق لكلّ اختلاف، على عكس الاختلاف الذي يؤدي إلى الخلاف؛ لذا فإنّ المجلس الأعلى للّغة العربيّة يسعى في هذا الملتقى العلميّ إلى تسليط الضّوء على ظاهرتي: التّنوّع الثّقافيّ والتّنوع اللّغويّ، ومناقشة العلائق بينهما، بوصفهما ظاهرتين متلازمتين أو متوازيتين، وكذا محاولة مدارسة كيفيّة الانتقال بهاتين الظّاهرتين من المصادمة إلى المواءمة، لتمتين وتوطين أسباب التّقبّل واستثمار ظاهرة التّنوع في المجتمعات على صعيدي: الثّقافة واللّغة، بما يخدم وحدة الهويّة الوطنيّة، وبخاصّة بعد المعاهدات الدّوليّة التي دعت إلى حمايّة التّنوع الثّقافيّ، على غرار معاهدة اليونيسكو سنة 2005.

ويطرح الملتقى إشكاليات كثيرة، جوهرها: هل يؤثّر التّنوّع الثّقافيّ على الهويّة اللّغويّة، وهل يؤدّي بالضّرورة التّعدد الثّقافي إلى تعدّد لغويّ؟ ثم هل يؤدّي التّنوّع اللّغويّ إلى تنوّع ثقافيّ بالضّرورة، داخل البلد الواحد أو الأمّة الواحدة. وغيرها من الإشكالات ذات الصّلة القريبة التي تُسند إلى ثلّة من الباحثين المهتمّين بالتّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ.

2/-أهداف الملتقى:

- السعي إلى الانتقال بالاختلافات الطبيعيّة من أسباب للخلافة والمصادمة، إلى عوامل للتّنوّع والمواءمة؛
- العمل على استكناه العلائق بين كل تنوّعٍ ثقافيّ وتنوّع لغويّ في المجتمعات المختلفة؛
- العمل على توطين إيجابيّة التّنوع الثّقافي داخل المجتمع الواحد؛
- الاستثمار في التّنوع اللّغويّ لإثراء الغناء الثّقافيّ للمجتمعات؛
- إرساء معالم الحفاظ على الهويّة الوطنيّة والاستقرار الاجتماعيّ من خلال تثمين التّنوع الثّقافي واللّغويّ.

3/-محاور الملتقى:

- التّنوع/ التّعدد الثّقافي واللّغويّ، المثاقفة والتّثاقف: إشكاليّة المصطلحات والمفاهيم؛
- الثّقافة واللّغة: أي علاقة وأي تأثير؟
- المثاقفة: حوار الثّقافات، الوعي الثّقافي، الهويّة الثّقافيّة؛
- التّنوع الثّقافي والتّنوع اللّغويّ: مصادمة أم مواءمة؟
- واقع التّنوع الثّقافي واللّغويّ في المجتمعات العربيّة والغربيّة؛
- التّنوع الثّقافي واللّغويّ وأثره في وحدة الهويّة الثّقافيّة واللّغويّة والاستقرار الاجتماعي؛
- طرائق الاستثمار في التّنوع الثّقافي واللّغويّ.

4/-هيئة الملتقى:

الرّئيس الشّرفيّ للملتقى: البروفيسور صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛

رئيس الملتقى: أ. د. حبيب مونسي، عضو المجس الأعلى للّغة العربيّة؛

رئيس اللّجنة العلميّة: د. محمد حراث، جامعة الشّلف؛

منسّقتا الملتقى: أ. حنيسة كاسحي + أ. آمال حمزاوي، المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛

أعضاء اللّجنة العلميّة:

-أ. د. أحمد كوري، جامعة العيون الإسلاميّة، موريتانيا؛

-د. محمد الأمين السّملالي، دائرة الثّقافة بالشّارقة؛

-د. عبد الحق بلعابد، جامعة قطر؛

-د. مصطفى أحمد قنبر، وزارة التّربيّة والتّعليم والتّعليم العالي، قطر؛

-أ. د. نوار لعبيدي، عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛

-أ. د. دلال وشن، عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛

-أ. د. مليكة النّوي، عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛

- د. إسلام حبّ الدّين، جامعة برج بوعريريج؛

- د. سليمة يحياوي، مركز البحث العلمي ت ت ل ع، تلمسان.

5/-شروط المشاركة:

- أن تكون المداخلة أصيلة غير منشورة من قبل أو مستلة أو مقتبسة من منشورات سابقة؛
- أن تكون ضمن أحد محاور الملتقى ويُشار إليه في ملخّص طلب المشاركة؛
- أن تكون المداخلة ذات لغة أكاديميّة، سليمة لغويًّا، ذات طرح علميّ جاد؛
- تكتب المداخلة بخط: Simplified Arabic (14 للمتن)، (12 للهوامش)، تكون الهوامش في آخر المقال (2.5 سم في كل الاتجاهات) و(1 بين الأسطر)، مصفوفة الأسطر، لا تقل عن 10 صفحة ولا تزيد عن 25 صفحة؛
- معلومات استمارة المشارة تتضمّن ما يلي: (عنوان الملتقى، الاسم واللّقب، الرّتبة العلميّة، مؤسّسة الانتماء البريد الإلكتروني، رقم الهاتف، محور المشاركة، عنوان المداخلة، ملخّص يحمل الإشكاليّة لا يتجاوز 15 سطرا)؛
- تتضمّن المداخلات ملخّصين: باللّغة العربيّة والإنكليزيّة.

6/-تواريخ مهمّة:

تاريخ انعقاد الملتقى: 21/ 05/ 2025؛

آخر أجل لاستقبال الملخّصات: 31/ 01/ 2025؛

الرّد على الملخّصات المقبولة: 15/ 02/ 2025؛

آخر أجل لاستقبال المداخلات كاملة: 15/ 04/ 2025؛

الرّدّ على المداخلات المقبولة: 01/ 05/ 2025؛

7/-وسائل الاتصال: culture.hcla@gmail.com

كلمة رئيس المجلس

التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ♥
-مِن المُصادمة إلى المُواءمَة-

صالح بلعيد. رئيس المَجلس الأعلى للّغة العربيّة

أيّها الجمع الكريم، كمْ يُسعدني أن تكونوا مَعنا في هذا اللّقاء العلمي الخاصّ بالاحتفاء باليوم العالميّ للتّنوّع الثّقافي، وهو يوم الأرحيّة الثّقافيّة والإقرار بثقافة الآخر ولغته، بل وبالتّبادل العلميّ الذي تحصل عبره ثقافة (رابح رابح) والعبرة في هذا العنوان الذي تبنّاه المَجلس الأعلى للّغة العربيّة (التّنوّع الثّقافي واللّغوي –مِن المُصادمَة إلى المُواءمَة–). وإنّه لعنوان مُهمّ يدخل في إطار الاحتكاك بالآخر، وهي الوَحْدة الإنسانيّة التي أكّدها الإسلام بين جميع الكائنات ﴿ ولقد كرّمنا الإنسان وحملناه في البرّ والبحر﴾ الإسراء17. مع الإقرار باختلاف الألسنة، ولكن مَنطق الأمور هي العلاقات بين البشر والتّثاقف، وهي سمّة التّكامُل والتّحاور دون اعتماد القوّة الصّلدة، وكذلك مَنطق الاحترام بين الأنام الآخر يكون بالتّعايش، وهذا ما جسّدناه بمناسبة (اليوم العالمي للعيش معاً بسلام) الذي جرت فعالياته يوم 14 مايو 2025م، وفيه دعوات التّعامُل بالسّلاسة في الرّاهن المُمْكن والتّآلف بين التّعدّد والانفتاح والتنوّع والاختلاف، وقبول الآخر والتّزاور والتّوادد والمَحبّة والتّآنس والألفة والحياة والإحسان والكرم والتّسامُح والتّضامُن والتّعاون ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفو﴾.الحجرات13هي مُفردات التّناصر والتّعارف والتّسالم دون عنف وفخر.

وإنّ هذا اللّقاء يدخل في إطار "المُثاقفة بمَعناها المُتعدّد التّوجّهات للهويّة في انصهار الثّقافات المَوجودة بطريقة تضمَن مُجتمَعاً كتلة مُعاصراً، مُجتمع تراثي يحافظ على التّماسك وسلميّة العلاقات، مُجتمَع تأتيه الأفكار مِن نهضة الهويّات الثّقافيّة والتّعدّديّة اللّغويّة دون المَساس من وجود مُختلف له ثقافة مُغايرة، ولا يعني التّنوّع الثّقافيّ العولمة الثّقافيّة في معناها الفرض أو التّغوّل الآحادي لثقافة لغة ما، بل يعني العمَل على إقامة علاقة بين أخلاقيّات العيش المُشترك". وهذا ما يحاول هذا اللّقاء تجسيده عبر الكلمات والمُحاضرات التي نالت قبول اللّجنة العلمِيّة، وضمْن تلك المَحاور السّبعة التي أجابت عن تلك الأفكار بالقوّة النّاعمَة في إطار إيجاد رابط تواصل وقبول بين مُختلف الهويّات حتّى يتجسّد شيء مُشترك بين النّاس. ويبدو لنا بأنّ هذه الأفكار ستكون عامِلاً مُكمّلاً لما تروم المُؤسّسات الدّوليّة تحقيقه على غرار اليونيسكو/ UNESCO / الإيسيسكو/ ICESCO أو مَبادئ التّعاون الثّقافيّ الدّوليّ لسنة 1966م. وكان علينا السّير في تحديث مسارات جديدة لتحقيق التّواصل اللّغويّ عبر تعدّدية لغويّة مضيفة؛ تعمل على تقديم تصوّر تعايش بين مُختلف إعلانات حقوق الإنسان عبر مَنطق تناظري بين عالميْن، والذّهاب إلى ما هو أبعد مِن المُثاقفة إلى العبور الثّقافيّ المُبدع عبر أطروحة التّثاقفيّة عبر هذه

♥- الكلمة التي أُعِدّت للاحتفاء باليوم العالمي للتّنوّع الثّقافيّ، بتاريخ 21 ماي 2025م.

المُؤسّسات التي تعمَل على تجسيدها في أجهزة التّسيير، في تناغم حواريّ عالميّ مِن مَنظور هذه الأيام العالميّة التي تشي إلى معرفة الثّقافات الأخرى ضرورة لا بدّ منها، وهي عبارة عن ضيافة متبصّرة تقود إلى التّفاهم المُشترك على غرار الفعل التّواصلي البشري كما قالها (ابن خلدون)"... لمّا كان المُلك طبيعيّا للإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الإنسان أقرب إلى خلال الخير من خلال الشّرّ بأصل فطرته وقوّته النّاطقة العاقلة؛ لأنّ الشّرّ إنّما جاءه من قبل القوى الحيوانيّة التي فيه وأمّا من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلاله أقرب والمُلك والسّياسة إنّما كانا له من حيث هو إنسان لأنّهما للإنسان خاصّة لا للحيوان فإذا خلال الخير فيه هي الّتي تناسب السّياسة والمُلك إذ الخير هو المُناسب للسّياسة". هي التّعددّية الثّقافيّة التي تعمَل على توحيد المُكوّنات الثّقافيّة المُختلفة في الأمور الأساسيّة المُتعلّقة بكرامَة الإنسان، وتكريس المُواطنة والقوّة النّاعمَة بالمُحافظة على الهُويات والمُعتقدات والقيّم، وتحفظ التّعدديّة والاختلاف بين الجميع، وهو التّكامُل المَعرفي الذي يسعى هذا المُلتقى الدّولي الإجابة عنه مِن خلال عنوانه (التّنوّع الثّقافي واللّغوي –من المُصادمة إلى المُواءمة–) ويعني الوصول إلى التّكامُل وفق تراتيبة مَنطقيّة في إطار الإدماج مِن باب الثّقافة العامّة وليس المَعرفة التّخصصيّة.

1. في التّنوّع الثّقافي: سبق لنا أن عالجنا هذا المَوضوع في نفس المُناسبة العامّ الماضي، ورأيت ضرورة تذكير مَن يهمّهم الأمر بذات الأفكار التي تدخل في الحديث عن التّنوّع الثّقافيّ/ Cultural diversity وهو في الحقيقة تجانس لغويّ للثّقافات يرجع إلى احترام الآخرين للحفاظ على الخصوصيات، كما نصّ عليه مَبادئ حقوق الإنسان والحرّيات الأساسيّة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وفي غيره مِن الوثائق الدّوليّة المُعترف بها عالمِياً، وإذ يضع في اعتباره العَهْديْن الدّوليّيْن لسنة 1966م واللّذين يتعلّق أحدهما بالحقوق المَدنيّة والسّياسيّة؛ بينما يتعلّق الآخر بالحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة "... لما كانت كرامَة الإنسان تقتضي نشر الثّقافة وتنشئة النّاس جميعاً على مَبادئ العدالة والحريّة والسّلام، فإنّ هذا العمَل بالنّسبة لجميع الأمَم يُعدّ واجباً مُقدساً ينبغي القيام به في روح مِن التّعاون المُتبادل". كما ينظر الإعلان إلى أنّ الثّقافة بوصفها مَجمَل السّمات المُمَيزة: الرّوحيّة والماديّة والفكريّة والعاطفيّة، التي يتّصف بها مُجتمع/ مَجموعة اجتماعيّة وعلى أنّها تشمُل الفنّون والآداب، طرائق الحياة وأساليب العيش مَعاً، ونُظُم القيَم، والتّقاليد، والمُعتقدات، وأنّ الثّقافة تحتلّ مَكان الصّدارة في المُناقشات المُعاصرة بشأن الهُويّة والتّماسك الاجتماعيّ، وتنمِيّة اقتصاد قائم على المَعرفة. ولهذا، لا بدّ مِن احترام تنوّع الثّقافات، وهي التي تُربّي التّسامُح، والحوار، والتّعاون، في جوّ مِن الثّقة والتّفاهم، وهي خير ضمان لتحقيق السّلام والأمْن الدّوليين. وإنّ التّنوّع الثّقافيّ هو تنوّع في التّراث المُشترك للإنسانيّة، وإلى تعدّديّة ثقافيّة تستدعي تعدّديّة لسانيّة، وهي أُسّ التّنمِيّة المُستديمَة، وحقوق الإنسان في فطرته التي جَبُل عليها في التّعدّد، وما ينجرّ مِنها مِن حقوق ثقافيّة؛ بوصفها إطاراً مُلائماً للتّنوّع الثّقافيّ، وهي جزء مِن حقوق الإنسان المُتلازمَة التي تقتضي التّنوّع الإبداعي للحقوق الثّقافيّة كما حُددت في المادة 27 مِن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي المادتين 13 و 15 مِن العهد الدّولي الخاصّ بالحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة.

2. التّنوّع الثّقافيّ والحفاظ على الهُويّة: ما نعلمُه بأنّ التنوّع الثّقافيّ يُسهم في تحقيق الأمْن والاستقرار الدّاخليّ والانتمائيّ والقطبيّ، إلى جانب دوره في الاندماج في مَنظومَة الإنتاج العالمِيّة لاستدامَة الفعل التّنمَويّ، والوصول إلى صناعات ثقافيّة مُشتركة تُعالج فيها قيمَة تنوّع الثّقافات، وما له علاقة بحماية مُختلف التّنوّعات اللّسانيّة المُحفّزة على الإبداع والسّبق في تلبيّة احتياجات الآخرين اللّسانيّة، وهي باب مِن أبواب حماية الهُويّة بما لها مِن مَشارب

مُشتركة، ومِن خصوصيات مُتكامِلة، وهو الجمال في التّنوّع الهُوياتي. ويأتي دور النّخبة في إعلاء النّقاش حول مَوضوع (الهُويّة) للإجابة الصّريحة عن أسئلة: مَن أنا؟ مَن نحن؟ ما هو انتماؤنا؟ كيف نعيش القطبيّة اللّغويّة؟ كيف يكون مَصيرنا التّخصّصي؟ أسئلة جوهريّة تفتي فيها النّخبة بما لها مِن اقتراح الأفكار، لمُواصلة السّير على صنْع العيش مَعاً بسلام، وما ينتج عن ذلك مِن فسيفساء مُتجانسة تشكّل الهيكل النّهائي المُتناغم للمُجتمَعات؛ حيث"... إنّ النّتاجات الثّقافيّة لمَكان ما مَهما اختلفت تنسجم مَع قواعد بناء مُشتركة وتُمَثّل بُنى عقلية مُتّحدة،... هي بمَنزلة تنوّع على مَوضوع واحد فكلّها مُتساويّة ولها القيمَة الثّقافيّة عينها". إنّه الثّراء في الهُويّة والثّقافات والقيَم وثراء للجنس البشريّ ودافع إلى الإبداع والإنتاج الحثيث في مُختلف المَجالات، وذلك لا يمْنع مِن أن تُشكّل الهُويّة الثّقافيّة خطرًا على المُجتمَع، يحدث عند حصر الهُويّة الثّقافيّة في نطاق ضيّق ومُنغلق على ذاته يمْنع الفرد مِن أن يُقدّر ويحترم الفرد المُختلف عنه. ولهذا فالهُويّة اللّغويّة/ الثّقافيّة عندما تتمَدّد لا تُشكّل مَحو الخصوصيات بقدر ما تضيف الصّلابة والانسجام الجمْعيّ وتعزيز سبل التّوفيق بين الثّقافات المُختلفة المُلائَمَة للأفراد على اختلافاتهم وتنوّع خلفياتهم الثّقافية والدّينيّة والبيئية؛ لأنّ ذلك الاعتراف قد يصبح ضرورة إنسانيّة في مُجتمَع يختلط فيه النّاس مِن ثقافات مُختلفة في المَساحات الخاصّة والعامّة. وهذا ما نعيشه –نحن الجزائريين– مِن اتّساع المَساحة والتّنوّع الجغرافيّ، وعمْق التّاريخ، وتعدّد الحضارات مِن **نوميديا الماضي** إلى **الجزائر الجديدة** كلّها تكامُل في إطار التّنوّع مَع ما يجمَعنا مِن: **الجزائر**+ **الإسلام**+ **العربيّة**. وكلّ هذا بصناعة الأجداد الذين غرسوا فينا الثّوابت والقيَم التي لا نحيد عنها مَهما اختلفت مَنهجياتنا؛ لأنّ أهدافنا واحدة. ولا يعني هذا النّمَطيّة التي لا خروج عنها، بقدر ما يعني ذلك قبول الهُويّة للتّكييف حسب المُستجدات التي تقتضيها كلّ مَرحلة، وظهور خرائط جديدة في ثقافتنا تقتضي الخطّ الأحمَر في وصفة الأجداد، ولكن لا نغمَط الجوانب الثّقافيّة ومَواضيع الثّقافة الشّعبيّة، ومُقتضيات المَناطقيّة التي تقتضي التّكييف، ورفع الطّابوهات بما لنا مِن انتماء وأبعاد ومُثُل وأعراف وقيَم، وأنّ الإقرار بكامِل التّراث الثّقافيّ واللّغويّ للشّعب الجزائريّ مِن شأنه أن يُحافظ على الوَحْدة الوطنيّة ويُعزّزها.

3. التّنوّع الثّقافيّ قوّة ناعمَة: تكمُن أهمِيّة التّنوّع الثّقافيّ في رفع الكفاءات، وتعزيز الاحترام بين أفراد المُجتمَع ونقص العنصريّة والتّعدّي، ونبذ الكراهيّة، وبناء طفولة ثريّة ثقافياً، وإكساب مَجموعة مُتنوّعة مِن الحلول لمُشكلة واحدة، وبناء وجهات النّظر المُختلفة حول كيفيّة التّعامُل مَع حلّ المُشكلات، وكسر حواجز الاغتراب، وتطوير سياسات الشّراكة التي تشجع التّفاعل بين جميع العامِلين دون حواجز اجتماعيّة وثّقافيّة وفروق الخبرة. وتشجيع المُوظّفين لمَعرفة القيمَة والمَهارة لكلّ مُوظّف، والعمَل على أنشطة بناء فريق مُتكامِل... وعندما يحصل العمَل بالتّنوّع الثّقافيّ تأتي القوّة النّاعمَة داعمَةً للحفاظ على الوَحْدة الوطنيّة دون وازع القانون أو العنف، وتأتي اللّغة المُشتركة مِن بين أوليات الجانب الثّقافيّ باعتبارها (لغة الغلبة) وثقافة لغة الغلبة قوّة ناعمَة لا تتنكّر للثّقافات الوطنيّة في أبعادها المَناطقيّة، وكلّها تصبّ في بوتقة المِرآة العاكسة للوَحدة ولطرح أفكار جديدة لتحسين شروط الحياة مِن خلال مُحاكاة الواقع، والمُحاولة الجادة للسّمُو به وإعلاء قيَم الجمال والرّقيّ والتّنوّع في بُعْده اللّغويّ، وهو بُعْد ثقافيّ. ولهذا نجد **الجزائر الجديدة** تُنزّل القوّة النّاعمَة في إطار استراتيجيّة نابعة عن حسّ ثقافيّ ووعيٍ فنّيّ مَع إدراك مَدى أهمِيّة التّركيز على الثّقافة والفنّ، وإحياء التّراث بوصفها عناصر أساسيّة لتعزيز الانتماء الوطنيّ وترسيخ الهُويّة، وتحقيق التّنمِيّة الثّقافيّة المَنشودة، فثقافتنا في وَحدتنا وتنوّعنا. هي الثّقافة النّاعمَة التي لا تقبل القهر، وتميل إلى التّعايش والتّفاعل الحضاريّ بين مُختلف فئات المُجتمَع الذي ينطوي على جوانبَ اجتماعيّة

وثقافيّة كثيرة، الأمْر الذي يثري المَعرفة الفرديّة والمُجتمَعيّة، ويعي الحقائق المُختلفة مِن حوله، ويبدأ في التّفسير والبحث والتّقصي؛ ما يُمَكّنه الارتقاء بتجربته الإنسانيّة في مُختلف المَجالات. وترى قاعدة الثّقافة النّاعمَة ضرورة تفعيل المُبادرات المُختلفة التي ترعاها الدّول مِثل النّوادي والمَلاعب ودور الثّقافة، بالإضافة إلى تلك الاحتفاليات الوطنيّة والجهويّة والمَحليّة، وعقد المُؤتمَرات ذات العلاقة بالتّنوّع الثّقافيّ، وهو ما تُؤسّس له "قيَم الثّقافة الإسلامِيّة التي تُوجّهنا على الدّوام إلى التّعاطي الإيجابيّ مَع واقعنا، وتحثّنا على بناء ذواتنا والعمَل على النّهوض بمُجتمَعاتنا ومُحيطنا الذي يعبّر عن نسيج مُتنوّع، ونسعى بجهودنا جميعاً إلى إبقائه مُتماسكاً يؤازر بعضه بعضاً، انطلاقاً مِن المَعرفة ووصولاً إليها". وإنّ اللّغة تراث غير ماديّ، وهي قوّة ناعمَة تحصل بالانتقال الطّوعي مِن جيل إلى جيل باستمْرارها مِن قبل الجماعات والمَجموعات في الاستجابة لبيئتهم اللّغويّة، وتفاعلهم مَع الطّبيعة وتاريخها، وذلك ما يُعطيهم الإحساس بالهُويّة والاستمْراريّة، وبالتّالي تعزيز احترام التّنوّع الثّقافيّ والقدرة الإبداعيّة البشرية، كما أنّ اللّغة تشمُل أيضاً تنوّع المُمارسة الدّينيّة أو التّقليديّة. هي مُرونة الثّقافة التي تُتيح تبادلات بين مُختلف الثّقافات الكبرى والثّقافات الفرعيّة في جميع أنحاء العالم وذلك ما يضمَن وصول قوّة الثّقافة النّاعمَة إلى ضمان مُستقبل على الحياة والنّماء والتّفاعل الإيجابيّ. وهكذا نرى صلاح أمْر التّنوّع الثّقافيّ المنشود أن يتطوّر مَع المستجدات ويحافظ على الخصوصيات، وهذا ما جعل اليونسكو تُعلن 21 ماي مِن كلّ سنة يوماً عالمِياً للتّنوّع الثّقافيّ مُنذ 2001م، ومن خلاله تجسّد أوّل بيان وُضعت فيه مَعايير دوليّة تهدف إلى الحفاظ على تعزيز التّنوّع الثّقافيّ والحوار بين الثّقافات، كما ترى الأمَم المتّحدّة أنّه لا يوجد مُجتمَع مَهما كان مُتجانساً ومُوحّداً مِن دون التّنوّع والتّعدّديّة والاختلاف، فتلك إضافة إلى كونها مِن طبيعة الأشياء حقوقاً طبيعيّةً لا يُمْكن التّنازل عنها تحت أيّ مُبررات أو مُسوّغات فما بالك بالتّنوّع الثّقافيّ والدّينيّ والقوميّ والسّلالّي واللّغويّ والاجتماعيّ وغيرها.

4. . ستضطرّ يوماً للعيش مَعاً بسلام: لا شكّ أنّنا سنضطرّ يوماً للتّعامُل يومًا ما مَع أشخاص مِن ثقافات مُختلفة عن ثقافتك، وليس بالأمْر الصّعب عندما تدرك أنّ التّعامُل مَع الثقافات المُختلفة ستكسبك المهارات اللازمة لتقبّلها واحترامها، ولهذا تتطلّب منّا مهارة قبول الآخر بالاستجابة الثّقافيّة التي تتطلّب امتلاك درجة كبيرة من الانفتاح على وجهات النظر المختلفة، والأفكار وتجارب الآخرين، بالعمَل على تطوير الوعي الذّاتي، وتقدير كلّ ما هو مُخالف عنك، وعدم الرّكون إلى النّمَطيّة، وضرورة التّعرّف على مَزيد مِن الثّقافات الأخرى، بالقراءة ومُشاهدة البرامِج ذات العلاقة بالثّقافات والأديان، وتعلّم اللّغات، والتّسجيل في الرّحلات الجماعيّة، والتّعرّف على أشخاص أجانب، وتذوّق أطعمَة الآخرين، والمُشاركة في الفعاليات الوطنيّة والأجنبيّة، والاستماع للموسيقى العالمِيّة والاستفادة مِن زيارة المَعالم العالمِيّة التّاريخيّة... وهذا ما سوف يضطرّك أن تحتفظ دوماً بعقليّة مُتفتحة ومُتقبِلة للتّغيير، وأن يكون لك مَوقف مِن المُخالف للرّأي بأنّكما مُختلفان في المَنهجيّة لاختلاف الثّقافة؛ كنظرة المُتقابِلَيْن للعدد6= أحدهما يراه ستّة، والمُقابِل يراه تسعة. ولا يعني أنّك مُحقّ والآخر مُخطئ، بل وجهات نظر مُختلفة ومُعتقدات مُتباينة تشكّلت عبر التّاريخ وبناءً على عوامِل مُتعددّة. وعلى ضوء هذا لا بدّ مِن احترام التّنوّع اللّغويّ وهو مِن التّنوّع الثّقافي للقدرة على التّعايش مَعاً دون تدخّل بغض النّظر عن الطّائفيّة والعِرْق والعقيدة واللّغة، وبخاصّة في وقت انعدم فيه البحث عن صفاء الدّم، والإنسان يعيش في قرية بسيطة يرى يومِياً كلّ النّاس، وما عليه إلاّ الانخراط في العمومِيات المُشتركة التي تُساعد على انتشار السّلام والمَحبّة في العالم، ونعلم أنّ ذلك يساعده على تنمِيّة شخصيّته وتكوين العلاقات التي يستطيع الاستفادة مِنها على المُستوى الشّخصيّ أو المِهنيّ.

5. الثّقافة العربيّة والثّقافات الفرعيّة: إلى جانب الثّقافة العربيّة العمْلاقة، هناك تحصيل لثقافة الأقوام السّابقين/ اللاحقين الذين استقطبتهم الحضارة العربيّة الإسلامِيّة: ثقافات أقوام تمازجت وانصهرت+ ثقافات أقوام تجاورت وحافظت على خصوصياتها+ ثقافات هجينة... ثقافات كثيرات شكّلت مَصدراً للشّراكات الوطنيّة وأصبح لها مَن يُمَثّلها تحت نِطاق دولة/ جهة... ونشهد بأنّ الثّقافة العربيّة تعامَلت بإيجابيّة مَع الثّقافات الفرعيّة، ولم تصل إلى مَرحلة الاحتراب، ولا بما يضرّ الوَحْدة الوطنيّة ذات الثّقافة المُتحرّكة، ولا تعرف الجمود والسّكونيّة. إنّها الثّقافة العربيّة بما نالته مِن توسّع في الآفاق، وكانت لغة هذه الثّقافة (العربيّة الفصيحة) التي ترسّمَت في أفريقيا على وجه الخصوص، ونال خطُّها الاستعمالَ في الكثير مِن لغات العالم بغطاء فكريّ مَقبول يخلو مِن فرْض نموذج ثقافيّ مُهيمِن يُلغي النّماذج الثّقافيّة الأخرى المُتنوّعة، أو يُهدّد باندثار مُقوّماتها الحضاريّة. وما يمْكن أن نفهمَه مِن هذا أنّ النّموذج العربيّ كان تنوّعاً تجلّى في خصوصيّة اللّغة العربيّة ومُقوّمات الإسلام، اللذيْن استدعيا التّفاعل المُنسجم والرّغبة في العيش المُشترك بين الأفراد والمَجموعات ذات الخصوصيات الثّقافيّة المُتعدّدة والمُتنوّعة. وكان ذلك عبارة عن شفرة الإقرار بالحقوق الثّقافيّة؛ وهي جزء لا يتجزّأ مِن حقوق الإنسان التي هي حقوق عالمِيّة ومُتكافلة "فإنّ مِن حقّ كلّ شخص أن يتمَتّع بالقدرة على التّعبير عن نفسه والإبداع في كلّ المَجالات، كما أنّ له الحقّ في تعليم وتدريب جيّديْن يحترمان هُوّيته الثّقافيّة احتراماً كامِلا فضلاً عن الحقّ في مُمارسة تقاليده وأعرافه الثقافيّة الخاصّة المُمَيّزَة.

ولذلك، فإنّ كلّ إبداع ينهل مِن مَنابع التّقاليد الثّقافيّة لا بدّ أن يزدهر بالاتّصال مَع الثّقافات العالميّة أو الفرعيّة. ويعتبر إحياء تراث الشّعوب بمُختلف أشكاله ونقله إلى الأجيال القادمَة طريقا لتغذيّة الإبداع الإنسانيّ بكلّ تنوّعه والتّحفيز على تأسيس حوار حقيقيّ وفعّال وهادف بين الثّقافات يخدم الأهداف الإنسانيّة النّبيلة، ويساهم في إقرار ثقافة العدل والسّلام والحوار بين الحضارات والأديان". إنّها الثّقافة العربيّة الإسلامِيّة لاميّة التي تجسّدت في احترام الاختلافات+ تقدير وتثمين ما تقدمُه الثّقافات الأخرى+ الإقرار بوجود التّنوّع الثّقافيّ الغزير+ الاعتراف بتنوّع أشكال التّعبير الثّقافيّة المُختلفة. وإنّها لحضارة عربيّة إسلامِيّة بما لها مِن حمولة ثقافيّة، وما تزخر به مِن أدب الاختلاف هو احترام للرّأي الآخر وبيان إيجابيّ يؤكّد قيَم الحوار واحترام الآخر الذي تحمِله الآية الكريمَةُ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ الرّوم 22. وقولهُ ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾هود 118. إنّ الإسلام جسّد حقّ التّمَيّز والاختلاف ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة 48. وإنّ الإسلام يدعو إلى الإفادة مِن علوم الآخرين "اطلبوا العلم ولو في الصّين" و"الحكمَة ضالة المُؤمِن" إضافة إلى الارتقاء بقيَم "إنْ لم يكن أخاك في الدّين؛ فهو أخوك في الإنسانيّة"/ "إن لم يكن أخاك في الخُلُق، فهو أخوك في الخِلْقة" وتلك المَآثر الإسلامِيّة في الإخاء والمَحبّة والعدل والتّسامُح، وهي مَظاهر كونيّة تشترك في بناء الحضارة الإنسانيّة، مَع مَظاهر التّمَيّز وهي خصيصة رسّخها ديننا الحنيف﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾الكافرون 6. تحوّل القِبلة مِن بيت المَقدس إلى مَكّة... وهو ما يُعزّز لدينا الأمْن والسّلام وإقرار التّنوّع، وهو شعور بالإنيّة والانفتاح ضمْن المُتغيّرات في سياق

قبول التّكيّف وفق ما يُستجدّ مِن مُؤثّرات الواقع والرّاهن، وبخاصّة ونحن نعيش واقع العولمَة التي تتغوّل على ثقافات الشّعوب، وتمْسح ماضيها، وتشلّ حاضرها، وتعزلها عن المُحيط، وتضمُّها إليها. وإنّ الحضارة العربيّة الإسلامِيّة بما لها مِن مُقوّمات الدّفاع والتّكيّف كفيلة برجع الصّدى في إثبات الخصوصيّة والتّعاطي مَع المُستجدّ وهذا ما يجب وعيه في ضرورة التّفاعل الحضاريّ بتكريس التّنوّع اللّغويّ والثّقافيّ كي لا نعيش الصّراع الحضاريّ/ الصّدام الحضاريّ، وهو كارثة على الحضارة الإنسانيّة التي أقيمَت على الحقائق والعدل والقيم والاحترام المُتبادل فينهدّ كل المَبنى، ويتبعه المَعنى، ويأتي الخراب على الحياة. ولهذا يدعو ديننا إلى مَزيد مِن تمْتين جسور التّعاون والتّكامُل الحضاريّ وحماية الأصول والمُقوّمات الدّينيّة والأعراف للتّواصل الحضاريّ، والانتصار للالتقاء بالآخر وتبادل المَنافع ليس بالغلبة ولا بالمُدافعة؛ وإنّما بالمَصلحة المُشتركة والمُزاوجة البينيّة الرّابطة بين الخصوصيّة والمُشترك العامّ. تِلْكُمْ وصفة الإسلام في بُعد التّعارف والتّوافق والاحتمال، وما يتبعه مِن استقرار ورفاهيّة عالمِيّة كفيلة بردّ كلّ القلاقل التي تُهدّد الكون. ولهذا علينا أن نتكاتف لدعم الثّقافة، وما تنطوي عليه مِن القوّة النّاعمَة مِن أجل النّهوض بالحوار والتّنمِيّة المُستديمَة لصالح الكون.

6. حالة الجزائر نموذجاً: إنّنا شعب عريق، عرف تحوّلات كبيرات، وعاش المِحن والإحن، وخرج مِنها مُنتصراً بنعمَة التّنوع في مُختلف مَجالاته، أسّس حضارة نوميديا، وعانى مِن الإغريقيّة والرّومانيّة، واندمَج بأريحيّة في الحضارة العربيّة الإسلامِيّة، وأبدع فيها وبها، وأسهم في بعض أركانها. إنّه ذلك التّنوّع الخلاّق الذي أكسبنا النّعمَة وأبعد عنّا النّقمَة، وعلّمنا احترام الاختلاف؛ بأنّه سبيل الاتّفاق، حيث رأينا التّفاعل لا التّصارع، رأينا تعايشاً وانصهاراً وتعاوناَ ويداً واحدة تُجيد نسج فنّ الانسجام الجمْعي، ضمْن الأخلاق الإسلامِيّة والأعراف والعادات والإنسانيات والمُجتمَع المَدني والمُواطنة والشّراكة. وإنّها تعدّديّة ثقافيّة تكامُليّة مَبنيّة على تسامُح وقبول الآخر، ونعرف أنّ بابها التّنمِيّة الجمْعيّة مِن خلال النّظرة الواحدة إلى المَصير المُشترك، والمُستقبل الجامِع، وأنّه لا طريق يجمَعنا إلاّ ثقافة القبول بالجار، وأنّ الشّجرة والبيئة والغاز والماء والكهرباء... مِن المُشترك الجمْعي، ولكن نريد مِن ثقافتنا أن تحافظ على خصوصياتها ضمْن المُشترك العامّ، وكما قال (مهاتما غاندي) "لا أريد لداري أن تُحيط به الأسوار مِن كلّ جانب، وأن تُسدّ نوافذه. أريد ثقافة البلاد كلّها أن تهبّ على داري بحرية تامّة، لكنّي أرفض أن تقتعلني إحداها مِن الأرض". هي اعتزاز بالثّقافة المَحليّة، وفي ذات الوقت هو اندماج في الثّقافات الأخرى بالحفاظ على المُكوّن/ الخصوصيّة ضمْن التّفاعل مَع باقي الثّقافات. هي وصفة عرفتها الجزائر مِن الأجداد، مِن صناعة الكبار، ودون تسييس أو نظرة للعِرْق أو للعنصر. هي سمَة غرسها الدّين الإسلاميّ في الجزائريين، فكانوا يداً واحدة في الانتصار على المُحتلّ، كما تعامَلوا مَع الأزمات والتّحوّلات السّياسية بما يُحافظ على الأمْن العام بكلّ حزم، فلم تنتصر آلة المَوت، ولكن انتصرت التّنمِيّة الحقيقيّة دون التّضحيّة بقدرة الأجيال المُقبلة على أن تحقق ازدهار مُستقبلها.

7. حوصلة عامّة (للتّقرير العربيّ الرّابع للتّنمِيّة الثّقافية): وإنّ هذا المَجال يستدعي مِنّي الرّجوع إلى أربع عشرة (14) سنةً خلت للنّظر في ذلك التّقرير الذي أعدته (مُؤسّسة الفكر العربي) سنة 2010م، حول مَوضوعات مُتعلّقة بالثّقافة العربيّة، والنّظر في قضايا مُنجزة، وقضايا مُعلّقة، وتوصيات بالتّركيز على حصاد العامّ 2010م (ص 646- 697) ويرى التّقرير بأنّ المَنتوج الثّقافي العربيّ المُعاصر إلى غاية سنة الإنجاز فيه ركام ثقافيّ كبير، ولكن للأسف مُعظمَه وقع في فخّ التّكرار إلى حدّ أنّنا أصبحنا نرى مُؤتمَرات وندوات عدّة تناقش المَوضوعات نفسها وتحت العناوين نفسها. ولقد تفاقمَت المُقاربات إزاء الثّقافة مَع مُختلف القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة

والاقتصاديّة والتّكنولوجيّة الرّاهنة، مِثل إشكاليّة التّعدّدية الثّقافيّة في الفكر السّياسيّ المُعاصر جدليّة الاندماج والتّنوّع/ الثّقافة العربيّة في ظلّ وسائط الاتّصال الحديثة/ الثّقافة العربيّة المُستقبل والتّحدّيات/ تغيّرات الثّقافة تحوّلات الواقع. وكان هذا مِن انشغال الدّول العربيّة التي تطلّ على البحر الأبيض المُتوسّط، وقد أخذ مَوضوع الثّقافة بين الضّفتين مِحور حوار الحضارات والثّقافات، وأحيانا ينحو نحو صدام الحضارات والتّخوّف مِن مَحو الهُويّة القومِيّة للدّول العربيّة لمَصلحة الشّرق الأوسط الكبير ولم يغفل التّقرير الحديث عن مَوضوعات عالجت مُكوّنات الحداثة والاستثمار في الاستفادة مِن دول الجوار بما تعيشه مِن الدّيمُقراطيّة الثّقافيّة. ويرى هذا الحصاد بأنّ الكثير مِن الدّول العربيّة استضافت مُؤتمرات وندوات في مَجال التّنوّع في نماذج الإصلاح، ولكنّها لم تخرج عن أبجديات المَرجعيّة الإسلامِيّة التي تستند إلى روّاد الإصلاح والتّجديد، وغابت مَوضوعات ذات العلاقة بشروط النّهضة العربيّة المُعاصرة وبآليات القرن الواحد والعشرين (21). وغاب فكر الاستشراف وهو ما حاولت مُعالجته (النّدوة الدّوليّة لربط البحار الخمْسة) في الإمارات العربيّة، ولكن هي آفاق شبه توصيات، وأنّ العالم العربيّ يسعى إلى رسم مَعالم المُستقبل الثّقافي الذي يلبّي طموحه آفاق 2030م. ومِن كلّ هذا الحصاد نالت العربيّة النّصيب الأكبر في تلك المُؤتمَرات والقمَم العربيّة، لكن تبقى مخرجاتها دون تفعيل، والعربيّة تحتاج إلى وصفات جديدة للمُمارسة الفعليّة، وإلى دورانها واستعمالها لدى الشّباب، وتبقى تلك الأفكار طوباويّة أنتجت ثقافة اللاتخطيط والواقع يقول هناك ثغرات كثيرات يجب أن تُسدّ؛ لأنّ نقص المَعرفة وعدم العمَل باللّغة الأمّ هو نقص الثّقافة ونقص التّنمِيّة. وكان على المَعنيين مُعالجة تراجع مَوقع اللّغة العربيّة في الخريطة الثّقافيّة والتّربيّة العربيّة الذي راح يعكس عمْق الأزمَة الثّقافيّة العربيّة، ودخلت السّياسة الثّقافيّة في المُواجهات الصّداميّة لأنّها لم ترتبط بمَنظومة التّربيّة والتّعليم الجامِعيّ؛ حيث بقيت مُرتبطة بالطّابع المُناسباتي، وغابت الثّقافة مِن العلماء والباحثين، ودخلت بيت الطّاعة في احترام الحدود وواجبات التّحفّظ. وكان على موجبات الثّقافة أن تُعالج قضايا اللّغة المُشتركة بعمْق واللّغات الوطنيّة والعمَل على إيجاد جسور التّكامُل، فضلاً عن تقديم وصفات المُشترك مِن التّراث وحمايته، ودعم المُحتوى الرّقميّ وحركة التّرجمَة وترشيدها.

لقد سجّل الحصاد خمْسين (50) نشاطاً عالياً تناول قضايا الثّقافة، بمَوضوعات مُهمّة، لكنّه ينعى النّتائج بأنّها عبارة عن (عروبة بالقوّة لا بالفعل) وأظهر رغبة الدّول العربيّة في البحث عن سياسة ثقافيّة جادّة، لكن بغياب استراتيجيّة مُشتركة تنشد الآفاق، وتتقاسم المُشترك الحضاريّ، وهذا ما لم تتبنّاه العواصم الثّقافيّة العربيّة. واللافت أنّ المُؤسّسات الحكومِيّة لا تُعطي الحقّ الكافيّ لرعاية الثّقافة، وأما القيّمون على الثّقافة فإنّهم يعطون أنفسهم الحقّ الأوّل في البروز والظّهور على أكتاف التّطوير الثّقافيّ والمُتابعة (حسب أحد كتّاب جريدة "البيان" الإماراتيّة). ومَع ما يُسجّل مِن إخفاقات ثقافيّة، هناك أصوات بعض النّخبة تُنادي بتغيير جذريّ في الثّقافة، وإنجاز سياسة عربيّة مُشتركة تشرف عليها المُنظّمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم/ ALESCO ومُتابعة تجسيد تجسير حقيقيّ بين التّربيّة والثّقافة؛ لأنّ الثّقافة العربيّة ثقافة أمّة واحدة، والعربيّة ليست حزباً قومِياً، إنّها انتماء ثقافيّ حضاريّ قائم بالقوّة، قبل أن يكون بالفِعْل، وأنّ أيّ مَوضوع لا يُمْكن مُعالجته إلاّ في سياقه العربيّ؛ لأنّ العربيّة ليست خياراً وإنّما هي قدر، ونِعْمَ القدرُ.

ويرى التّقرير أنّه مِن الضّروريّ أن تتكاتف الجهود في الإنتاج الورقي والنّشر الإلكتروني، وفي مُختلف الدّوريات لصالح الدّفاع عن المَشروع الثّقافي العربيّ المتنوّع الذي يُعدّ المَشروع المتّصل لربح التّحدّيات المُعاصرة بالثّقافة

العربيّة بما لها مِن خصوصيات، وهو ما يعصم العربَ مِن المَسح والمَسخ والذّوبان، ولا بدّ أن تصبّ المَوضوعات في الدّفاع عن الحقّ الثّقافيّ العربيّ أمام التّغوّل العولمي لمَحو الثّقافات الهشّة وثقافتنا ليست مِنها، ولكن مِن باب الاطمئنان، بما يأتي مِن العمَل على إيجاد المَحاذير وتسييجها بما يمْنع ذلك مِن تجسيد المَوت الثّقافي. وهنا لا بدّ مِن الاحتياط وضرورة التّعاون مَع الأروبويين والآسيويين بغية تطبيق (لِتَعارَفوا) بوصفة الحضارة العربيّة الإسلامِيّة، وبقطب العربوفونيّة. ولهذا علينا الإكثار مِن النّدوات الفكريّة مَع الآخر، وتوضيح المَظاهر التّكامُليّة لصالح الكرّة الأرضيّة التي تجمَعنا باختلاف ثقافاتنا. وهذا ما يصرّ عيه التّقرير بأنّ التّكامُل يكون عن طريق المَشاريع البينيّة العربيّة ومَع الآخر، وهي البدائل الحديثة التي نجحت فيها الدّول الغربيّة في إزالة الحدود، وقيام التّكتلات والكارتلات الاقتصاديّة. ويختم التّقرير بالحديث عن جمْلة الثّوابت الثّقافيّة، ويرى أنّها ليست ثابتة وجهويّة بل هي خاضعة للتّغيير بحسب الظّروف السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وقد يُستثمَر ذلك في اتّجاه المَزيد مِن التّبعيّة للنّظام الاقتصاديّ النيوليبراليّ والاحتلال بمُختلف أشكاله. ويدعو إلى التّحرّر مِن السّياسات والأطماع الخارجيّة، ويُقدّم التّقرير في الأخير جمْلة التّوصيات في حماية اللّغة العربيّة والتّراث وقضايا التّربيّة والمِهَن وفي التّنمِيّة المُستديمَة وأنقل لكم ما له علاقة بمَوضوع **التّنوّع الثّقافيّ** بعنوان (على صعيد إعلاء القيَم الإنسانيّة وحوار الثّقافات):

1. إنشاء مُؤسّسة لتدريب الشّباب على الحوار وجدوى القيَم انطلاقاً مِن أنّ الحفاظ على القيَم مَسؤوليّة أساسيّة مِن مَسؤوليات الدّولة، ويجب رعاية ذلك والعمَل على تحقيقه.

2. العمَل على وضع مُعجم مَوسوعي عربيّ لتحديد سلّم القيم النّظريّة الإنسانيّة (العقليّة) والدّينيّة لتكون مَرجعاً أساساً في برامِج التّعليم ولفئات المُجتمَع كافة.

3. تأسيس وقفيات وطنيّة في جميع الدّول لدعم مُؤسّسات المُجتمَع المَدني، ومَراكز البحوث التي تعمَل على الحفاظ على القيَم المُجتمَعيّة والوطنيّة لضمان الدّعم الدّائم.

4. ضرورة التّعاون بين المُؤسّسات الدّينيّة والمُؤسّسات المَدنيّة بغية تعزيز القيَم المَدنيّة والدّينيّة وإيجاد توازن بينها.

5. العمَل على جعْل مَنظومة القيَم المُجتمَعيّة والوطنيّة جزءاً مِن مَناهج المَراحل الدّراسيّة.

6. إنشاء مَعهد عربيّ لحوار الحضارات.

7. العمَل على وضْع آليّة للحوار بين القيادة السّياسيّة ومُثقفي ومُفكّري الوطن بشكل دوريّ لتحقيق تعاون مُشترك لخدمَة الوطن.

8. إدراج قيَم احترام التّعدّديّة والتّنوّع، وحقّ الاختلاف داخل المُجتمَعات العربيّة في المَناهج التّربويّة والأنشطة الإعلامِيّة، انطلاقاً مِن اعتبارها مَصدر غنًى وليس مَصدر أزمات.

9. أهمِيّة فتح قنوات حوار مُعمَّق مع الثّقافات الآسيويّة التي أقامَت مَعها الثّقافة العربيّة تاريخاً طويلاً مِن التّفاعل الثّقافيّ. وقد نجحت الدّول الآسيويّة في إقامَة التّوازن الثّقافي بين الأصالة والمُعاصرة، وهناك دروس مُستفادة في هذا المَجال". ص694- 695.

ـ الخاتمَة: إنّنا بحاجة إلى الاستثمار في الثّقافة؛ وهي التي تطرح البدائل الحديثة في مَخاض العولمَة وما على الإنتلجنسيا العربيّة أن تقترح الأفكار في هذا المَجال، بدل السّكوت أو الصّراخ في الهواء، وعليها أن تُواجه الأمْر

بإنتاج سياسة ثقافيّة في مُعالجة مظاهر الفرض أو مُغالبة التّحدّيات، بالاعتماد على أفكار العصر والواقعيّة والعقلانيّة وأفكار الثّورة التّعدّديّة، وترشيد الأحلام وأنسنتها حتى لا يتحوّل ذلك إلى طوبى غاضبة؛ لأنّ العصر الحاضر تسوده حضارة عالمِيّة واحدة، تمْتدّ مِن أدنى الأرض إلى أقصاها، وأين مَوقع العرب في الكون العالمي؟

كلمة رئيس الملتقى

التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ في البشر
ما حقيقته؟ وما فائدته؟ وكيف يجب التّعامل معه؟

كتبه حبيب مونسي
عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

01- فسيفساء الإنسانيّة المتنوّعة: حقيقة التعدد وكنوز الاختلاف: منذ فجر التاريخ، تجلت الطبيعة البشريّة في أبهى صورها من خلال تنوّع ثقافي ولغوي فريد. لم تسر الحضارات على وتيرة واحدة، ولم تتشكّل المجتمعات وفق قالب موحد. بل انبثقت من رحم الجغرافيا والتاريخ أنماطُ حياةٍ، وتقاليدَ ومعتقداتٍ، ولغاتٍ لا حصر لها، لتشكّل في مجملها فسيفساء إنسانيّة غنيّة ومتنوعة. فما هي حقيقة هذا التّنوع؟ وما هي كنوزُه الخفيّة؟ وكيف لنا أن نتعامل معه بما يليق بإنسانيتنا المشتركة؟

02- **حقيقة التّنوع: بصمة كلّ مجتمع، وتعبير عن هويته:** إنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي ليس مجرد سمة عابرة أو تفصيلاً هامشياً في تاريخ البشريّة، بل هو **جوهر وجودها**. يتجلّى هذا التّنوع في أبهى صوره في العادات والتّقاليد، والفنون والآداب، وأنماط اللّباس والمأكل، والقيم والمعتقدات، وحتى في طرق التّفكير والتّعبير عن الذات. كلُّ مجتمع بشري، مهما صغُرَ حجمُه أو بدا منعزلاً، يحمل في طياته بصمةً ثقافيّة فريدةً تميّزه عن غيره، وتعبّر عن هويّته المتجذرة في أرضه وتاريخه.

أما التّنوع اللّغوي، فهو الوجه الآخر لهذه العُملة. فاللّغة ليست مجرّد أداة للتّواصل، بل هي **وعاء الفكر والثّقافة**. تحمل كلُّ لغة في طياتها تاريخًا طويلاً من التّطور، وتعكس طريقة فريدة في إدراك العالم وتصنيفه والتّعبير عنه. إنّ اختلاف اللّغات يعني اختلافًا في طُرُق التّفكير، وفي المفاهيم الأساسيّة التي تشكّل رؤيتنا للواقع والعالم.

03- **كنوز الاختلاف: فوائد لا تقدر بثمن:** يحمل هذا التّنوع الثّقافي واللّغوي في طياته فوائد جمّة تثري حياتنا على كافة الأصعدة:

- **إثراء المعرفة والإبداع:** يمثل التّنوع الثّقافي واللّغوي مصدرًا لا ينضب للمعرفة والأفكار الجديدة. فكلّ ثقافة تقدّم منظورًا مختلفًا للعالم، وتحمل حلولًا مبتكرة للتّحديات التي تواجه البشريّة. كما أنّ التّفاعل بين الثّقافات المختلفة يولّد أشكالًا جديدة من الإبداع الفنّي، والأدبي، والعلمي.
- **تعزيز التّفاهم والتّسامح:** إنّ التّعرف على ثقافات ولغات أخرى يفتح آفاقًا جديدة للفهم والتّقدير. عندما نُدرك أنّ هناك طُرقًا مختلفة للعيش والتّفكير، يُصبح من الأسهل علينا أن نتعاطف مع الآخرين، ونحترم اختلافاتهم، ممّا يعزّز التّسامح والتّعايش السّلمي.

- **تنميّة المهارات الحياتيّة:** يساعد الانفتاح على التّنوع الثّقافي واللّغوي في تطوير مهارات حياتيّة أساسيّة مثل القدرة على التّكيف، وحلّ المشكلات، والتّواصل الفعّال مع الآخرين من خلفيات مختلفة. هذه المهارات ضروريّة في عالمنا المُعَوْلَمِ والمتّصِلِ.
- **الحفاظ على التّراث الإنساني:** تمثل اللّغات والثّقافات المختلفة جزءًا لا يتجزأ من التّراث الإنساني. إنّ فقدان أيّ لغة أو ثقافة هو خسارة لا تعوّض لجزء من تاريخنا وهويتنا المشتركة.

04- **كيف نتعامل مع التّنوع: جسر من الاحترام والتفاعل:** إنّ التّعامل الأمثل مع هذا التّنوع الثّقافي واللّغويّ يتطلّب منّا تبني مجموعة من المبادئ والقيم:

- **الاحترام والتّقدير:** يجب أن ننظر إلى كلّ ثقافة ولغة على أنّها ذات قيمة وأهميّة، وأنّ نحترم الاختلافات ونتجنّب الأحكام المسبقة.
- **الإنصات والتّعلم:** علينا أن نكون مستعدين للاستماع إلى الآخرين، والتّعلم من تجاربهم ومعارفهم، وأن نفتح عقولنا وقلوبنا لفهم وجهات نظر مختلفة.
- **التّواصل والتّفاعل:** يجب أن نسعى إلى بناء جسور من التّواصل والتّفاعل الإيجابي بين الثّقافات واللّغات المختلفة، من خلال الحوار وتبادل الخبرات، والتّعاون المشترك.
- **الحمايّة والدّعم:** من واجبنا حمايّة ودعم اللّغات والثقافات المهدّدة بالاندثار، وضمان استمرارها وتناقلها بين الأجيال.
- **الاحتفاء بالتّنوع:** يجب أن ننظر إلى التّنوع على أنّه قوّة ومصدر إثراء، وأن نحتفي به في مختلف جوانب حياتنا.

إنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي ليس مجرد حقيقة قائمة، بل هو **كنز ثمين** يجب علينا أن نقدره ونحافظ عليه ونستثمره. من خلال تبنّي ثقافة الاحترام والتّفاعل، يمكننا أن نحوّل هذا التّنوع إلى قوة دافعة نحو بناء عالم أكثر عدلاً وسلامًا وازدهارًا للجميع. إنّ فسيفساء الإنسانيّة المتنوّعة هي مصدر قوتنا ووحدتنا في آن واحد.

05- إثراء المعرفة والإبداع: نافذة على عوالم جديدة ومحفز للابتكار: يمثل التّنوع الثّقافي واللّغوي منجمًا دفينًا للمعرفة والإبداع، فهو يفتح لنا نوافذ على عوالم فكريّة وتجريبيّة لم نكن لنطّلع عليها لولا هذا التّعدد. كلّ ثقافة، عبر تاريخها وتفاعلها مع بيئتها وظروفها الخاصّة، طوّرت **مجموعة فريدة من المعارف والمهارات والحلول** للتّحديات التي واجهتها. هذه المعارف قد تكون في مجال الطبّ التّقليدي، أو في فهم النُّظم البيئيّة، أو في طرق مبتكرة للتنظيم الاجتماعي، أو حتى في أساليب فنيّة وتقنيّة فريدة.

أ- **منظورات مختلفة تثري الفهم:** عندما نتعرّض لثقافات مختلفة، فإنّنا نتعلّم طرقًا جديدة للنّظر إلى العالم وفهمه. قد نكتشف مفاهيم لم تخطر ببالنا من قبل، أو نرى حلولًا لمشاكلنا من زوايا مختلفة تمامًا. على سبيل المثال، قد تقدّم لنا الفلسفات الشّرقيّة رؤى عميقة حول العلاقة بين الإنسان والطبيعة تختلف جذريًا عن النّظرة الغربيّة. أو قد نتعلّم من المجتمعات الأصليّة أساليب مستدامة للعيش تتناقض مع نماذج الاستهلاك السّائدة. هذا **التلاقح بين وجهات النّظر المختلفة** يثري فهمنا للعالم من حولنا ويوسع آفاقنا الفكريّة.

ب- **محفز للإبداع والابتكار:** إنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي هو أيضًا **محفز قوي للإبداع والابتكار.** عندما تتفاعل ثقافات مختلفة، تتبادل الأفكار والتقنيات والأساليب الفنيّة، مما يؤدي إلى ظهور أشكال جديدة من التّعبير والإبداع. يمكن أن نرى ذلك بوضوح في مجالات مثل الفنون، والموسيقى، والأدب، والمطبخ، وحتى التكنولوجيا. فكثير من الابتكارات والاكتشافات الحديثة نتجت عن تلاقح أفكار من خلفيات ثقافيّة متنوعة. على سبيل المثال، يمكن أن يؤدي دمج تقنيات تصميم من ثقافة معينة مع مواد من ثقافة أخرى إلى ابتكار منتجات جديدة وفريدة.

أمثلة حيّة على الإثراء:

- **في مجال الطب:** أسهمت المعارف التقليديّة من ثقافات مختلفة في اكتشاف العديد من العقاقير والأدويّة الحديثة. فالعديد من النباتات التي تستخدم في الطب الشّعبي حول العالم أثبتت فعاليتها علميًا.
- **في مجال الفنون:** نشهد باستمرار اندماج أساليب فنيّة من ثقافات مختلفة لخلق أشكال تعبيريّة جديدة ومبتكرة مثل الموسيقى العالميّة التي تمزج بين إيقاعات وألحان من مختلف القارات.
- **في مجال التكنولوجيا:** غالبًا ما يكون الابتكار التكنولوجي نتاج فِرَقِ عملِ متعددة الجنسيات والثّقافات، حيث يجلب كلّ فرد خبراته ومنظوره الفريد للإسهام في الحلول الإبداعيّة.
- **في مجال الأدب:** تفتح لنا التّرجمة نافذة على عوالم أدبيّة وفكريّة مختلفة، وتثري لغتنا وثقافتنا بأفكار وأساليب جديدة.

باختصار، إنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي يمثل **مختبرًا عالميًا للأفكار والحلول الإبداعيّة.** من خلال الانفتاح على هذا التّنوع وتقديره، فإنّنا نفتح لأنفسنا أبوابًا واسعة للمعرفة والابتكار، ونسهم في إيجاد حلول أكثر شموليّة وإبداعًا للتّحديات التي تواجه البشريّة. إنّه بمثابة تدفّق مستمر للأفكار الجديدة التي تثري حياتنا وتدفعنا نحو التّقدم.

تعزيز التفاهم والتسامح: جسر التواصل ولبنة السلام: يمثل التّنوع الثّقافي واللّغوي أساسًا متينًا لبناء جسور من التّفاهم وتعزيز قيم التسامح بين الأفراد والمجتمعات. عندما نتعرض لثقافات ولغات مختلفة، فإننا نخطو خطوة حاسمة نحو **تجاوز الحواجز الوهميّة** التي قد تفصلنا عن الآخرين بسبب الاختلافات الظاهريّة. هذا الانفتاح يقلل من حدة التحيزات والأحكام المسبقة، ويفتح آفاقًا أوسع لتقدير إنسانيتنا المشتركة.

كسر الصور النمطيّة والأحكام المسبقة: في كثير من الأحيان، تتشكل لدينا صور نمطيّة وأحكام مسبقة عن ثقافات أو مجموعات لغويّة معينة بناءً على معلومات محدودة أو مغلوطة. التعرض المباشر لثقافات أخرى، سواء من خلال السفر أو القراءة أو التواصل مع أفراد ينتمون إليها، يساعد في **تفكيك هذه الصور النمطيّة** وكشف زيف التعميمات الضيقة. عندما نرى العالم من منظور شخص آخر، ونفهم خلفيته وقيمه، يصبح من الصعب علينا أن نختزله في قالب جامد.

تنميّة التعاطف والتقدير: إنّ فهمنا لكيفيّة نشأة وتطور ثقافة معينة، بما في ذلك تاريخها وتحدياتها وإنجازاتها يقودنا إلى **تنميّة شعور بالتعاطف والتقدير** تجاه أفرادها. عندما ندرك أن العادات والتقاليد المختلفة غالبًا ما تكون استجابات منطقيّة لظروف بيئيّة أو تاريخيّة محددة، يصبح من الأسهل علينا أن نحترمها حتى لو كانت تختلف عن ممارساتنا. هذا التقدير المتبادل هو أساس التسامح الحقيقي.

06- **تعزيز الحوار والتواصل البناء:** التّنوع الثّقافي واللّغوي يشجع على **الحوار والتّواصل البنّاء** بين الأفراد والمجموعات المختلفة. عندما نسعى لفهم لغة أو ثقافة أخرى، فإنّنا نبادر بفتح قنوات للتّواصل يمكن أن تؤدي إلى

تبادل الأفكار والخبرات وحلّ النّزاعات بطرق سلميّة. هذا الحوار يساعد في بناء الثّقة وتقويّة العلاقات الإنسانيّة عبر الحدود الثّقافيّة واللّغويّة.

أ- **أمثلة على تعزيز التّفاهم والتّسامح:**

- **برامج التّبادل الثّقافي والتّعليمي:** تتيح هذه البرامج للأفراد فرصة العيش والدّراسة في بيئات ثقافيّة مختلفة ممّا يعزّز الفهم المباشر ويقلّل من التّحيزات.
- **المبادرات متعدّدة الثقافات في المجتمعات:** تشجّع هذه المبادرات على التّفاعل بين أفراد من خلفيات ثقافيّة متنوعة داخل المجتمع الواحد، مما يعزّز التّماسك الاجتماعي والتّسامح.
- **تعلّم اللّغات الأجنبيّة:** لا يقتصر تعلّم لغة جديدة على اكتساب مهارة تواصليّة، بل يفتح أيضًا نافذة على طريقة تفكير وقيم ثقافة أخرى.
- **الفنون والإعلام:** يمكن للفنون، والأفلام، والبرامج التلفزيونيّة التي تصور ثقافات مختلفة بشكل دقيق ومتوازن أن تسهم في تعزيز الفهم والتّعاطف.

إن التّنوع الثّقافي واللّغوي ليس مجرد حقيقة يجب التّعايش معها، بل هو **فرصة ذهبيّة لتعزيز التّفاهم والتّسامح** في عالمنا. من خلال الانفتاح على الاختلاف وتقديره والسّعي للتّواصل والحوار، يمكننا أن نبني مجتمعات أكثر شموليّة وسلامًا، حيث يُنظر إلى التّنوع على أنّه مصدر قوة ووحدة بدلاً من كونه سببًا للخلاف والانقسام. إنّ فهمنا وتقديرنا لثقافات ولغات الآخرين هو الخطوة الأولى نحو عالم يسوده الاحترام المتبادل والتّعايش السّلمي.

07- الحفاظ على التّراث الإنساني: التّنوع الثّقافي واللّغوي ككنوز حيّة للذاكرة: يمثّل التّنوع الثّقافي واللّغوي بمثابة **مكتبة كونيّة حيّة** تحفظ في طياتها كنوزًا لا تقدّر بثمن من المعارف والخبرات والقيم التي تراكمت عبر آلاف السنين. كلّ لغة وثقافة هي بمثابة وعاء فريد يحمل جزءًا لا يتجزأ من تاريخ البشريّة وطرقًا مميزة في فهم العالم والتّفاعل معه. وعندما نحافظ على هذا التّنوع، فإنّنا في الواقع نحمي ونورث **تراثنا الإنساني المشترك** للأجيال القادمة.

أ- **اللّغة حاملا لذاكرة الثّقافة:** اللّغة ليست مجرد أداة للتّواصل اليومي، بل هي **المستودع الرئيسي لذاكرة الثّقافة.** تحمل اللّغة في مفرداتها وتراكيبها وقواعدها تاريخًا طويلاً من التّطور، وتعكس طرق تفكير وأساليب حياة وقيم مجتمع معين. من خلال اللّغة، تنتقل الحكايات والأساطير والأغاني والأمثال والمعارف التّقليديّة من جيل إلى جيل. عندما تندثر لغة ما فإنّنا نخسر معها جزءًا فريدًا من تاريخ البشريّة وطريقة مميّزة في التّعبير عن الوجود.

أ- **الثقافة كجسد حيّ للتراث:** تشمل الثّقافة نطاقًا واسعًا من الممارسات والمعتقدات والفنون والتّقاليد التي تشكّل هويّة مجتمع ما. هذه العناصر الثّقافيّة هي **تجسيد حيّ لتراث الأجيال السّابقة.** من خلال الحفاظ على العادات والتّقاليد، والفنون الحرفيّة، والموسيقى والرّقص، والهندسة المعماريّة التّقليديّة، فإنّنا نحافظ على الرّوابط مع ماضينا ونضمن استمرار حيويته في الحاضر والمستقبل.

ب -التّنوع مصدر قوّة للمرونة والاستدامة: إنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي يوفّر للبشريّة **مجموعة واسعة من الحلول والاستراتيجيات** التي طوّرتها مجتمعات مختلفة للتّكيف مع بيئاتها والتّغلب على التّحديات. هذه المعارف التّقليديّة التي غالبًا ما تكون مستدامة ومتوافقة مع البيئة المحليّة، يمكن أن تقدّم رؤى قيّمة لمواجهة التّحديات المعاصرة

مثل تغيُّر المناخ والحفاظ على التّنوع البيولوجي. عندما نفقد ثقافة ما، فإنّنا نخسر معها مجموعة فريدة من المعارف التي قد تكون حيويّة لبقائنا ورفاهنا في المستقبل.

ج-أمثلة على دور التّنوع في حفظ التّراث:

- **المعارف التّقليديّة في الزّراعة والطّب:** العديد من المجتمعات الأصليّة حول العالم تمتلك معارف عميقة حول النّباتات والحيوانات والنّظم البيئيّة المحليّة، وقد طورت أساليب زراعيّة وطبيّة مستدامة تتناقلها عبر الأجيال شفهيًا ولغة.
- **الحفاظ على اللّغات المهدّدة بالانقراض:** الجهود المبذولة لتوثيق وإحياء اللّغات المهدّدة بالانقراض ليست مجرد مسألة لغويّة، بل هي أيضًا محاولة للحفاظ على المعارف الثّقافيّة والتاريخيّة الفريدة التي تحملها هذه اللّغات.
- **حمايّة المواقع الثّقافيّة والتّراثيّة:** الاعتراف بالمواقع الثّقافيّة والطبيعيّة ذات الأهميّة العالميّة وحمايتها يسهم في الحفاظ على الشّواهد الماديّة وغير الماديّة لتاريخنا المشترك.
- **دعم الفنون والحرف التّقليديّة:** الحفاظ على المهارات والمعارف المرتبطة بالفنون والحرف التّقليديّة يضمن استمرار أشكال فريدة من التّعبير الثّقافي والتّراث المادي.

إنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي ليس مجرد مشهد غني وملون للإنسانيّة، بل هو **العمود الفقري لذاكرتها الجماعيّة.** من خلال الحفاظ على هذا التّنوع، فإنّنا نحمي ونورث كنوزًا من المعرفة والخبرة والقيم التي شكّلت مسيرة البشريّة ونضمن أن الأجيال القادمة ستتمكن من التّعلم من الماضي وبناء مستقبل أكثر استدامة وثراءً. إنّ فقدان أي لغة أو ثقافة هو بمثابة فقدان صفحة قيّمة من كتاب تاريخنا المشترك.

كلمة رئيس اللّجنة العلميّة

د. محمّد حرّاث – جامعة الشّلف

الحمد لله القائل: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنّ الله عليمٌ خبيرٌ**". والقائل: "**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**"، والقائل: "**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**".

والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين، عربا وعجما، بيضا وسودا، إنسًا وجنّا.

أمّا بعدُ:

فإنّ الاختلاف سنّة كونية في البشر، ليس في اللّغة والثّقافة فحسب، بل هذا تابع لاختلافات كثيرة، كاختلاف اللّون والبيئة، والمعتقد والتفكير. والتّنوع هو المظهر المُشرق لكلّ اختلاف، على عكس الاختلاف الذي يؤدي إلى الخلاف؛ لذا فإنّ المجلس الأعلى للّغة العربية سعى في هذا الملتقى العلميّ إلى تسليط الضّوء على ظاهرتي: التّنوّع الثّقافيّ والتّنوع اللّغويّ، ومناقشة العلائق بينهما، بوصفهما ظاهرتين متلازمتين، أو متوازيتين، كما حاول مدارسة كيفيّة الانتقال بهاتين الظّاهرتين من المصادمة إلى المواءمة، لتمتين وتوطين، وتوطيد وتأسيس وترسيس أسباب التقبّل واستثمار ظاهرة التّنوع في المجتمعات على صعيدي: الثّقافة واللّغة، بما يخدم وحدة الهويّة الوطنيّة وبخاصة بعد المعاهدات الدّولية التي دعت إلى حماية التّنوع الثّقافي، على غرار معاهدة اليونيسكو سنة 2005.

ويطرح الملتقى إشكالياتٍ كثيرةً، جوهرها: هل يؤثّر التّنوّع الثّقافيّ على الهويّة اللّغويّة، وهل يؤدّي بالضّرورة التّنوّع الثقافي إلى تعدّد لغويّ؟ ثم هل يؤدّي التّعدّد اللّغويّ إلى تنوّع ثقافيّ بالضّرورة، داخل البلد الواحد أو الأمّة الواحدة؟ وغيرها من التّسآلات والإشكالات ذات صلة القربى التي تُسند إلى ثلّة من الباحثين الحفريّين، المَنْجَميّين المهتمّين بالتّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ.

يهدف هذا الملتقى ويسعى إلى الانتقال بالاختلافات الطّبيعية الطّبعيّة من أسباب للخلاف والمصادمة، إلى إشراقاتٍ للتنوع والمواءمة؛ للوصول إلى اليقين والإيمان بحتمية الاختلاف كإيماننا بحتمية اختلاف أصابع اليد الواحدة وجمالها. كما حثّ سعيا وسعى حثيثا، هذا الملتقى إلى العمل على استكناه العلائق بين كل تنوّعٍ ثقافيّ وتعدّد لغويّ في المجتمعات المختلفة، وتوطين إيجابيّة التّنوع الثّقافي داخل المجتمع الواحد، والاستثمار فيه، والبناء الفسيفسائيّ لمعمار الهويّة الوطنيّة الجامعة المانعة الصّادّة الرّادعة، لكلّ قاسمة صادعة.

من أجل ذلك، وإضاءةً على حيثيّات الملتقى، استقبلت اللجنة العلميّة منذ إعلانها الأوّل عددا من ملخّصات إشكالات بحثيّة (64 ملخّصا)، قبلت منها: أربعين (40) ملخّصا. وتسلّمت بعد ذلك عدد من المداخلات الكاملة (24 مداخلةً)، واصطفت لكم 19 مداخلةً عتيدة مفيدة، وما سيختتم به الملتقى من توصيّات، هي بمثابة معالم مجليّة لخارطة طريق استشرافيّة للنّقل الصّحيح والصّحيّ للتنوّع الثقافي واللّغويّ من القاع المصادمة إلى يفاع المواءمة.

في ضَياعِ اللّغة ضَياعٌ للثّقافة وللذّات وللهُويّة الوَطنيّة

The loss of the language is a loss of culture, identity and national identity

أ. د. عبد النّاصر بوعلي
جامعة تلمسان

الملخّص: تعدّ اللّغة العربيّة ركنًا من أركان التّنوّع الثّقافي للبشريّة، وهي من اللّغات الأكثر ممارسة في العالم فبالإضافة إلى حملها للثّقافة العربيّة، فقد اختلطت بفعل الفتوحات الإسلاميّة بمختلف الثّقافات العالميّة وتعايشت مع العديد من اللّغات، فهي تتواجدُ في كلّ بقاع العالم، يُقبل على تعلّمها العديدُ من الشّعوب، وتُدرس مثلها في ذلك مثل باقي اللّغات العالميّة الأخرى وتمثل إضافة نوعيّة للذين يتعلّمونها، وتفتح لهم آفاقًا جديدة تُسهم في ثرائهم الثّقافي بشكلٍ عام. ونظرًا لهذه الأهميّة الكبرى التي تحظى بها اللّغة العربيّة في عالم اليوم، فإنّنا سنتوقف عند مشكلة حضورها في الثّقافة الوطنيّة، وما يعتري هذا الحضور من احتشام ممّا يؤثّر سلبًا على مستقبل الثّقافة الوطنيّة.

الكلمات المفتاحيّة: اللّغة العربيّة؛ الثّقافة؛ الهُويّة؛ الاقتصاد؛ الواقع؛ الحلول.

Summary: The Arabic language is a cornerstone of the cultural diversity of humanity and is one of the most widely spoken languages in the world. In addition to carrying Arab culture, it has blended with various global cultures due to Islamic conquests. It is found in every corner of the world, attracting many people to learn it and it is taught alongside other global languages, representing a qualitative addition for those who learn it. It opens up new horizons that contribute to their cultural enrichment in general. Given the significant importance of the Arabic language in today's world, we will address the issue of its presence in national culture and the modesty surrounding this presence, which negatively affects the future of national culture.

Keywords: Arabic language; culture; identity; economy; reality; solutions.

1- واقع ممارسة العربيّة في الجزائر: في الجزائر كعبة العربِ في الجهاد، وموطن الشّهداء، وقلعةُ الصنوين العالمين الكبيرين عبد الحميد بن باديس والشّيخ البشير الإبراهيمي، يُخطئ النّاطقون الأصليون للعربيّة في كلامهم نطقًا وتشكيلًا، وقد يستسمحُ البعض منهم المستمعين بأن يُخاطبهم بلغة المحتلّ قائلًا: إنّه لا يعرف العربيّة، ويُردفها بابتسامة ويشاركه البعضُ ابتسامته، وإذا تحدّث العربيّة يُثنّي ويجمع، ويذكّر ويؤنّث، كيفما شاء وتبدو مخارج الألفاظ عنده وكأنّه لم يتعلّم العربيّة في المراحل الأولى من التّعليم، ولم يقرأ القرآن الكريم في حياته، ومنهم من لا يفرق بين الذي والتي، وتبدو الحروف الثّقيلة متلعثمة في القاف والضاد والصاد. تبدو لغة

الضّاد غريبة في موطنها، حينما رُحنا نعلّم أولادنا كلّ لغات الدّول وأهملنا العربيّة في مدارسنا، وليس هناك نفاقٌ أكثر من مُطالبة البعض بزيادة مواد التّربيّة الإسلاميّة في المناهج ثمّ يتوسّلون لتسجيل أولادهم بالمدارس الأجنبيّة، إنّ العربيّة في الجزائر ليست غريبة فقد نزلت هذا الوطنَ مع الفاتحين وفي هذا قال الشّيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله: «اللّغة العربيّة في القطر الجزائري ليست غريبة، ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حُماتها وأنصارها، وهي ممتدّة الجذور مع الماضي، مشتدّة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل ممتدّة مع الماضي، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على السّنة الفاتحين، ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشّمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربيّة لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيمًا لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النّفوس، وتتساغ في الالسّنة واللّهوات وتنساب بين الشّفاه والأفواه، يزيدها طيبًا وعذوبة أنّ القرآن بها يُتلى، وأنّ الصّلوات بها تبدأ وتختم، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتّى اتسعت دائرتها وخالطت الحواس والشّواعر، وجاوزت الإبانة عن الدّين إلى الإبانة عن الدّنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معًا، وجاء دور القلم والتّدوين فدونّت بها علوم الإسلام وآدابه، وفلسفته وروحانيته، وعرف البربر على طريقها ما لم يكونوا يعرفون، وسعت إليها حكمة يونان تستجديها البيان وتستعديها على الزّمان، فأجدت وأعدت، وطار إلى البربر منها قبس لم تكنْ لتطيره لغة الرّومان.. وسلطت سحرها على النّفوس البربريّة فأحالتّها عربيّة، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر، واقتناع لا يد فيه للقهر، وديمقراطيّة لا شبح فيها للاستعمار وكذب وفجر كل من يسمي الفتح الإسلامي استعمارًا، وإنّما هو راحة من الهمّ النّاصب، ورحمة من العذاب الواصب وإنصاف للبربر من الجور الرّوماني البغيض»[1]. فالعربيّة في الجزائر ليست عرقًا وإنّما لسان صدق يحمل هُويّة أمّة أبت إلّا أن تتّبع الدّين الذي ارتضاه للنّاس، فعن أبي سلمة بن عبد الرّحمن قال: "جاء قيس بن مطاطيّة إلى حلقة فيها سلمان الفارسي، وصُهيب الرّومي، وبلال الحبشي فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذه الرّجل فما بال هؤلاء فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ تلبيبه، ثم أتى به النّبي ﷺ فأخبره مقالتّه، فقام النّبي ﷺ يجر رداءه حتّى دخل المسجد، ثم نودي الصّلاة جامعة، وقال: «أيُّها النّاس، إنّ الرّبّ واحد والأب أبّ واحد، وليست العربيّة بأحدكم من أبٍ ولا أمٍّ وإنّما هي اللّسان، فمن تكلّم العربيّة فهو عربي»[2] فهي ليست بأبٍ أو أمٍّ وإنّما العروبة هي اللّسان. والنّقاء اللّغوي تحرص عليه جميع الشّعوب والثّقافات، وهكذا فعل العربُ القدماء عندما ترجموا المنطق اليوناني، وما سبب السّخريّة من أستاذ اللّغة العربيّة والفقيه عندما يتحدثان بالفصحى إلّا نتيجة الشّعور بالنّقص الذي تسبّب فيه الاستعمار والغزو الثّقافي، ويستخدم الشّباب العربي فى محادثتهم عبر الإنترنت مصطلحات تُهدّد مصير اللّغة العربيّة، التي تحولت عندهم إلى رموز وأرقام مثل الحاء:7، الهمزة: 2 والعين:3. وتحمل شوارع أكثر المدن العربيّة عراقة، أسماء المحال الأجنبيّة، لكن صاحب المحلّ يظنّ أنّه بالاسم الأجنبي (الفرنسي أو الإنكليزي) يستقطب زبائن ويزداد دخله على حساب اللّغة الوطنيّة. أما الوجبات السّريعة فمعظمها بالفرنسيّة أو الإنكليزيّة، وكذلك أسماء مواقع التّواصل الاجتماعي؛ مثل فيسبوك وتويتر وواتساب، وانستجرام. ومعظم أسماء الأدويّة أيضًا باللّغة الأجنبيّة.

العربيّة في التّعليم: على الرّغم ممّا قد يوحي به العنوان، من علاقة" خطيّة" بين لغة التّعليم والثّقافة، في اتّجاه واحد، لكن واقع الحال غالبًا ما لا يكون كذلك، بحيث تكون لغة التّعليم هي الفاعل، وثقافَة المجتمع هي المفعول به، وإنّما هي علاقة دائريّة تفاعليّة، بحيث يؤثر كل منهما في الآخر، ويتأثر به، فضلا عما تُشكّله الثّقافة من قسمات عامّة كليّة، وطرائق تفكير وأساليب عمل تشكّل في جملتها هُويّة كل مجتمع. ودون الدّخول في تفاصيل، امتلأت بها مئات الكتب، وآلاف المقالات والأبحاث حول الهُويّة، ودون السّعي إلى إثارة نقاط يدور حولها جدل ونقاش، لا يكاد ينتهي، نُحدّد للقارئ رؤيتنا الخاصّة، للهُويّة على وجه العموم؛ بأنّها هي ما يجمع بين أبناء الوطن من روابط مشتركة، في الموروث التّاريخي، واللّغة الوطنيّة، والعقيدة الدّينيّة، ومصالح الحاضر القوميّة، وأحلام المستقبل[3]. والهُويّة بهذا المعنى هي أمر يكاد يترادف مع القسمات الكليّة العامّة للثّقافة الوطنيّة بمعناها العام التي تعنى كل ما أنتجه مواطنو هذا البلد بأيديهم وعقولهم وقلوبهم ولو سلّمنا بهذا نَجدُ العروة وُثقى بين هذه المتغيرات الثّلاثة: الهُويّة، والثّقافَة، واللّغة، بل نكاد في بعض الأحيان نلمس تشابكًا بينها وتداخلًا، وقد يكون هناك ترادفٌ أحيانًا أخرى، ونحن لا نناقش هنا الحال االثّقافي والوضع اللّغوي على وجه العموم، وإنّما بالقدر الذي يتّصل اتّصالا مُباشرًا أو غير مباشر بالتّعليم، من حيث لغته.

3-**بين اللّغة والهُويّة والثّقافة:** كان المحور الشّاغل للعرب بالنّسبة للتّعرف على فرد أو جماعة، منذ عشرات القرون، هو تحديد " نَسَبه " **العِرقي**، فإلى أي قبيلة ينتسب؟ وكان ذلك أمرًا طبيعيًا فرضته الشّروط الموضوعيّة للجماعة العربيّة في شبه الجزيرة بصفة خاصّة، حيث لم تقم " دولة " بالمعنى المعروف، مثلما كان الأمر بالنّسبة لمواطني دول عربيّة أخرى عاشت حضارات كبرى مثل العراق، والشّام، ومصر، ففي هذه الحضارات حدد الإطار السّياسي نسب كل فرد من أفرادها، وما يرتبط به من ثقافة ولغة، لكن الحدود لم تكن ثابتة بين الكيانات السّياسيّة ، فأصبح من الجائز تحرّك البعض من هذا الكيان إلى ذاك ، ومن هنا عظُم علم الأنساب" الذي انفردَ به العربُ خاصّة، وقد كان العرب يفتقدون حركة تدوين الأحداث التّاريخيّة، التي تتصل بالفرد والتي تتصل بالجميع. ولما جاء الإسلام، أصبح هو الذي يحدد كينونة كل فرد ينتسب إليه، مع التّأكيد على تغييب الأصل العِرقي الذي كان حاكمًا قرونا طويلة، وكان ذلك تحت شعار الحديث النّبوي: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[4]."

ولم يكن هذا التّحول سهلا، فالأحداث تحفظ لنا كيف سلك أبي ذر الغفاري[5] مسلكا، انتقده فيه رسول ﷺ فقال له: «**إنّك امرؤ فيك جاهليّة**»[6]، قاصدًا استمرار بعض الطبائع التي كانت حاكمة لمجتمع ما قبل الإسلام. ولما كان كتاب الإسلام هو القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، بدأ الانضواءُ تحت لواء العربيّة قَسَمة أساسيّة تميز الذات الجديدة.

وأصبحت مسيرة الإسلام إلى الدّول التي دخلها مرافقة للسان العربي، وزاد هذا دفعة أقوى عندما اتخذ عبد الملك بن مروان قراره بأن تكون العربيّة هي لغة الدّواوين الحكوميّة[7]، ليبدأ تعريب" الأمصار المفتوحة لغويًا، لا مع الجنود العرب فحسب، بل مع آلاف من قبائل العرب جاءت مع الجنود ليستوطنوا بلاد الشّمال الإفريقي

وتتعرب الجزائر سكانيا، كما تعربت إدارة وعسكريًا. وقامت حركة "تعريب" ضخمة لآثار علميّة وفكريّة من ثقافات وحضارات أخرى مغايرة، ونخص بالذكر هنا الثّقافة الإغريقيّة، وكذلك الثّقافتان الهنديّة والفارسيّة. لكن كان هناك ملمح مهم ساد قرونا عدة، فإذا توارى الانتماء للأرض والوطن بعض الشّيء، برز الانتماء المذهبي بحيث يُعرف هذا وذاك بأنّه حنفي أو حنبلي أو مالكي أو شافعي، وبصفة خاصّة أعلام المفكرين وكبار العلماء فلا يذكر اسم الواحد منهم إلّا مقرونًا بالانتماء المذهبي. وظلّت لغة التّعليم في الجزائر هي العربيّة، حتّى جاء الاحتلال الفرنسي سنة 1830، ليبدأ التّراجع، فيحدث الانحسار التّدريجي للّغة العربيّة، لصالح اللّغة الفرنسيّة وفق الحجة الشّهيرة "اللّغة العربيّة تعجز عن استيعاب العلوم الحديثة"[8]، رغم تكذيب التّجارب لهذا المنطق الخبيث.

4-إضاعة اللّغة إضاعة للذات وللهُويّة: تعاقبت على الجزائر الدّويلات الإسلاميّة، حيث العروبة والإسلام حتّى مجيء الاحتلال الفرنسي، ويتسارع الاحتكاك بالثّقافة الأوروبيّة، خصوصًا بعد انتهاء المظلّة الدّينيّة الكبرى (دولة الخلافة)، فيستنفر هذا الوضعَ نفرٌ من الجزائريّين يزيد حماسهم للتّمسك بالهُويّة الدّينيّة، تمثّل في نشوء حركات وجمعيات وطنيّة، ومع تزايد أعداد الذين تعلموا وفقًا لمناهج التّفكير الغربي، يصطخب الميدان الثّقافي بالتيارات والاتجاهات، يُحاول كلٌّ منها جذب الجزائريين إلى هذه القبلة أو تلك. ورغم تَسيّد اللّغة الفرنسيّة بمدارس التّعليم، استمرّ وجود الكتاتيب، تلك المؤسّسات البسيطة المتواضعة الفقيرة، لكنّها قويّة التّأثير، فقد كانت العادة قد دَرَجت عبر قرون على أن من يريد التّعلّم لابد أن يبدأ أولا بالكُتّاب، وفيه يجيد قراءة القرآن الكريم، ممّا وفر مهارة لغويّة عربيّة لدى أجيال كثيرة من المتعلّمين. إنّ من يقرأ للأساتذة الجزائريّين الأوائل في مختلف المجالات، أمثال: ابن شنب، ومحمد رحّال، والإبراهيمي، وابن باديس، وامبارك الميلي...، ومن سار على دربهم لا يخطئ رصد حرص هذا الجيل على المُتابعة المستمرّة للثّقافة الغربيّة الحديثة بلغاتها، وفى الوقت نفسِه اتقان استخدام مفاتيح اللّغة العربيّة.

5-قيمة اللّغة من قيمة الثّقافة والاقتصاد: يربط الثّقافة واللّغة عروة وثقى فكلّ منهما " حاضنة " للأخرى اللّغة هي وسيلة الثّقافة إنتاجًا واستهلاكًا، كما أنّ الثّقافة تمدّ اللّغة بما يستجدّ من قيم ومعارف ومهارات جديدة ونظرًا للأوضاع التي كانت سائدة فقد أصاب العربيّة وهنًا وهوانًا بفعل الهبوط بمستوى التّعليم نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصاديّة التي تُظلّل المستوى الثّقافي للأمّة؛ فعندما نجد مجتمعًا يغلب عليه الاتجاه الاستهلاكي فلابد أن يكون مجرّد سوق لثقافة المُنتجين، بما يتضمنّه هذا من تحديد الأسماء وتعيين المُصطلحات، وهو الأمر الذي غلب على ثقافتنا، خاصّة منذ بدايّة ما عرف بسياسة الانفتاح، حيث تُرجم الانفتاح على أنّه يتيح الفرصة لإقامّة سوق اقتصاديّة تستقبل ما تنتجه القوى الأكبر اقتصاديًا وسياسيًا، ولذلك لاحظنا وقت ازدهار الحضارة الإسلاميّة غرسها عددًا من الأسماء والمُصطلحات العربيّة في اللّغات الأجنبيّة، على عكس ما أصبح عليه الحال الآن، فمنتِج الحضارة هو أبوها الذي من حقّه هو أن يسمى مواليده، وما على الآخرين إلا أن يسموا بمثل ما رأى هو. ولأن الاقتصاديات الأجنبيّة أصبحت هي المُنتجة، وهي المُصَدرة، وهي التي تضع القواعد وتقترحُ التّنظيمات، وتشير بوضع الآليات، يصبح على المستهلكين أن يسعوا بكل ما لديهم من طاقَة أن يحسنوا

لغة هذه القوى الاقتصاديّة الفاعلة المنتجة المتحكّمة في السّياسات والأسواق. وأصبح كلّ مواطن مُحاطًا في غذْوه ورَواحه بسيل من الأسماء الأجنبيّة لمعظم ما يرى ويسمع ويتذوق ويأكل، واختفت العديد من الكلمات العربيّة وحلت محلها الكلمات الفرنسيّة أو الإنكليزيّة[9].

6-**أثرُ الخطاب السّياسي في اللّغة:** في مجتمع بقي التّصور فيه لقيادة سياسيّة عليا واحدة عقودًا على المشهد العام، باعتبارها الأب والكفيل والموجّه الأول دون أدنى معارضة وبلا سلوك ديموقراطي، وبأسلوب مركزي، تنفتح الآذان والعقول لما تقول، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، كان من الطّبيعي أن تكون لغة الخطاب السّياسي مُشَكّلة لكثير من المفاهيم، والقيم والاتجاهات، ومعولبة بمستويات لغويّة رتيبة. ولظروف مُتعدّدة مرت بها الجزائر تصدّر المشهد السّياسي في الجزائر سياسيون يجنحون نحو الفرنسيّة أو العاميّة المُتخمة بعبارات التّعبئة والحشد والتّجييش. ولأنّ الحضور كان مكثفًا للزّعامة في هذه الفترة تأثرت الآذان بما سمعته من فساد لغوي وصار ملكة، لأنّ السّمعَ أبُو الملكات كما يقول ابن خلدون[10].

7-خطر القطيعة مع الموروث الثّقافي العربي الفصيح: أصبحت اللّغة العربيّة، وكأنها غريبة بين أهلها وكان أخطر ما ترتّب على ذلك أنّ أجيالا كاملة أصبحت مقطوعة الصّلة بموروثها الثّقافي، لا نقول الموروث عبر قرون سلفت على يد الجاحظ (ت 2هـ)، والمتنبي، وابن حزم (ت559)، والمقري (ت) وابن سينا، والغزالي وابن الهيثم، وغيرهم، وإنما الموروث الثّقافي القريب، من القرنين التّاسع عشر والعشرين، كما تمثل في كتابات الطهطاوي، ومحمد عبده، والأفغاني، والرّافعي، وطه حسين، والعقاد، وأحمد أمين، وغيرهم.

8-تداعيات هوان لغة التّعليم: باعتبار لغة القوم هي "لسانهم"، المعبِّر عما في عقولهم، وما في أفئدتهم تصبح هذه اللّغة موضع تقدير وإجلال في كلّ أرجاء الوطن، وفى كل مناسبة يحتاج فيها أبناؤه إلى التّعبير عمّا في نفوسهم، سواء مع أنفسهم، أم مع شركاء الوطن، أم مع المُغايرين من أبناء الأمم الأخرى، تكون لها المكانة نفسها في مؤسسات التّعليم على اختلاف مستوياتها.

9-الخلاصة: بعد هذه الإطلالة، نستطيع أن نشير إلى شموع إنارة في آخر النّفق المظلم منها:

- قابليّة اللّغة العربيّة للتّجاوب مع التّطور العلمي والتّقني؛ وإذ نشدد على ضرورة أن تتسيد اللّغة العربيّة تعليمنا، فإننا بهذا لا يحركنا منطق (إما.. أو)، إنما إيماننا بضرورة إتقان لغة أجنبيّة على الأقل.

- تملك اللّغة العربيّة الكفاءة التّامة كي تتسيّد المشهد العلمي فهي تملك إمكانات ثريّة بالمترادفات، وكثرة المترادفات تتيح الفرصة للقارئ أو السّامع أن يختار اللفظ الأكثر ملاءمة، مع تغير الأنساق المعرفيّة، وتبدل الأحوال الثّقافيّة، وهي تملك خاصيّة فلسفيّة نادرة، تتيح لها ألا تتحدث في الكتابات الفكريّة والعلميّة، إلّا عمّا هو موجود، وقد استوعبت زمن انطلاق الحضارة الإسلاميّة، كثيرًا من مفردات الحضارات التي سبقتها مثل الحضارة الهنديّة والفارسيّة والإغريقيّة، عندما قامت بترجمة الكثير من ثمرات هذه الحضارات. إلى اللّغة العربيّة.

10-التّوصيات:

●العنايّة بمعلم اللّغة العربيّة: فهناك تعدد في المصادر التي يجئ منها معلم اللّغة العربيّة إلى مدارسنا، مثل المدراس العليا، وأقسام اللّغة العربيّة بكليات الآداب، وأقسام اللّغة العربيّة بكليات التّربيّة، وأقسام علم الاجتماع

الحقوق، مما يقتضي إنشاء مجلس أو لجنة للتخطيط وتطوير وتنسيق السّياسات والقواعد والأسس الخاصّة بإعداد معلّم العربيّة؛

- ضرورة المواجهة القانونيّة الرّسميّة للتسميّة بأسماء أجنبيّة للسّوق الاقتصاديّة، فهي تمثل مناخًا يُحاصر الجميع طوال الليل والنّهار، وفى كافة الأرجاء والأمكنة، وليس هذا عسيرًا فبلد مثل فرنسا، بها قانون يحظر استخدام أسماء غير فرنسيّة؛
- إنشاء مكاتب التّدقيق اللّغوي بالجامعة الجزائريّة: فلا تناقش رسالة إلا بعد أن يُدققها مكتب رسمي متخصّص في كلّ كليّة، ولعلّ ما يؤلم حقًّا أن يتداول البعضُ وصف الأخطاء اللّغويّة بأنّها من الأمور" الشّكليّة"، وهي ليست كذلك، فاللّغة ليست مجرّد وعاء للفكر، بل هي الفكر نفسه، ومن ثمّ فمن اعوجّت لغته اعوجّ فكره؛
- التّرجمة: فهي مجال خصب لإثراء اللّغة بالكثير من مصطلحات العلم الجديدة. صحيح أنّ لدينا مركزًا للتّرجمة تابعا للجامعة العربيّة، لكن هناك جوانب مهمة لتفعيله، منها على سبيل المثال تغيير ما هو سائد باللّجان العلميّة للتّرقيات من حيث النّظر المتواضع للغايّة لقيمة المترجمات؛
- تعليم القرآن الكريم: فلسنا بحاجة إلى استرجاع الشّواهد التي شهدتها قرون طويلة من فاعليّة تعلّم القرآن في رفع الكفاءة اللّغويّة للمتعلّم، مما يشير إلى أهميّة زيادة جرعة تعليمه في المدارس في كتب القراءة؛
- المسابقات اللّغويّة والثّقافيّة: يتم اختيار بعض المصادر الأدبيّة الكبرى لفحول الأدباء والمفكرين والشّعراء الجزائريّين، في مسابقة، يمنح الفائزون فيها جائزة كبرى؛
- وفى النّهايّة لابد لنا أن نُكرّر ما نعتقده ونؤمن به، أن كل هذا، وهناك غيره مما يضيق به المقام، لا سبيل إلى فاعليته إلا بتطوير المنظومة المجتمعيّة والثّقافيّة، التي هي – إذا صح التّشبيه–بمثابة القط الذي يلتهم الفئران.

فمن يعلّق الجرس في رقبة القط؟

12-المصادر والمراجع:

1-أنور الجندي، اللّغة العربيّة بين حماتها وخصومها، منشورات موسوعة معالم الأدب العربي؛ المكتبة الأنجلو-المصريّة القاهرة، 1965.

2-ابن تيميّة، مجموع الفتاوى، القاهرة، ج8، ص:686.

3-ابن خلدون، المقدمة، الدّار التّونسيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 1971.

4-ابن كثير، البدايّة والنّهايّة، دار عالم الكتب، 1424هـ / 2003م.

5-البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر دمشق، 1998.

6-البصائر العدد: 554، بتاريخ: 2020/12/21.

7-أبو الحسن الحربي (ت386هـ)، حديث أبي الحسن السّكري (مخطوط) الظاهريّة، دمشق.

8-جريدة الأهرام اليوميّة، الصادرة بتاريخ الجمعة 5 من شوال 1443 هـ 6 مايو 2022 السّنة 146 العدد 49459.

9- صمويل هانتنغتون، صراع الحضارات.. إعادة صنع النّظام العالمي، ترجمة: طلعت الشّايب، تقديم: صلاح قنصوة سطور للتوزيع والنّشر، القاهرة، ط2، 1999.

الهوامش:

[1]- البصائر العدد: 554، بتاريخ: 2020/12/21.

[2] - أبوالحسن الحربي (ت386هـ)، حديث أبي الحسن السّكري (مخطوط) الظاهريّة، دمشق، ص:33.

[3] - جريدة الأهرام اليوميّة، الجمعة 5 من شوال 1443 هـ 6 مايو 2022 السّنة 146 العدد 49459.

[4]-ابن تيميّة، مجموع الفتاوى، القاهرة، ج8، ص:686.

[5]- هو جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ، من قبيلة غِفار.. حين سمع ببعثة النّبي صلّى الله عليه وسلّم ودعوته جاء إلى مكة فآمن به، وهو مِن السّابقين الأوّلين ممّن أسلموا بمكّة.

[6] - البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر دمشق، 1998، ج11، ص:58.

[7]- ابن كثير البدايّة والنّهايّة، دار عالم الكتب، 1424هـ / 2003م، ج81/12.

[8]- أنور الجندي، اللّغة العربيّة بين حماتها وخصومها، منشورات موسوعة معالم الأدب العربي؛ المكتبة الأنجلو-المصريّة القاهرة، 1965، ص 36 .

[9]- صمويل هانتنغتون، صراع الحضارات.. إعادة صنع النّظام العالمي، ترجمة: طلعت الشّايب، تقديم: صلاح قنصوة سطور للتوزيع والنّشر، القاهرة، ط2، 1999، ص 99 – 100.

[10]- ابن خلدون، المقدمة، الدّار التّونسيّة للنشر والتّوزيع تونس، 1971، 81/2.

التّنوّع الثّقافي بَين الضّرورة والضّرر
Cultural diversity between necessity and harm

أ. د. إبراهيم بوخالفة
المركز الجامعي تيبازة

الملخّص: تتوزّع الأممَ والشّعوبَ اليومَ صراعاتٌ ثقافيّةٌ وإيديولوجيّةٌ محمومةٌ، رغم ما يدّعيه فلاسفة ما بعد الحداثة من أنّ عصر الإيديولوجيا قد ولّى دون رجعة. وأنّ ما بعد الحداثة قد خلّصتنا من الميتافيزيقا، ومن السحر ليحلّ محلّ كلّ ذلك المصالح الاقتصاديّة، والعقل البراغماتي والدّنيوي. وما عدا ذلك أضحى من الماضي. والواقع أنّ مخاطر العولمة وانفتاح الحدود الجغرافيّة بين مجمل القارات أفضي إلى انتهاك الحدود القوميّة بين الجماعات الإثنيّة الأشدّ تحصينا، الأمر الذي حرّض الشّعوب الأكثر هشاشة على العودة القويّة إلى تراثها وقيم أسلافها من أجل رأب التصدّع الذي أصاب الثقافات المعرّضة للزوال بفعل الامبرياليّة الثقافيّة التي يمارسها الغرب اليوم في حقّ الشّرق.

لقد أنتجتْ الهيمنة الاقتصاديّة والعسكريّة للإمبراطورية الغربيّة هيمنة ثقافيّة مستبدّة، تهدّد الهويّات الأقلّويّة والجماعات الضّعيفة والمعزولة عن النظام العالمي المفروض بالقوّة على كلّ القارّات. وانطلاقا من هذه المعطيات نعالج إشكاليّة المثاقفة والتعدد اللّغوي والهويّاتي، مع المحافظة على مبدأ الاختلاف الثقافي. ما المعنى الحقيقي للمثاقفة؟ وهل تمارسُ هذه المثاقفة بشكلها الصّحيح اليوم؟ ما هي الانحرافات التي تعتريها بين الشّرق والغرب؟

كيف تكون المثاقفة أداة إيجابيّة لتحقيق الانتشار الثقافي، والتنوّع الحضاري، والحوار المثمر بين الشّرق والغرب؟ ما السبيل إلى المحافظة على الهويّة الجماعيّة لنا باعتبارنا مجتمعا عربيًّا ومسلما، دون السّقوط في العزلة الحضاريّة، بكل ما تعنيه من مخاطر وتداعيات؟ تلك هي أسئلة هذه الدّراسة.

الكلمات المفاتيح: المثاقفة؛ الهويّة؛ التعدد الثقافي؛ التنوع الحضاري.

Abstract : Nations and peoples today are divided by heated cultural and ideological conflicts, despite what postmodern philosophers claim that the age of ideology has gone forever. And that postmodernism has rid us of metaphysics and magic, to be replaced by economic interests and pragmatic and worldly reason. Everything else has become a thing of the past.

In fact, the dangers of globalization and the opening of geographical borders between all continents have led to the violation of national borders between the most fortified ethnic groups, which has incited the most vulnerable peoples to make a strong return to their heritage and the values of their ancestors in order to heal the rift that has affected cultures that are at risk of disappearing due to the cultural imperialism that the West is practicing today against the East.

The economic and military dominance of the Western Empire has produced an oppressive cultural hegemony that threatens minority identities and weak and isolated groups from the global system imposed by force on all continents. Based on these facts we address the problem of acculturation, linguistic and identity pluralism, while preserving the principle of cultural difference. What is the true meaning of acculturation? And is this acculturation being practiced in its correct form today?

What are the deviations between East and West? How can acculturation be a positive tool for achieving cultural diffusion, civilizational diversity, and fruitful dialogue between East and West? What is the way to preserve our collective identity as an Arab and Muslim society, without falling into civilizational isolation, with all the risks and repercussions that entails? These are the questions of this study.

Key words : acculturation; identity; multiculturalism; cultural diversity.

المقدّمة: ما من شكّ أنّ الدّعوة إلى العزلة الثقافيّة عن المحيط الثقافي العالمي هو دعوة للانتحار. فالعزلة تقتل الكائنات بغض النظر عن مناعتها. بل إنّ مناعة الهويّة وحصانتها تزداد صلابة وتماسكا كلّما اغتنتْ بعناصر من خارج بيئتها. غير أنّ العلاقة مع الآخر تبقى دائما محفوفة بالمخاطر ما لم تُضبط بسياسة ثقافيّة حكيمة من قبل الدّولة، ومن قبل الجماعات الثقافيّة النّاشطة. نقصد بتلك الجماعات فئات المفكرين والكتاب والصحافيين والعلماء وكلّ ما ينضوي تحت مسمّى الانتلجنسيا.

لقد ظلّت الجزائر سنوات عديدة ترفع شعار العولمة، ومع ذلك فإنّ هذا المشروع الطّموح لم يحقّق أهدافه الاستراتيجيّة، بسبب ما وُضِع في طريقه من معوّقات من قبل بعض القائمين على السياسة الثقافيّة، والذين يرفضون بشكل علني الانفصال عن اللّغة الفرنسيّة، مع كل ما تحمل هذه التبعيّة اللّغويّة من محاذير تهدّد وحدة الأمّة واستقلالها السياسي والثقافي.

إنّنا نعيش في عالم تتجاذبه الامبراطوريّات الغربيّة والشرقيّة، وما لم نسيّج أنفسنا بأسباب المناعة فإنّنا مهدّدون بالذّوبان في الآخر، والوقوع تحت هيمنة إيديولوجيّة واقتصاديّة وثقافيّة قاتلة. لم تعد اللّغة، أيّما لغة، عنصرا ثقافيّا محايدا، بل إنّها حمّالة لقيم النّاطقين بها. ونحن في الكثير من الأحيان ننسب اللّغة إلى شخصيّة مرجعيّة فنقول عن الفرنسيّة لغة فولتار، وعن الانكليزيّة لغة شكسبير. إنّ ذلك بسبب العلاقة بين اللّغة والانتماء الحضاري للشّخصيّة المرجعيّة المقترنة بتلك اللغة.

إنّ اللّغة أبعد بكثير من كونها أداة تواصل بين الأفراد. فتلك وظيفتها البراجماتيّة التي لا غنى عنها. ولكن لها وظيفة أخرى، وهي أنها من مكوّنات الهويّة، ومنتجة لقيم فلسفيّة. وهنا، إذا سقط العربي في التبعيّة اللّغويّة، فإنّه يصاب بتشوهات في هويّته وتصدعات في شخصيّته وولاءاته. من أجل ذلك أقيم هذا المؤتمر الدّولي الذي سيضيئ محطّات من المقاومة الثقافيّة الموجّهة ضدّ الخطاب الكولونيالي الفرنسي، وذلك إبّان مرحلة حاسمة من مراحل التّحرير الوطني.

كيف تستطيع أمّة من الأمم أن تتحاور مع باقي أمم الأرض، فتؤثّر فيها وتتأثّرُ بها، من دون أن تنسلخ عن مكوناتها الثقافيّة أو تفرّط في إرثها التاريخي؟ كيف يمكنها أن تمتصّ كلّ إيجابيات التطور العلمي والتكنولوجي

دون أن تتحمّل تبعات سياسيّة تنتقص من سيادتها أو تسيء إلى هيبتها؟ كيف يمكنها أن تكون عنصرا فاعلا في المجتمع الدّولي وتطوّر من مدارك أفرادها دون ضرر ولا ضرار؟ تلك هي أسئلة هذه المداخلة. إنّنا نعيش في عالم يموج بالمتحوّلات والصّراعات التي تفرضها الامبراطوريّة الغربيّة بكلّ ما أوتيتْ من مكر كولونيالي، وعلى الأمّة الجزائريّة ومن خلال بعديها العربي والإسلامي أن تكون في مستوى طموح شبابها ومسؤوليّتها التاريخيّة.

عالم متعدّد الثقافات: كثيرا ما يتداخل مصطلح الثقافة مع مصطلح الحضارة، وقد نستعملُهما كمترادفين. وذهب البعض الآخر إلى حصر الثقافة في الجانب الروحي للحضارة، وخص الأخيرة بكلّ ما هو مادّي، ومن أجل ضبط مسار هذه الدّراسة، وقع اختيارنا على تعريف للمفكر البريطاني إ. ب. تايلور الذي يرى أنّ "مصطلح ثقافة أو حضارة يدلّ بمعناه الاثنوغرافي الأوسع على هذا الكلّ المكثف الذي ينطوي في آنٍ على المعرفة، الاعتقادات الفنون، القوانين، العادات، أو كلّ ملكة أخرى أو عادة يكتسبها الكائن البشري من حيثُ هو عضوٌ في مجتمعٍ"[1]. من الواضح إذا أن مصطلح الثقافة قد اختصّ بكل ما هو روحي وفكري ومعنوي، وقد استُبْعِد كل ما يتعلّق بالخيرات الماديّة ومنتجات التكنولوجيا وعلاقات الإنتاج وأدواته. غير أنّه لا يمكننا أن نفكّر في الثقافة بمعزلٍ عن المجتمع، فلا توجد فكرة بدون مفكّر، ولا توجد عادات دون أن تكون ممارسة من قبل بشر، وفي ظروف ماديّة معيّنة. من أجل ذلك قد يبدو أننا أحيانا نفصل بين المصطلحين منهجيّا لحاجة العقل إلى التّصنيف والتعيين.

من المفيد أيضا وفي هذا السياق التأمّل في التعريف الانثروبولوجي للثقافة. فهي "مجمل العلامات الفارقة الروحيّة والماديّة، الفكريّة والوجدانيّة التي تميّزُ مجتمعا أو جماعة اجتماعيّة، وتنطوي فضلا عن الفنون والآداب على أنماط الحياة والتقاليد والاعتقادات"[2]. يكشف هذا التّعريف عن خطورة أن يفقد الإنسان ثقافته. لا يمكن الحديثُ عن الأمّة أو عن السيادة الوطنيّة، أو حتّى عن الشخصيّة الفرديّة، أو الهويّة الذّاتية والجماعيّة، إذا انسلخ الفرد عن ثقافته الأم. إنّها تعني الوجود الممتلئ، الذي يتجاوز بمراحل الوجود البيولوجي. "إنّ الكائن البشري لا يولد في حضن الطّبيعة فحسب، وإنّما كذلك ودائما وبالضّرورة، في حضن ثقافة"[3]، يتلقّاها عن الأسرة، ويطوّر من خلالها ملامح شخصيّته، ورؤيته للعالم، ونمط للوجود.

أمّا التنوّع الثقافي فهو "تعدّد الوسائل التي تجد فيها تعبيرَها عن ذاتها ثقافاتُ المجموعات الاجتماعيّة والمجتمعات"[4]. إنّه علامة التسامح والقبول بمبدأ الاختلاف والحقّ في التعبير عن الذّات في عالم مغاير ومتغيّر. بموجب التنوّع الثقافي، يحقّ للمسلمين على سبيل المثال أن يمارسوا شعائرهم الدّينيّة في مجتمعات غير مسلمة أو في مجتمعات لادينيّة. كما يحقّ لليهود، أو للمسيحيين حيثما كانوا، أن يمارسوا طقوسهم الدّينيّة دون مضايقات شريطة ألاّ تتعدّى تلك الممارسات الدّينيّة طابعها الفردي، فلا يحقّ للمسلم مثلا أن يمسّ من حريّة المختلفين عنه أو أن يضايقهم بأفعاله التعبّديّة. يسمح التنوع الثقافي، في حال إقراره بحوار الثقافات، وبزوال الأفكار المسبقة عن الشعوب المختلفة.

لا توجد حضارة إنسانيّة واحدة، بل توجد حضارات متنوّعة، وكلّها حضارات إنسانيّة من منظور مركزي فللإنسانيّة أوجه متعدّدة، وتواريخ متباينة ولكنّها متواشجة بطريقة أو بأخرى، تواشج المستعمِر بالمستعمَر، والمهيمن بالمهيمن عليه، والسيّد بالعبد. بل "إنّ مستقبل الثقافات حتّى داخل الوحدات الوطنيّة يرتبط ارتباطا رفيعا بنمو

عناصرها العالميّة، الذي يرتبط بدوره بتنظيم الإنسانيّة كوحدة معنويّة وحقوقيّة"[5]. تتطوّر الثقافة الوطنيّة وتتّخذ أشكالا جماليّة وأبعادا إنسانيّة بفضل انفتاحها على العالم، دون أن تفقد خصوصيّاتها المحليّة. فالعلاقة بين المحلّي والعالمي جدليّة ونشطة، ومن خلالها يكتسبُ الفكر أفقا كوسموبوليتيّا مؤثّرا. "والحقّ أنّ مشكلة التنوّع لا تُطرَحُ فقط بشأن الثقافات من حيثُ علاقاتها المتبادلة، بل هي موجودة أيضا في صلب كلّ مجتمعٍ ضمن جميع الفئات التي يتشكّلُ منها"[6]. إنّ مجتمعات كثيرة مشكّلة من أعراق متعدّدة وطبقات اجتماعيّة مختلفة، وتسعى كل طبقة وكلّ عرق إلى أن تطوّر عادات مختلفة عن نظيراتها، وأن تتميّز في رؤيتها للعالم وإدراكها لوجودها. ولا يمنعها ذلك من أن تنصهر في رابطة وطنيّة واحدة. فالمجتمع الجزائري على سبيل المثال متنوّع في أعراقه وإثنيّاته، ولهجاته. وتتميّز كل جهة بعادات غذائيّة أو طقوسيّة مختلفة عن نظيرتها. هذا التنوّع المشتهى، وهذا الاختلاف المعقود بين المجموعات الإنسانيّة في المجتمع الواحد لا يهدفُ إلى توفير شروط الاحتراب والتنافر بقدر ما يهدفُ إلى تأكيد الذّات وترسيم الهويّة.

وقد يقال نفس الشيء إذا تحدّثنا عن المجتمعات الإفريقيّة المشكّلة من قبائل متعدّدة، وثقافات متنوعة، ولم يمنعها ذلك من تطوير فلسفة وجود مشتركة تحقق من خلالها السّلم الاجتماعي والوحدة الوطنيّة، ما دامت بمنأى عن المكر الكولونيالي الذي يسعى لتفجير الخلافات الإثنيّة والدّينيّة والعرقيّة، في إفريقيا والعالم العربي، من أجل تسويغ التدخل والسّيطرة والاستعمار. لم تكن المجتمعات البشريّة يوما ما وحيدة أز معزول بعضها عن بعض "وعندما تبدو على أشدّ ما يكون من الانفصال فإنّها تظلّ منفصلة على صورة جماعات أو باقات"[7]. إنّ الثقافة تقتلها العزلة والانغلاق على الذّات. كما أنّ اللّغة أيّما لغة تستمدّ أسباب قوّتها من اللّغات الأجنبيّة، فهي تطور من معجمها ومن بنيتها النّحويّة والصّرفيّة باستمرار، وبالتثاقف مع غيرها من اللّغات النّشطة. والمجتمعات البشريّة تخضعُ لنفس شروط الحياة والفناء. وتستمدّ أسباب قوّتها من خلال التّواصل مع جوارها الجغرافي والفكري. فقد "جعل فلودفيغ فويرباخ في كتابه (مبادئ فلسفة المستقبل) من التواصل بين البشر والمجتمع الإنساني تعريف الإنسانيّة نفسها"[8]. فالتواصل بين المجتمعات البشريّة يقضي على الأفكار المسبقة، ويقتل الإغرابيّة، ويحوّل المجهول إلى معلوم، ويزيل الخوف من الآخر. فضلا عن أنه الوجه الأكمل للإنسانيّة.

يؤكّد خبراء الثقافة العالميّة أنّ الألفيّة الثالثة، ألفيّة التعدد الثقافي، ستشهد صراعات مريرة ومستدامة حول الهويّة. فإذا كانت الخلافات الاقتصاديّة طارئة ويمكن تجاوزها من خلال توازنات دوليّة، فإنّ "الصّراعات المستدامة المتحركة بدافع الدفاع عن الهويات والتباينات الثقافية التي تحرك لعبة الإيمان والعائلة، الدّم والاعتقادات"[9] ستحدث تصدّعات في العلاقات بين الأمم والشّعوب. إنّها خلافات غير قابلة للتفاوض. إنّ كلّ حروب الشّرق الأوسط هي حروب ثقافيّة، وكل الحروب المسلّحة التي خاضتها أمريكا في فيتنام وأفغانستان والعراق كانت تؤجّجها الخلافات الثقافيّة. فأمريكا وبسبب جهلها بهويّات أعدائها، وبسبب غرورها المفرط بقوتها العظمى، تتعمّد استفزاز الشّعوب التي تحتلّ أرضها، وقد عرّضها ذلك لهزائم تاريخيّة ومشهديّة. إنّ الفرد بمجرّد ما يشعرُ بتهديد في هويّته ومشاعره الدّينيّة يتحوّلُ إلى طاقة انفجاريّة مدمّرة.

يتميّز عالمنا المعاصر بتنوّع الثقافات وتعدّدها، وانفتاح الحدود بينها. حتّى غدا الكون كلّه قرية واحدة موصولة الأطراف، تنتشرُ فيها الأفكار والمعلومات بسرعة رهيبة. إنّ سرعة انتشار المعلومة والصّورة عبر أرجاء المعمورة يمثّل "الموت النهائي للغرائبيّة"[10]. كلّ الثقافات مكشوفة، وكلّ الشّعوب منمّطة على الاستهلاك، وليس غيره. فكلّ المنتوجات سلعة للتّسويق بما فيها الأفكار. إنّنا سائرون نحو نوعٍ من تشميل الثقافة وتوحيد رموزها وأيقوناتها، ودلالاتها. قيم السّوق بدورها تعولمت، وأطاحت بثقافة الأقليّات الإثنيّة والجماعات العرقيّة. وتضاءل الجدل حول الهويّات أمام الليبيراليّة المتوحّشة، وقانون الامبراطوريّات المتنمّرة. ومن رحم هذا المناخ العولمي المحموم، تبرز بالكاد أصواتٌ مبحوحة لترسل إشعارات الخطر الدّاهم الذي يتهدّد الشعوب العربيّة بالموت البطيء إذا لم يتصدّوا إلى الهجمة الامبرياليّة المتوحّشة لمواجهة الاختفاء القسري، والذّوبان في الآخر. إنّ المثقف العربي اليوم مطالبٌ بالالتفاف حول قيم الأمّة ومبادئها، وعاداتها وتقاليدها ونمط عيشها. وعليه أن يجسّد العلاقة بتاريخه من خلال الإنتاج الفكري بكلّ أشكاله.

لقد دأب الكثير من النّاس على النظر إلى التنوّع الثقافي باعتباره أمرا شنيعا، وبكونه مدعاة لرفض المختلف والعمل على نفيه أو استبعاده من مجالنا. فالمختلف كثيرا ما يبدو مخيفا ومهدّدا ونابذا، وصانعا للغيريّة. كلّ ذلك بسبب "النفور التلقائي من كلّ الأشكال الثقافيّة والأخلاقيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والجماليّة البعيدة عن الأشكال التي نتماهى معها"[11]. تميل النفس إلى المماثل والشبيه، وتأمنه على حياتها. بينما يشكّل الأجنبي تهديدا لسكينتنا ويسمّم وجودنا، ويدنّسُ مقدّساتنا، ويزدري أشياءنا. لقد كانت الأمور على هذا النّحو بين الشّرق والغرب. ولقد مثّل الإسلام الرجّة العنيفة لأوروبا، منذ الحروب الصّليبيّة، وإلى يومنا هذا.

مقاومة الهيمنة الثقافيّة للغرب: إنّ أهمّ عنصرٍ من عناصر الثقافة هو اللّغة لعلاقتها الحميمة بالهويّة الوطنيّة والحضاريّة عموما. وهي (أي اللّغة) أكثر ما هو معرّضٌ للهجوم من اللّغات العالميّة. وكلّ لغة تحمل قيم الناطقين بها. فهي ليستْ مجرّد أداة تواصل بين الأفراد أو المؤسّسات. إنّها لغة التعبير عن المشاعر والأحاسيس والأفكار والعواطف وتجارب الطّفولة. وهي لغة الفولكلور وأدب المؤسسات. إنّها لغة الذّاكرة والتاريخ الذّاتي والجماعي للأمّة وللأفراد. من أجل ذلك تحمل اللّغة رمزيّة استثنائيّة، وعلاقتها بالهويّة حميمة. ويتعيّن علينا أن نواجه كلّ أشكال التّهجّم عليها، وبكلّ الأدوات المتاحة. لقد تهجّم المستشرقون الغربيّون في عصر التنوير، وفي دراساتهم للشّرق العربي على اللّغة العربيّة، واعتبروها لغة متخلّفة، وغير قادرة على مواكبة الحداثة الأوروبيّة. ويواصل اليوم أحفاد المستشرقين التهجّم على الثقافة العربيّة واعتبارها بدائيّة مقارنة بالثقافة الغربيّة التّنويريّة. لقد دأب الغرب على ازدراء كلّ ما يختلف عنه، ولا يتطابق مع أفق انتظاره، أو رؤيته للعالم. فكل الّذين لا يشبهون الغرب، يسمّيهم فلاسفتُه برابرةً. وإنّ أجمل ما يمكن أن نراه هو أنْ يتخلّص ذلك الغرب من تحيّزه لعادات شعوبه وتقاليدهم وآدابهم[12]. ففي اعتقادنا، لا توجد ثقافة متطورة وأخرى متخلّفة، فقط لأنّها تختلف عمّا ألفناه. كلّ ثقافة ذات معنى بالنسبة للّذين أنتجوها وأنتجتهم. فالثقافة نحن الذين نصنعها من عقولنا وعواطفنا ومن أفراحنا وأحزاننا ولكنّها هي الأخرى تصنعُنا عندما تعلّمنا كيف ندرك العالم وكيف نمثّله، وبعبارة أدقّ هي تصنع أبناءنا، وتعلّمهم نمط عيش الأسلاف وطرائق تفكيرهم، وقيمهم العليا. هذه العلاقة الجدليّة بين الثقافة والمجتمع لا ينبغي أن تضعف أو تتوارى.

إنّ عصرنا يعيش حربا ثقافيّة بلا هوادة على كلّ ما هو مختلف. ليس صحيحا أنّ عصر الإيديولوجيّات قد ولّى لتحلّ محلّه لغة المصالح الاقتصاديّة، ومنطق الرّبح والخسارة. بل إنّ الحروب على الهويّة والهويّات القوميّة تزداد ضراوة. وإنّ حروب عصرنا التي تدور رحاها في المناطق العربيّة، يقف الغرب من ورائها، فهي حربٌ على الهويّة، والغيريّة، بدعوى محاربة الإرهاب.

إنّ "الامبرياليّة الغربيّة في شكلها الأكثر كلاسيكيّة هي شكل لمركزيّة عنصريّة فاعلة سياسيّا. إنّها إثنومركزيّة تحوّلتْ إلى إيديولوجيا تقدّمُ نفسها كطريقٍ لخلاص الجماعات الدّنيا"[13]. يعتقد الغرب أنّه لا سبيل للعرب أن يكونوا كيانا معترفا به إلاّ إذا تخلّوا عن مرجعياتهم الحضاريّة واصطفّوا مع الغرب، ومن دون هذا، فلن يكون العرب أمّة جديرة بالاحترام. إنّ "الإثقاف النّاجز هو الخفض إلى الوحدة، إلى توحّد الزيّ الثقافي بطريق المحو الثقافي. إنّه تعريفٌ يختبره الانثروبولوجيّون في غضون عقد 1970 حين درسوا دور المجتمعات المتعدّدة القوميّة (...) في العالم الثالث بشكل خاص"[14]. وكما هو معلوم، فإنّ الانثروبولوجيا الثقافيّة علم حديث النّشأة، أنشأته المصالح الاستعماريّة. فالاستعمار لا يستطيع أن يبلغ مراميه الاقتصاديّة دون احتلال العقول والسيطرة على المستهدفة. ومن أجل ذلك تدور معارك سياسيّة طاحنة بين أوروبا وأمريكا حول السياسات الثقافيّة، في مجال السينما والمسرح وسائر الفنون العابرة للقارّات تحت طائلة التبادل الثقافي. فأمريكا تسعى إلى إزالة الحدود كليّة من طريق السينما الأمريكيّة لتغزو أوروبا، وأوروبا ترفض هذه الهيمنة حفاظا على منتجاتها الثقافيّة وعلى هويّات شعوبها. أمّا العرب فإنّهم خارج إطار هذه المعارك لأنّهم لا ينتجون شيئا، باستثناء السينما المصريّة البعيدة كلّ البعد عن المنافسة العالميّة.

توجد طريقتان للتعامل مع المختلف بالنسبة للمركزيّة الغربيّة في مواجهتها للغريب والبعيد، وكلاهما يؤدّيان إلى البتر، "فإمّا الاعتراف به كمهرّج (قره قوز)، وإمّا تحييده بوصفه انعكاسا خالصا للغرب"[15]، أي أنّه يتحوّل إلى عميل، أو مخبر ثقافي، كما هو شأن الكثير من المثقفين العرب الذين استقروا هنالك وانصهروا مع البلد المضيف وتمّ تكليفهم بمهمّة الترويج للثقافة الغربيّة في بلدانهم الأصليّة، بدعوى التّنوير والتحرّر من أوهام الشّرق المتخلف والمستبدّ.

تخوض الفرنكوفونية معارك ضارية مع الانكلوفونيّة من أجل الهيمنة على الثقافات غير الغربيّة. وتهدّد الانكليزيّة اليوم اللّغة الفرنسيّة في معاقلها التقليديّة، في شمال وجنوب إفريقيا، كلّ ذلك إدراكا منها لأهميّة الغزو الثقافي بالنسبة لأوروبا. ويبدو أنّ الجزائر تفضل ظلّ أمريكا على ظلّ فرنسا. إنّ إبدال الخصم يجعل المعركة أقلّ شراسة. أو أنّ الجزائر أرادت أن تحتمي من الإمبريالية الفرنسيّة بالإمبريالية الأمريكيّة. ومهما يكن، فإنّ الطّريقة التي تسلكها الجزائر من أجل مقاومة الوجود الفرنسي في الجزائر، باعتباره تهديدا للثقافة الوطنيّة، ليست الطّريقة المثلى. فالهيمنة الفرنسيّة في الجزائر تتحقّق من خلال وكلائها الثقافيين المحليين. إنّنا نملك جيلا من الكتاب الفرونكفونيين، روائيين، ومسرحيين، ومخرجين سينمائيين، وفنانين، فهؤلاء يتكفّلون بحفظ اللّغة الفرنسيّة والترويج للقيم الأوروبيّة ولطريقة التّفكير الغربيّة، ومع هؤلاء يجب التعامل.

إنّ الفرونكفونيّة في الجزائر تحمل مشروعا لأوربة الجزائر، وتحويلها إلى حديقة خلفيّة للفرنسيين، وسوقا لمنتجاتهم الثقافيّة والتّكنولوجيّة. إنّه لا يمكن فصل السياسي عن الثقافي والاقتصادي. فكل المستويات متشابكة والرابط بينها هو وعيٌ ما. لا يزال المثقف الجزائري ينظر إلى الثقافة الفرنسيّة بوصفها المرجعية الحضاريّة الوحيدة له. والانفصال عن هذه اللّغة هو تنكّر لتاريخ طويل من التواشج والتشابك بين ضفّتي المتوسّط. إنّ القطيعة مع الثقافة الفرنسيّة مضرّة للطّرفين، بحسب ما يعتقده المثقف الفرنكفوني. ومن أجل ذلك فهو الذي يقاوم الرغبة في الانفصال نيابة عن الدّولة الفرنسيّة.

يوجد تيّار سردي في الجزائر، ينتمي إلى رواية ما بعد الحداثة، وأنا أسمّيه رواية الحداثة السّائلة. هذه الرواية ومن خلال بدائل متعدّدة تعملُ على تطبيع الثقافة الغربيّة في الجزائر، وعلمنة العقل الجزائري، وتكريس التفكير الدّنيوي. (pensée seculaire). يلجأ جل هؤلاء الروائيّون لانتقاد نصوص من القرآن الكريم، وعرضها في سياق السّخرية من الكتاب المقدّس. كما يلجأ هؤلاء إلى الرواية البورنوغرافيّة دون تحفظ. لقد انتهك هؤلاء كل مقدّسات الثقافة الوطنيّة دون أدنى اعتبارٍ لمشاعر مواطنيهم. ومع ذلك، فإنّ هؤلاء الروائيين هم الّذين يُحتفى بهم في المحافل الوطنيّة والدّوليّة والإقليميّة، وإليهم تمنح الجوائز الوطنيّة والمغاربية والأوروبيّة، مكافأة لهم على منجزاتهم الإبداعيّة. وفي مقابل ذلك، لا نجد ردّا قويا من الأدباء المناوئين لهم، أي المحافظين. لا يوجد خط وطني قويّ يردّ بالكتابة على مشروع تغريب المجتمع الجزائري، باستثناء بعض الأصوات الخافتة كعز الدّين جلاوجي على سبيل المثال أو مرزاق بقطاش أو عبد الحميد بن هدوقة. إنّ مقاومة النظام الكولونيالي يمرّ عبر مواجهة وكلائه المحليين، من فرونكفونيين وعلمانيين، وليبيراليين. لقد تحوّل المثقّفون العرب إلى وسيط بين الغرب والشعوب العربيّة والإسلاميّة وقد أوكلت لهم مهمّة علمنة تلك الشّعوب وتنويرها على الطّريقة الأوروبيّة. ولمعرفة طبيعة تلك المهمّة لا بدّ أن نعود إلى نشأة طرفيها. الطرف الأول هو المستشرق الذي درس الشرق وكتب عنه وقام بتمثيله للشّعوب والحكومات الاستعماريّة. أمّا الطرف الثاني، والذي يهمّنا في هذا السياق، فهو المثقف العربي تحديدا لأنّه وضع نفسه موضع الوكيل عن الغرب. تعود "ولادة المثقف إلى حقبة متأخّرة إذْ لم يظهر إلاّ بتأثير الاستعمار الأوروبي وبتأثير الثمرات الأولى للتّربية العلمانيّة والحداثويّة الغربيّة"[16]. لقد حرص الاستعمار الفرنسي طيلة تواجده بالجزائر على تكوين مثقفين موالين له، لعلمه أنّه قد ينسحبُ من المستعمرة إذا كان بقاؤه فيها مكلّفا. وفي هذه الحالة، فإنّ وكلاءه هم الذين يعملون على رعاية مصالحه بالمنطقة، ونشر ثقافته باعتبارها سليلة الحضارة الكونيّة حضارة الرّجل الأبيض. إنّ مهمّة المثقف، العربي وكيل الثقافة الغربيّة، ناتجة عن فكرة أفضليّة العقل الغربي، ولا يمكن للعرب تحقيق النهضة الحضاريّة إلاّ انطلاقا من رؤية أوروبيّة للإنسان والكون. عندما يتعلّق الأمر بالصّراع الثقافي بين قطبين متعارضين، "هناك قوى تعمل في الوقت نفسه في اتّجاهين متعارضين: قوى تنمو نحو الحفاظ على الخصائص الذّاتيّة، بل حتّى على تعزيزها وتقويتها، وقوى تسعى باتّجاه الآخر والتآلف معه"[17]. وفي المجتمع الجزائري الذي يشهد تحولات عميقة يوجد هذا الاستقطاب بين الحداثويين الذين يسعون إلى تغريب الثقافة العربيّة وعلمنتها، وبين المحافظين الذين يقاتلون من أجل المحافظة على الهويّة الثقافيّة للمجتمع، باعتبار وأنّ قوة الجماعة

في تكتّلها ضدّ العولمة وضدّ الذّوبان في الآخر. يتجسّد هذا الاستقطاب المحموم في السّرد الرّوائي والمسرح والسينما وسائر الفنون.

في الرواية على سبيل المثال نلمسُ ملامح التغريب في روايات ما بعد الحداثة، وتخطر بالبال في هذا السياق الرّواية الفرنكفونيّة، وروايات الكتّاب المقيمين في المركز الحواضري. كما نلمس نقيض ذلك في الروايات التي تمثّل الخطّ الوطني المحافظ، والتي تستحضر مقوّمات الهويّة الوطنيّة والدّينيّة للجزائر الحديثة تحتفي بها. وتتدرج في ذلك الخط كلّ روايات ومسرديّات جلاّوجي وروايات وقصص مرزاق بقطاش، ورايات عبد الحميد بن هدّوقة.

الاختلاف الثقافي وصناعة الآخريّة: لقد دأب الغرب على ازدراء كل ما لا يتناسبُ مع خطّ تطوّره، وكلّ ما لا يقع في مجال خارطته الإدراكيّة. فكلّما شاهد سلوكا غريبا عنه في بلد أجنبي، بغضّ النّظر عن عدائيّته أو سلميّته بادر بالقول: "هذه من عادات الهمجيين، أو ليس هذا من شيمنا، أو هذا لا يجوز. وهي كلها ردود فعل مرتبكة تعبّر عن تلك القشعريرة أو ذلك النفور الذي نشعر به حيال أساليب الحياة أو المعتقدات أو التفكير الغريبة"[18]. تلك هي إذا كليشيهات محقّرة للأجنبي الغريب والمختلف، ولا تعبّر إلاّ عن عمق جهلنا بآخرينا وأساليب حياتهم وأنماط تفكيرهم. إنّها تعبّر عن ضيق أفق المجتمعات المنغلقة عن حوار الأجنبي، والاقتراب منه قصد فهمه واكتشاف ما كان يبدو غريبا وشاذّا فيه. إنّ "القرب من الآخرين لم يبطل فقط أن يكون تهديدا، وإنّما أصبح مصدر فائدة"[19]. إنّني أتعرّف على نفسي من خلال صورتي التي ترتسم في ملامح آخري، إنّ هذا الآخر يبدو ضروريّا لوجودي، ليس فقط لأنّه يتيح لي معرفة عميقة بهويّتي، ولكن أيضا لأنّ الاقتراب من تخومه يحوّله إلى صديق وأليف.

لقد أصبح من المسلّم به أنّ الثقافات متعدّدة، وهي نسبيّة، ومتعلّقة بمعتقداتنا. فلو أخذنا العادات والتقاليد في المجتمعات الإنسانيّة فإنّها تختلف من حضارة إلى أخرى. في بعض الثقافات على سبيل المثال، نرى أنّ العمّ أو الخال يلعب الدّور لأساسي في العائلة، وفي عائلات أخرى ضمن ثقافات أخرى تلعبُ النساء دورا مهيمنا في العائلة، بدل الرّجل. من ناحية أخرى، يوجد أفراد في مجتمعات ما، تلتقط الطّعام بشوكة المائدة، ويلتقطه آخرون بأصابع اليد. وليس من حقّنا أنّ نقول بأنّ مجتمعا ما، متحضّرٌ والآخر بربريّ بناء على هذه الفروق. إنّ أيّ خيارٍ لا يكون اعتباطيّا، بل له علاقة حميمة بمعتقد ما، وبديانة معيّنة. والواقع أنّه لا توجد المجتمعات الإنسانيّة إلاّ من خلال ثقافات، تستمدّ منها بعدها الروحي وعمقها الأخلاقي. وما لم نجد ثقافة، فلا وجود لحديث عن إنسانيّة. وحده عالم الحيوانات لا يملك ثقافة، ولا ذاكرة، وهو لا يتطور في عاداته الغذائيّة لأنه لم يكتسبها بالتعلّم وإنّما اكتسبها بالفطرة. ومن هنا، فكلّ الحيوانات تستوي في غياب الثقافة أو الحضارة، وكلّ المجتمعات الإنسانيّة تستوي في امتلاك ثقافة تحدد شكل وجودها.

بالعودة إلى 2005، تقودنا الذّاكرة إلى الرّسوم المسيئة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، التي قامت بنشرها الصحيفة الدنماركيّة بولاندس بوستن، وما لبثت أن نقلتها صحف أوروبيّة كثيرة بدعوى حريّة التعبير التي تكفلها الدساتير الأوروبيّة. إن تلك الوقائع تكشف عن الجهل العميق بالآخر، والإساءة إليه بسبب اختلافه. وعندما واجهت أوروبا موجة عنيفة من العنف بسبب تلك الرّسوم اتّهمت الشعوب الإسلاميّة بالإرهاب والبربريّة. والواقع

أنّ من يسيء إلى المختلفين عنه في مشاعرهم الدّينيّة ومعتقداتهم وعاداتهم هو البربري حقّا. لأنه يكون قد ابتعد عن روح الحضارة الإنسانيّة التي تستوعبُ التعدد العرقي والثقافي والدّيني. إنّ كلّ ديانة وكل قوميّة، وكلّ إثنيّة، هي عناصر مكمّلة للحضارة الإنسانيّة التي تحتمل التعدد والاختلاف والنّسبيّة؛ وعلى حدّ قول تودوروف، فإنّ "روحنا تتسّع بقدر ما تمتلئ"[20]، وإنّ مداركنا تتعمّق بقدر ما تستوعب المتعدّد والمختلف.

يرفض المفكّر الفرنسي تزفيتان تودوروف هذا التمثيل الرهابي للغريب ويصرخ في وجه مواطنيه: "ما من شيء متوحّشٍ وبربري في هذه الأمّة كما ذُكِر لي سوى أنّ كلّ واحد يَعتبرُ بربريّا كلّ ما لا يتلاءم مع عوائده"[21]. المقصود من تلك الشهادة أنّ كلّ سلوك لا تطاله مدارك الأوروبيين يسمّونه سلوكا بربريّا. يصبح البربري حينئذٍ كلّ ما هو غريب عن ثقافة أوروبا. والواقع أنّ هذا الكليشي هو من صنع المستشرقين الغربيين في حقبة التنوير. لقد درس هؤلاء الشرق وقاموا بتمثيله لشعوبهم الغربيّة، وأفادوا به حكوماتهم الاستعماريّة التي وجدت فيه ما يمكن أن يكون مسوّغا أخلاقيّا لاحتلال أراضي العرب والأفارقة. فهؤلاء متخلفون، ومن طبيعة إنسانيّة نافصة، ولا يمكن تطويرهم بسبب قصورهم الجبلي. ونظرا لهذه الحالة فإنّ من واجب أوروبا المتطوّرة أن تكون حاضرة هنالك من أجل هداية الخراف الضالة، وتحضير الشعوب الهمجيّة، وإخراجها من طور الطّبيعة إلى طور الثقافة. ففي حقبة التّنوير وأثناء فترة التّمهيد لاحتلال شمال إفريقيا نشطت صناعة الصور الرهابيّة عن العرب والأفارقة من قبل علماء فقه اللّغة الفرنسيين، على غرار دو ساسي وتلميذه رينان وغوبينو والبريطانيين كرومر وجب وبلفور. لقد تمت صناعة شرق منزوع المهابة، وغير قادرٍ على الدّفاع عن نفسه، وقابل للاختراق. إنّ الذي "كان يجري تداوله بين النّاس في الخطاب الثقافي وفي المبادلات داخل ثقافة من الثقافات ليس الحقيقة بل صور تمثيليّة"[22] تعبّر عن مخيال رمزي مهووس بحب السّيطرة والحكم والهيمنة. وها هو بلفور يقول أنّ رفّا واحدا من رفوف مكتبة ملكيّة خير ممّا كتبه العرب طيلة تاريخهم. فهل اطّلع بلفور على كلّ ما كتبه العرب طيلة تاريخهم حتّى يفاضل بينه وبين مكتبة بريطانيّة؟

لقد كان في صلب ما وثّقه أرشيف الاستشراق الأوروبي "أنّ الشّرقي، بوجه أو بآخر، وبشكل عام يتصرّفُ ويتحدّثُ ويفكّر بطريقة هي النقيض المطلق لطريقة الأوروبي"[23]. فالغربي سليل العرق النبيل ذكيّ نشطٌ ونبيل ومتحضّر، والشّرقي سليل العرق السّامي المتخلّف غبي وكسول وفاجرٌ وهمجي. هذا الطّقم من الأنماط كان يغذّي المخيال الرّمزي للأوروبيين طيلة عصر النّهضة وحقبة التّنوير، ومن الطّبيعي أن يُتوّج ذلك العصر باحتلال شمال إفريقيا ومناطق كثيرة من إفريقيا الجنوبيّة.

كانت أوروبا تسعى من خلال احتلالها لإفريقيا بشمالها وجنوبها إلى إنفاذ مشروعها الأنواري المتمثّل في إنشاء مجتمع أممي إنسانوي بزعامة أوروبا، تختفي فيه الثقافات الشّرقيّة وتختفي الأديان باستثناء المسيحيّة باعتبارها التظاهرة الثقافيّة الأعلى في التاريخ الكوني. فكان يتوجّبُ عليها أن تفرض لغتها ومنظومتها الدّراسيّة ونظامها الثقافي في مستعمراتها بشكل يضمن لها تغيير العقول وإفراغ ذاكرة العرب والمسلمين من تاريخهم. ومن أجل إسناد هذه الرسالة التّحضيريّة (Mission civilisationnaire) أخرجت جيوشها ومخبريها ونظامها القضائي وراكمت مستوطنيها لملء الفضاء المغاربي بثقافة واحدة وصوت واحد هو صوت العقل الفرنسي الكولونيالي. غير أنّها لم

توفق في إنفاذ مشروعها بسبب جهلها بآخريها وبسبب الإفراط في العنف الذي تبعه عنفٌ مضادّ أنهى مشروع أوربة إفريقيا. لقد عجزتْ فرنسا خلال احتلالها للجزائر عن التعايش السلمي مع أصحاب الأرض. ذلك أنّها لم تأت من أجل اقتسام الفضاء مع أصحابه، وإنّما جاءت لاحتلاله ونفي أصحابه أو التخلص منهم إذا عارضوا مصالح المحتل. لم تأت فرنسا برؤية للعالم لتقترحها على جوارها العربي، وإنّها جاءت لتفرض تلك الرؤية بالقوّة العسكريّة والإيديولوجيّة، وكان من نتائج ذلك تأجيج الأعمال العدائيّة ضدّ المحتل. لقد كان ممكنا أن تطيل فرنسا إقامتها بالجزائر لو لم تعتد على مقدّسات آخريها، ولو لم تصادر حرياتهم وأملاكهم. غير أنّ العدالة الاجتماعيّة والحكمة ليستا من طبيعة النظام الكولونيالي الذي يفكّر بمنطق مانوي.

إنّ جوهر الأزمة بين الشرق والغرب هي الاختلاف الثقافي الذي يرفضه الغرب، ويريد تجريد آخره من خصوصيّاته. إنّ أوروبا تنظر إلى الشرق بمنظورها الخاص، وتقيس قيم الأجنبي بمقاييسها الذّاتيّة. في حين أنّ الحضارتين تختلفان في التاريخ وفي المصائر والمآلات. لا ينظر الطّرفان إلى الوجود بعين واحدة ولا يفكّران فيه بعقل واحد ولا ينطلقان من مقدّمات واحدة. الحضارة الغربيّة ماديّة فيما انتهتْ إليه، بينما العقل العربي ميتافيزيقي في الجوهر منه. الدّين عند العرب والمسلمين جزء هام من الحياة، بل هو جوهرها وعمقها، بينما الدّين في الغرب عاطفة فرديّة لا تأثير لها في العلاقات العامّة ولا في الثقافة المجتمعيّة. لقد عزلت أوروبا الكنيسة عن الحياة السياسيّة منذ الثورة الفرنسيّة أواخر القرن الثّامن عشر. بينما يحتل المسجد الفضاء العالم والخاص لدى المسلمين. تخطر بالبال مقولة كوندورسي المصلح التربوي الفرنسي في القرن الثامن عشر، والتي مفادها أنّه "بقدر ما تتسع رقعة الحضارة على الأرض، سوف نشهد زوال الحروب والفتوحات، وكذلك العبوديّة والبؤس"[24]. إنّ كلمة "حضارة" في هذه المقولة تأتي في سياق معارضة البربريّة؛ وبعبارة أخرى، فإنّ الثقافات المتنوّعة والمتعدّدة ما دامت تعترف ببعضها البعض، ولا يدين بعضها البعض، فإنّ البشريّة ستتخلّص من الحروب، والكراهيّة للأجنبي، وسيكون عصرنا أكثر تسامحا وضيافة من عصور البربريّة الشنيعة، لمّا كانت الحروب الدّينيّة تأكل الأخضر واليابس. إنّ هذه المقولة تُرجِع أسباب الحروب القديمة إلى أسباب ثقافيّة، وحتّى وإن كانت واجهتها اقتصاديّة. وتنسجمُ هذه الرّؤية مع ما ذهب إليه المفكر إدوارد سعيد من أنّ حروب الألفيّة الثّالثة في معظمها هي حروب ثقافيّة. إنّنا ننفي اختفاء عصر الإيديولوجيّات، والصنميّات التي يعجّ بها عصرنا، وكلّ ما أنجزته الحداثة أنّها استبدلت مقدّسات ميتافيزيقيّة بأخرى دنيويّة.

الخاتمة: إنّ التعدد الثقافي ظاهرة كونيّة في المجتمعات البشريّة، بل إنّها ظاهرة صحيّة. فالقرآن الكريم يمن علينا أنّ الله تعالي خلقنا شعوبا وقبائل مختلفين لكي يتميّز بعضنا عن بعض، كما أنّ من نعمه على الناس أنْ جعل ألسنتهم مختلفة.

في العادة تنظر المجتمعات الحديثة والمعاصرة إلى تنوع الثقافات على أنّه أمرٌ شنيعٌ، بدعوى أنّ كلّ الثقافات يجبُ أن تنضوي تحت جناح العقل الغربي. فهو الذي صنع الحضارة العلميّة الحديثة، وهو الذي يصنع القيم الإنسانيّة وهو الذي يخترع الأخلاق من أجل الهيمنة على الشعوب التي ترفض الخضوع لسلطته.

تمكّن المستعمر الفرنسي خلال تواجده بالجزائر من صناعة طبقة مثقّفة بثقافة غربيّة، وكان منها كتّاب روائيّون يكتبون بلغته، ويفكّرون بعقله، ويتماهون مع قيمه. تلك الفئة من الكتاب الفرانكونيين تحولوا إلى وكلاء ثقافيين بعد الاستقلال السياسي. وكانت منتجاتهم الثقافيّة تحقق لفرنسا حضورا مستداما في مستعمرتها، ما دامت لغتها نافذة في الثقافة الجزائريّة وفي الإدارات والمؤسسات الرّسميّة. ومع احتدام المطالبة بالتعريب واسترجاع قيم الثورة المباركة استمرّت الفرانكفونيّة في ممارسة مهامّها الكولونياليّة المتمثّلة في علمنة الثقافة وتغريب العقل الجزائري. لقد كان الهدف هو تحويل الجزائر إلى فضاء للثقافة الفرنسيّة.

إنّ كلّ ما قام به الاستشراق الأوروبي أنه صنع شرقا لا علاقة له بالشرق الحقيقي. لقد صنعا شرقا ضعيفا منزوع المهابة غير قادرٍ على الدّفاع عن نفسه، وغير قادرٍ على حكم نفسه، من أجل أن تحكمه أوروبا. لقد حوّلنا الغرب إلى أفواج من الآخرين وداس على خصوصيّاتنا بنعاله. ولا يزال إلى يومنا هذا ينظر إلينا بوصفنا شعوبا بربريّة تتربّعُ على ثروات لا تستحقّها.

لا يمكننا أن نتعايش مع الآخرين المختلفين عنا تعايشا مشتركا ومسالما إلاّ إذا تخلّوا عن تحيّزاتهم وعن عقيدة المركزيّة الغربيّة التي تعتقد أنّ الغرب هو العالم، وما سواه هو بقيّة العالم.

المراجع:

1-أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب خليل أحمد خليل، دار الفارابي، لبنان، ط الأولى 2008

2-انظر تزفيتان تودوروف، نحن والآخرون، ترجمة ربى حمود، دار المدى سوريا، ط الأولى 1999.

3-مارك أوجي، انثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة وتقديم: طواهري ميلود، لبن النديم للنشر والتوزيع/ دار الروافد الثقافية-ناشرون، الجزائر/ بيروت، ط الأولى 2016.

4-جيرار لوكلارك، العولمة الثقافيّة، الحضارات على المحكّ، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتّحدة لبنان، ط 2004.

5-كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، ترجمة: حسن قبيسي، دار التنوير للطباعة والنّشر والتوزيع، ط الأولى 2008.

6-تزفيتان تودوروف، الخوف من البرابرة، ترجمة: جان ماجد جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (كلمة) الإمارات العربية المتّحدة، ط الأولى 2009.

7-إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، لبنان، ط السابعة 2005.

8-تزفيتان تودوروف، الحياة المشتركة، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، مشروع كلمة، الإمارت العربية المتّحدة، ط الأولى 2009.

الهوامش:

[1] – أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب خليل أحمد خليل، دار الفارابي، لبنان، ط الأولى 2008، ص18.

[2] – أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، ص122.

[3] –تزفيتان تودوروف، الخوف من البراربرة، ص54.

[4] –م. ن. ص195.

[5] –م أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، ص55.

[6] –كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، ترجمة: حسن قبيسي، دار التنوير للنشر والتوزيع، لبنان، ط الأولى 2008 ص165.

[7] –م. ن. ص166/165.

[8] –تزفيتان تودوروف، الحياة المشتركة، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، مشروع كلمة، الإمارت العربية المتّحدة ط الأولى 2009، ص67.

[9] –أرمان ملاتلار، الاتنوع الثقافي والعولمة، ص 191.

[10] –مارك أوجي، انثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة وتقديم: طواهري ميلود، لبن النديم للنشر والتوزيع/ دار الروافد الثقافية-ناشرون، الجزائر/ بيروت، ط الأولى 2016، ص8

[11] –كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، ص167.

[12] –انظر تزفيتان تودوروف، نحن والآخرون، ترجمة: ربى حمود، دار المدى سوريا، ط الأولى 1999، ص21.

[13] –أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، 103.

[14] –أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، ص104/103.

[15] –م. ن. ص98.

[16] -جيرار لوكلارك، العولمة الثقافيّ، الحضارات على المحكّ، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، لبنان، ط 2004 ص183ز

[17] -كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، ص164.

[18] -كلود ليفي شتراوس، مقالات في الإناسة، ص168.

[19] -تزفيتان تودوروف، الخوف من البرابرة، ترجمة: جان ماجد جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط الأولى 2009، ص187.

[20] -تزفيتان تودوروف، الخوف من البرابرة، ص38.

[21] -م. ن، ص26.

[22] -إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، لبنان، ط السابعة 2005، ص 71/70.

[23] -م ن. ص 70.

[24] -تزفيتان تودوروف، الخوف من البرابرة، 44.

التّعدّد الثّقافيّ واللّغويّ
-دراسة في المفاهيم والأصول-

د. سليمة عشو
جامعة سوق أهراس

الملخّص: التّعدّديّة ظاهرة ملازمة ومصاحبة للمجتمع البشري منذ القدم، وهي تأكيد وإقرار وتسليم لعالم متنوّع ومختلف. وهو مفهوم مركّب ومعقد بوصفه تعبيرًا عن ظاهرة متعدّدة الأبعاد. فهناك التّعدديّة الثّقافيّة والتّعدديّة الدّينيّة والتّعدديّة الاجتماعيّة والتّعدديّة السّيّاسيّة، وهي مرتبطة بالعديد من المفاهيم الأخرى مثل الطائفيّة والعرقيّة كمفهوم الثّقافة وهو مفهوم واسع ومراوغ؛ ذلك أنّه يتسع ليشمل الإبداعات الأدبيّة والفكريّة والفنيّة، فالثّقافة هي أسلوب حياة الشّعوب وعلامة تميّزها عن الآخرين، فهي مطلب من مطالب الهويّة وهو من أهم العوامل في تطوّر المجتمعات البشريّة بفعل التّراكم وتعاقب الحضارات. لكن التّعدديّة الثّقافيّة تنتج عنها المسألة الإثنيّة وهو مصطلح يزداد استخدامه منذ السّتينات لتفسير التّنوّع البشري على أساس الثّقافة والتّقاليد، واللّغة والأنماط الاجتماعيّة والتّعدديّة الإثنيّة تعني العيش المشترك في مجتمع واحد على مستوى الفرد والجماعة، ومنها تتحرّك الهويّة الثّقافيّة وتتمثّل في الفرد داخل الجماعة الواحدة، وهو عبارة عن هويّة متميّزة ومستقلة عبارة عن أنا، وهذه الأنا تكون في مواجهة مع الآخر داخل الجماعة نفسها أو خارجها، وفي المقابل تبرز ثقافة القبول بالآخر. وانطلاقا من تعدّد وتنوّع المصطلحات النّاتجة من التّعدديّة نطرح الإشكاليّة الآتيّة: ما هي المفاهيم النّاجمة عن التّعدديّة والتّنوّع في العالم العربي والتي تسبّبت في مشاكل التّنميّة والتّقدم لتلك البلدان؟

Abstract: Pluralism is a phenomenon that has been inherent and accompanying human society since ancient times. It is an affirmation, recognition, and acceptance of a diverse and diverse world. It is a complex and intricate concept, expressing a multidimensional phenomenon. There is cultural pluralism, religious pluralism, social pluralism, and political pluralism. These concepts are linked to many other concepts, such as sectarianism and ethnicity. Culture is a broad and elusive concept, encompassing literary, intellectual, and artistic creations. Culture is the way of life of peoples and their distinguishing mark. It is a requirement for identity and one of the most important factors in the development of human societies through the accumulation and succession of civilizations. However, cultural pluralism results in the ethnic issue, a term increasingly used since the 1960s to explain human diversity based on culture, traditions, language, and social patterns. Ethnic pluralism means coexistence within a single society at the individual and group levels. From this, cultural identity emerges and is represented by the individual within a single group. This identity is a distinct and independent self, which confronts others within or outside the same group. In contrast, a culture of acceptance of others emerges. Based on the

multiplicity and diversity of terms resulting from pluralism, we pose the following problem: What are the concepts resulting from pluralism and diversity in the Arab world that have caused problems in development and progress in those countries ?

مقدّمة: لقد تبنّى الإسلام معنى التّنوع الثّقافي مند إنشائه لأوّل مجتمع إسلامي في المدينة المنوّرة في تعامله مع غير المسلمين، وقدّم نموذجا من نماذج التّسامح والتّعايش، وعاش في كنفه النّاس من مختلف الأجناس وكوّنوا أكبر حضارة عرفها التّاريخ، فكان هذا التّنوّع نعمة عادت على الإسلام والمسلمين بالثّراء والغنى الثّقافي، لكن في هذا العصر لم يتم استغلال واحتواء التّعدّد الثّقافي كما ينبغي فانقلب هذا التّنوع إلى نقمة على هذه المجموعات الثّقافيّة وعلى بلدانها، وأصبح عنصر تهديد من الخارج. فما هي الأسباب التي أدّت إلى رفض التّعدّديّة الثّقافيّة من طرف بعض البلدن العربيّة؟ وكيف يتم احتواء التّعدّد واستغلاله من أجل التّقدّم والرّقي؟

1. تعريف التّعدّديّة:

أ- لغة: «يعود أصل التّعدديّة للدّلالة إلى عدّ وتعني حسب وأحصى وعادَهُ معادَادَا وعداداً فاخره في العدد وناهضه في الحرب، وعَددَّ الشّيء وأحصاه وعَدَّدت الشّيء جعلته ذا عدد تَعَاد القوم عدَّ بعضهم بعضا. تعدّدت صار ذا عدد. والعدّيدة الحصّة والنّصيب ويتّضح من المعاني السّابقة أنّ الكلمة تعني عدم التّفرد، كما تحمل مضامين نفسيّة ممثلة في التّفاخر والمعادة، كذلك تتضمّن معنى القدم والاستمراريّة حتى يعتدّ بها» [1].

يحمل المعنى اللّغويّ الإحساس بالتّفاخر، والغلبة والكثرة، كما يوحي بعدم الواحديّة، أو التّفرد، فالعدّ وجود الشّيء القابل للإحصاء.

ب- اصطلاحا: تعدّدت المصطلحات المقدّمة لمفهوم التّعدّديّة يعرّفها "محمد سليم العوّا" كالآتي: «التّعدّديّة في جوهرها تعني التّسليم بالاختلاف التّسليم به واقعا لا يسع عاقلا إنكاره والتّسليم به حقّا للمختلفين لا يملك أحد سلطة حرمانهم منه» [2].

ويعني الاختلاف والتّباين، ويُقصد به مشروعيّة التّنوّع، والتّسليم بذلك، والاعتراف بالمختلف من قبل الأشخاص والهيئات والسّلطات التي تمنح صك الهويّة والانتماء، والإقرار بوجود ثقافة الاختلاف. ولشيوع ثقافة التّعدد والإقرار والتّسليم لعالم متّنوع ومختلف والاعتراف بالآخر ومنجزاته، وأن التّعدديّة ظاهرة ملازمة للمجتمع البشري، فهناك التّعدّديّة الثّقافيّة والتّعدديّة الدّينيّة والتّعدّديّة الاجتماعيّة والتّعدّديّة السّياسيّة، وهو مرتبط بالعديد من المفاهيم الأخرى مثل الطائفيّة والعرقيّة والإثنيّة.

ج- نظرة تاريخيّة إلى نشوء المصطلح: تعود جذور خطاب "التّعدديّة الثّقافيّة" إلى ما بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، حين حلّ مفهوم "الاختلاف الثّقافي محل مفهوم العرق تعبيرا عن الفصل بين الجماعات البشريّة والاختلافات في ما بينها وقد ساعد هذا التّغيير في استخدام المصطلح على إضفاء صفة "المساواة" المزعومة بين الجماعات البشريّة، و إلغاء الفكرة التي كان ينطوي عليها مصطلح العرق فلقد رُوِّج آنذاك أنّ التّفريق بين المجموعات البشريّة على أساس الانتماء الثّقافي يؤدي إلى الاعتراف الصحّي بالاختلاف في ما بينها أي من دون تفضيل بشر على بشر [3]. «وأن التّعدديّة والتّباين هما سمة الوجود الجوهريّة ولو لم تشرق الشّمس وتغرب لما استمتعنا بضيّاء القمر إن ترحيب البشر وانسجامهم مع التّنوع جغرافيّا ومناخيّا إنما يعكس الحضارة إيمانهم بالدّيمقراطيّة، وانفتاحهم مع

الحوار مع الآخر ورفضهم للاستبداد والأحاديّة والشّموليّة» [4].

فالتّنوع هو مجموع الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانيّة في الأنماط الثّقافيّة السّائدة فيها، ويتجلّى هذا التّنوع عبر أصالة وتعدد الهويّات المميّزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألّف منها الإنسانيّة، فهي مصدر للتّبادل والإبداع.

2. التّعدّديّة الثّقافيّة والتّنوع الثّقافي:

2. 1. مفهوم الثّقافة: مفهوم واسع ومراوغ، ذلك أنه يتّسع ليشمل الإبداعات الأدبيّة والفكريّة والفنيّة فجملة ما تحمله من أساليب وطرق، ترك فيه الإنسان مبدعها بصمته التي تميّزه عن غيره مهما كانت هذه البصمة، فهي بالنّسبة له طريقة حياة، لذلك لا يحقّ لأيّ كان أن يحتقر ثقافة ما ولا أن يفضّل عليها ثقافة أخرى، وأن لا يعتقد بأن ثقافته هي الأفضل، فالثّقافة هي أسلوب حياة الشّعوب و علامة تميّزها عن الآخرين، كما تُعدّ مطلبا من مطالب الهويّة. وضدّها الأحاديّة الثّقافيّة والتي تعني «الاعتقاد بأن ثقافة ما ينبغي أن تكون أحاديّة وليست متعددة موحّدة وليست متنوعة، وأن الوحدة والتّماسك ينبغي الحفاظ عليهما من خلال إقصاء أو تمثّل (أو كليهما أولئك الذين يُعْتَبَرون "مختلفين"» [5].

يُعدّ التّعريف الكلاسيكي للثّقافة هو ذلك المأخوذ عن " تايلور" والذي يعتبره الكثيرون مؤسّس الأنثروبولوجيا الثّقافيّة الحديثة، يقول تايلور في كتابه الثّقافة: «الثّقافة أو الحضارة بالمعنى الإثنوغرافي الواسع هي ذلك الكلّ المركّب الذي يتضمّن المعرفة والمعتقد، والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات أو عادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع» [6]. كما «نقصد بالثّقافة كل مجموعة اثنوغرافيّة تظهر من ناحيّة البحث فروقا مهمّة بالنّسبة لغيرها» [7]. فهذا المفهوم يتعقّد كلما حاولنا الإمساك به، وإذا خلصنا إلى أن الثّقافة عبارة عن أشكال تتواجد في عقول النّاس أي نماذجهم المعرفيّة، و التي تظهر في سلوكهم فبها يحافظون على هويّتهم فالثّقافة من وجهة النّظر الأنثروبولوجيّة حاملة للتّراث الاجتماعي فلكلّ شعب ثقافة خاصّة به فمعنى ذلك، أنّ له أنماطا معيّنة من السّلوك حافظ عليها عن طريق الأجيال المتعاقبة بالاتّصال اللّغويّ والتّفاعل الاجتماعي «فحينما يتكلّم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا عن ثقافة شعب من الشّعوب فإنّهم يقصدون على العموم طرائق المعيشة وأنماط الحياة وقواعد العرف والتّقاليد والفنون والتّكنولوجيا السّائدة في ذلك المجتمع و التي يكتسبها الأعضاء ويلتزمون بها في سلوكهم وفي حياتهم» «مصطلح متعدد الثّقافات يستخدم استخداما وصفيّا أيضا، للإشارة إلى المجتمعات متعددة العرقيات؛ أي الاستجابة السّياسيّة للتّنوع النّاشئ لدى مجتمعات تزداد تعدديّةً ثقافيّة (تعدديّة عرقيّة) باطراد»[8].

كما يتبنّى "كليفورد غريتز Clifford Geertz المفهوم السّيميائي للثّقافة: «إن مفهوم الثّقافة الذي أعتنقه...هو بالأساس مفهوم سيميائي (semiotic) وأنا مقتنع مع ماكس فيبر أن الإنسان هو حيوان عالق في شبكات رمزيّة نسجها بنفسه حول نفسه و بالتّالي أنا أنظر إلى الثّقافة على أنها هذه الشّبكات و أرى أن تحليلها يجب أن لا يكون علما تجريبيّا يبحث عن قانون بل علما تأويليّا يبحث عن معنى»[9]. من خلال هذا التّعريف يرى كليفورد غريتز أنّ التّأويل هو الذي يفسّر ما ترمي إليه الثّقافات الإنسانيّة التي صاغها الإنسان بنفسه لنفسه، فالتّراث الثّقافي هو مجموعة النّماذج الثّقافيّة التي يتلّقاها جيل من الأجيال السّابقة، وهو من أهمّ العوامل في تطوّر المجتمعات البشريّة

بفعل التّراكم وتعاقب الحضارات. فالمسألة التّراثيّة هي هاجس إنساني لا تنحصر أهميتها بالأمّة صاحبة التّراث فحسب بل تستفيد منها المعرفة الإنسانيّة أيضًا لذلك ينهل منها المفكّر والأديب والعالم والأثري... والأديب وحده من يبحث باستمرار عن تفسير، وتأويل لما يحدث للعالم والبشر من استنطاق الماضي، والرّجوع إلى التّراث ومحاورته بجميع الوسائل.

2.2. مفهوم التّعدّديّة الثّقافيّة: وهو مفهوم أنثروبولوجي يدلّ على التّنوّع الثّقافي، بالمعنى الأنثروبولوجي لكلمة ثقافة إذ يشمل ذلك المعنى أسلوب حياة مختلف الشّعوب وعاداتها ومعتقداتها وسلوكها، كما أنّ هناك شعوبا متعدّدة ثقافياً تكوّنت من جماعات ثقافيّة مختلفة، هذا التّنوّع الثّقافي للشّعوب كان الفضل فيه للأنثروبولوجيا «يحتدّ الأنثروبولوجيّون جداّ هذه الأيّام عندما يناقشون موضوع الثّقافة وهو أمر يدعو إلى الدّهشة عند النّظرة الأولى إلى أنّ قصّة الأنثروبولوجيا قصّة ناجحة إلى حدّ ما». والحديث عن التّعدديّة الثّقافيّة لا ينفي وجود أنواع أخرى للتّعدديّة «التّعدديّة مفهوم شديد العموميّة يعني وجود أنساق أو أنساق فرعيّة متعدّدة، داخل وحدة اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة واحدة. من هنا يمكن القول بأن هناك تعدّديّة لغويّة وتعدّديّة سلاليّة وتعدّديّة ثقافيّة وهكذا»[10].

وتُعدّ أشكال التّعبير الشّعبي واللّغات والمعتقدات والطقوس... نوعًا من التّعدّديّة الثّقافيّة التي تقوم بدور تحديد الهويّة من خلال العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل في نظرة الشّعوب المتميّزة ثقافيّا وكذلك الرّموز الثّقافيّة هي التي تحدّد الهوّيّة الثّقافيّة. وهكذا تكون الثّقافة هي الإجابة عبر الرّموز عن كل ما يواجه المجتمع من تساؤلات حول ماضيه وعلاقته به، وحاضره وموقفه منه. ومستقبله ونظرته إليه. «ولم تدخل التّعدّديّة الثّقافيّة قاموس المفردات العام إلّا في تسعينيّات القرن العشرين مصحوبة بمطالبات هذه الجماعات العرقيّة غير البيضاء بالاعتراف الثّقافي بها في مناهج المدارس والجامعات، ومن ثم فقد احتلّت القضايا العرقيّة مركزا مهمّا في النّقاشات الدّائرة بالولايات المتّحدة حول التّعدّديّة الثّقافيّة» [11].

3.2. واقع التّعدّديّة والتّنوع الثّقافي في المجتمعات العربيّة: لقد صنّف الآخر العرب على أساس مذهبي وديني، وبالتّالي إلى أقليّات طائفيّة ممّا ولّد التّناحر بينها والعداوة، ونشوء صدامات وكل طائفة تُظهر أحقيّتها على الأخرى في الوجود بالدّلائل والبراهين، وإبطال شرعيّة الطوائف الأخرى، وهنا يشتدّ الصّراع ويتأزّم.

على البلدان العربيّة إدراك خطورة المخطّط الذي وُضع لها وتتدارك ما فاتها، وتستيقظ من هذه الغفلة، وتعمل على تعزيز التّعدّد الثّقافي والاحتفاء به والعمل على استغلال تلك الثّقافات باختلافها، والسّماح لهذه المجموعات الثّقافيّة بممارسة ثقافتها والتّعريف بها للسّياح الوافدين من كلّ مكان والتّرويج بها بينهم؛ وتقديمها في البرامج الإذاعيّة والتّليفزيونيّة وعرضها في المطارات الدّوليّة وأماكن تواجد السّيّاح مثل السّجاجيد والمفروشات والأواني النّحاسيّة والفخاريّة وارتداء العمّال للّباس التّقليدي وعرض الأكلات والمشروبات المحليّة، فالوافد الأجنبي يأتي ليرى أشياء تخالف ما هو موجود في بلده ومُشابه له. فالتّعدّديّة الثّقافيّة مصدر غنى وأسلوب تميّز ومصدر إثراء للتّبادل والإبداع وملهم للتّقارب والتّفاهم والتّعايش؛ كما أن التّنوّع سمة من سمات الحداثة، ومطلب الثّقافات المعاصرة فإن «ضرورة المحافظة على تنوّع الثّقافات في عالم مهدّد بالرتابة والتّشابه، لم تغب بالطبع عن بال المؤسّسات الدّوليّة وينبغي عليها أيضًا أن تدرك أن تعهد التّقاليد المحليّة ومنح مهلة للأزمنة المنصرمة لا يكفيان لبلوغ هذا الهدف

فواقعة التّنوّع هي التي يجب إنقاذها وليس المحتوى التّاريخي الذي أعطته له العصور، التي لا يمكن أن يستمر أي منها إلى ما بعد انقضائه» [12].

فالتّعدّديّة الثّقافيّة هي «الاعتقاد بأنّ التّنوّع من طبيعة كل ثقافة وأنّه مصدر غنى يجب تعهّده بالرّعايّة بدل اعتباره نوعا من النّجاسة التي ينبغي اجتثاثها» [13]. غير أنّ بعض الجهات والسّياسات في العالم العربي أو في بلد بعينه تحاول طمس ثقافة جماعة مختلفة لغويا أو دينيّا أو عرقيا... خاصّة في البلد الواحد إمّا لعدم الاعتراف بتلك الثّقافة أو لاعتقاده أنّ هذا التّنوع الثّقافي قد يؤدّي إلى التّأخر أو التّمييز والإقصاء، وهذا الإقصاء والتّهميش قد يؤدّي إلى إثارة الاختلافات والحزازات التي بدورها تنشب نار الفتنة العداوة والاختلاف بين أبناء البلد الواحد. وهذه النّظرة الواحديّة التي تريد التّطهير العرقي لتلك الأقليّات أو تذويبها أو محوها دينيّا أو لغويّا أو عرقيّا... تتسبّب في عدم الاستقرار السّياسي وإلى فوضى اجتماعيّة، وقد تتّدخل أيادي خارجيّة أخرى لاستغلال هذا التّنوّع في إثارة الفوضى وخلق صراع إثني أو طائفي أو بسبب اللّغة أو الدّين بين أفراد البلد الواحد، لذلك يجب على الأقليّات أن تتمسّك بتفرّدها الثّقافي للتّأكيد على هويّتها، وأن تعمل على تكريس التّنوع الثّقافي ونبْذ الوحدة، نجد ذلك حول التّنوّع اللّغويّ وتعدّد لهجات اللّغة العربيّة في البلدان العربيّة وخاصّة في الجزائر وإشكاليّة اللّغة الأمازيغيّة ومشروعيّة الاعتراف بها وتدريسها في كل المستويات الدّراسيّة وفي كل ربوع الوطن، لأنّ اللّغة تُعدّ أهمّ عنصر في منظومة الرّموز الثّقافيّة فلا يمكن تخيّل وجود باقي عناصر الرّموز الثّقافيّة كالدّين و العلم والفكر دون حضور اللّغة البشريّة المنطوقة والمكتوبة. ومن ثم جاءت مشروعيّة اعتبار أن اللّغة هي أصل الرّموز الثّقافيّة جميعا. «فالتّعدديّة الثّقافيّة تحتفي بالتّنوع الثّقافي وتسعى إلى تعزيزه، على سبيل المثال: تشجيع لغات الأقليات. وهي تركز في الوقت ذاته على العلاقة غير المتكافئة بين الأقليّة والثّقافات السّائدة» [14]. أمّا لبنان يُعتبر البلد الأكبر تعدديّا «فهو يضم 19 طائفة دينيّة، أكبرها السّنة والشّيعة، والموارنة، الروم الأورثوذوكس، الدّروز، الروم الكاثوليك. وهناك عدة مجموعات عرقيّة غير عربيّة مثل الأرمن والأكراد والشّركس والتّركمان والسّريان والكلدان والأشوريين وغيرهم» [15]. وهو يسعى إلى تحويل التّنوع الثّقافي واللّغويّ إلى إثراء حضاري وإيجاد حل لتلك الطوائف وحل الأزمات السّياسيّة والاقتصاديّة التي أنهكته بسبب التّعدد الدّيني واللّغويّ، إضافة إلى المهاجرين خاصّة فئة المثقّفين الوافدين عليه من البلدان العربيّة. فكثرة الطّوائف الدّينيّة سبّبت في نشوب صراع طائفي، فالدّين هو أهمّ مقوّم يكتسبه الإنسان لأنّه لا يستطيع أن يعرف هويّته إلاّ إذا اختار الدّين الذي يحقّق له غايته وكرامته وكما قال القدماء "اعرف ربك تعرف نفسك". وما قيل عن لبنان يُقال عن سوريا والعراق ومصر...

إنّ المثقّفين العرب والنّخب الفكريّة والسّياسيّة يسعون للعمل على استيعاب هذا التّنوع واحتضانه والتّرحيب بكل الثّقافات سواء كانت محليّة أم وافدة والتّعايش معها، لإيمانهم بالاختلاف والتّنوع ووعيهم بسوء العاقبة جرّاء رفض التّعدد والتّنوع والتّصدي، كالحروب والنّزاعات الطائفيّة في لبنان وغزو أمريكا للعراق وما حصل في سوريا...، وما إقامة هذه النّدوات والملتقيات لأكبر دليل على سعيهم الحثيث وعملهم الدّؤوب، «فالضّمير الإنساني الذي لم يألف العمل على حدود الثّقافات، ما زال تسيطر عليه عادات جذبيّة مزمنة تحمله على أن يرى الأشياء من زاويّة ضيّقة»[16].

3. مسألة الهويّة: (السّودان أنموذجا): يُعتبر هذا المفهوم الرّابط بين جميع المفاهيم والقضايا والذي يطرح نفسه في سياق الحديث عن الذّات واللّون، والاستعمار والآخر والحوار... يُبرز سؤال الهويّة ويتمثّل السّؤال عن الذّات، أو بصيغة من أنا؟، أو من نحن؟ بالنّسبة للآخر المختلف إثنيا أو ثقافيا. ويُعدّ مفهوم الهوّيّة من المفاهيم الفلسفيّة المعقّدة حيث يشير إلى جملة الصّفات المتفرّدة التي تميّز كينونة ما عن غيرها في المجتمع الواحد وخارجه «وتتضمّن دراسة السّلاليّة في الأنثروبولوجيا الحديثة فهم تطوّر وأسس التّسميّات والمقابلات التي تُطلق على جماعات وفئات النّاس ولا يمكن فصل دراسة السّلاليّة عن دراسة نظم تحديد الهوّيّة» [17]. وهي عبارة عن تأكيد التّماثل داخل الجماعة والاختلاف خارجها ويحظى الأفراد بهوّيّات مختلفة ومتعدّدة بعضها اختياري مثل العقيدة وبعضها الآخر مفروض عليهم مثل السّلالة أو الجنس كما تطرح إشكاليّة الهويّة عدّة ثنائيّات الوحدة والتّجزئة، الأصالة والمعاصرة.

3. 1. مفهوم الهويّة الثّقافيّة: وهي تصوّر جماعة بشريّة ما تميّزها وخصوصيّتها واختلافها عن جماعات أخرى، وذلك عن طريق المقارنة بالآخر وتتحرّك الهوّيّة الثّقافيّة في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد، الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوّيّة متميّزة ومستقّلة عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها. أن تضع نفسها في مركز الدّائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النّوع من الآخر القبيلة المذهب والطّائفة أو الدّيّانة، التّنظيم السّياسي أو الجماعي؛ فالهويّة الثّقافيّة هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول كما هو في تفرّده وتميّزه، فهي تعني التّفرّد الثّقافي بكل ما يتضمّنه معنى الثّقافة من عادات وأنماط وسلوك وميْل وقيّم ونظرة إلى الكون والحياة ويفسّرها "تركي الحمد" في كتابه "الثّقافة العربيّة في عصر العولمة " الهويّة طالما أنّها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيّرة في الوقت ذاته تتميّز فيه بثبات معيّن مثل الشّخص الواحد يولد ويشبّ ويشيخ وتتغيّر ملامحه وتصرّفاته وأحيانا ذوقه، لكنه في الخير هو نفس الشّخص وليس شخصًا آخر، ويرى ضرورة التّفتّح على الآخر «فإذا كانت ثقافتنا قادرة على التّفاعل مع متغيّرات هذه الحياة، فإنّها ستبقى وتنافس بشرط ألاّ نعاملها كطفل نخاف عليه هبّة ريح، فنجني عليها بحبّنا الهوسي... وإن كانت ثقافتنا شيخا قد وصل إلى أرذل العمر فلن تستطيع حمايتنا لها أن تجعلها شابّة من جديد، ولن نستطيع منحها الخلود الذي هو المستحيل ذاته، وفي كلتا الحالتين ليس أمامنا إلا الانخراط في العالم المحيط»[18]. دوما الهويّة لها علاقة بالآخر، وبتعبير آخر الهوّيّة والآخريّة متّصلتان الواحدة بالأخرى. ففي الهويّة الثّقافيّة تشتغل جدليّة الأنا والآخر «الهوّيّة الثّقافيّة بإيجاز هي الصّورة المثاليّة التي تُكوّنها جماعة بشريّة ما عن نفسها وعن تاريخها، بالنّسبة لجماعات بشريّة أخرى وهذه الصّورة تتضمّن بالضّرورة فكرة المقارنة بالآخر وإثبات الاختلاف والتّميّز عنه. إنّها السّبيل إلى تعريف الذّات من خلال التّأكيد على ما يميّزها ويجعلها مختلفة عن ذوات أخرى.

3. 2. **السّودان وأزمة الهويّة:** إنّ وجود السّودان الجغرافي جعله مرتبطا بمناطق جغرافيّة مهمّة في إفريقيا فالبلاد لها ارتباط ثقافي وتاريخي وسيّاسي، وروابط قرابة مع مصر في الشّمال، وهي جزء من القرن الإفريقي الكبير، ولها تداخل قبلي وروابط إثنيّة وعلاقات تجاريّة مع هذا الجزء من القارّة. ينقسم السّودان من وجهة النّظر الثّقافيّة إلى قسمين كبيرين هما الشّمال والجنوب، ويعتبر الشّمال أكثر تماسكا من الجنوب، أمّا بالنّسبة للثّقافة

الإفريقيّة، «قديما يطلق لفظ السّودان على حزام السّافنا الممتدّة من الصّومال وأثيوبيا شرقا إلى السّنغال غربا وعنوا به (بلاد السّود) و بمرور الزّمن احتفظ السّودان الحالي وحده على الاسم»[19]. فكان هذا الاسم وبالا على سكّانها الذين أحسّوا بالاشمئزاز منه، وكان سببا في حدوث التّفرّق والاختلاف بينهم. وعن ملابسات هذه التّسميّة وأثرها على بعض المثقّفين منهم الأديب الطّيب صالح. يعرض الدّكتور الباقر العفيف حديث الطّيب صالح عن إشكاليّة هذا الاسم أنّه لا يعني شيئا بالنّسبة إلى أهله، ويتساءل ما السّودان؟ هذا الاسم الذي أطلقه الاستعمار على كلّ المنطقة التي تمتدّ على حزام السّافنا، وبقي الآن علما على السّودان وحده. «قال الطّيب صالح في مجلّة المجلّة: وقد تمنيّت لو أن قادتنا سمّوا هذه البلاد سنّار. ربما يكون السّبب وراء عدم استقرار هذا البلد أن اسمه "السّودان" لا يعني شيئا بالنّسبة لأهله. فما السّودان؟ مصر هي مصر واليمن هو اليمن والعراق هو العراق، ولبنان هو لبنان ولكن ما السّودان؟ فالاستعماريّون أطلقوا هذا الاسم على المنطقة التي تمتدّ من أثيوبيا في الشّرق وحتى السّنغال في الغرب. الأمم الأخرى أطلقت على أوطانها أسماء تعني شيئا بالنّسبة لها وتركنا وحدنا نحمل هذا العبء على أكتافنا» [20]. فجذور الحرب في السّودان ليست سيّاسيّة أو اقتصاديّة أو تنمويّة فحسب وإنما هي أيضا سايكلوجيّة: فالحرب التي تشنّها الطّبقة الحاكمة الشّماليّة على المكوّن الأسود للبلاد ما هي في حقيقة الأمر إلاّ تعبير خارجي عن الحرب التي يشنّها الشّماليّون على المكوّن الأسود داخل ذواتهم يضيف "الباقر العفيف" «الشّماليّون يعيشون في عالم منشطر فمع أنهم يؤمنون أنهم ينحدرون من أب عربي وأم إفريقيّة فإنهم يحسّون بالانتماء الى الأب الذي لا يظهر كثيراً في ملامحهم، ويحتقرون الأم الظّاهرة ظهورا واضحا في تلك الملامح. فهناك إذن انشطار داخلي في الذّات الشّماليّة بين الصّورة والتّصوّر بين الجسد والعقل بين لون البشرة والثّقافة، وبكلمة واحدة بين الأم والأب» [21].

هناك خلفيّات وعوامل متعدّدة في نشأة الهويّات في السّودان، «ففي حدود ما يعرف الآن بالسّودان التّقت وتفاعلت الثّقافات الإفريقيّة الأصيلة بالحضارة المصريّة القديمة فكان حصادها مملكة نبتة في كوش ومملكة مووى جنوبا حيث كان الإسهام التّقني الأول لتلك البقعة من إفريقيا» [22]. ويُعتبر المثقّف هو المسئول عن تحريكها والسّؤال عنها، لما يراه في مجتمعه من خلال موقفه ورؤيته للمجموعات إعلاء أو تحقيرا، ويُعتبر نفسه المسئول الأوّل للدفاع عن الهوّيّة التي ينتمي إليها هو وجماعته، وهو الذي دائما بصدد طرح الأسئلة بخصوص الهويّة من أنا ومن نحن «فالعامّي لا يفكّر في الأنا والنّحن لأنّه لا يمارسهما فعلا ولا تشكّلان قضيّة بالنّسبة له. أمّا المثقّف العربي فقد جعل من مسألة الهوّيّة والذاتيّة، وما يتفرّع عنها من مفردات، ومفاهيم ملازمة، أزمة الأزمات وإشكاليّة الإشكاليّات لأمّة "مفترضة" ليس بالضّرورة أن تكون الأمّة القائمة ذاتها على أرض الواقع و"جماعة" غالبا لا توجد إلا في ذهن من يفكّر فيها دون وجود حقيقي خارج العقل الذي يفكّر بها ويقولبها وفق نظرة ذاتيّة أو ثقافيّة أو ايديولوجيّة خاصّة» [23].

على الرّغم من هذه التّعقيدات في تعريف الهويّة إلاّ أنه في السّودان شكّل الدّين الإسلامي واللّغة والثّقافة العربيّة قاعدة أساسيّة لهويّة الجماعات المختلفة في شمال السّودان. هذه الهويّة العربيّة الإسلاميّة قويّت واشتد عودها وبرزت على الإثنيات الأخرى. غير أنّها لم تقضِ على الهويّات الأخرى لكنّها تفاعلت معها واحتوتها مما أوجد

نوعا من الانسجام والوحدة الثّقافيّة لمختلف الإثنيّات. «وسواء تحاورت الثّقافات أو تلاقحت بإحدى الطريقتين أو بغيرها فإنّ ذلك لا يعني مسخ أحدهما لصالح الآخر، أو إلغاء هوّيّة أحدهما والذّوبان في هوّيّة الآخر» [24]. هذا ما يخافه أهل الجنوب الذين يتّهمون الشّماليين بالتّماهي في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، ونكرانهم لمكوّنهم الزّنجي ويتساءل الباقر العفيف ما الذي يسرّ للشّماليين، بل لشعوب عديدة عبر العالم الإسلامي أن تتعلّق بالأصل العربي فهو يعتقد أنّ هناك ثلاث خواص بارزة للثّقافة العربيّة الإسلاميّة، الخاصيّة الأولى هي التّركيبة الأبويّة للقبائل في هذا النّظام ينسب الأطفال لآبائهم، ولا تلعب المرأة دورًا يذكر في النّسب. وذلك لأنّها حرث الرجل، وما دام الحرث حرثه، فالحصاد حصاده، وليس للمرأة شيء، وهكذا فإنّ اختلاط الدّم العربي، بخط النّسب النّوبي يضع حدّا لكل هذه الأنساب النّوبيّة ثم يستعرض في ذكر الخاصيتين المتبقيتين وهما النّقاء العرقي ويربطه بمصطلح الطهارة في الإسلام أي كلّما كان المرء قريبا من قبيلة النّبي كان أفضل فأهل البيت هم الأطهار، والخاصيّة الأخرى هي ارتباط اللّغة العربيّة بالإسلام ممّا جعلها لغة مقدّسة في عيون الشّماليين[25]. وفي مقال لعبد الله بولا بعنوان: «شجرة نسب الغول في مشكل الهويّة الثّقافيّة وحقوق الإنسان في السّودان أطروحة في كون الغول الإسلاموي لم يهبط علينا من السّماء»[26] نُشر في مجلّة "احترام" (المجلّة السّودانيّة لثقافة حقوق الإنسان وقضايا التّعدد الثّقافي) يعرض فيه رؤيّة للتّرابي في مقابلة أجرتها معه مجلّة الصيّاد بأنّ هذا التّعدد قدرا سيّئا وابتلاء بقوله: «أولا كان قدرنا نحن في السّودان أن نبتلى ببلد مركب معقّد البناء يكاد يمثّل كل الشّعوب الإفريقيّة بلغاتها وسحناتها وأعراقها وأعرافها» ...قدّم "عبد الله بولا" هذا المقطع في مقاله ليعلّق على وصف "حسن عبد الله التّرابي" للتّعدديّة الإثنيّة والثّقافيّة في السّودان بقوله إنّها "بلْوى" ويدعو القارئ للغوص في تفكيك شفرات هذا الخطاب من خلال الألفاظ مذكّرا بأن فهم هذا الأمر غير سهل على القارئ الأجنبي غير الملم بالقضايا السّودانيّة يقول في تحليله بأنّ الضّمير المبهم "نحن" في كلمة التّرّابي: فالضّمير هنا يعود على الجماعة العربيّة الإسلاميّة على وجه العموم وإلى صفوتها الإسلامويّة على وجه الخصوص فهي التي أبلاها الله بمساكنة هذا المركّب المعقّد من الشّعوب الإفريقيّة غير المسلمة بكل بلاويها لغاتها وسحناتها وأعراقها وأعرافها. ويرى كاتب المقال بأن التّرابي تفادى استخدام هذه العبارات في وصف مكّونات المجتمع السّوداني وتفادى استخدام "أديان وثقافات" لأنه وعلى حدّ قول الكاتب أنّ الجماعة الإسلاميّة تَعتبر أنّ الدّيانات الإفريقيّة خرافات أو وثنيّة، أو معتقدات إفريقيّة لهذه الجماعات، والتي يراها " التّرابي "ورهطه (بلْوى)، فإنّ كاتب المقال يعتبرها "أهل الدّار الأصليّين" وثقافتهم هي ثقافات البلاد الأصليّة. نلمح من هذا القول أنّ كاتب المقال يلّمح إلى فكرة أن الثّقافة الإسلاميّة دخيلة على السّودان، على غرار الثّقافات الأفريقيّة، وأن أصحاب هذه الثّقافة يحاولون أن يجتثّوا هذه الثّقافة الأفريقيّة ويحلّوا محلّها الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، على حدّ قول كاتب المقال الذي علّق أيضًا في هذا المقال على مقولة الطّيب صالح الشّهيرة "من أين أتى هؤلاء"، وعن تساؤل الطيب صالح عما يُضير أهل الجنوب لو ارتبطوا بالحضارة العربيّة؟ و في المقال نفسه يجيبه عبد الله بولا: «إن الذي يضير الجنوبيّين من ربطهم بالحضارة العربيّة الإسلاميّة، بالصّورة التي يقترحها العروبيّون ومنهم الطيب هو ببساطة محو إبداعيّة ثقافيّة توارثوها وطوّروها جيلا عن جيل عبر عشرات القرون من الصّراع والتّوافق مع الوسط الطّبيعي والاجتماعي المحيط»[27]، لقد شعر "عبد الله بولا" بجفوة في هذه العبارة في حقّ الكاتب الكبير

الطيب صالح لكن هذه العبارة "من أين جاء هؤلاء" لم تغادر مقاله إلى آخره فهي تَرِد في نهايّة كلّ فقرة وكأنّه يريد أن يقول ما قاله بصريح العبارة في الرّد على التّرابي، مرّة أخرى أنّنا أصحاب هذه الأرض. لم نأت إلاّ منها.

إنّ أزمة الهويّة الحقيقيّة لدى الجنوبيّين هو نكران الشّماليّين لذواتهم وثقافاتهم الأفريقيّة وقيّامهم بتمثيل الثّقافة العربيّة الإسلاميّة ومحاولتهم الانسلاخ من جلدهم وسُحناتهم السّوداء كما مرّ بنا في مقال الباقر العفيف (أزمة الهوّيّة في شمال السّودان متاهة قوم سود في ثقافة بيضاء) أمّا أزمة الهوّيّة لدى الشّماليين هو هذا المكوّن الأسود في تركيباتهم. يؤكّد "الباقر العفيف" أنّه على يقين من أن جذور الحرب في السّودان ليست سيّاسيّة أو اقتصاديّة أو تنمويّة فحسب وإنّما هي أيضا سايكلوجيّة: «إنّني على قناعة بأنّ الحرب التي تشنّها الطّبقة الحاكمة الشّماليّة على المكوّن الأسود للبلاد ما هي في حقيقة الأمر إلا تعبير خارجي عن الحرب التي يشنّها الشّماليّون على المكوّن الأسود داخل ذواتهم و يضيف: «الشّماليّون يعيشون في عالم منشطر فمع أنهم يؤمنون أنهم ينحدرون من أب عربي وأم إفريقيّة فإنهم يحسّون بالانتماء إلى الأب الذي لا يظهر كثيراً في ملامحهم، و يحتقرون الأم الظّاهرة ظهورا واضحا في تلك الملامح. فهناك إذن انشطار داخلي في الذّات الشّماليّة بين الصّورة والتّصوّر بين الجسد والعقل بين لون البشرة والثّقافة، وبكلمة واحدة بين الأم والأب» [28]. وبعدها يسرد فصلا طويلا عن احتقار العرب للّون الأسود. ويلخّص "الباقر العفيف" أزمة الهويّة بقوله: «وفي حالة أخرى يمكن أن تنشأ أزمة الهوّيّة عندما يكون هناك تناقض بين هوّيّة الشّخص ونظرة الآخرين إلى الهوّيّة ذاتها. وأخيرا يمكن أن توجد أزمة الهوّيّة إذا كان مركز الهويّة أي الجهة التي تملك صلاحيات إصباغ الشّرعيّة، لا تعترف بادّعاءات الهامش» [29].

تنشأ أزمة الهوّيّة عندما يفشل النّاس في اختيار الهوّيّة التي تناسبهم، أو التي أجبروا على تبنّيها ويمكن أن تنشأ أزمة الهوّيّة أيضا عندما يكون هناك تناقض بين هوّيّة الشّخص ونظرة الآخرين إلى الهوّيّة ذاتها وكذلك يمكن أن توجد أزمة الهوّيّة إذا كان المركز لا يعترف بالهامش؛ أي فشل المثاقفة، والنّتيجة هناك جماعة مسيطرة وضاغطة وهذا ما يسمّى بـ "التّابع" وهو مصطلح نقدي ظهر في دراسات ما بعد الكولونياليّة «التّابع: شخص أو جماعة مُسيْطَر عليها من قِبَل جماعة أخرى وتحمل بين تعبيراتها الثّقافيّة والصّور التي تقدّمها عن ذاتها آثارا باقيّة من تلك السّيطرة» [30].

خاتمة:

- عملت السّياسيات المعاصرة لبعض البلدان على تكريس الوحدة وإلغاء أي تعدديّة، وهذا ما وسّع الهوّة بينها وبين تلك الجماعات المُطالِبَة بالاعتراف بخصوصيّتها وتفرّدها في ممارسة ثقافتها والتّعريف بها؛

- ساعدت بعض العوامل المشتركة على تفعيل التّجانس، وتحقيق هذا التّنوع والتّمازج الحضاري بين الجماعات المتعدّدة، واعتبار التّعدد طبيعة بشريّة؛

- أدركت البلدان المتعدّدة الثّقافات أهميّة التّواصل مع مختلف الثّقافات من أجل التّبادل الفكري وقبول الآخر لتفادي أيّ صراع أو تطرّف، وذلك لوعيها بأهميّة التّعدد الثّقافي واللّغويّ، وضرورة الحفاظ عليه وتكريسه في الدّولة والمجتمع، ومحاربة العنصريّة والتّمييز. واحترام التّنوع الثّقافي، وإلغاء الأحاديّة المتطرّفة التي تؤدي إلى الإقصاء والتّهميش والظلم؛

– كان للمثقّفين العرب الدّور البارز والموقف الواضح تُجاه مشروعيّة التّعدديّة الثّقافيّة واللّغويّة، وحق الجماعات المتعدّدة في ممارسة ثقافتها والتّعايش والتّأقلم مع جميع المواطنين في البلد الواحد لوحدة البلد وتفادي التّهميش والتّمييز؛

– وعى سكّان البلدان المتنوّعة ثقافيا ولغويّا أهميّة هذا التّنوّع والاختلاف في غنى الثّقافة وتقدّم ورقي البلد المتعّدد، فأبدى تشجيعه واحترامه لتلك الثّقافات على اختلاف أنواعها والتّرحيب بها، وهذا ما يخلق نوعا من التّعاون التّضامن بينهم والعيش المشترك، والحوار مع الآخر؛

– أظهرت الثّقافات المتنوّعة جدوى أصالتّها ومدى أهميّتها في الإسهام في تنميّة الوطن وازدهاره وتطوّره ووقوفها في وجه الثّقافات الأجنبيّة التي تريد أن تحلّ محلّها وتطمس معالمها وتمحو تاريخها، وتحبط إقدام النّاس عليها خاصّة في عصر التّكنولوجيا والعولمة التي تزيل كل خصوصيّتها وتجعلها بلا انتماء ولا تميّز، وتصبح ملكا للجميع.

الهوامش:

(1) مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الوسيط، ج 2، ط 3، القاهرة، 1985. ص 608.

(2) أنيس مالك طه: التّعدديّة الدّينيّة رؤيّة إسلاميّة، من منشورات الجامعة الإسلاميّة، ط 1، كوالا لامبور، ماليزيا، 2005. ص 289.

(3) ينظر: يوسف إدريس: عن أحاديّة التّعدديّة الثّقافيّة، مجلة الآداب، ع 7 -8، بيروت، 2009. (د ص).

(4) رياض عصمت: الشّمال والجنوب، مجلة المعرفة، ع 573، وزارة الثّقافة، سوريا، 2011. ص 7.

(5) دوغلاس روبنسون: التّرجمة والإمبراطوريّة نظريات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة، تر: ثائر ذيب، ط1، دار الفرقد، سوريا 2009. ص 176.

(6) شارلوت سيمور شميث: موسوعة علم الإنسان موسوعة علم الإنسان، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، (د ط) القاهرة (د ت). ص 223.

(7)– كلود ليفي ستروس: الأنثروبولوجيا البنيويّة، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثّقافة، (د ط) دمشق، 1977. ص 347.

(8)– علي راتانسي: التّعدديّة الثّقافيّة،، تر: لبنى عماد تركي، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثّقافة، ط 1، القاهرة، 2013. ص 21.

(9)– كليفورد غريتز: تأويل الثّقافات، تر : محمد بدوي، المنظمة العربيّة للترجمة، ط 1، بيروت، 2009. ص 82.

(10)– شارلوت سيمور شميث: موسوعة علم الإنسان. ص 194.

(11)– على راتانسي: التّعدديّة الثّقافيّة. ص 20.

(12) كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيويّة، ج 2، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، (د ط)، 1983. ص 514.

(13) دوغلاس روبنسون: التّرجمة والإمبراطوريّة نظريات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة، تر: ثائر ذيب، ط1، دار الفرقد، سوريا 2009. ص 176.

(14)– علي راتانسي: التّعدديّة الثّقافيّة. ص 21.

(15)– الدّين في لبنان ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org

(16)– مالك بن نبي: مشكلة الثّقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط 4، دمشق، سوريا، 1984. ص 99.

(17) شارلوت سيمور شميث: موسوعة علم الإنسان. ص 49.

(18)– تركي الحمد: الثّقافة العربيّة في عصر العولمة، دار السّاقي، ط1، بيروت، 1999. ص 105.

(19)– هارون سليمان: جدل الهويّة وحكايّة عروبة السّودان. http://www.sudaneseonline.com/

(20)–الباقر العفيف: أزمة الهويّة في شمال السّودان –متاهة قوم سود ذوو ثقافة بيضاء http://www.sudaneseonline.com/

(21)–الباقر العفيف: أزمة الهويّة في شمال السّودان، متاهة قوم سود ذوو ثقافة بيضاء http://www.sudaneseonline.com/

(22)– عبد الغفار محمد أحمد : السّودان بين العروبة والإفريقيّة مركز البحوث العربيّة، ط 2، القاهرة، 1995. ص 23.

(23)–تركي الحمد: الثّقافة العربيّة في عصر العولمة. ص 90 .

(24)– تركي الحمد : الثّقافة العربيّة في عصر العولمة. ص 70.

(25)–ينظر: الباقر العفيف: أزمة الهويّة في شمال السّودان متاهة قوم سود ذوو ثقافة بيضاء.

http://www.sudaneseonline.com/

26– ينظر: عبد الله بولا: شجرة نسب الغول في مشكل الثّقافيّة الهويّة وحقوق الإنسان في السّودان، مجلة احترام، ع 1، 2005. ص 22. www.sudan-forall.org

(27)– عبد الله بولا: شجرة نسب الغول في مشكل الثّقافيّة الهويّة و حقوق الإنسان في السّودان. ص 11.-www.sudan-forall.org

(28)-الباقر العفيف: أزمة الهويّة في شمال السّودان، متاهة قوم سود ذوو ثقافة بيضاء http://www.sudaneseonline.com/

(29)– الباقر العفيف: أزمة الهويّة في شمال السّودان متاهة قوم سود ذوو ثقافة بيضاء.

http://www.sudaneseonline.com/

(30) دوغلاس روبنسون: التّرجمة والإمبراطوريّة نظريات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة. ص 180.

منصّات التّـواصُل الاجتمَاعـيّ وسـؤال الوحـدة في ضَوْء التّنوّع

أ. د. عبد المجيد عطار
جامعة تلمسان

ملخّص: في عالم تحكمه التّعدديّة؛ انبرى كثيرون لاستثمار كل الإمكانات للمرافعة من أجل إقصاء المختلف تحقيقا لمبدإ تمركز الأنا وتهميش الآخر. ما زاد الأمر سوءا ظهور الموجة الحضاريّة الثّالثة وما صاحبها من إنجازات عظيمة للعقل البشري، كان من تجلياتها ثورة الاتصالات؛ حيث حريّة الوعي والممارسة. على المستوى العربي الأمور اتجهت إلى الأسوإ. فقد مالتّ أطراف من الدّاخل وبمسميات مختلفة لمزيد من الاصطفاف الطائفي والمذهبي والإثني تحقيقا لرغائب وأجندات لا تخدم الأمة في نقير ولا قطمير. عوض أن نستوعب منطق التّعدديّة الإيجابي بمرجعيّة ﴿**يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَٰاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ**﴾[1].

آثرنا الخيار الأوحد: المزيد من التّشظي والانقسام والاغتيال المادّي والمعنوي على السّواء.

لقد وظّفت وسائل الاتصال الجديدة في واقعها الافتراضي لصياغة الواقع الموضوعي (المادي) ضمن رؤيّة تحاول تجاوز حق الاختلاف وجماليّة التّنوّع وضرورات التّعارف والحوار. لعلّ مفارقة تتجلى في إطار مساءلة تدفعنا في الحفر المعرفي عن البديل الأصوب رتقا للفتق وجمعا للشتات وتوجيها للبوصلة. إنّ إشكاليتنا البحثيّة تقوم على واجب المساءلة التّاليّة: كيف يمكن استثمار منصّات التّواصل الاجتماعي لتحقيق الوحدة في إطار التّنوع الثّقافي واللّغويّ متجاوزين واقعا ماديًا يحيل إلى الكثير من الانفلات والتّيه والضّياع؟.

Abstract: In a world governed by multilateralism, many have sought to invest every potential to argue for the exclusion of the different in order to realize the principle of ego positioning and marginalizing the other. The emergence of the Third Civilization Wave and the accompanying great achievements of the human mind, were further exacerbated by the communications revolution, which brought freedom of awareness and practice.

At the Arab level, things have turned to the worst. They tended from within and with different names for more sectarian, denominational and ethnic alignment in pursuit of wishes and agendas that do not serve the nation in Nakir or Qamar. Instead of accommodating the logic of positive pluralism, the reference is made to one and the other, and some of them are preferred to some of them at all. (Al-Ra 'ad: 04)

Our effects are the only option: further fragmentation, division, and both physical and moral assassination.New means of communication have been used in their virtual realities to formulate objective (physical) reality within a vision that tries to overcome the right of difference and the aesthetic of diversity and the necessities of knowledge and dialogue. Perhaps a paradox is reflected in an accountability framework that drives us to dig knowledge of the most desirable alternative to hernia,

collect diaspora and guide compass. Our research problem is based on the following duty of accountability: How can social media platforms be invested to achieve unity within a framework of cultural and linguistic diversity beyond a physical reality that refers to a lot of neglect, pause and loss?

مقدّمة: عصر جديد وإنسان جديد إلاّ في جغرافيّة العرب حيث التّاريخ يعيد نفسه وإن تغيّرت الحوامل الماديّة وتبدّلت، في عصر وُسم بعصر المعلومات حيث منصّات التّواصل الاجتماعي؛ يميل بعض العرب إلى استثمار موجة الحضارة الثّالثّة لإعادة إنتاج مقولات قرون التّخبط والعجز، في زمن التّنوّع والتّعدّد يرافعون لأجل القهر والتّشرذم، أمام هذه المفـارقة تأتي الورقة البحثيّة راصدة التّحولات السّوسيو ثقافيّة والتّكنو-اجتماعيّة وراغبة في تحصيل أسئلة محظورة عن راهن عربي يبحث عن ذاته الشّاردة.

أوّلا-في البحث عن محراث الغد!: إنسان جديد؛ اتخذ البيئة الافتراضيّة كفضاء عمومي جديد لعله يكون بديلا عن الفضاء التّقليدي. داخل هذا الفضاء المتملّك تنشئة رقميّة وتفاعل رقمي. الصّورة: إدراك مختلف وممارسة لافتة. المساءلة هنا ونحن نتحدث عن برمجة العقل عن طبيعة الممارسة: قد تكون سلميّة وقد تكون عنيفة!!. بل ويمكن الذّهاب إلى ما هو أبعد: بناء أطر (جمع إطار) اجتماعيّة عابرة للحدود.

أمام هذا التّوجه الكوني نشكل موضوع التّفاعل بمساءلة الفضاء الافتراضي عن الممكنات الشّاردة التي تسمح بالاستثمار الأفضل لتكنولوجيا المعلومات والإعلام الاجتماعي. الحديث هنا تحديدا عن ثورة رقميّة تسهم في إنشاء قبائل افتراضيّة وكيانات الكترونيّة تكون هي ذاتها الكتلة الحرجة التي تخرج الأمّة من التيه إلى الرّشاد عبر خطابات تفاعليّة جامعة.

إنّ العقل بطفرة الانتقال من السّذاجة المتوحشة إلى الإدراك الفائق يسهم دون شكّ في رصد مخرجات الواقع المعمول لتكون القطيعة والتّجاوز. بعد ذلك يأتي البحث في الخيارات المتاحة. لعلّ منصات التّواصل الاجتماعي تسمح باختصار المسافات التّفاعليّة بحثا عن بدائل أفضل لإنتاج نص فائق هو نص الاختلاف والتّنوع في إطار الوحدة.

ثانيا-من الصّناعة إلى المعلومات: شهدت العقود الأخيرة تحولا كبيرا في طبيعة الحياة البشريّة على الأقل في قسم كبير من العالم. لقد انتقلنا من مجتمع يعتمد على الصّناعة والمواصلات إلى مجتمع يعتمد على المعرفة والمعلومات[2]، حيث نظم الاتصالات أهم عناصر البنيّة التّحتيّة، ومدى كفاءتها تحدد أهم مؤشر لقياس مدى جاهزيّة المجتمع لدخول عصر اقتصاد المعرفة[3].

ثمة عوامل أسهمت في إحداث النّقلة يأتي على رأسها ظهور شبكة الأنترنت التي أصبحت وسيط الاتصال الأوّل. وقد أحدثت هذه الشّبكة الفريدة ثورة في مفهوم التّواصل الانساني سواء من حيث تنوع وسائله، أم اتّساع نطاقه وسرعة إيقاعه[4].

إنّه المجتمع الشّبكي[5] وهي عبارة تنطبق على المجتمعات التي تظهر فيها خصيصتان أساسيتان: الخصيصة الأولى تتمثّل في أن هذه المجتمعات توجد فيها تقانة معقّدة (رقميّة على وجه التّحديد) من الاتصال وإدارة/توزيع المعلومات على نحو شبكي، تقانة تشكل البنيّة التّحتيّة الأساس التي تتوسّط عددًا متزايدًا من الممارسات

الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، أمّا الخاصيّة الثّانيّة والأكثر غرابة، إذا صحّ التّعبير، في المجتمعات الشّبكيّة فهي إعادة إنتاج الشّبكة ومأسّستها في كلّ مكان من المجتمعات الشّبكيّة وبينها (باعتبارها الشّكل الأساس للتّنظيمات والعلاقات الإنسانيّة، عبر نطاق واسع من الهيئات والجمعيات الأهليّة والسّياسيّة والاقتصاديّة).[6]

إنّنا أمام تطوّر طبيعي للثّورة المعلوماتيّة حيث الواقع الافتراضي المؤسّس لنمط جديد من التّعامل والتّفاعل والتّواصل ضمن سياقات ما بعد الحداثة والعولمة. إنّه **الفضاء السّايبري** حيث مرحلة القطيعة مع النّماذج الاتصاليّة التّقليديّة في إدراك الواقع وإدارته، والرّؤيّة الجديدة القائمة على قيمة التّفاعليّة والتّواصليّة والشّفافيّة.

لقد تجلّى الرّبط بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في ظهور وسائل التّواصل الاجتماعي التي أدّت بمرور الوقت دورا بارزا في تشكيل اتجاهات الرّأي العام وبناء القناعات الذاتيّة والمواقف والآراء تجاه مختلف القضايا والأحداث في مختلف المجالات.[7]

إنّنا أمام تجمعات اجتماعيّة تشكلت من أماكن متفرقة في أنحاء العالم تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضّرورة حدود جغرافيّة أو أواصر عرقيّة أو قبليّة أو سياسيّة أو دينيّة، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التّواصل الاجتماعي الحديثة، ويطوّرون فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة وقواعد الدّخول والخروج وآليات التّعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها. إنها المجتمعات الافتراضيّة حيث تنتهي الجغرافيا ويبدأ التّاريخ.

ثالثًا-إعصار سبّبته أجنحة فراشة: عندما يقول النّاس: «**إنّ من سمات القيادة التّمتّع بالرّؤيّة**» فهم يشيرون بذلك عموما إلى قدرة القادة على النّظر إلى المستقبل وترجمة ما يرونه بطريقة تقنع من يحيط بهم لكن الرّؤيّة في نظر بعض القادة تعني ما هو أكثر من ذلك: إنّه القدرة على رؤيّة ليس فقط ما يدور في رأس كل شخص بل وما ليس في استطاعة الأذكياء من النّاس رؤيته، ولك أن تسميها رؤيّة ما هو غير مرئي.[8]

لعلّ رؤيّة **(مارك زوكربيرج)** تشكّل مثالا مفيدا على رؤيّة ما هو غير مرئي؛ فقد استطاع الفيس بوك وبقيّة منصّات التّواصل الاجتماعي نقل العالم إلى فضاءات اتصاليّة وتفاعليّة لم تكن تخطر ببال ربما الكثيرين من الأذكياء في هذا العالم؛ إلا بعض ما أنتجته قصص الخيال العلمي استثناء؛ إنّها القوة النّاعمة؛ آخرون يعجبون بك ويتطلعون إلى ما تقوم به فيتخذون موقفًا إيجابيًا من قيمك وأفكارك وبالتّالي تتّفق رغبتهم مع مارغيت مذهب في القيادة لا يحتاج إلى أسلحة تقليديّة؛ فقط القليل من الأدوات والكثير من الذّكاء في سياق القدرة على تحقيق التّواصل بين البشر دون حدود مكانيّة أو زمنيّة أو قيود على الحريّة. لقد أكّد كثير من الخبراء التّقنيين أن وسائل التّواصل الاجتماعي تسيطر في الوقت الرّاهن على نحو 71 في المئة من السّوق الإعلاميّة والاتصاليّة عالميا.[9] كان موقع (gadgetsnow) قد سلط الضّوء على أن موقع فيس بوك سيكون الموقع الأول في العالم وسيصل عدد مستخدميه إلى **2 مليار** مستخدم نشط حول العالم قبل نهايّة 2017، وهذا وفقا لمعدلات النّمو الجديدة في عدد مستخدمي الموقع في بلدان جديدة مثل الهند. الفيس بوك أيضا الشّبكة الاجتماعيّة الأكثر رواجاً في البلدان العربيّة، وتشير الإحصاءات بدايّة عام 2017 إلى وجود ما يقرب من 156 مليون مستخدم فعال ومتفاعل

بزيادة 41 مليون مستخدم مقارنة بعام 2016، الذي كان فيه إجمالي عدد المستخدمين في الدّول العربيّة 115 مليونا.[10]

إنّها قبيلة الفيس بوك وأمّة گوگل ودولة اليوتيوب وقبائل الإنستغرام وشعوب تويتر، وقس على ذلك؛ في عالم تبدو الغرائبيّة فيه سمة بارزة حيث الواقع متعدّد والزّمن مختصر والمسافات ملغاة والممكنات حاضرة وشاردة في آن، والأسئلة كلها تنصهر في: **ماذا بعد!؟**

رابعا-للاختلاف خلقهم: إنّنا أمام تنوّع مؤسّس على تميز حيث تُطلب الخصوصيّة؛ ولكنّها لا تتأتّى إلا في إطار الوحدة والجامع. هذا تصور حول خطابات منتجة لا تميل إلى التّشرذم أو القطيعة أو التّمزق ولا إلى الواحديّة القمعيّة في الجانب المقابل، المشكلة في الخطابات الالكترونيّة ضمن نسختها العربيّة يكاد جزء منها ليس بالقليل ينتسب إلى عقول دوغمائيّة مسيّجة لا تستوعب أنّ الاختلاف حق وجودي والتّعدديّة من سنن الفطرة، وأحديّة الخالق سبحانه إذ جعلت الخلق الإلهي واحدا ﴿**مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾[11]؛ جعلت المخلوقات متعدّدة تذهب في الاتّساع حتى لتعز عن الحصر والإحصاء ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[12].

النّص العربي في فضائه الافتراضي عبر منصّات التّواصل وغيرها لا يعدو أن يكون إعادة إنتاج لخطابات الواقع المادي والتّاريخي، لسنا أمام واقعين؛ إنما هو واقع بنسخ مكرّرة، واقع لم يدرك أن التّعدّديّة جعل إلهي وليست مجرد وضع مباح أو حق مكفول، فالإنسانيّة واحدة والشّعوب والقبائل شتى والأصول توحّدت في الرّسالات واختلفت في الشّرائع، وفي أمة الرّسالة الخاتمة حيث وحدة الشّريعة تعدّدت الأحكام والحاكميات والفتاوى والاستنباطات.[13]

خامسا-نصّ متشعّب وعقل أحادي: حين صكّ **تيد نيلسون (Ted Nelson)** مصطلح **(hypertext)** أو النّص الفائق في ستينيات القرن العشرين ظهرت معه وبالضّرورة المعرفيّة مفاهيم ذات علاقة منها الوسائط الفائقة ثم كانت الوسائط الفائقة التّفاعليّة، ما يهم في المقام الأوّل هو تعريف النّص التّشعبي أو الفائق إذ هو اختصارا: النّص المعروض على جهاز الكمبيوتر مع وصلات إلى نص آخر تمكن القارئ من الوصول إليه على الفور، عادة عن طريق النّقر بزر الفأرة أو سلسلة من الضّغط على المفتاح **(ar.wikipedia.org)**.

إنّ بناء النّصوص الورقيّة يتم وفق آليّة التّسلسل في ترتيب النّصوص، في حين تبنى النّصوص المتشعّبة على أساس التّراكم، بحيث تتفرّع النّوافذ حاملة رؤى جديدة لموضوع واحد.

لقد ارتبط النّص الورقي بالحروف والألفاظ، قد يحمل هذا النّص صورا، لكنه لا يمكنه أن يحمل العناصر الصّوتيّة، وهذا كان يحدّ من قدراته التّواصليّة والتّفاعليّة، إن هذا التّنوّع في الوسائط لا يوازيه إلا التّعدّد في عرض وجهات النّظر التي يمكن أن تقدّم حول موضوع واحد، والمضاعفة اللانهائيّة لوجهات النّظر حول مفهوم أو موضوع؛ بحيث يمكن للقارئ أن يستوعب المفاهيم والموضوعات من منظورات ومواقف متباينة، مما يجعل القارئ على بينة من العلاقة بين وجهة نظر معينة وخصوصيّة تعريفها للموضوع ويصبح النّص المتشعب بمثابة

نص جامع يتيح إظهار طابع التّعدديّة الممكنة لتعريف الشّيء الواحد. من هنا يسعفنا النّص المتشعب في ربط تعريف ما بسياق ظهوره، وبالحقل المعرفي الذي يندرج ضمنه[14].

إنّها السّياقات الجديدة لعصر المعلومات؛ قد تسمح للبعض برؤيّة العالم بألوان قوس قزح إذ المعرفة لا ينتهي سقفها عند أحد؛ وبالتّالي نسبيّة الحقيقة، وقد تجعل آخرين يصرّون على فكرة تمركز الأنا تأسيسا لرفض الآخر المختلف. شبكات التّواصل الاجتماعي شبيهة بالنّصوص الفائقة وأيقوناتها؛ فضاءات مفتوحة للتنوّع والاختلاف ما يسمح بتحقيق الكثير من التّفاعليّة التّواصليّة والافتراضيّة ذات الطابع الخيالي. ما ثمة خطيّة ثابتة وإنما هي انتقالات هرميّة أو شجريّة.

سادسا-الإنسان ذو البعد الواحد: في عصر المعلومات والإعلام الاجتماعي الجديد قد يضيع الكل الذي ينتظم؛ فالأجزاء لا تعطي رؤيّة للعالم. هنا يكون البديل أهواء البشر، وقوى الشّر، وقانون الغاب، تغيب الإرادة الإنسانيّة فلا ترى إلا كمّا مصمتا وإن نطق، أما الواقع فمتخيل والإنسان مبعد عن عالم الإدراك المباشر.

ثورة المعلومات ومنصات تواصلها أنتجت في جغرافيتنا العربيّة واحدا من اثنين؛ منغمس أو منكمش مال بعض شباب الأطراف إلى المركز طالبا الخلاص وانكفأ آخر على ذاته رافضًا الغرب محتقرا حداثته.

تفكير الأزمة هذا أبعدنا عن الخيارات البديلة بل وجعلنا نتنكّر للأفضل وهو الاستجابة الفاعلة لمنتجات المركز، وبين الإفراط والتّفريط تتحوّل منصات التّواصل الاجتماعي إلى فضاءات للدعايّة والتّرويج؛ فالصّمت كساد والاستهلاك تسويق وبدل أن يبدع العقل يعجز ويكسل، ربّما ما عاد العربي يتساءل فقد فَقَدَ الدّهشة والتّعجب[15]وغدا الإقصاء همّه إذ مال إلى التّبوير بدل التّنوير والتّكفير عوض التّفكير، والقادم قد يكون أخط.

سابعا-الاستدراك ممكن.. وعي المعرفة شرط: الاختلاف قيمة عالِمة **(savente)** تحتاج إلى أجرأة على مستوى السّلوك ليصبح الانسان صاحب نزعة في السّلام والتّسامح. يقدّم الإستراتيجي الأمريكي **صاموييل هنتنغتون(SamuelHuntington)** قراءة للواقع الدّولي مشيرا إلى موقعيّة وخطورة **فلسفة الاختلاف والهويّة** فيقول: «أصبحت الهويّة الثّقافيّة هي العامل الرّئيسي في تحديد صداقات دولة ما وعداواتها، وبينما كانت دولة ما تستطيع أن تتجنب الانحياز أثناء الحرب الباردة، إلا أنّها لا يمكن أن تفقد هويّتها، سؤال: إلى أيّ جانب أنت؟ حل محلّه سؤال من أنت؟ وعلى كل دولة أن تجد له إجابة، هذه الإجابة هي هويّتها الثّقافيّة وهي التي تحدّد مكان الدّولة في السّياسة العالميّة كما تحدّد أصدقاءها وأعداءها». [16]

ويضيف:« في عالم اليوم أدّى التّحسّن الذي حدث في مجالات الانتقال والاتصال إلى تفاعلات وعلاقات أكثر تكرارًا واتّساعًا وتناسقًا وشمولا بين شعوب من حضارات مختلفة، ونتيجة لذلك أصبحت هويّاتهم الحضاريّة أكثر بروزا، الفرنسيون والألمان والبلجيك والهولنديون يتزايد تفكيرهم في أنفسهم كأوروبيين، مسلمو الشّرق الأوسط يتوحدون ويهرعون لمساعدة البوسنيين والشّيشان، الصّينيون في آسيا كلها يوحّدون مصالحهم، الرّوس يتوحدون مع الصّرب والشّعوب الأرثوذوكسيّة الأخرى ويدعمونها، هذه الحدود الأوسع للهويّة الحضاريّة تعني وعيًا أعمق بالاختلافات الحضاريّة والحاجة إلى حمايّة ما يميّز"نحن"عن" هم"». [17]

في عصرنا الحاضر أضحت استراتيجيات الدّول؛ صداقاتها وعداواتها وعلاقاتها فيما بينها تتحدّد وبالدّرجة الأولى من خلال **فلسفة الاختلاف والهويّة الثّقافيّة**، ونظريات **هنتنغتون** عن صدام الحضارات تمثل الأساس النّظري لذلك التّوجّه الاستراتيجي العالمي الجديد.

لعلّ إحدى المفارقات الأساسيّة لهذا العصر الذي نعيشه هي هذا التّناسب العكسي بين ثورة الإعلام والتّواصل وانفتاح الفضاءات المغلقة من جهة، وانبعاث الخصوصيات، والهويّات الصّغيرة، وكل أشكال الارتداد إلى الذات وبموازاة ذلك استفاقة أشكال النّزاع والصّراع بين الثّقافات من جهة أخرى.

ولعل هذا ما أشار إليه الأنثروبولوجي الفرنسي **جيرار لوكلرك (Gérard Leclerc)** حين قال: «علينا في أبسط الأشياء أن نعيد التّفكير في الإشكاليّة التّاريخيّة والسّوسيولوجيّة للشعور بالمركزيّة إذ لم يكن صنيع الأوروبيين المحتلين ما أطلق عليه اسم الإثنيّة المركزيّة (العرقيّة) وحدهم بل كان صنيع العرب والصّينيين والهندوس بل صنيع أهل الاسكيمو وهنود الأمازون»[18]. والتّقوقع داخل هذه المركزيات هو الذي يطرح مشكل التّعايش بين هذه الأنساق العقائديّة ويهدّد البشريّة بالحروب والنّزاعات.

الجماعات البشريّة اليوم تعيش أزمة صراع هويّات انكفائيّة، وتعيش تناحر مركزيات إثنيّة وعقائديّة، وهذه الصّراعات أصبحت شاخصة للعيان على المستوي المحلي أو الإقليمي أو العالمي.

إنّ إحدى وظائف البحث المعاصر خاصة الأنثروبولوجي منه هو تفكيك مرتكزات الهويّات المغلقة الدّوغمائيّة الأرثوذكسيّة والبحث عن محدّداتها وتجلّياتها، قصد تجاوزها، ومن مهامه أيضا تشخيص البدائل وطرح استراتيجيات جديدة لهويّة متسامحة ومنفتحة، والتّرويج لقيم النّسبيّة الثّقافيّة التي تسهم في إحلال التّعايش السّلمي بين بني البشر.[19]

ثامنا-منصّات التّواصل الاجتماعي والعصف التّساؤلي: على مستوى التّنظير؛ الواقع الافتراضي سابق في الوجود عن الواقع المادي والتّاريخي، إنّنا بحاجة إلى باراديغمات تمنح معرفة ترنو إلى فهم، فما يصنع المستقبل هو المعنى، نحن تائهون في اللفظ داخل الفضاء الافتراضي تصبح المهمة السّوسيولوجيّة تفجير الأسئلة على الخصوص النّاقدة منها، لابد أن نتصّل بدوائر الانشغال وآليات الاشتغال[20]، وبلغة **باشلار**؛ الكيميائي مُجبر على مقاومة الخيميائي.

إنّ سوسيولوجيا الفضاء الافتراضي تطلب الأسئلة الممنوعة من التّداول، ثمّة سجالات في راهننا العربي بكل أبعاده؛ داخل شبكات التّواصل يتم التّفجير وركاميات المواجهات الافتراضيّة تخبرنا أننا نتحوّل ولكن داخل دائرة الاستمراريّة؛ إنها ثورة السّاكن وحركيّة العابث والعدم حتميتنا التّاريخيّة؛ فلا تطلب نتائج مختلفة بذات المقدمات.

لماذا منصات التّواصل الاجتماعي؟ سؤال متأخّر ولكن؛ لا يتوقف عن الانبعاث، فخطابات الكراهيّة لا تزال قائمة، تتجدّد لتجنّد الآلاف من الذين لم يفيدوا من هذه المنصّات ولو عنوانا؛ أليس التّواصل هو الهدف؟ ثمّة أعطاب كثيرة في عقلنا الإدراكي وجهازنا المفهوماتي، لم نستوعب بعد أنّ العصر منفصل عن حوامله الماديّة الانتساب الزّماني مرتبط بعالم الأفكار لا بعالم الأشياء، من هنا تشكّلت الأزمة التّواصليّة إذ لا تعارف ولا حوار بل صراع وتصدّع.

حين يغيب الفهم والتّفهّم والتّفاهم تقع الكارثة؛ وقد اكتفينا بإدارتها، هذا مذهبنا في العجز وقد عاقبتنا الطبيعة بالكسل لأننا فقط لا نعمل ولا نبدع ونرفض التّفكير خارج الصّندوق، أما التّواصل التّفاعلي فلا حضور له إلا في أحلام المتفائلين، عجزنا عن النّمو داخل فضائنا الافتراضي ورضينا بأعطابنا الاجتماعيّة، لم تنتج **التّقانة الثّقافيّة** التي نرغب فيها فلا تزال ثقافتنا ساكنة غير متحركة في التّاريخ؛ نحن نعيش على هامش الحضارة.

تاسعا-تراتبيّة تحتاج إلى قيادة: الممارسات التي تتفاعل داخل الفضاء الافتراضي ميزة البعض منها غياب الضّمير؛ وإن وجد فغياب الخيال والرّؤيّة. ما يحتاجه الفاعلون الوطنيون الوعي بضرورة الحضور والمشاركة. فكرة الغياب تجاوزها الزّمن وما نحتاجه اليوم إنتاج ثقافة إلكترونيّة تسير قاطرتها على سكتي الوطنيّة والمواطنة ضمن مبدأ تشاركي هدفه الإنجاز وغائيته تحقيق الرّؤيّة. وكل هذا إنّما يتأتى من خلال الدّور المركزي لمؤسّسات التّنشئة تصورا وتصرفا، وعيا وسعيا.

هناك مبادئ أساسيّة تحكم الاتصلات الإنسانيّة، والتّعايش مع تلك المبادئ أمر في غايّة الأهميّة. ثمّة قيم ينبغي أن تتشكل داخل عقلنا الجمعي: الاحترام، القدرة على الانصات، الصّبر، الفهم.[21] ولعلّها القيم الأولى التي وجب التّركيز عليها ضمن أي مشروع تربوي يستهدف الأسرة لأجل مناعة هوياتيّة تتجدّد ولا تتبدّد .

إننا ننشأ داخل فضاءات ثقافيّة متعدّدة صار الواقع الافتراضي اليوم جزءا لا يتجزأ منها. ما نحتاجه اليوم ضرورة استيعاب طبيعة المؤسسات الجديدة للتنشئة الاجتماعيّة. إنّ فهم الأدوار شرط لازم حتى لا يكون ثمّة خلل. فحين يغيب التّواصل المادي ابتداء ثم التّواصل الافتراضي نكون أمام مشكلة ستحيلنا بالضّرورة إلى واقع اجتماعي معطوب. وهنا يكون الخلل: الغياب رغم الحضور والاغتراب رغم الاقتراب!!.

نحتاج أن ننشئ في الذهن ثقافة تؤمن بالاختلاف في إطار الوحدة مستثمرة الأدوات الاتصاليّة الجديدة المشاركة في التّعلم يبني هذه الثّقافة الجماعيّة المنشودة.

إننا بحاجة لأن ننعتق من ضمير المفرد (أنا) وننصهر في ضمير الجمع (نحن). إن إحدى أكبر خطايا الممارسات داخل الفضاء الافتراضي انكفاء الأفراد على أنفسهم. وهذه الفردانيّة تؤسس لنماذج جديدة تضر بالممارسات الجميلة المتوارثة ثقافة تعبر عن هويتنا.

عاشرا-من الاستقالة إلى التّجنيد: العقل العربي مأخوذ مستلب، لا بدّ أن يطرح في عودة المتسائل قلقه وهمّه باحثا عن أسئلة لأدواء عصره، يحتاج إلى منهجيّة تعيد توجيه النّداء: **إذا أردت أن تغيّر التّاريخ غير نفسك**، وحتى تغير نفسك هيئ لها الجو الثّقافي المتحرّر، إنّنا بحاجة إلى تعبير أصيل عن تركيبنا الحضاري فالمنافسة المعاصرة بين الدّول صراع مكشوف بين الثّقافات والازدهار الحضاري مرهون بسلامة استراتيجيّة الثّقافة.

إنّ ثقافة المستقبل تقوم على استراتيجيّة التّجنيد وتتحرّر من استراتيجيّة الاستقالة، ولا بديل في الأفق، إلا أن تعتمد ثقافتنا على استراتيجيّة تمكّن الضّمائر الواعيّة في المجتمع من المشاركة في تقويم الذات، وتطوير البيئة وتحرير المجتمع من ثقافة الصّمت وسلطة الاستبداد.

إنّ الإعلام الاجتماعي ومن خلال منظومة منصّاته التّواصليّة يمكن بمدإ الرّشد أن ينتقل بالطاقات من الاستهلاك السّلبي والتّحجير على الفكر والإبداع إلى الحركيّة والابتكار الجماعي، بما يحفظ نوعيّة المجتمع وينمّي فكره وعطاءاته.

بهذه الفلسفة لا يكون حديث عن النّهايات؛ إنما هي بدايات لعصر جديد يؤمن بالاختلاف ويؤسّس له ويدعو إليه ويتبنّى مقولاته في إطار فلسفة التّعدّديّة القائمة على التّنوّع.

هل يمكن أن نتحدّث عن حشد إلكتروني مؤطّر يصنع حالة مناعة ثقافيّة داخل الفضاء الافتراضي يوجّه البوصلة باتجاهها الصّحيح حيث الاحتشاد ضمن إطار موحّد؟.[22]

إنّ قوى الشّر تأخذ فاعليتها من استقالة الخيّرين؛ تمتدّ حين ينسحب دعاة العدل، تتغوّل حين تسقط رايات الفضيلة، منصات التّواصل الاجتماعي فضاء مفتوح لعقول تناضل من أجل الإنسانيّة حقا وجمالا وخيرا.

أحد عشر-من الاهتمام إلى التّأثير: بين الأسرة والدّولة فضاء مؤسّساتي يسميه (هيگل) المجتمع المدني. هذا المجتمع يتشكل ضمن أطوار وله مجموعة من الأدوار والوظائف. وحتى نخرج من دائرة الهموم إلى دائرة الفاعليّة نطرح فكرة المجتمع المدني الإلكتروني وهو عبارة عن مؤسّسات تتشكل داخل الفضاء تمتلك رؤيتها ورسالتّها وكذا قدرتها على التّأثير في مجموع المواطنين الافتراضيين. إننا أمام هيكلة إلكترونيّة تتلاقى حركيتها الدّيناميّة مع رؤيّة الدّولة؛ فالطبيعة لا تقبل الفراغ والهدف المسطر مكسب مشترك وأوّل التّركيز في رؤيّة مؤسّسات المجتمع المدني الأسرة والفاعلون فيها.

ينبغي أن نفهم أنّ أجيالنّا الجديدة لها منطقها الخاص واحتياجاتنا المختلفة عنا وفكرة التّصادم معهم لا تفضي لأي شيئ وأسلوب الاستماع يشكل قمة الجبل الجليدي والرّغبة المخلصة للفهم الحقيقي هي قلب الجبل عينه[23].

نحن لا نرى العالم كما هو بل نراه كما نعتقد أو كما اعتدنا رؤيته وبالتّالي غياب الفهم غياب للإيجابيّة. إنّ المجتمعات الإيجابيّة رصيدها من التّأثير في أفرادها كبير فقط لأنها تعرفهم جيدا وهنا يكون الحديث عن مراكز ذات أبعاد تخصّصيّة تولي الجانب الأكبر من بحوثها ودراستها نحو معرفة الجانب السّيكولوجي والسّوسيولوجي لمواطنيها؛ تبحث في انفعلاتهم وإدراكاتهم وما الذي يشكل تصوراتهم ويؤثر في قراراتهم ليسهل بعد ذلك تشكيل هيئات للتأهيل الأسري وتجاوز الأعطاب السّوسيو سيكولوجيّة للعوائل.

لقد توسعت دائرة منصات التّواصل الاجتماعي وتطاول بنيانها المفاهيمي والتّقني، ثمة كائنات تقيم في الفضاء الرّقمي. ثم إن الفاعلين في المنصات يتكاثرون ويشكلون كتلا إلكترونيّة فإما حشد إيجابي منتج أو تجمع إلكتروني فاسد ومفسد وفي أحسن الأحوال مستهلك.

– **خاتمة:** يشتغل الباحث عادة في خاتمة بحثه على نتائج يرصدها، مذهبنا في خاتمة بحثنا مختلف لا لشيء إلا لأنّ فكرة موضوعنا قامت على محاولة فهم هذه الجغرافيا الجديدة الممتدّة عبر الزّمان والمكان والإنسان، شَغلنا المعنى والرّمز.. دفعتنا الأيقونات إلى إدراك مختلف: العالم أكبر من أن يلوَّن بلون واحد، لا بد أن نعترف بالاختلاف ونؤمن بالتّعدّد، ثم تكون الأخرى وحدة تستثمر في التّنوّع لأنّه مصدر قوّة لا عنوان تناقض وتضاد.

التّدبير عندنا إذا أراد أن يخرج من شرنقته وجب عليه أن يحوّل مقولة الخبير الياباني **(كونوسوكي ما تسوشيتا)** إلى رؤيّة وبرنامج عمل، جاء في التّعبير الذي يحتاج إلى تفكير: «إنّ التّدبير عندنا هو كيفيّة تجنيد ذكاء الكل، لصاح مشروع يخدم الكل».[24]

لتكن البدايّة في الإفادة من تقانة تسمح بالتّواصل والشّفافيّة والانفتاح وقبول الآخر بعيدا عن كل وصايّة مهما كان نوعها أو شعارها أو مرجعها، فالنّاس سواسيّة والمجتمعات التّعدديّة مجتمعات منتجة أمّا الأحاديّة فمستهلكة للقمع والإكراه والرّفض وعاجزة عن التّجاوز وتحقيق التّنوع في ظل الوحدة والاختلاف في إطار التّضامن.

ولتبدأ الحكايّة من إطلاق منصّات في الفضاء الرّقمي تؤسس لوعي يقوم على منهج تكاملي للثنائيات منها ثنائيّة الاختلاف والائتلاف توافقا لا تعارضا، فالإمكان قائم والإرادة تصنع الفارق في معادلة التّغيير.

ثبت المصادر والمراجع (مرتبة حسب ورودها):

[1] سورة الرّعد، الآيّة 4.

[2] كيت ديفلن: الانسان والمعرفة في عصر المعلومات، تعريب: شادن اليافي، السّعوديّة: مكتبة العبيكان،2001، ص:18.

[3] نبيل علي ونادية حجازي، الفجوة الرّقميّة، الكويت: مطابع السّياسة،2005، ص:163.

[4] المرجع نفسه، ص: (164-165).

[5] دارن بارني، المجتمع الشّبكي، ترجمة: أنور الجمعاوي، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت:2015 ص:30.

[6] بارني، المرجع نفسه، ص:31.

[7] جمال سند السّويدي، وسائل التّواصل الاجتماعي ودورها في التّحولات المستقبليّة: من القبيلة إلى الفيسبوك، الإمارات العربيّة،2013، ص:09.

[8] موكول باندیا وروبي شيل، نخبة القادة الإداريين، ترجمة: مركز التّعريب والتّرجمة، لبنان: الدّار العربيّة للعلوم،2005 ص:167.

[9] جمال سند السّويدي، مرجع سابق، 20.

[10] إحصاءات مستخدمي الأنترنت في الدّول العربيّة، يونيو2017، تاريخ الزّيارة30-08-2017، متاح على الموقع : https://weedoo.tech/ar

[11] سورة الملك، الآيّة 03.

[12] سورة لقمان، الآيّة 27.

[13] محمد عمارة، الإسلام والتّعدديّة، مصر، دار السّلام، 2011، ص:68.

[14] محمد مريني، النّص الرّقمي وإبدالات النّقل المعرفي، الإمارات: كتاب الرّافد، العدد 089 مارس 2015، ص: 61.

[15] حسن حنفي، ثورة المعلومات بين الواقع والأسطورة، كتاب جماعي، الطريق إلى مجتمع المعرفة، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة،2008، ص:38.

[16] صامويل هنتنجتون، صراع الحضارات...، ترجمة: طلعت الشّايب، ط 02، سنة 1999، ص: 203.

[17] محمد التّميمي، العولمة وقضيّة الهويّة الثّقافيّة في ظل الثّقافة العربيّة المعاصرة،2001، ص:224.

[18] جيرار ليكرك، العولمة الثّقافيّة: الحضارات على المحك، ترجمة: جورج كتورة الإمارات، دار الكتاب الجديد،2004 ص57.

[19] فرعون حمو: فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة تلمسان، الجزائر،2009-2010، ص:08.

[20]عبد الرّحيم العطري، العلوم الاجتماعيّة والتّحولات السّياسيّة، ورقة مقدمة لندوة العلوم الاجتماعيّة والتّحولات السّوسيولوجيّة المنظمة من طرف طلبة علم الاجتماع كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة ابن طفيل القنيطرة، الأربعاء 05 ماي 006 على الرّابط: http://www.m.ahewar.org

[21] ستيفن كوفي: العادات السّبع للأسر الأكثر فاعليّة، السّعوديّة، مكتبة جرير، ط1، 2005، ص22

[22] مالك بن نبي، آفاق جزائريّة ترجمة: الطيب الشّريف، الجزائر، مكتبة النّهضة، دت.

[23] المرجع نفسه، ص259

[24] محمد بريش، مجلة الانسان، سنويو، فرنسا، ع14، السّنة الثّالثّة،09-11-1999، ص:77.

الثّراء اللّغويّ العربيّ وتأثيره الثّقافيّ والمَعرفيّ في الحَضَارة الغربيّة.

د. عبد الله باوني
جامعة تبسة

الملخّص: توجّهت جهود كثير من العلماء والمفكّرين المسلمين الأوائل إلى المحافظة على سلامة اللّسان العربي، وتركّزت دراساتهم على فكرة استقصاء النّص القرآني، ودراسة الظّواهر اللّسانيّة العربيّة من خلال التّراكيب اللّغويّة القرآنيّة وكلام العرب وأشعارهم، فتمكّنوا من ضبط مناهج دقيقة أثمرت بحوثا علميّة رائدة، ثم توسّعت دائرة أبحاثهم إلى مختلف المعارف والعلوم كالطّب والرّياضيّات والكيمياء... لتكلّل جهودهم بظهور حضارة عربيّة عريقة ذات طابع ثقافي إسلامي متفرّد، شمل جميع مناحي الحياة، امتد من الصّين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربا. ولأنّ الحضارة كالشّمس كما وصفها (مالك بن نبي) عندما تتحرك تضيء كلّ جهات الأرض، أو كما عنونت (زيغريد هونكه) أحد كتبها بـ: (شمس الله تسطع على الغرب)، فقد كان لزاما أن تنتقل كثير من العلوم العربيّة إلى الغرب حاملة معها ثقافتها الإسلاميّة الخالصّة، واعترافات المنصفين في ذلك كثيرة أمثال (سلفستر دي ساسي)، و(فان هومبولت)، و(نعوم تشومسكي) الذي اعترف باطلاعه على النّحو العربي الذي شكل بعداً من أبعاد ثقافته، وأنّ خيراً كثيراً فاته لعدم اتقانه اللّغة العربيّة كما صرح في مداخلة له مؤخّراً بجامعة الوادي الجزائريّة. ويهدف هذا البحث إلى دراسة بعض أوجه التّأثير الثّقافي والمعرفي للغة العربيّة في الحضارة الغربيّة، والتي شرّفها الله عزّ وجلّ بأن تكون لغة آخر كتاب سماوي عالمي، فصارت بذلك لغة دين كوني لا لغة جنس بشري، وقدّر لها أن توحّد الشّعوب المختلفة ذوات اللّغات المتباينة تحت لوائها، لتصبح بمضي الوقت لغة عالميّة للعلم والثّقافة وشؤون الحياة، انطلاقًا من ثرائها المرتبط بالثّقافة الإسلاميّة القرآنيّة الأصل، ومن خلال طريقة معالجة الظّواهر اللّغويّة المستندة إلى تحويل مركز الاهتمام من السّلوك الفعلي الظّاهر إلى الثّقافة المعرفيّة التي تكمن وراء استخدام اللّغة وفهمها عند الباحثين والمتكلّمين على حد سواء، ما يدلّل على أنّ لغة كل أمّة روح ثقافتها، فلا يمكن للثّقافة من حيث هي ممارسة حياتيّة أن تستغني عن اللّغة بوصفها أداة التّعبير الأساسيّة لهذه الممارسات.

الكلمات المفتاحيّة: اللّغة العربيّة؛ الثّقافة؛ المعارف؛ التّأثير؛ الغرب.

Abstract: The efforts of many early Muslim scholars and thinkers were directed toward preserving the integrity of the Arabic language. Their studies focused on meticulously examining the Quranic text and analyzing Arabic linguistic phenomena through Quranic linguistic structures, Arab speech, and poetry. They succeeded in establishing precise methodologies that yielded pioneering scientific research. Their studies then expanded to encompass various fields of knowledge and science, such as

medicine, mathematics, and chemistry. These efforts culminated in the emergence of a distinguished Arab civilization with a unique Islamic cultural character encompassing all aspects of life and extending from China in the east to the Atlantic Ocean in the west.

As civilization is like the sun, as described by Malek Bennabi, when it moves, it illuminates all corners of the earth, or as Sigrid Hunke titled one of her books: Allah's Sun Over the West, it was inevitable for much of Arabic science to transfer to the West, carrying with it its pure Islamic culture. Many fair-minded individuals such as Sylvestre de Sacy, Wilhelm von Humboldt, and Noam Chomsky, have acknowledged this transfer. Chomsky admitted to drawing upon Arabic grammar which formed one of the dimensions of his intellectual framework. He also expressed regret over the significant benefits he missed due to his lack of proficiency in the Arabic language, as he recently stated during an intervention at the University of El Oued in Algeria.

This study aims to explore some aspects of the cultural and intellectual influence of the Arabic language on Western civilization. Allah, the Almighty, honored this language by making it the medium of the last universal heavenly scripture, thus elevating it to the status of a universal language for a divine religion rather than that of a specific ethnicity. Over time, Arabic united diverse peoples with different languages under its banner, becoming a global language for science, culture, and life affairs. This status stems from its richness, deeply rooted in Islamic Quranic culture and its unique approach to addressing linguistic phenomena. This approach shifted the focus from observable behaviors to the underlying cultural knowledge that informs language use and comprehension among both researchers and speakers. This underscores the idea that the language of a nation embodies the spirit of its culture. Culture, as a lived experience, cannot dispense with language as the primary means of expressing such practices.

Keywords: Arabic language; culture; knowledge; influence; the West.

مقدّمة: تحولت العربيّة إلى لغة حضاريّة، وانسلخت من قوميتها السّابقة منذ أن اختارها الله عزّ وجلّ وعاء لكلامه، وأداة لتبليغ رسالتّه إلى النّاس، فصارت لغة دين كوني لا لغة جنس بشري، وانتشرت خارج موطنها الأصلي لأنّها كانت تابعة لانتشار الإسلام في الأرض، ولأنّ جزءًا مهمًّا من العبادات لا يؤدى بغيرها، ولا سبيل إلى معرفة شرع الله إلا بمعرفة اللّغة العربيّة، هذه اللّغة التي أقامت بديوانها الثّقافي أعظم حضارة في عصرها وأسّست لقيام حضارة عصرنا هذا في شتى الحقول المعرفيّة، فقد أبدع أصحاب هذه الحضارة في الآداب والفلسفة وعلم الكلام وكانت لهم الريادة في الرياضيات وعلم الفلك والجغرافيا ومناهج العلوم وفلسفتها، وبرعوا في العلوم الإنسانيّة كاللسانيات والشّرعيات والتّاريخ وابتكروا في الكيمياء والفيزياء والميكانيك والبصريات والطب وعلم التّشريح وعلوم النّبات والمعادن وفنون الصّناعات والعمارة، وغير ذلك من فروع المعرفة التي لازال بعضها محفوظا ليومنا هذا باللّغة العربيّة.

لقد دخلت لغات كثير من الشّعوب الإسلاميّة، غير النّاطقة بالعربيّة، طور الكتابة لأوّل مرة بواسطة الحرف العربي (القرآني)، كما أنّ دراسات لغويّة أثبتت أنّ النّسق التّركيبي والصّرفي تحسّن في تلك اللّغات عندما احتكت بالعربيّة، ومن ذلك اللّغة الإسبانيّة التي تفاعلت نسقيا مع اللّغة العربيّة في الأندلس، كما ذكر أحد المختصّين بقوله: "إنّ فضل العربيّة عن الإسبانيّة في تطورها فضل مزدوج، في جهة نجد الجانب المادي الذي يكمن في الألفاظ والمصطلحات والأنساق البنيويّة العربيّة، ومن جهة أخرى كانت العربيّة بمثابة الحافز الذي جعل الإسبانيّة تبحث عن صيغ وأدوات تمكنها من التّعبير عن مفاهيم جديدة، فالعربيّة إذا كانت كتلك المرآة التي أظهرت الإسبانيّة جوانب نقصها فعملت على تداركها".

كما أنّه من الثّوابت التّاريخيّة لاحتكاك اللّغة العربيّة مع غيرها أنّها لم تدخل مع أي لغة في صراع، حتى لو كانت لغة قبليّة بعيدة في جوانب الأرض، بل حرصت على استمرار تلك اللّغات، ونقلت إليها بالتّرجمة كتب الفقه الإسلامي لمزاولة الشّعائر الدّينيّة، فمن اختار الإسلام دينا يتعلم من العربيّة ما يقيم به دينه، ويتواصل مع قومه بلغته الأصليّة. فكان نتاج كل ذلك ثروة معرفيّة ضخمة، انتقلت فيها البشريّة من طور إلى آخر شملت كل ميادين العلم والمعرفة التي أسهم في إنتاجها كل من دخل في الدّين الجديد (الإسلام) من عرب وعجم.

1. اللّغات أصل الثّقافات الإنسانيّة والعلوم والمعارف: يجمع كثير من الدّارسين القدامى والمعاصرين أنّه لا يمكن للثّقافة من حيث هي ممارسة حياتيّة أن تستغني عن اللّغة، بوصفها أداة التّعبير الأساسيّة عن هذه الممارسات، وإذا اعتبرنا أنّ مدلول الثّقافة ملكة في العلم وإتقانٌ في العمل، فيصبح من الواضح أنّه من غير الممكن أن ترسخ هذه الملكة ويحصل هذا الإتقان بدون لغة، إذ هي مفتاح عام لأبواب العلوم والآداب والفنون ورسول أمين لأفكار الإنسان، ومظهر صادق لشواعره، ومرآة صقيلة تتطبع عليها عواطفه وغرائزه[1].

إنّ ثقافة أي مجتمع وتاريخه وعقله، لا يمكن أن تنفصل عن تاريخ لسانه، والعلامة اللسانيّة تمثل وعاء يتمثل في الشّكل الثّقافي ويستوعبه، ففي عصرنا، مثلا، يتم التّواصل العالمي في أغلبه باللّغة الإنكليزيّة، وذلك يعني أنّ البشر الذين لا توجد لديهم معرفة بالإنكليزيّة لديهم إمكانيات أقل نسبيا للتعبير عن أنفسهم وعن ثقافاتهم عكس من يتقنون الإنكليزيّة الذين لهم قدرة أكبر وأفضل على الكلام على أنفسهم وعن قيمهم وعن ثقافاتهم[2].

لذا يمكن تحديد علاقة اللّغة بالجوانب الثّقافيّة على النّحو التّالي:

- إنّ اللّغة قواعد خطابيّة مستمدة من مرجعيات ثقافيّة؛
- القوة الاستدلاليّة للعلامة اللّغويّة تستمد صيرورتها من ارتباطها بالثّقافة؛
- خصوصيّة النّظام اللغوي لأي خطاب تتمثل في الوعي الأبستمولوجي ذي المرجعيّة الثّقافيّة للمبدع؛
- الشّكل الخطابي هو تحول معرفي ناتج عن شكل ثقافي بالضرورة[3].

إنّ هذا التّداخل المعرفي بين المجالين هو الذي يخول لعلم اللّغة مراجعة فهم الأشكال الثّقافيّة في ضوء معارف جديدة غير تقليديّة، وهذا يدعونها إلى التّأكيد على أنّ علم اللّغة هو إعادة تركيب للثقافة في إطار إدراك المبدع للعالم، وقياسا إلى تصوره لطبيعة صياغة اللّغة داخل الخطاب ووظيفتها في جذب انتباه المتلقي.

إنّ لكل أمة ثقافتها الخاصّة التي تتصل بغيرها من الثّقافات، وتتفاعل معها قصد إحداث قدر من الثّراء والعمق والحيويّة، واللّغة بالنّسبة إلى الثّقافة ليست عنصراً من عناصرها فحسب، "بل إنها أساس كل أنواع النّشاط الثّقافي، ومن ثم فهي أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصّة لأي مجتمع معاصر"[4]، كما أنّ اللّغة ليست رداءً تلبسه الأمم متى شاءت، وتخلعه متى شاءت، إنّها "المادة التي كتب بها الأجداد ثقافة الأمّة وأدبها وعلومها، وسجلوا بها واقعها وأحلامها، وحقائقها وتخيلاتها، وتاريخها وكل ما يتصل بماضيها وحاضرها إنّها مستودع حضارتنا وجوهر ثقافتنا"[5].

ولغتنا العربيّة كغيرها من اللّغات هي أداة التّعبير عن حضارتنا وثقافتنا العربيتين، وهي لغة القرآن الكريم التي أنزله الله بها للعالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 03]. وهي من أصلح لغات الإنسان تعبيراً عنه وتسجيلا لعلمه وثقافته، وبما حملته الإنسانيّة من أدب وعلم وثقافة.

ويمكن القول دون تردد، إذن، أن ترجمة القرآن الكريم إلى لغة غير اللّغة التي نزل بها مضيعة للوقت، ولَوْناً من ألوان الضلال والتّضليل، "فلو أنفق هؤلاء المترجمون أوقاتهم في تعليم لغة القرآن وتعلمها لكان أحوط لهم وأنفع للناس، إذ كيف يمكن ترجمة نصوص القرآن الذي هو كلام الله المعجز للبشر مبنى ومعنى"[6].

ومن بين الشّهادات العربيّة المعاصرة في شأن اللّغة العربيّة ما كتبه المستشرق الفرنسي هنري لوسل في جريدة لوموند بعنوان: "اللّغة العربيّة والحضارة العربيّة الإسلاميّة تزودان الدّارس بنظرة جديدة إلى العالم"، يقول: "والواجب على من يتولون أمر الثّقافة في فرنسا أن يصنعوا بالنّسبة إلى العرب ما يصنعه أساتذة التّاريخ بالنّسبة إلى أوروبا، يجب أن يعلموا الأطفال الفرنسيين شيئا من الذخيرة الهائلة من الحضارة العربيّة، إنّ دراسة القرآن ولو كان دراسة سطحيّة تكشف للتلاميذ شيئا فشيئا تصوراً جديداً للعالم، والدّين الإسلامي يسري في حضارة القرآن كلها، وتلك ظاهرة قد تجوهلت كثيراً، فإذا تعمقناه استطعنا أن نفهم إلى حد كبير ما يجري في العالم العربي في أيامنا هذه"[7].

أمّا جوستاف لوبون فقد لخص كتابه (حضارة العرب) بقوله: "إن الأمم التي فاقت العرب تمدُّنًا قليلة للغايّة وإننا لا نذكر أمة، كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير ما حققوه، وإن العرب أقاموا دينا من أقوى الأديان التي سادت العالم، أقاموا دينا لا يزال تأثيره أشد حيويّة مما لأي دين آخر، وإنّهم أنشأوا من النّاحيّة السّياسيّة دولة من أعظم الدّول التي عرفها التّاريخ، وإنّهم مدنوا أوروبا ثقافة وأخلاقا"[8].

وإذا عدنا إلى تراثنا العربي فإننا سنجد اهتماما كبيراً وواضحا بموضوع الثّقافة وارتباطه بالعلوم والمعارف، ولا عجب في ذلك، فأول آيّة نزلت تحث على طلب العلم والمعرفة، وإنشاء ثقافة إسلاميّة تراعي كثيراً من متطلبات الإنسان في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، قال تعالى:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 01-04]، ثقافة طابعها إسلامي، تجيب عن جميع تساؤلات الإنسان في علاقته بغيره وبالكون الذي يحيط به وبخالقه، والسّبيل في ذلك كله اللسان، فما المقصود بالثّقافة عند العرب؟ وما علاقتها بالعلوم والمعارف؟

الثّقافة لغة: استعمل العرب كلمة الثّقافة للدلالة على معان متعددة كالحذق وسرعة الفهم، وتقويم المعوج وغيرها من المعاني[9].

الثّقافة اصطلاحا: اختلف في المفهوم الاصطلاحي للثقافة عند الباحثين وما تدل عليه، ومن أهم هذه التّعاريف الاصطلاحيّة هي: "المعرفة التي تؤخذ عن طريق الإخبار والتّلقي والاستنباط"[10]، كالتّشريع واللّغة والتّاريخ والفلسفة وغيرها من المعارف الإنسانيّة أو العقليّة، ومفهوم "العلم" من أقرب المفاهيم إلى مفهوم "الثّقافة" لذا فمن المهم توضيح بعض الفروق الهامة بين هذين المفهومين، والتي تتمثل في:

– العلم عالمي لا يختص بأمة دون أخرى، وأما الثّقافة فإن لكل أمة ثقافة تختص بها، ولذلك فإنّ العلم يمكن تبادله بين الشّعوب والأمم دون قيد أو شرط، بينما تحرص الأمم على ثقافتها وعلى نشرها بين الأمم وتمنع أبناءها من التّأثير بالثّقافات الأخرى حفاظا على شخيصتها؛

– الثّقافة تطبع الأمة بطابع خاص يميزها عن غيرها ويحدد شخصيتها وهويتها، أما العلم فلا علاقة له بذلك؛

– كل من العلم والثّقافة معرفة، لكل طريقة الوصول إليها (المعرفة) مختلفة عند كل طرف، فطريقة وصول العلم إلى المعرفة تقوم على التّجربة والملاحظة والاستنتاج، أما طريقة وصول الثّقافة إلى المعرفة فهي الطريقة العقليّة التي تقوم على التّلقي والإخبار والاستنباط؛

– حقيقة المعرفة التي يتوصل إليها العلم مختلفة عن التي تتوصل إليها الثّقافة، فالأولى تنتج أشياء ماديّة كالأدوات والأجهزة، أما الثّانيّة فتنتج سلوكا وعلامات على وجه ما؛

– العلم وظيفة العلماء الذين يقومون بالتّجارب داخل المختبرات، أما الثّقافة فهي من مهام الرسل والمفكرين ورجال الدّين الذين يشرفون على المجتمع والعلاقات الدّائرة فيه؛

– من الثّقافة ما هو سام يعلي شأن الإنسان ويرفع قدره، ومنها ما يهبط بالإنسان ويشقيه ويحط من شأنه[11].

الثّقافة الإسلاميّة: تعرف الثّقافة الإسلاميّة بأنها: "المعارف التي كانت العقيدة الإسلاميّة سببا في بحثها كعلم التّوحيد والفقه والتّفسير والحديث وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللّغة العربيّة ومصطلح الحديث وعلم الأصول"[12]، فهذه كلها ثقافة إسلاميّة لأن العقيدة الإسلاميّة هي السّبب في نشوئها وبحثها.

وترجع الثّقافة الإسلاميّة إلى الكتاب والسّنة، فمنهما اكتسبت جميع فروع الثّقافة الإسلاميّة، فقد نزل القرآن الكريم على الرسول – صلى الله عليه وسلم– ليبينه للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: 44]، وأمر المسلمين أن يأخذوا ما يأتي به الرسول، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:07]، وأخذ ما أتى به الرسول لا يتأتى إلا بعد فهمه وتعلمه فكان من نتيجة ذلك وجود المعارف التي اقتضاها فهم الكتاب والسّنة، فنشأت أنواع المعارف الإسلاميّة، وصارت الثّقافة الإسلاميّة تشمل الكتاب والسّنة واللّغة، والتّفسير والحديث، والفقه وأصول الفقه والتّوحيد والسّيرة والتّاريخ وغير ذلك من المعارف الإسلاميّة[13].

للثقافة الإسلاميّة كثير من الخصائص والتي تنفرد بها عن سائر الثّقافات، مما جعلها سليمة الاتجاه، ذات أهداف ساميّة[14]، ومن هذه الخصائص أنها:

– ثقافة ربانيّة: مصدرها الرئيس الوحي (الكتاب والسّنة)، وهذا يبعدها عن التّناقض والضلال والانحراف ويجعل التّزام العمل بها ينبع من داخل النّفس، وهذه الخصيصة تفقدها جميعا الثّقافات الأخرى قديمها وحديثها والتي ترتكز على النّظريات البشريّة والفلسفات المحدودة، وترتبط بقيود الزمان والمكان، وتخضع لمؤثرات البيئات وتقلبات الظروف، ما من شأنه أن يورث القلق والشّقاء للإنسان، كالثّقافة الماديّة المعاصرة التي تجعل أهلها عبيداً لشهواتهم، وفي سبيل ذلك يستحلون كل وسيلة، أما الثّقافة الإسلاميّة فقد تميزت عن تلك الثّقافات بالجمع بين القوة الروحيّة والقوة السّياسيّة والماديّة، واتجهت إلى احترام الإنسان ومعاملتهم على أساس من الحق والعدل والإحسان.

– ثقافة إنسانيّة عالميّة: لا تفرق بين إنسان وإنسان، فهي عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان، فليست خاصّة بقوم ولا محصورة بمكان ولا محدودة بزمان، والإسلام يحارب كل عداوة عنصريّة ويتبرأ منها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ: 28]؛ محمد –صلى الله عليه وسلم– رسول للناس جميعا، والإسلام رسالة عالميّة على الأمّة أن تحملها إلى العالم لإنقاذه من الضلال والشّقاء[15]؛

– ثقافة شاملة ومتوازنة: لم تتناول جانبا دون جانب في حياة الإنسان، بل عالجت جميع شؤونه، ولبت جميع حاجاته الفطريّة، ونظمت جميع غرائزه وميوله، فكانت مسؤوليّة الإنسان مسؤوليّة شاملة لجميع أعماله، إضافة إلى أنها ثقافة متوازنة، فقد جمعت بين أمور الدّين والدّنيا، فلم تهتم بالقيم الروحيّة على حساب القيم الماديّة أو العكس، بل وازنت بينهما، فلا تلهي الإنسان تجارته عن ذلك الله، ولا يمنعه ذكر الله عن ممارسة تجارته وغيرها من أعمال الحياة، فكانت ثقافة شاملة ومتوازنة جديرة بالبقاء وطول الحياة؛

– ثقافة متكاملة ومتناسقة: لم تترك الثّقافة الإسلاميّة فعلا من أفعال الإنسان ولا تصرفا من تصرفاته إلا وأعطته حكمه الشّرعي ووضعته في ميزانه الحقيقي، وربطت ذلك بالعقيدة الإسلاميّة ربطا محكما، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: 89]، والتّكامل أمر أساسي في هذه الثّقافة لأن الإنسان كلٌ لا يتجزأ، فمن الضروري البالغ عدم معالجة جانب من شؤون حياته وترك جانب آخر، لأن ذلك يجر إلى شقائه ولذلك لا يجوز فصل جزء عن جزء من هذه الثّقافة، ولا يجوز أخذ بعضها وترك بعضها الآخر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85]؛

– والثّقافة الإسلاميّة متناسقة كما هي متكاملة، فلا يوجد في الشّريعة الإسلاميّة جانب يهدم جانبا ولا قيمة تعارض قيمة، ولا حكم يعطل حكما آخر أو تناقض معه، وهي بهذه الخصيصة تجعل الإنسان يجمع بين الجهاد والمحراب، وبين التّجارة والسّياسة، وبين الإمارة والفقه، وبين العزة والتّواضع؛

- لقد تفردت الثّقافة الإسلاميّة عن سائر الثّقافات الأخرى بخصائص امتازت بشموليّة التّنظيم لجميع شؤون الحياة مع قدرة على إعطاء الحلول لجميع المشاكل والوقائع مع توازن وترابط، وتكامل وتناسق مع عطاء إيجابي خير، ومع نظرة إنسانيّة ورسالة عالميّة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: 24].

2. الذهنيّة الإسلاميّة في النّحو العربي وخصائصها: انطلق جل مؤرخي النّحو العربي من اعتبار أنّ النّحو العربي واحد في كل الأزمان وفي كل الأمكنة، وهي سلسلة خاطئة، لذا فإن النّظر في النّحو العربي ليس بالأمر اليسير، لأن ذلك "يحتاج إلى مزيد من التّحديد والتّوضيح والضبط، لأنه لا يجوز أن نجازف بإصدار الأحكام على نظر القدماء في الواقع اللغوي دون التّمكن في الإطار العقدي والمنهجي الذي ظهر فيه هذا النّحو، لأن نشوء أي بحث يجب أن يتم في إطار مشروع ثقافي علمي متكامل"[16].

فدراسة التّجربة النّحويّة العربيّة لا يمكن أن تستوعب استيعابا صحيحا إلا بربط النّحو العربي ببنيّة الذهنيّة الإسلاميّة وبعقلانيّة العربيّة[17]، والعقلانيّة المقصودة هنا متصلة بإدارات العرب، ومن هنا يجب أن نتذكر الظروف الاجتماعيّة الثّقافيّة العامّة التي رافقت نشأة الدّراسات اللّغويّة والعربيّة، إنّ كثيرا من الدّارسين اهتموا بأثر الواقع القرآني على هذه الدّراسات لكن جملة هؤلاء الدّارسين أغفلوا ما يكون قد علق بهذه الدّراسات من آثار ظهور الحدث العظيم بدون شك، أي ظهور النّبوة في شعب العرب[18]، إلى جانب ذلك نجد عاملا آخر لا يقل أهميّة، فمن بين عناصر بنيّة الذهنيّة الإسلاميّة تقسيم الاختصاصات بين الأمم، وهذا هو السّبب الحقيقي في امتناع العرب عن ترجمة آثار اليونان الشّعريّة وهروعهم إلى ترجمة آثارهم الفلسفيّة، كما يمتنع العرب عن ترجمة ما يظنه علما خاصا بالمجتمع الإسلامي مثال ذلك علم الدّين وعلم العربيّة وعلم الآداب والشّعر، وهذا ما يدخل في باب الكفايّة الثّقافيّة التي تكون قد تركها في المجتمع المسلم النّاشئ[19]، وما يرتبط بها من مؤهّلات ثقافيّة إسلاميّة قادرة على توليد حضارة بديلة بما تملكه من خصائص، منها:

- لا تنسب الثّقافة الإسلاميّة إلى قوم أو جماعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: 107]؛

- اختصّت أصول العقيدة الإسلاميّة بالثّبات الأزلي والخلو من التّحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 09]؛

- تشكل الثّقافة الإسلاميّة بما تحتوي عليه من تراث فكري ذي منطلقات قرآنيّة تيارا فكريا مستوفيا لجميع الخصائص الحضاريّة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: 38].

إنّ اجتماع الخصائص الثّلاث السّابقة في الثّقافة الإسلاميّة أهلتها، إذا توافرت لها شروط خارجيّة، صنع حضارة رائدة توافق الطبيعة الإنسانيّة وتحتوي غيرها من الحضارات[20].

إن العنايّة بالحس والتّمسك به وبالمشاهدة المباشرة من جهة أخرى عند النّحاة خاصّة والعلماء العرب عامّة كانت كبيرة جدا في ذلك العصر ولم يسبقوا في ذلك في أيّة حضارة أخرى في القديم، وقد نبّه ابن جني على ذلك

في كتاباته فقال عن النّحاة: " إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النّفس"[21]، وقال: " إن طريق الحس موضع تتلاقى فيه عليه طبائع البشر ويتحاكم إليه الأسود والأحمر"[22].

وكان العلماء، ولاسيما النّحاة منهم، لا يرتاحون لما يتحصلون عليه من المعطيات إلا إذا تمكنوا بالفعل من التّحقيق[23]، وذلك بالرجوع إلى أكبر عدد من الرواة أو القراء الموثوقين منهم، فإذا تأكدوا من صحة المعلومات بالعقل وبالقرائن تقبلوا ذلك وإلا رفضوه على درجات من التّشدد في القبول منهم، ويتفادون خطأ الفرد وسهوه بالرجوع إلى اتفاق الروايات مع اختلاف مصادرها الموثوقة وإن قلّت فيكفي أن يتفق شاهدان لا يعرف أحدهما الآخر لتثبت عقلا شهادتهما.

وقدموا السّماع على القياس، يقول ابن جني: "واعلم إذا أداك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه"[24].

وأشدهم تحرجا فيما يخص السّماع وعدم اللجوء إلى القياس هو سيبويه، فكان لا يجيز قياس شيء لا تعرفه العرب فقد تستعمل ما هو بدل منه، أما ما لم تعرفه أصلا فهذا وحده يجوز عنده أن يلجأ فيه إلى القياس، قال: "إلا أن تقيس وتعلم أن العرب لم تتكلم به"[25]. وهو سلوك العالم المتمسك بالأصول العلميّة البحتة[26]، ولتقديمهم المطلق للسماع (عند أكثرهم) سببان كما نراه مع الدّكتور عبد الرحمن الحاج صالح[27]؛

السّبب الأوّل: يخص اللّغة باعتبارها نظامًا من الأدلة يثبت بثبوت مستعمليه أو مرجعًا نصّيًّا أو كليهما والعربيّة هي لغة القرآن وقومها الذين نزل القرآن بلغتهم، ومن ورث منهم هذه اللّغة ولم تتغير على السّنتهم في تخاطبهم العفوي، والمرجع النّصي في ذلك هو القرآن أولا ثم كلام هؤلاء الذين سمع فمنهم اللغويون العرب وما رووه عن السّابقين منهم؛

السّبب الثّاني: المنهجيّة العلميّة: السّماع مشاهدة تدخل في المرحلة الأولى من كل بحث علمي، وهي تنتمي إلى الحس في مصطلح علمائنا، فلا بد من معاينة الظاهرة قبل النّظر فيها وفق منهجيّة علميّة دقيقة يقول سيبويه: "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها"[28].

لقد توصل سيبويه والنّحاة العرب الأوائل إلى توفيق رائع بين الاعتماد المطلق على المشاهدة والظاهر وبين اللجوء إلى الوسائل العقليّة وبالرجوع إلى تاريخ العلوم الإسلاميّة فإننا سنجد أن هذه الميزة الأساسيّة للعلم الصّحيح قد ظهرت للمرة الأولى في التّاريخ عند العلماء العرب وامتدت جغرافيا وتطورت في البلدان الغربيّة ومرد ذلك عند علماء العرب هو تحرجهم الشّديد الذي كانوا يحسون به كباحثين مجتهدين في التّفسير والنّحو والفقه وإثبات النّص القرآني لفظا وأداء وما يرتبط به من معان ويستلزمه من أحكام، وإثبات المحدث لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما نتج عن كل ذلك من أصول ومناهج دقيقة في منتهى الموضوعيّة لتحقيق أغراضهم في جميع هذه الميادين المرتبطة بالنّص القرآني، لتنشأ مختلف العلوم وتتطور في وقت واحد وبتأثير بعضها في بعض[29].

رغم الصّعوبة البالغة التي صاحبت حصر ضروب كثيرة من الكلام، والتي كان من المستحيل إحصاؤها إلاّ بعد أن تم تبويبها ليسهل حصر كل باب من صنوف الكلام[30]، زيادة على التّأكد المستمر المصاحب لتلك

العمليّة التّحليليّة العظيمة، وقد تجلى ذلك من خلال العناصر التي ذكرها الدّكتور عبد الرحمن الحاج صالح الآتيّة:[31]

- حصر كل ما في نص معين، كالنّص القرآني والقصائد الشّعريّة وخطب العرب وما سجلوه من مخاطباتهم من مفردات، وترتيبها كما فعل الخليل ومن جاء بعده، ثم تصنيفها في مجالات مفهوميّة مختلفة؛
- حصر كل الجذور وأبنيّة الكلم التي توجد بالفعل في العربيّة من خلال ما اجتمع لهم وما صنّفوه من هذه المفردات؛
- حصر كل ما ينتمي إلى كل جذور وكل بناء من المفردات ممّا تم تصنيفه؛
- حصر ما لا يوجد في كلام العرب مما ينتمي إلى جذر أو صيغة وتقتضيه قسمة التّركيب... تحت عنوان: "ليس من كلام العرب"؛
- إحصاء التّردد، وهو غير الحصر، لكل قبيل لغوي وكل حرف وكل مفردة وصيغة وكل تركيب وكل تحويل فيما دونوه عامة، وبدون تقيد، أو في مجموعة نصوص معينة، أو نص خاص كالنّص القرآني.

أما العمل المعجمي الدّلالي فقد تم انطلاقا مما جمعوه في الدّفاتر اللّغويّة إلى صنع المعجم وترتيب محتواها ترتيبا أبجديا على طريقة الخليل بن أحمد، وجعلوا لكل قبيل لغوي معجما خاصًّا، ومعاجم أخرى على مختلف الحالات الدّلاليّة كالغريب المصنف والمخصّص لابن سيدا وغيرهما.

3. ثنائيّة (الإنسان واللّسان) في الثّقافة الإسلاميّة: يؤمن اللّسانيون المعاصرون في العلن بوجود نسقين مختلفين لدراسة اللّغة، نسق مفتوح ونسق مغلق ولكنهم في الحقيقة يفعلون ذلك على نيّة التّفرقة فقط والفصل وهمهم الوحيد الاهتمام البالغ بالجانب العلمي والموضوعي عند دراسة الظواهر اللّغويّة، فلا يرون إلاّ ما تقرّره إجراءاتهم اللسانيّة التي لا تعترف إلاّ بما هو موجود داخل البنيّة ليس إلا، وتبعهم في ذلك كثير من المسلوبين من إرادتهم وفكرهم الحر وتناسوا وتجاهلوا الكم الهائل من التّعريفات التي يزخر بها تراثنا العربي، والتي نظر إليها علماؤنا في تلك المرحلة بمنظار إطلاقي[32]، وتعاملوا مع الظاهرة اللّغويّة بمبدأ الانفتاح المطلق ليتضح بعد إجراء مقارنات بسيطة، ويفتضح أصحاب مبدأ الانغلاق في الظاهرة اللّغويّة، الذين انطلقوا من خلفيات فلسفيّة معينة لم تستطع أن تفرض وجودها المعرفي إلا عن طريق مجموعة من الأحكام والقواعد ليس إلا.

إنّ الحديث عن واقع الحدث اللغوي مهما كان نوعه لا يخرج عن "اللسان" بكل خصائصه ومميزاته، ابتداء من ذلك العالم الإطلاقي في النّص القرآني وانتهاء بتلك المعايير والمقاييس التي توقف عندها الدّارسون والمتخصّصون، فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الإنسان تحدث عنه باعتباره كائنا حيًّا ودعاه للحياة ضمن منظور أوسع لمفهوم المطلق، وفي ذلك إعلاء كبير لشأن الإنسان في هذا الوجود وحريّة تامة في تعامله مع أي نظام سواء كان لغويا مكتوبا أم منطوقا، حتى يؤدي وظيفته التي كلف بها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

ومن تمام كرمه أن كان أوّل خطاب موجه إلى هذا الإنسان ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 01-03].

ما يدلّنا على أنّ أفضليّة الإنسان على عالم الخلق (الوجود المطلق) تمثلت في القدرة الممنوحة له على إدراك النّواميس الكونيّة التي بثها خالقه في هذا الكون الفسيح عن طريق العلم الذي يفهم به سر وجوده المعرفي والخلقي على السّواء وبما هيء له من ارتباط وثيق باللّغة لا انفصال معه، وهو ما يظهر من خلال كونيّة الظاهرة اللّغويّة، وتهيئ واستعداد الإنسان الفطري للظاهرة اللّغويّة على أساس وجود مشترك.

تعامل النّص القرآني مع مفهوم " اللسان" ضمن سياقات مختلفة فقد وردت لفظة " لسان" أكثر من ستّ مرات في القرآن الكريم، ما جعل من مفهوم اللسان يأخذ بعدا معرفيا يتماشى إلى حد بعيد مع مفهوم المطلق الكائن في طيات القرآن الكريم، الأمر الذي يدعونا للتساؤل عن سبب ورود لفظة " لسان" دون لفظة " لغة" في القرآن الكريم، وفي ذلك إشارات نوجزها فيما يلي:

- اختلاف الالسّن دلالة على عظمة الخالق ودعوة إلى الإنسان للبحث والتّفكر، فأدمغة جميع البشر متماثلة عضويا لكنّها تتكلّم بلغات متعددة[33]، قال تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: 23]؛
- اللسان نظام استقر في الأذهان منذ آلاف السّنوات يحكم اللّغة ويتميز بالإطلاق بينما تتميز اللّغة بالتّقييد وفي ذلك دعوة للإنسان في التّفكير في لغته ووراء لغته من أنظمة مختلفة تحكمها لتكون بدايّة طريق بحثه في أنظمة هذا الكون من حوله وطبيعة ارتباطه بها، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدّخان: 58]؛
- الطريق الأقصر للإبانة والوضوح والمعرفة هو اللّغة العربيّة لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشّعراء: 195]؛
- أصل أصول المعرفة ما جاء في الكتاب الذي أنزله الله تعالى، والذي جاء بالكتب التي جاءت قبله من إخبار الخالق عن مصير الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: 12]؛
- التّكلم بالعربيّة يحقق للإنسان الإبانة والوضوح والتّنظيم والمعرفة، ولا يتحقق له ذلك بنفس الدّرجة عند كلامه بغيرها من اللّغات، فأنظمة اللّغة تختلف قوة وأداء[34]، فهي تتساوى في وظيفة التّواصل لكنها نسقيا متغايرة لأنها لا ترضي مبدأي البيان والاقتصاد بنفس الدّرجة، ومتفاوتة ثقافيا لأن معاجمها لا تحتوي على نفس المقدار من المفردات الواصفة لنفس الموضوعات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النّحل: 103]؛
- من أهم الشّروط الضروريّة لحصول المعرفة أن تكون بلغة المتكلمين أنفسهم لذا أرسل الله الرسل بالسّنة أقوامهم المختلفة، لتبيين أوجه المعرفة اللازمة لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 04].

4.من مظاهر التأثير المعرفي الثقافي العربي في الحضارة المعاصرة: لم يهتم الباحثون المعاصرون لما كان يجري من بحوث علميّة قديمة من النّاحيّة المعرفيّة، اقتناعا منهم بتطور العلوم وارتقائها على خط مستقيم لا يكون فيه سبق أبدا، وذلك بإقرارهم الأطوار الثّلاثة لتطور الفكر الإنساني عندهم: الدّيني والميتافيزيقي والإيجابي وهذا مناف للحقيقة، وأكثر من ذلك فإن أكثر من أرّخ للعلوم عند الغربيين منذ القرن الـ19 أجمعوا على أن ما ظهر من دراسات عند العرب وغيرهم دون الإغريق هي لغرض انتفاعي وعملي دون أن توصف بالنّظريّة، والعلم يتصف عندهم (الغربيين) بأنه نظري في ذاته لا يبتغى من البحث فيه إلا اكتشاف الحقائق والمزيد من العلم، أما تطبيق ما توصل إليه من نتائج فيه فهو عارض ومستقل عن العلم نفسه، وهذا خطأ، فالذي يجعل النّظر والبحث علما حقيقيا ليس الغرض الأول من تأسيسه، بل ما تتصفه الوسائل التّجريبيّة المستعملة فيه من النّجاعة في الاكتشاف والوسائل العقليّة من دقة الصّياغة وقوتها، ولا يمكن للبحث العلمي في اللّغة إلا أن يكون بهذا الشّكل، فكل ما يوضع من طرائق لتدريس اللّغة ليس هي علم نحوي، بل هي الجانب التّطبيقي له، وأحسن مثال للدراسة العلميّة للغة العربيّة هو كتاب سيبويه بما يحتويه من تحليلات علميّة بحتة وتفاسير لا تصلح لإكساب الملكة اللّغويّة فقط، بل تنتظر بحوث العلماء فيها عن الطرائق النّاجعة باستثمار ما أثبته من البنى والمجاري اللّغويّة[35].

وإذا تأملنا الموروث اللساني العربي بكل اتجاهاته المعرفيّة فسنجد أنه يتمحور حول عدة تخصّصات معرفيّة[36]، وهي كالتّالي:

- **الموروث اللّغويّ:** ويتمركز في الغالب الأعم على الموروث النّحوي، وفقه اللّغة، والموروث المعجمي ومن أهم الذين يمثلون هذه الحقول المعرفيّة في شكل مصنفات ذات رصيد معرفي هام: نذكر منهم: أبو الأسود الدّؤولي (ت68هـ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، أبو عثمان المازني (ت249هـ)، ابن جني (ت392هـ)، ابن فارس (ت395هـ)، أبو هلال العسكري (ت400هـ)؛
- **الموروث البلاغي:** ويتمركز أساسا في المحاور التّاليّة: الجانب الفني (البديع لابن المعتز...)، الجانب النّقدي (قدامى بن جعفر، القرطاجني...)، الجانب الإعجازي (الباقلاني، الرماني...)، الجانب الأدبي (الجاحظ ابن حيان التّوحيدي...)؛
- **الموروث الدّيني:** ويتمركز في الغالب على ما خلّفه كل من المفسرين والأصولين؛
- **الموروث الفلسفي:** ويمثله ابن رشد وغيره؛
- **الموروث الاجتماعي:** ويمثله بصفة منفردة ابن خلدون (ت808هـ) في مقدمته.

يستدل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على سبق الحضارات القديمة وخاصّة العربيّة منها الحضارة الغربيّة لما توصل إليه الغربيون من جديد في الرياضيات وكان قد ظهر منذ قرون عند علماء العرب، وذلك مثلما حققه علماء الجبر بعد الخوارزمي من تطوير في علم الجبر كإجراء عمليات على العناصر المجهولة لا المعلومة فقط، وجمعهم بين الجبر والهندسة ما أدى إلى ابتكارات كثيرة وهامة، وذلك قبل المدرسة الايطاليّة في القرن السّادس عشر، وقبل إثبات فرما (fermat) لنظريته المشهورة وغيره، كما سبق الخليل ابن أحمد ما ابتكره

الغربيون في التّحليل التّركيبي، وهي طريقة خاصّة في تحليل الكلم العربيّة، وقد أطلق عليها الخليل مصطلح خاص به وهو: "وجوه التّصرف"، وهي الآن من أهم أبواب الرياضيات الحديثة وتسمى بـ(العاملي)، وربما سبقه "إلى التّمثيل بمعناه العلمي (simulation) لبنى الكلم عبد الله بن إسحاق باستعمال حروف: ف/ع/ل كرموز للمتغيرات[37]... ويوجد مثل هذه الأشياء ما يعد بالعشرات فيما وضعه النّحاة الأولون ويعتبر جديدا أو حديثا بالنّسبة للمنهجيّة العلميّة عامة واللسانيات الحديثة خاصّة على الرغم من ظهورها قبل اليوم بأكثر من ألف سنة"[38].

إنّ لفظة "علم" قبل العصر الحديث كانت تطلق على كل معرفة مهما كان ميدانها، ولم يتم التّفريق بين العلوم والمعارف الماضيّة إلا أن مفهوم العلم أخذ يتحدد بمعارف معينة، وصار له معنى اصطلاحي وهو: "أنه المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتّجريب والاستنتاج" كالطب والصّيدلة والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم، وهذه عامة لجميع النّاس ولا تختص بها أمة دون أخرى، لذلك لم يرفض الإنسان مهما كانت حضارته معطيات غيره مما هو في مجال العلوم، ما أدى إلى تطويرها، وما تحقق في عصرنا من منجزات علميّة متعددة خير دليل على ذلك.

والحديث عن المنجزات التي قدمها العرب (المسلمون) في مجال العلوم والمعرفة في إطار المنهج العلمي الذي رسمه لهم القرآن الكريم في المجال الفكري القائم على الحجة والبرهان والدّليل العقلي، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النّمل: 64]، وعلى التّثبت من النّقل وفقه قواعد فهم النّصوص القرآنيّة والنّبويّة، وقواعد استنباط الأحكام منها وضوابط القياس، وفي مجال العلوم التي تقوم على الملاحظة والتّجربة وصولا إلى الحقائق العلميّة، وقد أقر بذلك مفكرون غربيون منصفون كثر، منهم الأستاذ "بريفلوت" الذي قرر في كتابه "بناء الإنسانيّة" أنّ هذا المنهج منهج إسلامي أصيل لم يعرفه اليونان، ولولا المسلمون لما عرفته أوروبا[39].

وفي إطار المنهج العلمي الصّارم المذكور سابقا نشط المسلمون في ميادين كثيرة كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك... وهم يعلمون أنّهم في عبادة عظيمة فألفوا واخترعوا فكانوا سادة العالم في هذا المضمار وسنكتفي هنا بالحديث عن مجال علمي معرفي واحد وهو الطب كنموذج لتفوقهم وبراعتهم وإفادة غيرهم.

اهتم المسلمون بالطب اهتماما بالغا، وحققوا منجزات عظيمة عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تداووا عباد الله فإنّ الله لم يضع داء إلا ووضع له دواء غير واحد، قيل يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم" رواه أحمد والحاكم وابن حبان عن أسامة بن شريك، وهو صحيح، وإذا تصفحنا مؤلفات كـ"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة، و"الفهرست" لابن النّديم وغيرهما فسنقف على ثروة علميّة هائلة في الطب ترجمت كلها في أوروبا، وإلى أطباء المسلمين يعود الفضل في وضع منهج للطب وهو أساس المنهج العلمي الحديث، باعتمادهم على التّجربة والملاحظة والتّشخيص الذاتي واستخدام العقاقير والجراحة[40].

نبغ كثير من الأطباء المسلمين في هذا المجال ويعد أبو بكر بن زكرياء الرازي (ت320هـ) من أشهر الأطباء المسلمين، وقد خصّصت له جامعة برينستون في أمريكا أضخم ناحيّة في أجمل أبنيتها تخليدا لمآثره وأشهر كتبه "الحاوي" في ثلاثين مجلدا، وله ما يزيد عن مئتي مؤلف.

ومنهم أيضا أبو القاسم الزهراوي (ت404هـ) وهو فخر الجراح الطبي في الإسلام، وإليه تعود صناعة آلات الجراحة واستخدامها، وأشهر مؤلفاته: "التّصريف لمن عجز عن التّأليف" ويقع في عشرين مجلدا ضخما، وهو أبو الجراحة في أوروبا بلا منازع، اشتغل بمرض السّرطان وعلاجه، ووصف علاجه الذي بقي يستعمل حتى اليوم. ومنهم أيضا ابن النّفيس (ت686هـ) ومن أشهر كتبه " تشريح القانون" وهو أيضا مكتشف الدّورة الدّمويّة وكذا ابن سينا وغيرهم كثير.

أمّا ابتكاراتهم في الطب فهي كثيرة، كاكتشافهم أمراضا كثيرا مثل الجدري والحصبة والسّل، وهم أوّل من ربط بين علاقة العين والدّماغ، وأوّل من انتبه إلى الأمراض العقليّة والنّفسيّة، وأوّل من وضع طريق الفحص الطبي (التّشخيص)، وأوّل من تعرض لطب الأطفال قبل ولادتهم وتركوا مؤلفات كثيرة في ذلك.

أمّا منجزاتهم في حقل الجراحة فهي عظيمة، فقد أجروا العمليات الجراحيّة المختلفة في البدن والعين والعمليات التّجميليّة، وعالجوا كسر العظام في وقت كانت توكل عند اليونان والأوروبيين إلى الجزارين والحلاقين والمشعوذين، والأطباء المسلمون هم الذين استخلصوا العقاقير من النّباتات والأعشاب وهم أوّل من استعمل قوالب خاصّة لتغليف الدّواء المر[41].

وإنّه من المؤلم أن نرى هذه الثّروة الفكريّة والعلميّة الهائلة في مختلف العلوم موزعة في مكتبات الغرب والقليل منها في المكتبات العربيّة، فقد ذكر الأستاذ عبد السّلام محمد هارون أن عدد هذه المؤلفات في الغرب يبلغ 262 مليون مخطوطة فضلا عن المكتبات التي لم يشملها الإحصاء.

خاتمة: كانت العربيّة قبل الإسلام لغة محليّة محدودة الأفق الفكري بسبب ما فرضته طبيعة الحياة الصّحراويّة على أهلها من عزلة حالتّ دون التّعرف على الأمم الأخرى، ولشظف العيش الذي لا يسمح إلا بتدبير القوت، وللعقائد الوثنيّة التي ارتبطت بالخرافات والأباطيل، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تتميز بطاقات تعبيريّة كامنة في دماغ الفرد العربي تنتظر أسباب التّحول الحضاري، وعندما تحققت أسبابه خاصّة بعد نزول القرآن الكريم بلغتهم العربيّة، فلم يكد يستقر في صدور الحفاظ ويجري على السّنة النّاس حتى بدأت شعلة الحضارة الإسلاميّة تضيء ما حولها، وتنتقل معها العربيّة من نطاق ضيق محدود إلى لغة حضارة جديدة استطاعت توحيد شعوب مختلفة اللّغات تحت لوائها، لتصبح بمرور الوقت لغة عالميّة للعلم والثّقافة والحضارة.

حرص المسلمون على فهم كتابهم وتعاليم دينهم وكان ذلك سببا في نشأة عدد من الدّراسات الإسلاميّة واللّغويّة، ولم يمض وقت طويل على تلك الدّراسات حتى بدأت مظاهر الفكر العربي الأصيل تظهر في كل المجالات سواء منها ما اتصل بالدّراسات العربيّة والإسلاميّة، أم ما اتصل بالدّراسات الفلسفيّة والعقليّة، أم ما اتصل بعد ذلك بالدّراسات العلميّة العقليّة، فبنت اللّغة العربيّة في كل ذلك صرحا حضاريا ما يزال يثير الإعجاب إلى اليوم.

ويجب التّأكيد على أن الحضارة الإسلاميّة تختلف عن غيرها من الحضارات سواء القديمة منها كالإغريقيّة والهنديّة وغيرهما، أم الحديثة الغربيّة. فالحضارة الإسلاميّة ليست مكملة ولا متممة للحضارات القديمة، كما أن الحضارة الغربيّة ليست امتدادا للحضارة الإسلاميّة لأنها من صنع النّاس للناس، وتنكّرت لكل دين، أما الحضارة الإسلاميّة فإنها تقوم على أساس عقيدة التّوحيد، وعلى معرفة صلة الإنسان بخالقه وشتان بين الحضارتين.

كما يؤكد البحث على أن النّهضة العلميّة الغربيّة لم تنشأ من فراغ وإنما استندت على المنجزات العلميّة التي حققها العلماء المسلمون على مدى قرون، نتيجة للدراسات والبحوث والتّجارب حتى توصلوا إلى تحقيق ثروة علميّة هائلة، هي الآن موزعة في خزائن الدّول الغربيّة، يترجمونها ويدرسونها في جامعاتهم، ويبنون على أساسها اختراعاتهم وابتكاراتهم، ومن الشّهادات الهامّة لبعض الباحثين المنصفين لدور الحضارة الإسلاميّة وتأثيرها المعرفي في الحضارة المعاصرة ما ذكره غوستاف لوبون بقوله: " كلما أمعنا في درس حضارة العرب، وكتبهم العلميّة واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، وسرعان ما رأينا أن (العرب) أصحاب الفضل... فإنّ جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردا علميا سوى مؤلفاتهم، وأنهم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلا وأخلاقا وتأثير (العرب) عظيم في الغرب وهو في الشّرق أشد وأقوى" (لوبون، 2013، صفحة 26)، كما تذكر المستشرقة الألمانيّة (زيغريد هونكه) في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": " لقد أبدع العقل الإسلامي وابتكر واكتشف، وأغنى المعرفة العلميّة، وشملت منجزاتهم شتى أنواع العلوم، ومازلنا حتى اليوم نقف فاغري الأفواه دهشة وإعجابا كلما سمعنا باكتشاف طبي في الجراحة أو آلة حربيّة، أو مكتبة وفيها كتب مجلدة، أو شاهدنا ساعة كبيرة في ساحة أو ركبنا البحار ترشدنا في سيرنا البوصلة، أو شاهدنا رواد الفضاء يغزون القمر ويحطون على سطحه، أو قمنا بعمليّة حسابيّة، إنّ ذلك كلّه يذكرنا بما فعله العلماء المسلمون".

الهوامش:

[1]- ينظر: محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشّهاب، باتنة، الجزائر، دط، 1989، ص08.

[2]- ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة والتّواصل عبر الثّقافات، شركة الأمل للطباعة والنّشر، القاهرة، مصر، ط1، 2012 ص85.

[3]- ينظر: عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثّقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص24.

[4]- تمام حسان، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، عالم الكتب للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط4، 2000، ص15.

[5]- حسني عبد الجليل يوسف، اللّغة العربيّة بين الأصالة والمعاصرة، خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الإسكندريّة، ط1، 2007، ص25.

[6]- محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، ص17.

[7]- هنري لوسل، اللّغة العربيّة والحضارة العربيّة الإسلاميّة تزودان الدّارس بنظرة جديدة إلى العالم، جريدة لوموند، بتاريخ 02 نوفمبر 1994م.

[8]- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2012، ص112.

[9]- ينظر: جار الله أبي القاسم محمود عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1 2006، ص73. مادة (ث ق ف).

[10]- سميح عاطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط7، 1981، ص282.

[11]- المرجع نفسه، ص283.

[12]- نفسه، ص38.

[13]- ينظر: عز الدّين الخطيب التّميمي وآخرون، نظرات في الثّقافة الإسلاميّة، دار الشّهاب، باتنة، الجزائر، دط، 1988 ص13.

[14]- المرجع نفسه، ص21 وما بعدها.

[15]- ينظر: علاء الدّين المدرس، عولمة اللّغة والتّاريخ وفق المنظور القرآني ومسطرته، لغة آدم ولغة القرآن وأثرها في لغات العالم، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص168.

[16]- حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاخ، قضايا ابستمولوجيّة في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009 ص219.

[17]- فؤاد بوعلي، الأسس المعرفيّة والمنهجيّة للخطاب النّحوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011 ص81.

[18]- المرجع نفسه، ص219.

[19]- محمد الأوراغي، لسان حضارة القرآن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص18.

[20]- عبد السّلام المسدي، التّفكير اللساني في الحضارة العربيّة، الدّار العربيّة للكتاب، القاهرة، ط1، 1986، ص24.

[21]- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، مصر، دت، ص48.

[22]- المرجع نفسه، ص49.

[23]- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2012، ص95.

[24]- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، دراسة تحليليّة للأسس الكليّة التي بنى عليها النّحاة آراءهم، مج1 تقديم: عبده الراجحي، دار البصائر للنشر والتّوزيع، القاهرة، 2006، ص106.

[25]- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص149.

[26]- محمد عبد العزيز عبد الدّايم، النّظريّة اللّغويّة في التّراث العربي، دار السّلام للنشر والتّوزيع والتّرجمة، مصر، 2006 ص23.

[27]- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السّابق، ص104-105.

[28]- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ج1، المرجع السّابق، ص13.

[29]- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السّابق، ص110.

[30]- تمام حسان، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص13.

[31]- المرجع نفسه، ص229-230.

[32]- محمد الصّغير بناني، المدارس اللسانيّة في التّراث العربي والدّراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص11.

[33]- ستيفن بنكر، الغريزة اللّغويّة، كيف يبدع العقل اللّغة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، السّعوديّة 2000، ص247.

[34]- سامر إسلامبولي، علميّة اللسان العربي وعالميته، تأسيس نظريّة دلالة الأصوات العربيّة الفيزيائي، مركز ليفانت للدراسات الثّقافيّة والنّشر، الإسكندريّة، مصر، ط1، 2018، ص225.

[35]- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السّابق، ص10-11.

[36]- حنفي بناصر، مختار لزعر، اللسانيات النّظريّة وتعميقاتها المنهجيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دت، ص28-29.

[37]- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1962، ص376-377.

[38]- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السّابق، ص12.

[39]- عزالدّين الخطيب التّميمي وآخرون، نظرات في الثّقافة الإسلاميّة، المرجع السّابق، ص281-282.

[40]- أحمد علي الملى، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبيّة، دار الفكر، لبنان، 1981، ص138-139.

[41]- زيغريد هونكا، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربيّة في أوروبة، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي دار الجيل، بيروت، ط8، 1993، ص215.

مَبدأ التّنوّع ومِلء النّقائص الحَضاريّة
معَاينة لتجاربْ عالميّة

د. أبوبكر زروقي
جامعة بسكرة

الملخّص: تتناول هذه المداخلة مسألة استثمار التّنوع الثّقافي واللّغويّ في ملء النّقائص الحضاريّة التي تعيشها بعض الشّعوب والمجتمعات، خاصّة في منطقتنا المغاربيّة والعربيّة والإفريقيّة، مع معاينة لتجارب عالميّة لبعض الدّول في هذا المجال.

ونقصد بالنّقائص الحضاريّة الجوانب التي تعاني تأخُّرا في المجالات العلميّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والتّكنولوجيّة، وكذا النّواحي المتعلقة بالإنسان وبنائه وتطويره.

ترصد الدّراسة سُبل تعزيز هذه النّقائص بناءً على الاحتكاك الحضاري النّاتج عن التّنوع الثّقافي واللّغويّ، على اعتبار أن اللغة هي وعاء الأفكار. وذلك بالاستفادة من تجارب لبعض الشّعوب التي تعيش هذا التّنوع.

كما تحاول الدّراسة اقتراح الإجراءات التي نعتبرها كفيلة بالموازنة بين الانفتاح والتّنوع وبين الحفاظ على الموروث الحضاري المحلي وضمان الأمن الثّقافي واللّغويّ.

Abstract: This article addresses the issue of investing in cultural and linguistic diversity to address the civilizational deficiencies experienced by certain peoples and societies, particularly in our Maghreb, Arab and African regions, with an examination of the overall experiences of certain countries in this area.

Due to civil failures, we have many aspects that are relevant in scientific, social economic, political and technological domains, as these aspects relate to the country construction and development.

It examines the moyens of combing these lacunes and the frictions of culture that result in the diversity of culture and language, considering that the language is the video. This will benefit from the experiences of certain people who live in this diversified area.

The tent is suitable for saving the measures that our considérons are capable of developing and diversifying with the preservation of local culture and the cultural security and language guarantee.

اللّغة والثّقافة كأهم عوامل للصّدام الثّقافي: إضافة إلى عوامل أخرى كالانتماء الأيديولوجي والسّياسي وجدل التّاريخ ومعطيات الجغرافيا وتعقيدات المجتمع وغيرها، تعتبر اللغة والثّقافة من أهم عوامل الصدام الثّقافي، نظرا لارتباطهما الوثيق بممارسات الفرد والمجتمع. هذا لأن الثّقافة ((رؤيّة للعالم تنطلق من مجموع الاعتقادات والقيم

والمفاهيم ومبادئ الفعل التي توجه الأفراد في جماعة معينة))[1]، وتعتبر هذه الرّؤيّة من ممارسات الفرد والمجتمع، ومن أجل ذلك تتباين أذواق النّاس وميولاتهم وفقا لتباين نظرتهم للحياة، وينجر عنه ميول في مجال النّظرة للتاريخ من تمجيد أو تقليل من قيمة مفاهيم أو مظاهر أو أشخاص أو أحداث معينة، وينعكس ذلك على النّظرة إلى الحاضر والمستقبل.

ويُسهم المؤرّخون في تكريس هذا الذوق الفردي أو المجتمعي، لأن المؤرخ نفسه جزء من الظاهرة التي يدرسها وله مكانه الخاص منها، ويمكنه أن يراها فقط من وجهة نظر يتبناها [2].

يقرر معظم المفكرين والمنظرين في شأن الفرد والمجتمع أن من أهداف كتابة التّاريخ تحقيق أبعاد هويّة مرغوبة لمجتمع أو أمة ما، ويُجعل التّاريخ بمثابة الحاسة السّادسة للإنسان الحديث على حد تعبير الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه[3]. وهكذا عن طريق الفعل التّاريخي يبحث كل جيل فيه عن العناصر التي تفيد في استشراف آفاق المستقبل، وهو إسقاط لآماله وتطلعاته على التّاريخ، وذلك للبحث عن توجهات حياته المستقبليّة ومعالمها.

تعد اللغة من أهم مكونات الهويّة الثّقافيّة للشعوب على اعتبارها وعاء تحمل نمط تفكيرهم وأذواقهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبقاؤها يضمن استمراريّة الإنتاج الحضاري لأيّة أمة، وهي مناط الصراع الحضاري، حيث يعتبرها ليبنتز (Leibniz) مرآة العقل[4]، وهي خاصيّة لسانيّة تتوقف عليها نشاطات الإنسان الثّقافيّة[5]، وهي من أهم أسس الحياة الاجتماعيّة والشّخصيّة، حتى قال هايدجر (Heidegger): ((إن اللغة منزل الكائن البشر))[6]. وعليه فإن معظم النّخب في كثير من الأمم والشّعوب تولي عنايّة بالغة لصيانة لغاتها المحليّة وتعتبرها صمام أمان لبقاء المجتمع وحمايته من التّفكك والانقسام، حتى إن كثيرا من النّخب اليمينيّة في العالم لا تخفي نزعاتها الانكفائيّة أحيانا.

انطلاقا من هذا المعطى في الانكفاء على الذات تاريخيا تتشكل الهويّة الثّقافيّة واللّغويّة، والتي تأخذ طابعا دوغمائيا أحيانا، فتحدث صداما ثقافيا أو صراعا لغويا. ويعرف هذا الصدام بأنه تعارض المصالح والاتجاهات والأهداف اللّغويّة والثّقافيّة يؤدي إلى محاولة إزاحة الآخر بإبطال ثقافته ولغته وإضعافه.

لكن هذا الصدام قد يأخذ طريقا آخر إيجابيا من خلال الحوار والجدل، أو المناظرات والمنافسة؛ ما يؤدي إلى المراجعة الإيجابيّة والتّقويم الذاتي، وصولا إلى أرضيّة توافق تضيق معها مساحة الاختلاف، وتفتح آفاقا رحبة للتقارب[7].

ملء النّقائص الحضاريّة بأي معنى: نقصد بالنّقائص الحضاريّة المجالات التي تتأخر فيها الأمة للالتّحاق بالرّكب الحضاري العالمي، كالمجالات التّعليميّة والثّقافيّة والقيميّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والسّلوكيّة وغيرها، وتشهد الكثير من الأمم والشّعوب هذه النّقائص تبعا لظروف تاريخيّة موضوعيّة.

ولا يتم ملء هذه النّقائص إلا بتكامل مصادر المعرفة الحضاريّة من مختلف الحضارات والأمم عن طريق آليّة التّثاقف (Acculturation)، ويتم ذلك باكتساب جماعة بشريّة قيما ثقافيّة جديدة، بفعل اتصال مباشر ومستمر بجماعة بشريّة أخرى، قد يكون هذا النّقل/ الاقتراض متبادلا متوازنا، وقد يكون أحاديا فقط، يصل إلى حد الإدماج إذا كان أحد الطرفين أقوى ديمغرافيا أو تكنولوجيا، حيث يقتبس الطرف الضعيف أنماطه الثّقافيّة. ومن أهم من

درس ظاهرة التّثاقف بين الحربين العالميتين الإثنولوجيان الأمريكيان رالف لنتون Ralph Linton، وملفيل هيرسكوفيت G. Herskovits[8].

إن النّموذج الحضاري النّاجح يعمل على الجمع بين الأبعاد الحضاريّة المختلفة؛ فلا توجد حضارة كاملة الأبعاد ومراعيّة لجميع ما يحتاجه الفرد والمجتمع، ولعل أكبر تحدٍّ تواجهه حضاراتنا اليوم الجمع بين البعد المادي والبعد الرّوحي أو المعنوي؛ ونقصد بالبعد الرّوحي الجانب القِيمي وبناء الإنسان من داخله وتحديد مرجعياته الأخلاقيّة والسّلوكيّة.

ولعل ثقافتنا العربيّة والإسلاميّة والمغاربيّة في عصرنا الرّاهن تحتاج إلى الكثير من المثاقفة الحضاريّة والأخذ من كل بستان زهرة لتتكامل أبعادها، خصوصا في مجالات الثّقافة، المجتمع، العلوم، المناهج، وسائل الرّفاه.. وغيرها وأزعم أن من أهم الأبعاد التي تمثل ثغرة كبيرة في ثقافتنا البعد التّكنولوجي ومناهج العلوم والبعد الجمالي الفني.

إن "المثاقفة المسؤولة"[9] التي ترتكز على الانفتاح الإيجابي والمثمر على ثقافة الآخر من خلال تحصيل إيجابيات المنجزات الحضاريّة وترك سلبياتها ومخاطرها، لهي الضامن لترقيّة المجتمع والأمة وضمان استمراريتهما لأن المثاقفة المسؤولة تراعي هويّة الإنسان، وتوجيه سلوكه، وتحديد مواقفه كفرد أو مجتمع بين المجتمعات البشريّة وتهيّئ له الأرضيّة الصلبة التي يقف عليها ليحقق امتداده وتواصله الحضاري، فهي أشبه بالمغناطيس الذي تنجذب إليه حركة المجتمع باستمرار، ليغذيها وينميها، ويطور أداءها، ويحافظ على توازنها وتكاملها وانسجامها وحيويتها في معتركات التّدافع والتّداول والتّجديد في الحياة البشريّة[10].

إن الانفتاح دون مسؤوليّة وضوابط يجعل الفرد والمجتمع زبونا مستهلكا لكل وافد ثقافي أو حضاري، ويفقد الفرد هويته وانتماءه فيصبح متعلقا بكل ما هو وافد، بما في ذلك "مهدّمات الحضارة" كانحدار القيم الأخلاقيّة والنّزعة الماديّة والنّزعة الفردانيّة، والنّزعة النّسويّة، والعداء لكل قديم، وشهوة السّلطة والمال، ومعاداة الماضي والأجداد وانفلات بوصلة القيم ومعاييرها.

ولا يمد الفرد والمجتمع بالقدر الكافي من الوعي سوى الثّقافة الواعيّة، فقد شبه مالك بن نبي وظيفة الثّقافة في المجتمع بوظيفة الدّم في الجسم، بقوله: ((فهو –أي الدّم– يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد من "البلازما" ليغذي الجسد، فالثّقافة هي ذلك الدّم في جسم المجتمع؛ يغذّي حضارته، ويحمل أفكار النّخبة كما يحمل أفكار العامة، وكل هذه الأفكار منسجمة في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة)) [11].

وملء النّقائص الحضاريّة يحصل بتثاقف المختلف مع المختلف، وما يحتاجه الفرد والمجتمع من محددات حضاريّة كالتّكنولوجيا والفنون والعلوم والمناهج الأكاديميّة ونظم التّسيير والحوكمة وغيرها، والضابط في نقل هذه المحددات واستثمارها هي الثّقافة العاليّة التي تحدد هويّة وتوجهات الأمم والمجتمعات، ولنتساءل مثلا: بمن يمكن مقارنة مجتمعات الجزائر وكوريا وفرنسا كلٌّ على حدة؛ أبمجتمعات تونس أم إيطاليا أم الصين؟ لا، إن المجتمع الجزائري لا يقارن إلا بالمجتمع التّونسي، والفرنسي إلا بالإيطالي، ولا كوريا إلا بالصين.

إن حضارتنا اليوم أحوج ما تكون لمثاقفة واعيّة؛ فبينما كانت الحضارة العربيّة الإسلاميّة تتجمد وتنغلق على نفسها بالتّدرج قبل أن تتقهقر؛ كان الأوربيون يتلمسون طريق النّهضة ويدركونها. وتعاظم نبوغ الأوربيين منذ القرن الخامس عشر الميلادي بفضل إقبالهم على التّفكير المنهجي الحر، والتّنقيب عن أسرار العالم وقوى الطبيعة[12]؛ فتفوقوا بشكل خاص في مجالات العلم الطبيعي، والتّكنولوجيا، والفلسفة[13]. وتمكنوا بفضل سلسلة من الاختراعات والاكتشافات العظمى، والطفرات الثّقافيّة والاجتماعيّة من تنظيم المعرفة الحديثة، والشّروع في بناء حضارة العصر الحديث، سابقين بذلك ومتفوقين على سائر الحضارات بقرون عدة.

هناك اتجاهان يتنازعان التّفوق؛ أحدهما وصفي، ينظر إلى الثّقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتّفسيرات العقليّة، والرّموز والإيديولوجيات وما شاكلها من المنتجات العقليّة[14].

قد يكون أشهر من عبر عنه: تايلور، الذي لخص مفهوم الثّقافة في كتابه (Primitive Colture) في أشهر تعريفاتها التّقليديّة، بأنها ((ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل قدرات واعتيادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع)). [15]

أما الاتجاه الآخر فيبدو أكثر ديناميكيّة؛ إذ يرى في الثّقافة النّمط الكلي لحياة شعب ما، وتجسيد العلاقات الشّخصيّة بين أفراده، وكذلك توجهاتهم[16].

وهذا يذكرنا بتعريف مالك بن نبي للثقافة بأنها: ((مجموعة من الصفات الخلقيّة والقيم الاجتماعيّة، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه)) [17]؛ وكما كثفها أحد النّقاد البريطانيين المعاصرين "ريموند وليامز" بوصفها: ((الطريقة الشّاملة للحياة))[18].

رصد لبعض التّجارب العالميّة في استثمار التّنوع الثّقافي:

1. **التّجربة الفرنسيّة:** تشكل التّجربة الفرنسيّة إحدى أهم التّجارب فيما يعرف بـ"الصناعة الثّقافيّة"، وتعتبر باريس مركزا ثقافيا تتلاقى فيه مختلف المشارب الثّقافيّة واللّغويّة من شعوب العالم، يلقبها البعض بـ"عاصمة الأنوار" باعتبارها عاصمة الثّورة الفرنسيّة 1789م التي غيّرت وجه أوروبا لقرون لاحقة.

حرصت فرنسا على استقطاب التّنوعات الثّقافيّة خصوصا القادمة من القارة الأفريقيّة، يتمثل في التّعبير عن هويات ومكونات المجتمع المتعددة المختلفة في الرّؤى والفنون، يستند إلى الصناعات الثّقافيّة التي أصبحت محل اهتمام الكثير من الدّول والهيئات، وربطها بالتّنميّة الثّقافيّة والاقتصاديّة في مجتمع المعرفة المتعلق بالتّحول نحو الاقتصاد القائم على المعرفة ومجتمع المعرفة، والذي يعني – كما يعرّفه المختصون – أنه مجموعة من النّاس ذوي الاهتمامات المتقاربة، ممن يحاولون توظيف معارفهم وخبراتهم في المجالات التي يعملون بها. وقد ارتبط مجتمع المعرفة باقتصاد المعرفة ومجتمع المعلومات والاتصالات، بما يعني أن المعرفة ببعدها الاجتماعي والاقتصادي والاتصالي والمعلوماتي أصبحت ذات طبيعة وظيفيّة. لذلك يعتبر مجتمع المعرفة واقتصاده من أهم مكونات رأس المال في عصر العولمة، مما يعني أن التّحول إليه هو «تشييء» للإنسان وتنميط للمجتمع. فهو لا يساعد على وجود مفكرين ومبدعين، بقدر ما يعمل مجتمع المعرفة واقتصاده على وجود خبراء وموظفين، هذا إن لم يكن استثمار مجتمع المعرفة في مواطني الدّول، يعمل على تفجير طاقاتهم الخلاقة، في إنتاج الأفكار

وإبداع الفنون، تحت سماء صافيّة من التّعبير الحر، وفق تنميّة ثقافيّة مستدامة، ترتكز على القيم الرّوحيّة والمخزون التّراثي الفصيح والشّعبي، في تعزيز هويّة المجتمع، وذلك بتفعيل مؤسسات المجتمع المدني، وحمايّة التّنوع الثّقافي وتعدديّة الآراء، فهذا هو الأساس الشّامل لعالم الصناعات الثّقافيّة، المستثمر في الآداب والفنون الشّعبيّة، من مؤلفات ومجلات ودور نشر وقنوات تلفازيّة ثقافيّة ومتاحف وفنون تشكيليّة وأفلام سينمائيّة وصالات عرض مسرحيّة وألحان ورقصات وأغانٍ وأزياء وعطور ومآكل وحرف تقليديّة ومشغولات فنيّة ومهرجانات ثقافيّة وفنيّة... وأحياء المواقع التّاريخيّة، وأنموذجها أسواق العرب القديمة (سوق عكاظ مثلاً) الذي جمع بين التّنوع الثّقافي، بإلقاء الشّعراء قصائدهم من بيئات مختلفة... والصناعات التّقليديّة بالمبادلات التّجاريّة، منذ قديم الزمان.

هذا ما عملت عليه الدّول المتقدمة في الغرب والشّرق، بعد العرب بقرون، عبر نموذجها الفرنسي الرّائد في العصر الحديث، منذ إنشاء وزارة للفنون والثّقافة سنة 1914 في باريس، راصدة إلى يومنا هذا عشرات المليارات الفرنكيّة، بوتيرة متصاعدة كل عام في ميزانيتها العامة، حتى أصبحت فرنسا أنموذجاً عالمياً يُحتذى بصناعاتها الثّقافيّة، وجوها الحر الذي استضاف –على امتداد عقود من الإنتاج الفكري والإبداع الأدبي–مئات الآلاف من الفلاسفة والأدباء والفنانين والمبدعين، من شتى أنحاء العالم الشّرقي والغربي في كل مجال.

هذا وقد شجعت التّجربة الفرنسيّة دول العالم المتقدم، وفي مقدمتها الصين وأميركا بتنوعها الثّقافي، على تزايد الطلب العالمي للصناعات الثّقافيّة، حتى أصبحت من أهم قطاعات التّجارة والصناعة والاقتصاد الأكثر حيويّة في التّجارة الدّوليّة. وقد تصدرت الصين دول العالم في تصدير الصناعات الثّقافيّة، بعد الثّورة الثّقافيّة التي قادها ماو تسي تونغ، أواخر الأربعينات الميلاديّة من القرن المنصرم، مهيئة المجتمع الصيني الضخم – مساحة وبشراً – لاستثمار تراثها الحضاري ورأسمالها البشري المليارى، في إحداث ثورة تنمويّة هائلة، نقلت الصين من حالة التّخلف الحضاري والحروب الأهليّة الدّاخليّة والخارجيّة، إلى دولة متقدمة عالمياً في إبداعاتها الصناعيّة وخدماتها الثّقافيّة غازيّة دول العالم في الغرب قبل الشّرق، بمدنها المعرفيّة (Chinatown) ذات المعمار الفني والأكلات الشّعبيّة وفنونها التّعبيريّة المختلفة.

لقد سَبقت الصين بذلك دول العالم، التي انتبهت مؤخراً إلى أهميّة مدن المعرفة، فالتّأمت أول قمة عالميّة في فبراير 2023 بدبي، تمحورت فعالياتها وفق الثّورة الصناعيّة والمعلوماتيّة الحديثة حول مدن المعرفة، بحضور قادة الفكر والخبراء والمهتمين بالسّياسات الثّقافيّة والمستثمرين في الصناعات الثّقافيّة، حيث اختيرت دبي أنموذجاً ذكياً لمدينة المعرفة، بمستلزماتها التّقنيّة والإلكترونيّة الحديثة التي توفر الخدمات الرّقميّة لمستهلكيها.

تجربة الكويت الثّقافيّة: أصبحت الكويت ثمرة للاهتمام بالصناعات الثّقافيّة فيما يعرف بالمدن الثّقافيّة، مثلها كمثل القاهرة في ريادتها منذ وزارة فتحي رضوان للإرشاد القومي بعد ثورة 23 يوليو (تموز) 1952، حيث ارتاد توثيق كل ما له علاقة بمصطلح «المأثورات الشّعبيّة» التي بنى عليها ثروت عكاشة بعده هرماً ثقافياً باذخاً، عمل على تطويره فاروق حسني، تنوعاً ثقافياً بصناعاته. وعلى الصعيد الخليجي، لا بد من الوقوف عند تجربة الكويت المبكرة بالاهتمام الثّقافي، قبل أن تنال استقلالها الكامل سنة 1961؛ ففي سنة 1958 أقدمت على خطوة جريئة بإصدار مجلة «العربي» رغم أنها لم تكن وقتها تمتلك العناصر البشريّة، ولا الإمكانات الفنيّة. ومع ذلك قام الشّاعر

الكويتي الرّاحل أحمد السّقاف بجولة على أبرز عواصم الإبداع العربي –وقتذاك– متردداً بين بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة – كما أخبرني – من أجل استقدام طاقم من الفنيين واللّغويّين والمحررين، بينما أنيطت رئاسة تحرير المجلة بالدّكتور أحمد زكي، أحد أبرز المثقفين الموسوعيين في مصر.

ومنذ أن صدرت صحيفة «العربي» قدمت الكويت نموذجا للتنوع الثّقافي في السّاحة العربيّة، قبل أن تقدمها سياسياً محاولة أن تكون عاملا مؤثراً في الثّقافة العربيّة. ومن يتتبع التّاريخ الثّقافي لهذا البلد الصغير، فسوف يُدهش من الحجم الكبير الذي تردد على الكويت، من شعراء وأدباء وأكاديميين وصحافيين وسياسيين. فمن ذا يصدق – يا ترى – أن روايّة «عائد إلى حيفا»، وهي من أبرز أعمال الرّوائي الفلسطيني غسان كنفاني القصصيّة استمدت موضوعها من أجواء الكويت، التي لجأ إليها بعد الشّتات مع شرائح عديدة من المجتمع الفلسطيني.

التّجربة الكنديّة وبناء المجتمع الهجين: تعتبر كندا واحدة من أكثر الدّول ترحيبًا بالمهاجرين في العالم. يتميز المجتمع الكندي بالتّسامح والاحترام المتبادل بين مختلف الثّقافات. يمكنك أن تجد في كندا مجموعة متنوعة من الأعراق والثّقافات واللغات، مما يجعلها بيئة مثاليّة للاندماج والتّفاعل مع أشخاص من جميع أنحاء العالم.

ففي الجانب الاقتصادي والتّعليمي تقدم كندا فرصًا اقتصاديّة كبيرة للمهاجرين. بفضل اقتصادها المستدام والمتقدم، يمكن للأفراد هناك العثور على وظائف جيدة وفرص للنمو المهني. بالإضافة إلى ذلك، تضم كندا مجموعة من الجامعات والمؤسسات التّعليميّة المرموقة، مما يجعلها وجهة مثاليّة للدراسة العاليّة.

تعمل كندا على الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة لتاريخها على الرّغم من التّنوع الثّقافي الكبير، فتحرص على الحفاظ على هويتها الثّقافيّة الخاصة. يتمثل ذلك في تقديم الاحتفالات والفعاليات التي تمثل مختلف الثّقافات المتواجدة في البلاد، مما يتيح للمهاجرين الاحتفال بتراثهم والإسهام في الحياة الثّقافيّة للمجتمع الكندي.

أما في مجال الثّقافة والتّرفيه تقدم كندا الكثير من الفرص الثّقافيّة والتّرفيهيّة للسكان. تجد هناك متاحف ومعارض فنيّة ومهرجانات ثقافيّة تعكس التّنوع الكبير في البلاد. هذا يسمح للمهاجرين بالاستمتاع بتجارب غنيّة ومتنوعة.

وفي مجال الحريات وحقوق الإنسان يعتبر القانون الكندي من أكثر القوانين الدّوليّة التّزاما بقيم حقوق الإنسان والمساواة. فيمكن للمهاجرين الاستفادة من هذا التّفاني في توفير فرص متساويّة ومساعدة على بناء مستقبل أفضل لأنفسهم وأسرهم، فنتج عن ذلك أن صارت كندا واحدة من أكثر الدّول أمانًا واستقرارًا في العالم. يشعر المهاجرون بالأمان والثّقة في العيش والعمل في هذا البلد، مما يجعلها وجهة مثاليّة لتحقيق أهدافهم وتحقيق أحلامهم، بالإضافة إلى فرص العمل، يمكن للمهاجرين استغلال فرص الاستثمار في كندا، يمكنهم بناء مستقبل مالي مستدام من خلال الاستثمار في العقارات والأعمال التّجاريّة والتّعليم.

ختاما، يمكن القول إن التّنوع الثّقافي في كندا يمثل قوة حقيقيّة وثراءً لهذا البلد. إنها وجهة تستقبل بفرح العالم أجمع، مما يجعلها واحدة من أفضل الخيارات لأولئك الذين يتطلعون لبناء حياة جديدة في بيئة تعزز من التّعدد الثّقافي والتّنوع.

خلاصة: بناء على ما سبق يمكن إجمال القول فيما يلي:

- إنّ للثقافة الدّور الأول في ملء النّقائص الثّقافيّة "المثاقفة المسؤولة" التي تقتضي الانفتاح المسؤول والحذر على ثقافة الآخر وممارساته الحضاريّة؛

- إنّ من أدوات ملء النّقائص الحضاريّة النّقل الاحترافي والمرن للمكتسبات الحضاريّة النّافعة وغير الضارة؛

- لنا في التّجربة الكنديّة نموذج رائد في مجال التّنوع الثّقافي ونقل المكتسبات الحضاريّة للأمم والشّعوب الأخرى بما يضمن الحفاظ على هويّة المجتمع وثقافته، ما جعل كندا دولة الهجين الثّقافي بامتياز؛

- نستلهم من التّجربة الفرنسيّة ما يعرف بـ"الصناعة الثّقافيّة" أو اقتصاد المعرفة؛ حيث تنساب المئات من المكتسبات الحضاريّة لمختلف الشّعوب في عاصمة الأنوار باريس، لتشكل عاملا أساسيا في بناء اقتصاد متين وثورة هامّة؛

- تعددت الأصوات والآراء في هذا المجال وتنوعت فغدت ساحته خضما من الرّؤى والتّصورات، ومعتركا للحجج المتباينة، تقابل فيها التّقليدي والعصري، والقديم والجديد، والأصيل والوافد؛ بما حتمه واقع فصائل المجتمع والدّولة وطبيعتهما، وسعيها إلى إنجاز التّوازنات أو التّسويات أو الاختراقات الكفيلة بتحقيق تطلعات المجتمع والدّولة ومصالحهما في معتركات التّنميّة أو التّأصيل أو التّحديث، بحسب تفاوت تقديرات مختلف تلك الفئات لما تراه أكثر تحقيقا للفعاليّة، وأدعى إلى التّقدم والحيويّة أحيانا، أو إنجاز التّطلعات والمصالح الذاتيّة لهذه الفئات أحيانا أخرى.

الهوامش:

([1]–Jean Morino, Observations critiques sur la culture maghrébine, Nouveaux enjeux culturels au Maghreb (CNRS, Paris, 1987), P31.

[2] هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم، دار أويا– طرابلس – لبنان، دط– 2007، 695.

[3] ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، 2021، ص410–411.

[4] فلوريان كولماس (Florian Coulmas)، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، المركز الوطني للثقافة والآداب، الكويت 2000، ص09.

[5] بيتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة: زهير الكرمي، ، الكوريت، 1983، ص20.

[6] مارتن هايدغر، (1889–1976) فيلسوف ألماني من مؤسسي الفلسفة الوجوديّة.

[7] ينظر: التّدافع الحضاري بديلا عن الصراع، مجدي قرقر، Alarab news. com

[8] ينظر: التّدافعات الثّقافيّة في الاسطوغرافيا الجزائريّة 1962–1998 جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة– الجزائر، 2017، ص11.

[9] مصطلح "المثاقفة المسؤولة" أراه مناسبا لمبدأ الانفتاح على الحضارات الأخرى لملء النّقائص الحضاريّة، ويعني الانفتاح التّدريجي والحذر في العولمة الثّقافيّة دون الانغماس فيها مع حمايّة الخصوصيّة الثّقافيّة والحضاريّة المحليّة والذاتيّة للفرد والأمّة.

[10] مقدمة في الأزمة الحضاريّة والثّقافيّة السّننيّة، دار قرطبة، الجزائر، دط– 2004، ص18.

[11] ينظر: شروط النّهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر– الجزائر، 1984، ص93.

[12] توبي أ. هفمان TOUBY E. Huff، فجر العلم الحديث، الإسلام– الصين– الغرب، ترجمة: محمد عصفور (م.و.ث.ف.آ) الكويت، 2000، فصل: فجر العلم الحديث.

[13] تاريخ البشريّة، آرنولد تويمبي TOYNBEE، ترجمة: نقولا زيادة (الأهليّة للنشر والتّوزيع)، بيروت– لبنان، 1986، ج2، 225.

[14] نظريّة الثّقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، ميكول تومسون MICHAEL THOMPSON وآخرون، م.و.ث.ف.آ، الكويت 1999، ص31.

[15] الإنسان دراسة في النّوع والحضارة، محمد رياض، دار النّهضة العربيّة، بيروت– لبنان، 1974، ص184.

[16] نظريّة الثّقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، ميكول تومسون MICHAEL THOMPSON وآخرون، المرجع السّابق، ص31.

[17] مشكلة الثّقافة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر– الجزائر، 1984، ص74.

[18] ريموند وليامز، طرائق الحداثة، ترجمة: فاروق عبد القادر، م.وث.ف.آ، الكويت، 1999، ص11.

مَاليزيا تَجربة راشدة في الاحْتِواء والاسْتثمَار الثّقافيّ واللّغويّ

د. زينب عبد العزيز
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة الجزائر

الملخّص: تهدف هذه الورقة العلميّة إلى تبيان واقع التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ في دولة ماليزيا، من خلال الإجابة عن التّساؤلات الآتية: ما هو واقع التّنوّع الثّقافي واللّغويّ في ماليزيا؟ وكيف تمكّنت من إدارة هذا التّنوع دون الانزلاق نحو الانقسام؟ وما السّبل والآليات التي اعتمدتها للحفاظ على وحدتها؟ وهل بالإمكان الاستفادة من هذه التّجربة في السّياق الجزائري في ظلّ ما يزخر به من تنوّع ثقافي ولغوي مماثل؟

وقد سلكنا في ذلك المنهج الوصفي مع آليات الاستقراء والتّحليل والمقارنة لنصل إلى نتيجة مفادها أنّ الحكومة الرّاشدة لدولة ماليزيا استطاعت بفضل سياستها وتعليمها والدّعوة إلى القيم وتقبل الآخر ووضع أسس اقتصاديّة واجتماعيّة أن تحافظ على تنوّع لغاتها وثقافتها من الانحلال ومن الاصطدام، وتجعله نقطة قوّة لها ومدعاة إلى الفخر والاعتزاز.

الكلمات المفتاحيّة: تنوّع ثقافيّ؛ تنوّع لغويّ؛ تعدديّة عرقيّة؛ تعدديّة دينيّة؛ ماليزيا.

Abstract: This scientific paper aims to illustrate the reality of cultural and linguistic diversity in Malaysia by answering the following questions: What is the reality of cultural and linguistic diversity in Malaysia? How does Malaysia preserve its richness? And how does it invest in this diversity?

We followed a descriptive methodology with the mechanisms of induction, analysis, and comparison to conclude that the wise government of Malaysia, thanks to its policies, education, promotion of values, acceptance of others, and establishment of economic and social foundations, has managed to preserve the diversity of its languages and cultures from disintegration and conflict, making it a point of strength and and honor.

Keywords: Cultural Diversity; Linguistic Diversity; Ethnic Plurality; Religious Plurality; Malaysia.

مقدّمة: إنّ المتتبع للتطوّر الإنساني في تاريخه الطويل يرى أن تطوير أمّة أو دولة لها مجموعات عرقيّة ودينيّة مختلفة أمر صعب، لأن ذلك يطرح تحديات كثيرة مثل إشكاليّة فاعليّة التّواصل والتّفاهم مع بعضهم البعض فضلا عن العمل معا لمصلحة واحدة عليا، لأن المصالح الخاصة الضّيقة قد تغلب عليها، وأمر استبعاد فئة على حساب فئة يبقى قائما، بالإضافة إلى الشّعور الدّائم بالخوف والشّك وسوء الفهم والصّراعات...[1] ونجاح الدّولة المتكوّنة من هذا التّعدد مرهونة بكيفيّة التّعامل الرّشيد والحكيم معه.

ومن خلال هذا ارتأينا في هذا البحث التّركيز على تجربة دولة ماليزيا بالنّظر إلى ما تتميّز به من تنوّع عرقي وثقافيّ ولغويّ واسع، وفي الوقت ذاته نجاحها اللافت في تحقيق معدلات تنمويّة متقدمة خلال فترة زمنيّة قصيرة نسبيا، بل وتعدّ "واحدة من الدّول القلائل التي استطاعت أن تتغلّب على هذه المشكلة، بل وأصبحت نموذجا ومثالا للتعاون الوطني والاستقرار المجتمعي على الرّغم من كل شيء"[2].

وقد تمحور بحثنا حول الإجابة عن الإشكاليّة الآتيّة: ما هو واقع التّنوع الثّقافي واللّغويّ في ماليزيا؟ وكيف تمكنت من إدارة هذا التّنوّع دون الانزلاق نحو الانقسام؟ وما السّبل والآليات التي اعتمدتها للحفاظ على وحدتها؟ وهل بالإمكان الاستفادة من هذه التّجربة في السّياق الجزائري في ظل ما يزخر به من تنوع ثقافي ولغوي مماثل؟

وعن أهدافنا التي نريد الوصول إليها، فيمكننا توضيحها في النّقاط الآتيّة:

- تبيان واقع التّنوع اللّغويّ والثّقافي في ماليزيا؛
- التّعريف بالاستراتيجيّة التي سلكتها ماليزيا في الأبعاد الثّلاثة الحيويّة: تعليم، سياسة، اقتصاد للنّهوض بدولتها؛
- التّعرّف على أهميّة القيادة الرّاشدة التي قام بها محمد مهاتير؛
- اقتراح بعض التّوصيات التي يمكن الاستفادة منها من تجربة ماليزيا في الواقع الجزائري، خصوصا ما تعلّق بمسألة التّنوع الثّقافي واللّغويّ الذي تزخر به الجزائر، مع الانتباه لخصوصيّة كل من المجتمعين.

أما عن المنهج المستخدم؛ فقد سلكنا المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتّحليل والملاحظة من أجل رصد التّنميّة التي حدثت في ماليزيا في المجالات الحيويّة الثّلاثة؛ السّياسة والاقتصاد والتّعليم واللّغة، والتي مكنت ماليزيا من المحافظة والاعتراف بالتّعدد العرقي والثّقافي واللّغويّ لديها، بل بتحويله من نقطة ضعف إلى نقطة قوّة، ثم عرض بعض الاقتراحات التي يمكننا الاستفادة منها في واقع مجتمعنا الجزائري.

ولتحقيق ما سبق سيتم تناول خطة من ثلاثة محاور؛ الأوّل في واقع التّنوع والتّعدد الثّقافي واللّغويّ في ماليزيا. والثّاني في سبل محافظة ماليزيا على التّنوع الثّقافي واللّغويّ. والثّالث في كيفيّة الاستفادة من تجربة ماليزيا في إدارة التّنوع الثّقافي واللّغويّ الجزائريّ.

أوّلا-واقع التّنوع والتّعدد الثّقافي واللّغويّ في ماليزيا: يتكون المجتمع الماليزي من 60% من المالاي، و26% من الصّينيين، و7% من الهنود، بالإضافة إلى أقليات من الإندونيسيين والتّايلنديين والأوروبيين والأستراليين. ولكل من هذه الجماعات لغاتهم، ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم[3]. وإذا نظرنا عن قرب في هذا التّكوين فإنّنا نجد التّكوين العرقي مقسّما إلى:

1. **السّكان الأصليون للبلاد Bumiputra:** ويتكونون من ثلاث مجموعات عرقيّة هي:[4]

الأورانج آصلي: وهم مجموعة قليلة العدد تحتوي على البدو والأقزام والزنجانيين الآسيويين والسّيناو والجاكون.

الملايو أو المالاي: ويمثلون أكبر الجماعات العرقيّة خصوصا في شبه جزيرة ماليزيا، ولها جماعات مختلفة مثل: الجاوين، البويانين، البوجين، الاتشينيين، المينانج كابو، المادوريين، السّوندانيين، البنجاريين، ولكل واحدة منهم لغتها ولهجتها الخاصة التي تندرج تحت اللّغة الأمّ "البهاسا ملايو" (Bahasa Melayu).

جماعات بوميبوترا أخرى: ويطلق عليهم (anaknegri) أو الدّاياك، ويندرج تحتهم العديد من الجماعات العرقيّة التي قد تصل إلى 58 جماعة مثل الكادازان أو الكادازاندووسون، المورت، الباجور...

2. السّكان غير الأصليّين للبلاد Non-Bumiputra: ويتكونون أساسًا من:

الصّينيّين الماليزيّين: والذين وفدوا إلى ماليزيا هربا من الفقر والكوارث الطبيعيّة قبل حصول ماليزيا على الاستقلال، وقد تميزوا بقدرة عاليّة على التّكيف والتّنظيم، وقد استقروا في المدن، وكانت أوضاعهم الاقتصاديّة ممتازة، حتى تفوقت على المالاي الذين كانوا يقطنون المناطق الرّيفيّة، وقد ارتفع عددهم من حوالي مليونَي نسمة سنة 1975 إلى أكثر من سبعة ملايين سنة 2005.

الهنود الماليزيون: وينتشرون في سائر الأقاليم الماليزيّة لكن بنسب مختلفة، ويعملون في المطاط وزيت النّخيل وتعبيد الطرق، وقدّموا أيضًا في فترة استعمار ماليزيا من طرف بريطانيا.

الأوراسيّين: وترجع أصولهم إلى الأوروبيين الذين وفدوا إلى ماليزيا منذ القرن التّاسع عشر، ويتحدثون باللّغة البرتغاليّة.

وبخصوص التّكوين اللّغويّ في ماليزيا؛ فإنّنا نجد اللّغات الآتيّة:[5]

1. لغة البهاسا ملايو: وتندرج ضمن عائلة لغات جنوب شرق آسيا، ويبلغ عدد المتحدثين بها عالميا حوالي 18 مليون نسمة.

2. اللّغات واللّهجات الصّينيّة: هناك اللّغات واللهجات نفسها الموجودة في جنوب الصّين، خصوصًا الماندارين والكانتونيز، بالإضافة إلى الإنكليزيّة.

3. اللّغات واللهجات المرتبطة بالهنود: مثل التّاميل والتّلوجو والمالايا الأم، والبنجابيّة.

4. لغات ولهجات مرتبطة بالجماعات الأخرى: مثل الإيبان والكادازان، والبابيا كريستانج (papia kristang)

وبناء عليه نجد أن التّكوين الدّيني كذلك متنوع؛ إذ نجد أن من "يدين بالإسلام حوالي 53 بالمائة من السّكان؛ فغالبيتهم من الملايويين وبعض الصّينيين والهنود، وهناك من يدينون بالبوذيّة ويمثلون 19 بالمائة من عدد السّكان بالإضافة إلى تدين معظم الهنود بالهندوسيّة، كما توجد أقليّة مسيحيّة متعدّدة الأعراق وهناك حوالي 2 بالمائة ليس لهم ديانة، ويكفل الدّستور حريّة العبادة للجميع"[6].

ورغم هذا التّنوع والتّعدد إلاّ أنّ اللّغة الرّسميّة في البلاد هي الملايو، والدّين الرّسمي هو الإسلام[7].

هذا عن التّنوع والتّعدد الثّقافي واللّغويّ الموجود في ماليزيا؛ وإذا ما عدنا إلى المصطلح المستخدم: هل هو التّنوع أم التّعدد؛ فإنه يوجد فرق بين التّنوع الثّقافي والتّعدد الثّقافي؛ فالأول يقصد به "أصالة وتعدّد الهويات المميّزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانيّة. والتّنوع الثّقافي بوصفه مصدرا للتبادل والتّجديد والإبداع، هو ضروري للجنس البشري ضرورة التّنوع البيولوجي بالنّسبة للكائنات الحيّة. وبهذا المعنى يكون التّنوع الثّقافي هو التّراث المشترك للإنسانيّة"[8]. وأمّا الثّاني فيقصد به "السّياسات التي تستهدف توفير مستوى معين من الاعتراف العام ومساندة المجموعات العرقيّة الثّقافيّة غير المسيطرة، سواء كانت هذه الجماعات أقليات جديدة (كالمهاجرين واللاجئين) أم أقليات قديمة (كالأقليات المستقرة تاريخيا والسّكان الأصليين)"[9]. ومن هنا جاز إطلاق المصطلحين

بخصوص التّجربة الماليزيّة، لأنّ لديها تنوعا ثقافيا ولغويا وتحول إلى تعدد في ظلّ الاعتراف به جميعا ومحاولة حمايته حتى لا يطغى بعضه على الآخر.

ثانيًا-سبل محافظة ماليزيا على التّنوع الثّقافي واللّغويّ والاستثمار فيه: إنّ التّنوع الذي كان في ماليزيا لم يكن دائما على نحو متعايش ومسالم على الشّكل الذي نراه اليوم، بل إن أحداث ماي 1969 العرقيّة والتي حدث فيها مصادمة وقتال دامي بين الملايو وصينيي ماليزيا عقب الانتخابات الماليزيّة العامة لسنة 1969، أحدثت منعرجا في سياسة البلاد، أين تم الإعلان في 31 أوت 1970 -وهو يوم الاستقلال عندهم- عن الأيديولوجيّة الجديدة (Bukunegara) أو مواد الإيمان بالدّولة، وفيها تم تقرير ما يلي: "أمّتنا ماليزيا تكرّس نفسها لتحقيق وحدة أكبر لشعوبها؛ للحفاظ على أسلوب حياة ديمقراطيّة؛ لخلق مجتمع عادل يتم فيه تقاسم ثروة الأمة بشكل منصف؛ ولضمان نهج حر لتقاليدها الثّقافيّة الغنيّة والمتنوعة؛ ولبناء مجتمع نقدي يتجه نحو العلوم والتّكنولوجيا الحديثة؛ نحن، شعبها، نتعهد بتوحيد جهودنا لتحقيق تلك الغايات مسترشدين بهذه المبادئ:

الإيمان بالله؛

الولاء للملك والوطن؛

التّمسك بالدّستور؛

قواعد القانون؛

حسن السّلوك والأخلاق"[10].

كما تطلب أمر التّعايش والتّسامح أن يتطور الماليزيون بمختلف أطيافهم كفاءة ثقافيّة جديدة، ومحو أميّة ثقافيّة تشمل الوعي برؤيّة الفرد الثّقافيّة وأسلوب تعامله مع الفروق الثّقافيّة، ومعرفة الممارسات الثّقافيّة المختلفة والرّؤى العالميّة، ومهارات عابرة للثقافات، ليتعاملوا مع ما يزخرون به، بالإضافة إلى الوافد إليهم من السّياح[11].

1. سبل محافظة ماليزيا على التّنوع والتّعدد الثّقافي واللّغويّ:

التّعدديّة الحزبيّة: على الرّغم من أن نظام ماليزيا السّياسي يحتاج إلى شرح أكبر بكثير مما سنذكره الآن، لكن الذي يعنينا بدرجة أولى في سياق الحديث عن الأحزاب السّياسيّة، هو أن التّنظيمات الحزبيّة المتعددة التي احتوت على كافة العرقيات الماليزيّة أسهمت في أن تهدئ التّوترات النّاتجة عن الاختلافات العرقيّة، ممّا ساعد الحكومة على الحفاظ على استقرار الدّولة والتّناوب السّلمي للسلطة بين الأعراق الثّلاثة: الملايو والهنود والصّينيين. ولم يحدث بعد حادثة ماي أي من الأزمات أو الانقسامات في القيادة أو في السّخط الشّعبي[12].

التّقليل من الفقر: وضعت الحكومة الماليزيّة برامج لتقليل الفقر خصوصا الذي كان يعاني منه السّكان الأصليون، ونتيجة لهذه البرامج فقد تقلصت فجوة دخل الفرد من 19.7% في عام 2009 الى 6.1% في عام 2012[13]. كما تميزت هذه التّجربة الإنمائيّة بطابع إسلامي، تمثل في استحداث البنوك الإسلاميّة، وشركات التّكافل الاجتماعي، وتنظيم أموال الزكاة، مما أثر إيجابيا على الأقليات في المجتمع الماليزي. كما نجحت مؤسّسات إدارة أموال الزكاة -بشكل يتوافق مع الأحكام الشّرعيّة- في تقليص الفقر وفتح فرص التّعليم للطلاّب الملايويين المتفوقين في دول أخرى، ممّا عزز تعلّمهم للشريعة الإسلاميّة واللّغة العربيّة[14].

وعندما تولى محمد مهاتير رئاسة الوزراء بدايّة من عام 1981 فإنه أنشأ شركات مملوكة للدولة، يساهم فيها السّكان المحليون بأسهم مهمة. كما تم توفير رؤوس أموال على شكل منح وقروض لتمكينهم من شراء الأراضي. هذه الخطوات ساعدت في التّحرر من الأفكار المرتبطة بالفوارق الطبقيّة، وأهّلت المجتمع للانتقال نحو سياسة اقتصاديّة أكثر واقعيّة، أين شكلت فيها الخصخصة فرصة جيدة للمشاريع التّنمويّة، حيث أشار مهاتير محمد إلى أن الحكومة لم تواجه معارضة كبيرة ضد هذا النّهج. وبذلك، ساعدت التّعدديّة في مجال التّنميّة على تحقيق نوع من التّوازن بين الطبقات في المجتمع الماليزي[15].

تفعيل مبدأ الاندماج الاجتماعي: وهدفه تقليل الفروقات بين الأعراق والقوميات في ماليزيا، وتعزيز قيم التّسامح والتّعاون والأخوة للعيش معا بسلام، حيث أنشئت المؤسّسات الماليّة الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، مع تطبيق عدة مبادرات عززت من الوحدة الوطنيّة والتّلاحم بين جميع المواطنين[16]، كما أسهمت رؤيّة محمد مهاتير 2020 في ترسيخ هذا المبدأ، وسنرى هذه الرّؤيّة في العنصر الآتي.

رؤيّة محمد مهاتير الاستراتيجيّة والتّنمويّة لإدارة المجتمع الماليزي: رصد مهاتير الأسباب والعوامل وراء تخلّف الأوضاع الاقتصاديّة والثّقافيّة للملايو وحصرها في: العوامل الوراثيّة والبيئيّة؛ حيث كان الملايو يتزوجون فقط من داخل عرقيتهم وبيئتهم، فكان هناك محدوديّة في نظرتهم وفي انتقال الأمراض الوراثيّة النّاجمة عن رطوبة الجو والعمل في الحقول، ممّا أفقدهم حيويتهم ونشاطهم.

العوامل الثّقافيّة: فعلى الرّغم من أنّ الملايو يعتنقون الإسلام، إلاّ أنّ إسلامهم كان بسيطا ويفتقر إلى روحه؛ فكانوا ينتظرون حسن العاقبة ومفرطين في العمل والارتقاء في الدّنيا، بالإضافة إلى طبيعتهم العفويّة والبسيطة التي مكنت العرقيات الأخرى من استغلالهم بسهولة، كما أنهم كانوا أقل مواكبة للتطور من غيرهم. بالإضافة إلاّ أنّهم لم يكونوا يتشاركون مع بقيّة الأعراق في الأنشطة الاقتصاديّة[17]. أما عن الرّؤيّة الاستراتيجيّة التي وضعها لإدارة دولته فكانت مبادئها كالآتي:[18]

– استقلال الدّولة مرتبط بمدى استقرارها السّياسي، فالاستقرار يؤدي إلى تنظيم محكم لكل مؤسّسات ومنظمات الدّولة، وهذه المؤسسات تعمل على تنظيم عمليّة التّنميّة وتوزيعها بشكل مدروس على جميع القطاعات، ممّا يخلق مناخا اجتماعيا واقتصاديا مستقرا يشجع على التّنميّة والاستثمار داخليا وخارجيا؛

– للقيادة دور مهم في إدارة التّنميّة، وذلك من خلال قدرتها على التّعامل مع التّركيبة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والاختلافات العرقيّة والمذهبيّة؛

– يعدّ التّخطيط الاستراتيجي منهجا أساسيًّا في عمليّة التّنميّة، حيث يساعد في وضع الخطط اللازمة لتحقيق الأهداف المرغوبة؛

– تعتمد التّنميّة الشّاملة بشكل كبير على العنصر البشري، لذا يجب الاستفادة من هذا المورد وتنميته من خلال التّعليم والتّدريب، والاستثمار في رفع القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة للمواطنين؛

– تعزيز التّعاون بين القطاعين العام والخاصْ، ممّا يدعم التّواصل الفعال ويشجع على الاستثمار، خاصّة في المشاريع الصّغيرة؛

– تبني سياسة اقتصاديّة منفتحة ضمن قوانين ضابطة تضمن توفير مناخ استثماري مستقر وتحافظ على استقلال الاقتصاد.

2. طرق استثمار ماليزيا في التّنوع الثّقافي واللّغويّ: إنّ الرّؤيّة التّنمويّة لماليزيا حرصت على المساواة بين الماليزيين بمختلف عرقياتهم، وإلى تقليص الفوارق الاقتصاديّة والاجتماعيّة بينهم، فيمكن أن نجمل ما فعلته الحكومة الماليزيّة بعد أحداث 13 ماي في الآتي:[19]

- استبعاد الأفكار التّمييزيّة بين الأعراق والقوميات: والتّأكيد على أنّها جزء لا يتجزأ من كيان الدّولة، فالغايّة الأساسيّة هي العيش بسلام وتوافق بين جميع الأطياف للوصول إلى تأسيس دولة واحدة قويّة؛
- تفعيل الموروث الثّقافي لكل القوميات: وذلك من خلال السّماح بممارسة الاحتفالات والطقوس وبناء أماكن التّعبد الخاصة بهم؛
- نشر ثقافة التّعايش بين الإثنيات: عن طريق إنشاء مهرجانات مشتركة، حيث يكون هدفها هو الاستيعاب التّدريجي لهذه المجموعات ودمجها في ثقافة وطنيّة موحدة تمثل مختلف الاتجاهات؛
- الاهتمام بالجانب القيمي في الثّقافة المتنوّعة: حيث تعكس هذه الثّقافة القيم والمعتقدات والمعايير والرّموز لكل عرق من الأعراق. واستثمرت الحكومة في هذه الثّقافة لتحقيق التّنميّة الوطنيّة، حيث ركزت على بناء منظومة قيميّة موحدة محورها الأخلاق، القائمة على الدّمج بين قيم الحضارة الإسلاميّة والحضارة الآسيويّة، لتخاطب خصائص كل مواطن وفقا لمعتقده الدّيني والعرقي، ولتتوافق مع المبادئ والأسس العلميّة التي يجب أن يتعلمها. وتتمثل هذه القيم في:

– احترام الملك والقانون؛

– تحقيق التّعايش السّلمي والتّضامن والتّكافل بين أفراد العائلة الواحدة، ممّا سينعكس إيجابا على مشروع التّنميّة الوطنيّة؛

– مشاركة الجميع في المسؤوليّة وفي برنامج التّنميّة؛

– حفظ حقوق الجميع.

وقد أثّرت المنظومة القيميّة الأخلاقيّة للمجتمع الماليزي، في تنميّة مختلف المجالات وتطويرها.

استثمار التّنوع في التّعليم الأساسي: بسبب تاريخ ماليزيا الاستعماري، كانت المجموعات العرقيّة الرّئيسيّة الثّلاث –الماليزيون والصّينيون والهنود –تعيش منقسمة على أساس الدّين والثّقافة والاقتصاد أثناء الحكم البريطاني وزادت هذه الانقسامات بسبب وجود مدارس منفصلة لكل مجموعة. بعد استقلال ماليزيا في عام 1957، أصبح التّعليم جزءا مهما من جهود الحكومة لتوحيد البلاد. فأطلقت نظام التّعليم الوطني الذي يعتمد على مناهج موحدة ولغة تدريس واحدة، وهي المالايو. كما استمر وجود المدارس العامة (الصّينيّة والتّاميليّة) التي تستخدم الماندرين والتّاميل، مع تدريس المالايو والإنكليزيّة كمادة إلزاميّة[20].

كما انتهجت ماليزيا اللّغة المشتركة المهنيّة وهي الإنكليزيّة في تعليم الأطفال في جميع المراحل بين مختلف القوميات، بهدف تسهيل عمليّة التّواصل بين الأعراق المختلفة، ممّا يعزّز التّفاهم والتّعاون المتبادل في المجالات

الثّقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فهذه اللّغة المشتركة أسهمت في تقليل حدة الاختلافات العرقيّة من خلال الالتّزام بمبادئ العدالة والمساواة في توظيف المواطنين بغض النّظر عن أجناسهم وأعراقهم[21].

استثمار التّنوع في التّعليم العالي: حيث تعد ماليزيا وجهة مرغوبة بشدة من طرف الطلاب الدّوليين لأنّ بيئتها الدّراسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة تعد عامل جذب لتجربة دراسيّة متكاملة تعرفهم إلى مختلف الثّقافات والأفكار بالإضافة إلى تنوع وتطور أساليب التّعليم والبحث، فالبحوث والدّراسات التي تقدمها الجامعات ومراكز البحث إنّما تسهم في دعم وتعزيز الاقتصاد الوطني. ولذلك؛ فقد احتلت المركز الخامس عالميا والأول عربيا في الموسم الجامعي 2016-2017، بجذبها 152 ألف طالبا أجنبيا يسعون لمتابعة تحصيلهم العلمي.[22]

استثمار التّنوع في التّرويج للسياحة: تعد ماليزيا قبلة عالميّة إذ يأتيها السّياح من مختلف الأقطار، وقد بدأ هذا القطاع في الازدهار منذ 1970 وأصبح اليوم ثاني أكبر مصدر للعملة الأجنبيّة بعد قطاع الصّناعات التّحويليّة، فقد ركزت السّياحة الماليزيّة في بدايتها على السّياحة الشّاطئيّة، ثم تطورت لتشمل السّياحة التّسويقيّة والعلاجيّة والتّعليميّة والدّينيّة والتّرفيهيّة، وقد أسهمت البنيّة التّحتيّة من المواصلات المتعدّدة في تعزيز السّياحة بالإضافة إلى الموارد الطبيعيّة والحضاريّة والثّقافيّة المختلفة. ومن الاستراتيجيات التي وضعتها لتطوير السّياحة من عام 2001 إلى 2015 كانت الآتي:[23]

- تشجيع الاستثمار الخاص: إذ أعدت الحكومة الماليزيّة حوافز في شكل تمويل مالي، أطلق بموجبهما صندوقين عام 2001 هما؛ صندوق الهياكل الأساسيّة للسياحة، والصّندوق الخاص للسياحة والبنيّة الأساسيّة، أين أسهما في تطوير المنتجعات وتجديدها وتوفير الهياكل والخدمات اللازمة؛
- استضافة الأحداث والتّظاهرات الدّوليّة: إذ تعد فرصة كبيرة لتعزيز السّياحة في البلاد؛
- الاحتفال بالمناسبات الوطنيّة بالإضافة إلى الاحتفالات والأعياد التي تخص كل الأعراق الموجودة في ماليزيا والتي تستقطب السّياح المولعين باكتشاف الثّقافات عن قرب والمشاركة فيها؛
- التّرويج لماليزيا كوجهة للتسوق: وذلك من خلال تنظيم المهرجانات والكرنفالات السّنويّة وتقديم خصومات متنوعة، بالإضافة إلى تعدد وتنوّع منتجاتها؛
- عرض ماليزيا كوجهة سياحيّة مفتوحة طوال العام؛
- الأمن والأمان المتوفر للسياح؛
- البنيّة التّحتيّة المتطورة؛
- توفر شبكة الاتصالات؛
- النّظافة.

ثالثًا-كيفيّة الاستفادة من تجربة ماليزيا في إدارة التّنوع الثّقافي واللّغويّ الجزائري: إذا ما جئنا للحديث بصفة عامة عن الأسس التي يجب أن تتوفر في دولة متعددة القوميات والأجناس من أجل تحقيق تنميّة مستدامة فيها فيجب العمل على الآتي:[24]

- اعتراف الدّولة بوجود تركيبة سكانيّة متنوعة من الأعراق والإثنيات لتعزيز مبدأ الثّقة المتبادلة بينهم؛

- السّعي لإصدار قوانين وتنظيمات تؤكد على تطبيق مبدأ التّعاون بين الأجناس وتجريم كافة المحاولات التي تعيق ذلك؛
- تطوير سياسات تتسم بالعدالة والمساواة بين مختلف الأجناس دون أدنى تمييز؛
- ترسيخ فكرة أهميّة وأولويّة تحقيق الاستقرار والوحدة الوطنيّة للبلاد، وتجاوز كافة الاختلافات العرقيّة؛
- تكثيف الجهود في الجانب الأخلاقي القيمي الجامع؛
- تعزيز الوعي المدني حول أهميّة التّعدديّة الدّينيّة من خلال برامج أكاديميّة رسميّة؛
- خلق ثقافة الحوار والتّعايش السّلمي بين فئات المجتمع ذات الخلفيات العرقيّة المختلفة؛
- توعيّة الأفراد بأهميّة الرّوحانيّة في التّعايش الثّقافي، وزرع قيم السّلام في الإسلام؛
- تعزيز ثقافة التّعدد السّياسي وقواعد الحوار السّلمي بين الأحزاب؛
- مكافحة الإعلام الذي يروج لثقافة العنف بهدف محاربة التّعصب الدّيني والسّياسي؛
- تأسيس قيم التّسامح وحق التّداول السّلمي للسلطة من خلال تبني الدّيمقراطيّة وحريّة التّعبير؛
- تعزيز ثقافة قبول الاختلاف واحترام الآخرين.
- يعدّ التّخطيط الاستراتيجي أساسًا مهما لأي جهود تنمويّة، حيث يعتمد على رؤيّة فكريّة وإرادة سياسيّة ويركز على جميع عناصر التّنميّة، وخاصّة العنصر البشري الذي يلعب دورا رئيسيا في تحقيق التّنميّة؛
- يمكن استخدام النّموذج التّنموي الماليزي الذي يعتمد على التّخطيط الاستراتيجي، كمثال للتطوير والتّنميّة سواء في الميادين البشريّة أم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّعليميّة، لكن يجب أن نأخذ في عين الاعتبار أنّ هذه التّجربة خاصة بماليزيا، فلكل مجتمع خصائصه الفريدة؛
- على الفكر التّنموي أن يكون مرنا وقابلا للتجديد.

وعودا إلى الجزائر؛ فبخصوص تحسين التّعليم العالي وجعله أكثر جذبا للطالب الدّولي فإنّه يقترح الآتي:[25]

- تحديث البرامج التّعليميّة وتعزيز فاعليتها؛
- تطبيق إدارة الجودة الشّاملة في الجامعات؛
- الاختيار الأمثل لأعضاء هيئة التّدري؛
- إدخال إمكانيّة الدّراسة عن بعد في مؤسّسات التّعليم العالي، وأخذ شهادة دراسيّة نهائيّة مثل الليسانس والماستر، ولم لا الدّكتوراه؛
- توفير المرافق الجامعيّة المحسّنة التي تعطي تجربة دراسيّة مريحة؛
- التّعريف بالتّنوع الثّقافي واللّغويّ الجزائري والتّرويج له.

وبخصوص التّرويج للسياحة الجزائريّة فإنّه ينبغي التّعريف بالموارد الطبيعيّة المتنوّعة التي تحتويها الجزائر بالإضافة إلى الزّوايا والمتاحف، والتّراث الثّقافي المتعدّد، والصّناعات التّقليديّة المتنوّعة، بالإضافة إلى تهيئة بنيّة تحتيّة جيدة، وتكوين أفراد ومؤسسات للتعامل مع السّياح المختلفين.

أمّا بخصوص التّنوّع اللّغويّ في الجزائر، فإنّه نقطة إيجابيّة تفعّل روح الاكتشاف والفضول في نفوس السّياح المختلفين، خصوصا المتعلّمين للّغة العربيّة من غير النّاطقين بها.

كما لا بد من وضع رؤيّة استراتيجيّة تنمويّة للجزائر في جميع المجالات التي لها علاقة بالتّنوع الثّقافي واللّغويّ وانعكاسات ذلك على المجالات الحيويّة الأخرى.

خاتمة: بعد الذي تقدّم بحثه يمكننا رؤيّة أن المجتمع الماليزي يتكون من مجموعة متنوعة من الأعراق، حيث يعيش فيه أناس من جنسيات وثقافات ومعتقدات مختلفة، كل مجموعة لها عاداتها وتقاليدها ولغاتها الخاصّة، لكنّها تعيش تحت حكومة واحدة، حيث يمكن ملاحظة الاختلافات فقط من خلال اللّغات التي يتحدثون بها، والمظهر الخارجي، والمعتقدات الدّينيّة، والتّقاليد الثّقافيّة. ومع ذلك، فإنّ العلاقات بينهم تقوم على الاحترام والتّعايش السّلمي فيمكنك بسهولة أن تلحظ في البلد أكبر تمثال لبوذا، وأجمل المساجد، وأغرب المعابد، لكنّك لن تجد أبدا أي إهانة من طرف لآخر، وهذا الأمر الذي عملت الحكومة الماليزيّة على ترسيخه عند مواطنيها من خلال رؤيّة محمد مهاتير. فخرجت ماليزيا من بوتقة المصادمة الثّقافيّة واللّغويّة إلى رحابة المواءمة. ويمكن الاستفادة من هذه التّجربة من عديد الزوايا سواء أكانت في استحداث رؤيّة استراتيجيّة تنمويّة شاملة للبلاد، أم من خلال دعم التّنوّع وإعطائه فرصة للجذب السّياحي والطلابي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أسامة معمري، حمزة مفتاح، سبل تنافسيّة السّياحة الجزائريّة لتحقيق التّنميّة المستدامة من خلال الاستفادة من التّجارب الدّوليّة الرّائدة –التّجربة الماليزيّة نموذجا–، مجلة دراسات التّنميّة الاقتصاديّة، المجلد 4، العدد 1 2021.

2. رند طاهر شكري حسن علي، دور التّخطيط الاستراتيجي في التّجربة التّنمويّة في ماليزيا (رسالة ماجستير) كليّة الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنيّة، فلسطين، 2021.

3. سامة معمري، حمزة مفتاح، سبل تنافسيّة السّياحة الجزائريّة لتحقيق التّنميّة المستدامة من خلال الاستفادة من التّجارب الدّوليّة الرّائدة –التّجربة الماليزيّة نموذجا–، مجلة دراسات التّنميّة الاقتصاديّة، المجلد 4، العدد 1 2021.

4. سمير دهيليس، سعاد مزلف، التّجربة الماليزيّة في تطوير صناعة السّياحة المستدامة والدّروس المستفادة منها، مجلة الدّراسات المحاسبيّة والماليّة المتقدمة، المجلد 3، العدد 11، 2019.

5. سيف الدّين شنيقي، إدارة التّنوع العرقي والثّقافي في ماليزيا: مقاربة الدّولة الفيدراليّة (أطروحة دكتوراه)، قسم الدّراسات الدّوليّة كليّة العلوم السّياسيّة، جامعة الجزائر 3، 2021-2022.

6. فازيّة خلفوني، استراتيجيّة احتواء التّنوع الثّقافي في ماليزيا، مجلة الدّراسات الحقوقيّة، المجلد 11، العدد 1، 2024.

7. فتيحة سالم، دور التّعدديّة السّياسيّة في إنجاح مشروع التّنميّة البشريّة: نموذج تطبيقي من التّجربة الماليزيّة، المجلة الجزائريّة للسياسات العامة، العدد 14، 2017.

8. كنزة بن غاليّة، حاج قويدر قورين، محمد ترقو، التّجربة الماليزيّة في مكافحة الفقر ومقومات نجاحها، مجلة الاقتصاد والماليّة المجلد 5، العدد 2، 2019.

9. محمد بن ساع، التّعدديّة الثّقافيّة بين الاختلاف والاعتراف، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 13، العدد 3، 2024.

10. محمد محمود عبد العال، التّعدد العرقي من التّنازع إلى التّناغم النّموذج الماليزي، النّموذج الأمريكي، مركز التّنوع للدراسات.

11. DAUT, Nur. Unity in Diversity: Education in Multiethnic Malaysia. Journal of Living Together, 2024, vol. 9, no 1.

12. Ding Choo Ming, Some challenges in managing cultural differences in a multi-ethnic country: Malaysia, International Journal of the Malay World and Civilisation, 2(3), 2014.

13. Universal Declaration on Cultural Diversity, OHCHR : https://www.ohchr.org/en/instruments-mechanisms/instruments/universal-declaration-cultural-diversity, 02/11/2001, 05/01/2025

الهوامش:

[1]- Ding Choo Ming, Some challenges in managing cultural differences in a multi ethnic country : Malaysia, International Journal of the Malay World and Civilisation, 2(3), 2014, P 67.

[2]- سيف الدّين شنيقي، إدارة التّنوع العرقي والثّقافي في ماليزيا: مقاربة الدّولة الفيدراليّة (أطروحة دكتوراه)، قسم الدّراسات الدّوليّة كليّة العلوم السّياسيّة، جامعة الجزائر 3، 2021-2022، ص 142.

[3]- فتيحة سالم، دور التّعدديّة السّياسيّة في إنجاح مشروع التّنميّة البشريّة: نموذج تطبيقي من التّجربة الماليزيّة، المجلة الجزائريّة للسياسات العامة، العدد 14، 2017، ص 85.

[4]- المرجع السّابق، ص 115-118.

[5]- المرجع نفسه، ص 120-122.

[6]– المرجع نفسه، ص 125.

[7]– محمد محمود عبد العال، التّعدد العرقي من التّنازع إلى التّناغم النّموذج الماليزي، النّموذج الأمريكي، مركز التّنوع للدراسات، ص 37.

[8] Universal Declaration on Cultural Diversity, OHCHR : https://www.ohchr.org/en/instruments-mechanisms/instruments/universal-declaration-cultural-diversity, 02/11/2001, 05/01/2025.

[9]– محمد بن ساع، التّعدديّة الثّقافيّة بين الاختلاف والاعتراف، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 13، العدد 3، 2024، ص 89.

[10]– سيف الدّين شنيقي، إدارة التّنوع العرقي والثّقافي في ماليزيا: مقاربة الدّولة الفيدراليّة، ص 160-161.

[11] Ding Choo Ming, Some challenges in managing cultural differences in a multi-ethnic country: Malaysia, P 67.

[12]فتيحة سالم، دور التّعدديّة السّياسيّة في إنجاح مشروع التّنميّة البشريّة: نموذج تطبيقي من التّجربة الماليزيّة، ص 88.

[13]– كنزة بن غاليّة، حاج قويدر قورين، محمد ترقو، التّجربة الماليزيّة في مكافحة الفقر ومقومات نجاحها، مجلة الاقتصاد والماليّة المجلد 5، العدد 2، 2019، ص 105.

[14]– المرجع السّابق، ص 83.

[15]– المرجع نفسه، ص 87.

[16]– فازيّة خلفوني، استراتيجيّة احتواء التّنوع الثّقافي في ماليزيا، مجلة الدّراسات الحقوقيّة، المجلد 11، العدد 1، 2024، ص 183.

[17]– محمد محمود عبد العال، التّعدد العرقي من التّنازع إلى التّناغم النّموذج الماليزي، النّموذج الأمريكي، ص 62-63.

[18]– رند طاهر شكري حسن علي، دور التّخطيط الاستراتيجي في التّجربة التّنمويّة في ماليزيا (رسالة ماجستير)، كليّة الدّراسات العليا جامعة النّجاح الوطنيّة، فلسطين، 2021، 175-176.

[19]– فازيّة خلفوني، استراتيجيّة احتواء التّنوع الثّقافي في ماليزيا، ص 184-185.

[20] DAUT, Nur. Unity in Diversity: Education in Multiethnic Malaysia. Journal of Living Together 2024 vol. 9, no 1, p. 69.

[21]– فازيّة خلفوني، استراتيجيّة احتواء التّنوع الثّقافي في ماليزيا، ص 187.

[22]أسامة معمري، حمزة مفتاح، سبل تنافسيّة السّياحة الجزائريّة لتحقيق التّنميّة المستدامة من خلال الاستفادة من التّجارب الدّوليّة الرّائدة -التّجربة الماليزيّة نموذجا-، مجلة دراسات التّنميّة الاقتصاديّة، المجلد 4، العدد 1، 2021، ص 91.

[23]– سمير دهيليس، سعاد مزلف، التّجربة الماليزيّة في تطوير صناعة السّياحة المستدامة والدّروس المستفادة منها، مجلة الدّراسات المحاسبيّة والماليّة المتقدمة، المجلد 3، العدد 11، 2019، ص 113-114.

[24]فازيّة خلفوني، استراتيجيّة احتواء التّنوع الثّقافي في ماليزيا، ص 199. فتيحة سالم، دور التّعدديّة السّياسيّة في إنجاح مشروع التّنميّة البشريّة: نموذج تطبيقي من التّجربة الماليزيّة، ص 88-89. رند طاهر شكري حسن علي، دور التّخطيط الاستراتيجي في التّجربة التّنمويّة في ماليزيا، ص 180.

[25]– أسامة معمري، حمزة مفتاح، سبل تنافسيّة السّياحة الجزائريّة لتحقيق التّنميّة المستدامة من خلال الاستفادة من التّجارب الدّوليّة الرّائدة -التّجربة الماليزيّة نموذجا-ص 91.

"أمننة" اللّغة: كيف تُسهم السّياسات اللّغويّة في تحقيق الاستقرار الاجتماعيّ؟
-الجزائر أنموذجا-

د. سحقي سمر
جامعة البليدة 2

ملخّص: تعتبر اللّغة عنصرًا أساسيًّا في بناء الهويّة الوطنيّة، كما تمثّل قناةً حيويّة للتّفاعل الاجتماعيّ والسّياسيّ في المجتمعات المتعدّدة اللّغات. من هنا، فإنّ التّنوع اللّغويّ ليس مجرد ظاهرة ثقافيّة فقط، بل يشكّل أحد أبعاد ومقومات الأمن الاجتماعيّ والوطنيّ على حد سواء، بحيث يمكن للّغة أن تصبح أداة ناعمة (Soft power) لتعزيز التّماسك الاجتماعيّ والحفاظ على الهويّة الوطنيّة، كما يمكن أن تكون وسيلة للمصادمة وتعزيز حالة الانقسام والهوّة داخل المجتمع الواحد أو الأمة الواحدة. هنا نجد أنفسنا أمام إشكاليّة جدليّة تتمحور حول ضرورة اعتماد الدّولة على لغة واحدة وفرضها على الجميع، أم تعزيز جميع اللّغات المحليّة وإداراتها بشكل يحقّق نوعًا من الحريّة الثّقافيّة واللّغويّة؟

يمكن القول إنّ المقاربة النّاجحة تكمن في كيفيّة إيجاد توازن بين هذين الموقفين المتناقضين. فبينما تدعو فكرة اللّغة الواحدة إلى وحدة الدّولة وسهولة إدارتها، فإنّ دعم اللّغات المحليّة يتطلّب موارد إضافيّة وتخطيطا معقدا يضمن حقوق الجميع دون التّفريط في الهويّة الوطنيّة. وعليه من المهم أن تضع الدّولة سياسات لغويّة مرنة تضمن تفعيل اللّغة المّوحدة كأداة للتّواصل الإداري، بينما تتيح لكل فئة لغويّة الفرصة في ممارسة حريّتها الثّقافيّة واللّغويّة في مجالات التّعّليم والثّقافة والإعلام. وهذا ما يستدعي وجود قوانين تضمن تعزيز اللّغة الرّسميّة وإيجاد سبل للتّفاعل بين اللّغات المحليّة واللّغة الرّسميّة بطريقة تحقّق التّوازن بين الوحدة الوطنيّة والحريّة اللّغويّة والثّقافيّة.

Abstract : Language is considered a fundamental element in the construction of national identity, as it serves as a vital channel for social and political interaction in multilingual societies. Thus, linguistic diversity is not merely a cultural phenomenon, but also constitutes one of the dimensions and pillars of both social and national security. Language can become a soft power tool for strengthening social cohesion and preserving national identity, just as it can also serve as a means of conflict and deepen divisions and rifts within a single society or nation.

This brings us to a complex dilemma: should the state adopt and impose a single language for everyone, or should it promote and manage all local languages in a way that ensures a form of cultural and linguistic freedom?

It can be said that the successful approach lies in finding a balance between these two opposing stances. While the idea of a single language advocates for national unity and administrative efficiency, supporting local languages requires additional resources

and complex planning to ensure the rights of all groups without compromising national identity.

Therefore, it is important for the state to adopt flexible language policies that enforce the unified language as a tool for administrative communication, while simultaneously allowing each linguistic group the opportunity to exercise its cultural and linguistic freedom in education, culture, and media.

This, in turn, necessitates the existence of laws that guarantee the promotion of the official language while also creating mechanisms for interaction between local languages and the official language in a manner that achieves a balance between national unity and linguistic and cultural freedom.

المــقدّمة: تُعدّ اللّغة من أهم أدوات بناء الدّولة الوطنيّة وتحقيق الانسجام الاجتماعي، فهي ليست وسيلة للتواصل فقط بل وعاء للهويّة الثّقافيّة والمعرفيّة. وتزداد أهميّة السّياسات اللّغويّة في الدّول متعدّدة اللّغات، حيث تلعب دورًا رئيسيًّا في تحقيق التّوازن بين مكونات المجتمع، وتجنب النّزاعات المرتبطة بالهويّة والانتماء. والجزائر تقدم نموذجًا فريدًا للكيفيّة التي تدير بها السّياسات اللّغويّة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي.

من هذا المنطلق، جاءت دراستنا لتجيب على التّساؤل الرّئيسي التّالي: ما هي الآليات التي يمكن من خلالها إدارة التّعدد اللّغويّ بشكل يعزز من التّماسك الاجتماعيّ ويحمي الهويّة الوطنيّة دون أن يؤدي إلى انفصال أو صدام بين الجماعات اللّغويّة؟ وكيف تمكّنت الجزائر كنموذج رائد من تحقيق الأمن اللّغويّ مستثمرة ظاهرة التّنوّع في المجتمع على صعيدي الثّقافة واللّغة؟

أهداف الدّراسة:

- إبراز العلاقة بين السّياسات اللّغويّة والاستقرار الاجتماعيّ؛
- تحليل السّياسات اللّغويّة في الجزائر وتطورها؛
- تقييم أثر هذه السّياسات على التّماسك الوطنيّ؛
- تقديم مقترحات لتعزيز دور اللّغة كأداة استقرار اجتماعي في الجزائر.

منهجيّة البحث: سنعتمد في دراستنا على منهجيّة بحثيّة ومقاربات عابرة للتّخصّصات (Interdisciplinary Approaches) نسعى من خلالها التّوسع في الموضوع أكثر، بحيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي التّحليلي مع الاستعانة بالمنهج التّاريخي لرصد تطور مختلف السّياسات اللّغويّة في الجزائر، وكيف نجحت الدّولة الجزائريّة في الحفاظ على لغتها الوطنيّة رغم الظروف الاستعماريّة القاسيّة التي تعرضت لها طوال فترة الاستعمار الفرنسيّ. كما تمكنت من بناء نظام لغويّ يراعي التّنوع اللّغويّ والثّقافيّ، بفضل سياساتها التي تعترف بالتّعدد اللّغويّ والموازنة بين اللّغات الرّسميّة المحليّة مثل العربيّة والأمازيغيّة، محترمة بذلك المعاهدات الدّوليّة التي دعت إلى حمايّة التّنوّع الثّقافيّ، على غرار معاهدة اليونيسكو سنة 2005، ومؤتمر الأمم المتّحدة حول التّنوع الثّقافيّ2009 .

خطّة الدّراسة:

المحور الأوّل: الإطار المفاهيمي للسّياسات اللّغويّة والاستقرار الاجتماعيّ.

المحور الثّاني: تطور السّياسات اللّغويّة في الجزائر وسياقاتها التّاريخيّة.

المحور الثّالث: أثر السّياسات اللّغويّة في الجزائر على الاستقرار الاجتماعيّ.

المحور الرّابع: تحدّيات السّياسات اللّغويّة وآفاق تطويرها في الجزائر.

المحور الأوّل: الإطار المفاهيمي للسّياسات اللّغويّة والاستقرار الاجتماعيّ:

أوّلاً: مفهوم السّياسة اللّغويّة: ظهر مفهوم السّياسة اللّغويّة في بدايته كموضوع للدراسة سنة 1959 عندما قدم "هوغن" تعريفه للمصطلح المبني على تحليله للمجهود الذي طور في التّرويج لتحديث وتعزيز وتثبيت اللّغة الوطنيّة حيث كان ينظر لتخطيط السّياسة اللّغويّة على أنّه نشاط متعلق أساسا بالمظاهر الدّاخليّة للغة: ويكمن في إعداد الكتابة المعياريّة والنّحو والمعجم لتوجيه الكتاب والمتكلمين في الجماعة اللّغويّة[1].

وتُعرّف السّياسة اللّغويّة بأنّها: "مجموعة من القرارات الرّسميّة أو غير الرّسميّة التي تتخذها الدّولة أو أي هيئة سلطويّة، والتي تهدف إلى تنظيم استخدام اللّغات داخل المجتمع، سواء من حيث التّوظيف في التّعليم، أم الإدارة أم الإعلام، أم الحياة العامّة"[2].

كما تعرف السّياسة اللّغويّة أيضًا بأنّها: "مجموع القرارات الرّسميّة والتّنظيميّة التي تتخذها الدّولة لإدارة التّعدّد اللّغويّ ضمن المجتمع الواحد" [3].

وقد ميز بعض الباحثين بين مصطلحين متكاملين:

"**التّخطيط اللّغويّ** (*Language Planning*) "ويقصد به الإجراءات العمليّة التي تتخذها الدّولة أو المؤسّسات لتنظيم اللّغة وتعزيزها.

"**السّياسة اللّغويّة** (*Language Policy*) "وتشير إلى الإطار الــعام أو الفلسفة التي توجه هذا التّخطيط[4].

وبحسب روبرت كوبر (R. Cooper) ، فإن السّياسة اللّغويّة تمرّ بثلاث مراحل:

1-تخطيط الوضعيّة اللّغويّة :**(Status Planning)** وهو تحديد الوظائف التي تؤديها اللّغة في المجتمع.

2-تخطيط تنميّة اللّغة :**(Corpus Planning)** أي العمل على تطوير معجم اللّغة، نحوها، وتركيبها.

3-تخطيط اكتساب اللّغة :**(Acquisition Planning)** أي إدراج اللّغة في النّظام التّعليمي لتسهيل اكتسابها[5].

وعليه، فالسّياسة اللّغويّة تشير إلى كيفيّة تعامل الدّولة مع التّعدد اللّغويّ الموجود في محيطها، وإلى ما إذا كانت تسعى إلى فرض لغة موحدة، أو تعترف بالتّعدد، أو تتبنّى الحياد تجاه الاستخدامات اللّغويّة، وهو ما سنتعرض له بشكل مفصل في إطار دراستنا بالتّطرق للنموذج الجزائري.

ثانيًا: مفهوم الاستقرار الاجتماعي: يعرف الاستقرار الاجتماعي بأنّه :"حالة من الانسجام والتّوازن داخل المجتمع، تُبنى على احترام القوانين، والاعتراف بالاختلاف، وضمان المساواة في الحقوق، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة" [6].

من منظور أمني-اجتماعي يمثل الاستقرار الاجتماعي: "أحد أبعاد الأمن القومي، ويتجلى في قدرة المجتمع على الحفاظ على تماسكه الدّاخلي، واحتواء التّوترات الاجتماعيّة، ومنع تحولها إلى صراعات مهددة للنظام العام[7]".

كما يعرف الاستقرار الاجتماعي بأنّه: "حالة من التّوازن النّسبي داخل المجتمع، تتحقق من خلال عدالة توزيع

الفرص، وضمان المشاركة، واحترام الحقوق، ما يُفضي إلى حالة من القبول العام للنسق السّياسي والاجتماعي القائم[8]".

ولا تقتصر هذه المفاهيم على غياب العنف أو الاضطرابات، بل تشمل الشّعور بالانتماء الوطني، والثّقة في المؤسسات، وقبول التّعدد الثّقافي واللّغويّ. وبالتّالي، فإنّ غياب سياسة لغويّة عادلة قد يكون أحد أسباب التّوتر داخل المجتمع، خاصّة إذا شعر جزء من السّكان بالتّهميش أو الإقصاء بسبب لغتهم [9].

ثالثًا: العلاقة بين السّياسات اللّغويّة والاستقرار الاجتماعي: تشير الأدبيات الحديثة إلى أنّ السّياسات اللّغويّة تلعب دورًا محوريًا في تحقيق أو تقويض الاستقرار الاجتماعي، وذلك عبر عدة آليات:

1-تعزيز الهويّة الوطنيّة :عندما تعتمد الدّولة لغةً موحدة تمثل الوجدان الجماعي للأمة، فإنها تُعزز بذلك الشّعور بالانتماء المشترك.

2-الإقصاء والتّهميش: في حالة فرض لغة واحدة وتهميش اللّغات المحليّة، يشعر المتحدثون بتلك اللّغات بالإقصاء، مما قد يُفضي إلى النّزاعات أو حتى الحركات الانفصاليّة.

3-العدالة اللّغويّة: حقيق العدالة في توزيع الحقوق اللّغويّة – في التّعليم، الإعلام، والمشاركة السّياسيّة – يسهم في دمج الجميع ضمن الدّولة[10].

وقد بينت تجربة كندا، مثلًا، أن الاعتراف باللغتين الرّسميتين (الإنكليزيّة والفرنسيّة) ساعد على تهدئة النّزاع في كيبيك. وكذلك فعلت رواندا في مرحلة ما بعد الإبادة الجماعيّة حين اعتمدت على سياسة لغويّة تعزز المصالحة الوطنيّة [11].

أمّا في الجزائر، فقد تدرّجت السّياسات اللّغويّة من **سياسة التّعريب الشّامل** بعد الاستقلال، إلى **الاعتراف الدّستوري بالتّعدد اللّغويّ**، لا سيما بعد ترسيم الأمازيغيّة في التّعديلات الدّستوريّة لسنتي 2002 و2016. ويُعدّ هذا التّحول مؤشرًا على سعي الدّولة نحو تحقيق التّوازن الاجتماعي والاعتراف بالتّنوع[12].

يوصي عدد من الباحثين في هذا المجال باعتماد ما يُعرف بـ"السّياسات اللّغويّة التّشاركيّة (Participatory Language Policies)، أي تلك التي تُصاغ بمشاركة المجتمعات المحليّة، وتضمن لجميع المجموعات اللّغويّة حقوقها، دون المساس بالوحدة الوطنيّة. كما يدعو البعض إلى اعتماد مفهوم "المواطنة اللّغويّة (Linguistic Citizenship)، أي أن يكون لكل مواطن الحق في التّعبير بلغته ضمن فضاء عام متعدّد[13].

وعليه يمكن القول عموما إنّه كلّما كانت السّياسة اللّغويّة عادلة ومبنيّة على التّوافق، أسهمت في تقويّة الرّوابط الاجتماعيّة والهويّة الوطنيّة[14].

المحور الثّاني: تطوّر السّياسات اللّغويّة في الجزائر وسياقاتها التّاريخيّة:

أوّلًا: مدخل تاريخي – التّنوع اللّغويّ في الجزائر قبل الاستعمار: تتمتّع الجزائر بتعدّد لغوي وثقافي متميز تعود جذوره إلى مراحل تاريخيّة متعاقبة، فقد كانت الأمازيغيّة هي اللّغة المستعملة في منطقة شمال افريقيا ككل، ثم دخلت العربيّة مع الفتح الإسلامي، وامتزجت بها حضاريًا ولغويًا، لتصبح جزءًا من نسيج المجتمع الجزائري.

وقد سادت الثّنائيّة اللّغويّة (العربيّة والأمازيغيّة) عبر قرون، وكانت العربيّة لغة العلم والدّين والإدارة في معظم الفترات، في حين استُخدمت الأمازيغيّة كلغة تواصل يومي وثقافي في المناطق الجبليّة والرّيفيّة.

وعليه، فقد كانت اللّغة العربيّة رمزًا للهويّة الإسلاميّة، في حين بقيت الأمازيغيّة مكوّنا تراثيًا حيويًا يعكس الخصوصيّة الثّقافيّة للمنطقة المغاربيّة عمومًا [15].

ثانيًا: السّياسات اللّغويّة في الحقبة الاستعماريّة(1962 – 1830) : خلال فترة الاستعمار الفرنسي، شكّلت اللّغة أداة مركزيّة للهيمنة الثّقافيّة .فقد اتّبعت فرنسا سياسة لغويّة تقوم على إقصاء العربيّة وتهميش الأمازيغيّة ومحاولة فرنسة التّعليم والإدارة، بل حتى المجال الدّيني والثّقافي، من خلال:

-إحلال الفرنسيّة محل العربيّة في التّعليم الرّسمي منذ أوائل القرن العشرين؛

-منع استخدام العربيّة في الوثائق الرّسميّة والإداريّة؛

-دعم ما يسمى بـ"النّظريّة البربريّة (Théorie berbériste) "التي تهدف إلى فصل الأمازيغ عن الانتماء العربي الإسلامي[16].

وقد وصف المفكر الجزائري مالك بن نبي هذه المرحلة بأنّها "مرحلة التّدمير الممنهج للذات الحضاريّة للجزائري"[17].

ثالثًا: سياسة التّعريب بعد الاستقلال (1989 – 1962): بعد استرجاع السّيادة الوطنيّة، تبنّت الدّولة الجزائريّة سياسة التّعريب الشّامل، بهدف استعادة الهويّة الثّقافيّة والقوميّة التي طمستها فرنسا. تمثّلت هذه السّياسة في: تعريب منظومة التّعليم تدريجيًا منذ 1963، تعريب الوثائق الإداريّة والقوانين، وإلزاميّة اللّغة العربيّة في الإدارة والمؤسسات العامة[18].

وقد جاءت هذه السّياسة انطلاقًا من خلفيّة قوميّة ترى في العربيّة رمزًا للهويّة والوحدة الوطنيّة، لكنّها واجهت عدة تحديات من بينها نقص الكفاءات التّعليميّة المؤهلة بالعربيّة.

رابعًا: الاعتراف بالتّعدد اللّغويّ والدّسترة التّدريجيّة للأمازيغيّة: بدأت التّحولات الكبرى في السّياسات اللّغويّة تظهر مع **موجة الانفتاح السّياسي في بدايّة التّسعينيات**. وتجلّت في الاعتراف التّدريجي بالأمازيغيّة، كالتّالي:

-سنة 1995: استحداث المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة بموجب مرسوم رئاسي؛

-سنة 2002: ترسيم الأمازيغيّة كلغة وطنيّة بموجب تعديل دستوري[19]؛

-سنة 2016: ترسيم الأمازيغيّة كلغة رسميّة إلى جانب العربيّة، مع التّأكيد على حمايتها وتطويرها بموجب المادة 4 من الدّستور المعدّل[20].

وقد عدّ كثير من الباحثين هذا التّحول بمثابة **انعطافة استراتيجيّة** في السّياسة اللّغويّة الجزائريّة، تسعى إلى بناء **وحدة في إطار التّنوّع.**

وفي السّياق الرّاهن، أصبحت الجزائر رسميًا دولة تدعم التّعدد اللّغويّ بشكل يحقق الانسجام الاجتماعي وبرزت عدة مظاهر في السّياسة اللّغويّة:

-جهود في تطوير الأمازيغيّة وإنشاء المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة؛

-استمرار العربيّة كلغة تعليم وإدارة؛

-تزايد الدّعوات لاستخدام الإنكليزيّة في التّعليم العالي بدل الفرنسيّة.

ويمكن تلخيص تطوّر السّياسة اللّغويّة في الجزائر على النّحو الآتي:

المرحلة	السّمة العامّة للسّياسة
قبل الاستعمار	تعدد لغوي تقليدي متوازن
الاستعمار الفرنسي	إقصاء العربيّة والأمازيغيّة – فرض الفرنسيّة
بعد الاستقلال	تعريب شامل
منذ 2002	اعتراف تدريجي بالأمازيغيّة
بعد 2016	ترسيم الأمازيغيّة – تثبيت ثنائيّة لغويّة

جدول من إعداد الباحثة يوضّح السّمة العامّة للسّياسة اللّغويّة في كل مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر المعاصر.

ويُظهر هذا المسار أنّ التّحول نحو سياسة لغويّة دامجة وتعدديّة قد مرّ بمراحل من التّجاذب بين الهويّة والانفتاح، وبين الوحدة والتّعدد.

المحور الثّالثّ: أثر السّياسات اللّغويّة في الجزائر على الاستقرار الاجتماعي:

أوّلًا: اللّغة كعنصر من عناصر الهويّة والاستقرار: تُعدّ اللّغة أحد المكونات الأساسيّة للهويّة الوطنيّة، وهي تلعب دورًا جوهريًا في تحقيق الاندماج الاجتماعي والتّماسك المجتمعي .فالسّياسات اللّغويّة التي تعتمدها الدّول لا تؤثر فقط على مسألة التّواصل الإداري والتّربوي، بل تلامس العمق الثّقافي والسّيكولوجي للفرد والمجتمع، وترتبط بمفاهيم مثل *الانتماء، العدالة، والاعتراف*. ومن هنا، فإنّ **فشل السّياسات اللّغويّة** أو انحيازها قد يؤدي إلى *تهميش بعض الفئات* وإثارة **أزمات هوياتيّة** تؤثر على وحدة واستقرار المجتمع [21].

وفي السّياق الجزائري، فإن **التّعدد اللّغويّ (العربيّة، الأمازيغيّة، الفرنسيّة)** فرض على الدّولة تحديًا كبيرًا في صياغة سياسة لغويّة **عادلة وموحِّدة**، توازن بين احترام التّعدد الثّقافي وضمان الانسجام الوطني.

ثانيًا: سياسات التّعريب وأثرها على التّماسك الاجتماعي: منذ الاستقلال سنة 1962، تبنت الجزائر سياسة **التّعريب الشّامل**، واعتبرت اللّغة العربيّة ركيزة أساسيّة لبناء الدّولة الوطنيّة الحديثة. وكان لهذا التّوجّه عدة دوافع أهمّها:

-تصحيح الإرث الاستعماري القائم على فرض الفرنسيّة؛

-استعادة الهويّة الإسلاميّة والعربيّة[22].

إلاّ أنّ **السّياسة التّعريبيّة**، رغم مشروعيتها التّاريخيّة، واجهت عدة انتقادات من حيث المضمون والتّطبيق خاصّة بسبب:

-اعتمادها نمطًا فوقيًا في فرض اللّغة العربيّة في التّعليم والإدارة [23]؛

-ضعف التّنسيق مع الواقع اللّغويّ المعقّد في البلاد[24].

ثالثًا: دسترة الأمازيغيّة وتطوّر السّياسات نحو التّعدد: عرفت السّياسة اللّغويّة الجزائريّة **تحولًا إيجابيًا ابتداء من التّسعينيات،** خاصّة مع الاعتراف التّدريجي بالأمازيغيّة كلغة وطنيّة ثم رسميّة:

1995: المرسوم الرّئاسي رقم 147 - 95 المؤرخ في 27-05-1995 المتضمن انشاء محافظة عليا مكلفة بردّ الاعتبار للأمازيغيّة و ترقيّة اللّغة الأمازيغيّة؛

2002: ترسيم الأمازيغيّة كلغة وطنيّة؛

2016 : تعديل الدّستور للاعتراف بها كلغة رسميّة إلى جانب العربيّة[25].

وقد أسهم هذا التّحول في **امتصاص التّوترات الاجتماعيّة** في مناطق القبائل، و**إعادة بناء الثّقة بين الدّولة والمواطن،** من خلال الاعتراف بالهويّة الثّقافيّة الأمازيغيّة كمكون أصيل من مكونات الهويّة الجزائريّة.

ويؤكد الباحث عبد الحميد عبابسة أنّ "الاعتراف الدّستوري بالأمازيغيّة سنة 2016 أسهم في خفض الخطاب الانفصالي، وخلق مساحة من التّعايش اللّغويّ والثّقافي داخل المجتمع الجزائري"[26].

رابعًا: التّعدد اللّغويّ والعدالة اللّغويّة كضامن للاستقرار: تبيّن من خلال التّجربة الجزائريّة أنّ **العدالة اللّغويّة** هي مفتاح الاستقرار الاجتماعي. ويتطلب تحقيقها:

-الاعتراف القانوني بجميع اللّغات الوطنيّة؛

-تطوير البنى التّحتيّة التّعليميّة والإداريّة بما يضمن تداولًا فعليًا لهذه اللّغات؛

-إرساء سياسات تعليميّة متوازنة لا تهمّش أي مكوّن لغوي.

وتظهر الدّراسات السّوسيولغويّة الحديثة أنّ المجتمعات المتعددة لغويًا **لا تستقر إلا إذا أُدير تنوعها بإدماج وتوازن،** دون فرض أو إقصاء[27].

في هذا السّياق، تشير تجربة الجزائر إلى تبني نموذج فريد من السّياسات اللّغويّة استطاع أن يضمن:

-وحدة الدّولة عبر اللّغة العربيّة كلغة مشتركة؛

-احترام الخصوصيات الثّقافيّة عبر الأمازيغيّة؛

-التّعامل العملي مع اللّغات الأجنبيّة (الإنكليزيّة بشكل أكبر مستقبلا) كلغات وظيفيّة[28].

يمكن القول إنّ **السّياسات اللّغويّة في الجزائر أثرت بشكل مباشر على الاستقرار الاجتماعي،** فحينما تبنّت الدّولة سياسة لغويّة مركزيّة، ظهرت توترات جعلت الدّولة تتدارك الوضع بالاعتماد على سياسة الإدماج والتّعدد أين تحققت مؤشّرات أكبر من التّماسك والوحدة. وعليه فإنّ إدارة التّنوع اللّغويّ **بشكل عقلاني ومتكامل،** هو أحد مفاتيح الأمن الاجتماعي والانسجام الثّقافي في الجزائر.

المحور الرّابع: تحديات السّياسات اللّغويّة وآفاق تطويرها في الجزائر:

أوّلًا: ضرورة الانتقال من "سياسة لغويّة إقصائيّة" إلى "سياسة لغويّة إدماجيّة": لقد أثبتت التّجربة الجزائريّة أن السّياسات اللّغويّة التي تُمليها النّزعة الإيديولوجيّة، تخلق احتقانات ثقافيّة واجتماعيّة. أمّا السّياسات الإدماجيّة

المبنيّة على الاعتراف بالتّعدد والتّوازن بين الحقوق والواجبات، فهي السّبيل الأمثل نحو تحقيق الوحدة في إطار التّنوع.

وقد أشار الباحث اللّغويّ عبد القادر جدي إلى أنّ "أي سياسة لغويّة ناجحة يجب أن تتجاوز التّصنيفات الإقصائيّة، لتُعطي لكل لغة فضاءً وظيفيًا وتواصليًا داخل المنظومة الوطنيّة"[29].

ينص الدّستور الجزائري (2016) في مادته الرّابعة على أنّ العربيّة والأمازيغيّة هما اللغتان الرّسميتان للدولة[30] ومن هذا المنطلق، فإن تبني سياسة لغويّة إدماجيّة سيعزّز الانتماء الجماعي والولاء للدولة، ويقلل من التّوترات الهوياتيّة.

ثانيًا: الاعتراف باللّغات الأجنبيّة كلغات وظيفيّة لا بدائل للهويّة: أحد التّحديات الكبرى في السّياسة اللّغويّة الجزائريّة هو موقع اللّغات الأجنبيّة، وخصوصًا الفرنسيّة والإنكليزيّة، فعلى الرّغم من أنّ الإنكليزيّة بدأت تحظى بمكانة تصاعديّة، لكنّها لم تُؤسّس بعد بشكل ممنهج[31].

من هنا، ينبغي إرساء سياسة لغويّة تُميّز بين اللّغة الرّسميّة الوطنيّة وبين اللّغة الوظيفيّة العالميّة، وفق النّموذج المتبع في دول مثل ماليزيا، رواندا أو الهند، حيث:

-لا تُستخدم اللّغات الأجنبيّة كوسيلة للتمييز الطبقي أو الهيمنة الثّقافيّة؛

-تُستثمر كلغة انفتاح وتعاون اقتصادي وتقني.

وهو ما يؤكده الباحث اللّغويّ الجزائري صالح بلعيد أنّ "الانفتاح اللّغويّ المدروس لا يتناقض مع حمايّة الهويّة الوطنيّة، بل يعزز موقع الدّولة في النّظام العالمي الجديد"[32].

ثالثًا: نحو ميثاق لغوي وطني جامع: من الضروري أن تُؤسّس الجزائر ميثاقًا لغويًا وطنيًا، يُحدد معالم السّياسة اللّغويّة، ويضع آليات للتنفيذ والتّقييم، على أن يتضمن:

-المبادئ الكبرى (الاعتراف، التّوازن، العدالة اللّغويّة)؛

-وظائف كل لغة (العربيّة، الأمازيغيّة، الفرنسيّة، الإنكليزيّة)؛

-رؤيّة مستقبليّة لاستعمالات اللّغات في الإدارة، التّعليم، الإعلام، القضاء، والاقتصاد.

ويجب أن يكون هذا الميثاق ثمرة لحوار وطني واسع، تشارك فيه كل مكونات المجتمع: سياسيون، خبراء لغويون، جمعيات مدنيّة، ممثلو المناطق، وأكاديميون.

خامسًا: تثمين التّعدد اللّغويّ كرافعة للتنميّة: أخيرًا، ينبغي تغيير النّظرة إلى التّعدد اللّغويّ من كونه "عبئًا" إلى كونه "فرصة تنمويّة". فتجارب دول مثل سويسرا، كندا، بلجيكا، تؤكد أنّ التّنوع اللّغويّ:

-يزيد من فرص التّعليم والانفتاح على الأسواق الدّوليّة؛

-يعزّز الإبداع الثّقافي والمعرفي؛

-يكرّس ثقافة الحوار والتّسامح[33].

وعليه، فإنّ الجزائر قد قطعت شوطا كبيرا في تحويل ثرائها اللّغويّ إلى محرك للتنميّة الثّقافيّة والاقتصاديّة، إذا تمّت إدارته بسياسات ذكيّة ومتوازنة.

خاتمة: إنّ آفاق تطوير السّياسة اللّغويّة تتطلب رؤيّة بعيدة المدى ترتكز على التّوازن والاعتراف والمشاركة. بحيث يجب أن تتأسس السّياسة اللّغويّة على مرجعيّة وطنيّة جامعة، تضمن استقرار الدّولة وتعزز لحمتها الاجتماعيّة، وتؤهلها للانخراط في السّياق العالمي المتغير، وهو ما قامت به الجزائر من خلال تجربتها الفريدة بحيث نجحت في استئصال التّأثير المستمر للفرنسيّة كموروث استعماري، واستطاعت أن تضع مقاربة مرنة تضمن تعميم اللّغة المّوحدة، مع الحفاظ على اللّغات المحليّة، لأنّ الإشكاليّة اللّغويّة ليست مجرّد مسألة تواصل أو تعبير بل هي رهان استراتيجي على وحدة المجتمع واستقراره. فنجاح السّياسات اللّغويّة لا يُقاس بمدى فرض لغة على أخرى، بل بمدى قدرتها على بناء جسور بين مكوّنات المجتمع المختلفة، وتعزيز الانتماء الوطني دون إقصاء أو تهميش. ومن ثمّ، فإن المقاربة المتوازنة التي تجمع بين احترام التّعدديّة وتكريس اللّغة الرّسميّة كرمز للوحدة، تمثل الخيار الأمثل لبناء مجتمع متماسك وآمن لغويًا وثقافيًا، وهو ما نجحت الجزائر في تجسيده.

استنتاجات:

-السّياسة اللّغويّة في الجزائر كانت ولا تزال أحد العوامل المؤثرة في الاستقرار الاجتماعي؛

-الاعتراف بالأمازيغيّة رسمياً أسهم في تخفيف حدة المطالب الاجتماعيّة والاستقطابات الهوياتيّة داخل المجتمع؛

-التّعدد اللّغويّ يمكن أن يتحول إلى عنصر وحدة إذا ما أُدير بطريقة عادلة وتشاركيّة.

التّوصيّات:

-صياغة ميثاق لغوي وطني تشاركي؛

-ضمان الحياد اللّغويّ في الوظائف والإدارة؛

-دعم البحث العلمي في مجال السّياسات اللّغويّة.

المـــــراجع:

الـــــكتب:

إحدادن زهير، اللّغة العربيّة في الجزائر: بين السّياسة والمجتمع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004.

آل خليفة محمد العيد، دراسات في الثّقافة والهويّة، دار الغرب، الجزائر، 1992.

بن نبي مالك، شروط النّهضة، دار الفكر، دمشق، 1991.

بورايو عبد المجيد، اللّغة والهويّة في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2009.

الجابري محمد عابد، الهويّة والتّعدديّة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2009.

جابي ناصر، المسألة اللّغويّة في الجزائر: مقاربة سوسيولوجيّة، منشورات الشّهاب، الجزائر، 2012.

زايد أحمد، السّوسيولوجيا والأمن الاجتماعي، مكتبة الأنگلو-المصريّة، القاهرة، 2010.

عبادي أحمد، السّياسات اللّغويّة في العالم العربي، دار الفكر، بيروت، 2016.

عبد المجيد عبد الله، مفاهيم في علم الاجتماع السّياسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002.

مجدي عبد الحميد، النّظام السّياسي والاستقرار الاجتماعي، دار الشّروق، القاهرة، 2008.

ميهوبي، عز الدّين، الهويّة واللّغة في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2011.

المجلات والدّوريات:

أوذاينيّة عمر، هنيّة حسين، ""السّياسة اللّغويّة دراسة نظريّة للمفهوم والأهداف من وجهة نظر سويولوجيّة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع،ع.16، 2015.

بلعيد صالح، "التّخطيط اللّغويّ في الجزائر"، *مجلة الممارسات اللّغويّة*، جامعة باتنة، عدد 4، 2017.

بن طوبال عبد العالي، اللّغة والهويّة في الجزائر: دراسة سوسيولسانيّة، جامعة باتنة، 2019.

بن يحيى، عبد الله، "سياسات التّعريب في الجزائر: قراءة في المنجز والتّحديات"، مجلة رؤى مستقبليّة، عدد 7، 2018.

بوجديرة عبد الكريم، "السّياسة البربريّة الاستعماريّة وأثرها على وحدة الجزائر الثّقافيّة"، مجلة العلوم الإنسانيّة، جامعة باتنة، عدد 10، 2004.

بوزيان سمير، "اللّغة الإنگليزيّة في الجزائر: بين الانتشار والمقاومة"، مجلة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، عدد 7، 2019.

جدي عبد القادر، "السّياسة اللّغويّة في الجزائر بين المرجعيّة الوطنيّة والضغوط الخارجيّة"، *مجلة اللّغة والمجتمع*، عدد 12 2021.

عبابسة عبد الحميد، "السّياسة اللّغويّة والتّماسك الاجتماعي في الجزائر"، مجلة السّياسات العامة، جامعة تبسة، عدد 11، 2020.

الوثائق الرّسمي:

القانون الدّستوري رقم 16-01، المؤرخ في 6 مارس 2016، الجريدة الرّسميّة الجزائريّة.

الدّستور الجزائري المعدل 2016، المادة 4.

الدّستور الجزائري المعدّل 2002، الجريدة الرّسميّة.

Books and journals :

Cooper, R. L. (1989). *Language Planning and Social Change*. Cambridge University Press.

Fishman, J. A. (2006). *Language Loyalty in the United States*. Mouton.

Fishman, Joshua. *Language and Ethnicity in Minority Sociolinguistic Perspective*. Multilingual Matters, 2001.

Kaplan, R. & Baldauf, R. (1997). *Language Planning: From Practice to Theory*. Multilingual Matters.

Laponce, Jean. *Languages and Their Territories*. University of Toronto Press, 1987.

Nora H. de Leeuw, "Language Policy and Social Cohesion," *Journal of Multilingualism*, 2020.

Ricento, T. (Ed.). (2006). *An Introduction to Language Policy: Theory and Method*. Blackwell.

Skutnabb-Kangas, T. (2000). *Linguistic Genocide in Education or Worldwide Diversity and Human Rights?* Lawrence Erlbaum Associates.

Stroud, C. (2001). *African Multilingualism and the Language of Instruction Dilemma*. Applied Linguistics.

الهوامش:

[1] – عمر أوذاينيّة، هنيّة حسين، السّياسة اللّغويّة دراسة نظريّة للمفهوم والأهداف من وجهة نظر سويولوجيّة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد.16، 2015، ص .157.

[2] -Fishman, J. A. (2006). *Language Loyalty in the United States*. Mouton, p.12.

[3]– أحمد عبادي، السّياسات اللّغويّة في العالم العربي، دار الفكر، بيروت، 2016، ص 45.

[4] - Kaplan, R. & Baldauf, R. (1997). *Language Planning: From Practice to Theory*. Multilingual Matters, p.23.

[5] -Cooper, R. L. (1989). *Language Planning and Social Change*. Cambridge University Press, p.8.

[6]– عبد المجيد عبد الله، مفاهيم في علم الاجتماع السّياسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص33.

[7]–أحمد زايد، السّوسيولوجيا والأمن الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2010، ص. 73.

[8] – مجدي عبد الحميد، النّظام السّياسي والاستقرار الاجتماعي، دار الشّروق، القاهرة، 2008، ص. 102.

[9] - محمد عابد الجابري، الهويّة والتّعدديّة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2009، ص 122.

[10]- Skutnabb-Kangas, T. (2000). *Linguistic Genocide in Education or Worldwide Diversity and Human Rights?* Lawrence Erlbaum Associates, p.15.

[11]- Ricento, T. (Ed.). (2006). *An Introduction to Language Policy: Theory and Method*. Blackwell, p.28.

[12] -القانون الدّستوري رقم 16–01، المؤرخ في 6 مارس 2016، الجريدة الرّسميّة الجزائريّة.

[13] -Stroud, C. (2001). *African Multilingualism and the Language of Instruction Dilemma*. Applied Linguistics ,p.162.

[14]- Nora H. de Leeuw, "Language Policy and Social Cohesion," *Journal of Multilingualism*, 2020, p.12.

[15]– محمد العيد آل خليفة، دراسات في الثّقافة والهويّة، دار الغرب، الجزائر، 1992، ص .42.

[16]– بوجديرة عبد الكريم، "السّياسة البربريّة الاستعماريّة وأثرها على وحدة الجزائر الثّقافيّة"، مجلة العلوم الإنسانيّة، العدد 10 2004 ص.36.

[17] –مالك بن نبي، شروط النّهضة، دار الفكر، دمشق، 1991، ص 75.

[18]– عبد القادر بن عيسى، "سياسة التّعريب في الجزائر: قراءة في الواقع والآفاق". مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 55 2020، ص. 45–60.

[19] – الدّستور الجزائري المعدّل 2002، الجريدة الرّسميّة.

[20] – الدّستور الجزائري المعدّل 2016، المادة 4.

[21]– عبد المجيد بورايو، اللّغة والهويّة في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 37.

[22] – بن يحيى، عبد الله، "سياسات التّعريب في الجزائر: قراءة في المنجز والتّحديات"، *مجلة رؤى مستقبليّة*، العدد 7، 2018 ص 14.

[23] – زهير إحدادن، اللّغة العربيّة في الجزائر: بين السّياسة والمجتمع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ص 82.

[24] – ناصر جابي، *المسألة اللّغويّة في الجزائر:* مقاربة سوسيولوجيّة، منشورات الشّهاب، الجزائر، 2012، ص 64.

[25] – الدّستور الجزائري المعدل سنة 2016، المادة 4.

[26] – عبابسة، عبد الحميد، "السّياسة اللّغويّة والتّماسك الاجتماعي في الجزائر"، مجلة السّياسات العامة، العدد 11، 2020، ص 22.

[27] - Fishman, Joshua. *Language and Ethnicity in Minority Sociolinguistic Perspective*. Multilingual Matters, 2001.

[28] - ميهوبي، عز الدّين، الهويّة واللّغة في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص 95.

[29]–عبد القادر جدي، "السّياسة اللّغويّة في الجزائر بين المرجعيّة الوطنيّة والضغوط الخارجيّة"، مجلة اللّغة والمجتمع، العدد 12 2021، ص 23.

[30]– الدّستور الجزائري المعدل 2016، المادة 4.

[31]– بوزيان، سمير، "اللّغة الإنكليزيّة في الجزائر: بين الانتشار والمقاومة"، *مجلة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة*، العدد 7، 2019 ص 65.

[32]– بلعيد، صالح، "التّخطيط اللّغويّ في الجزائر"، مجلة الممارسات اللّغويّة، العدد 4، 2017، ص 44.

[33] - Laponce, Jean. *Languages and Their Territories*. University of Toronto Press, 1987, p.60.

حوار الثّقافات في ظلّ ترجمَة مَعانِي القرآن الكَريم

د. بلبشير محمد
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان– الجزائر

الملخّص: تبحث هذه الدّراسة في أهميّة ترجمة معاني القرآن الكريم في تعزيز التّبادل الثّقافي والتّواصل بين الحضارات والشّعوب. وتستكشف كيف تُسهم التّرجمة في تهيئة بيئة اجتماعيّة وثقافيّة تُعزّز الحوار والتّسامح الدّيني. وتُعدّ ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى ترجمةً سليمةً ضروريّة لتعزيز التّفاهم والحوار بين الثّقافات المختلفة، فهي تُمثّل نقطة انطلاقٍ للتّعارف، الذي بدوره يُفضي إلى التّواصل والحوار والتّعايش بين الأمم والشّعوب. وتُدرك الدّراسة الدّور المحوري الذي تلعبه ترجمة النّصوص المقدّسة في إثراء الثّقافات، وربط الشّعوب حول العالم وتطوير منظورٍ مُتجدّدٍ للعلاقات بين البشر.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن الكريم؛ التّرجمة؛ التّعارف؛ الحوار؛ الحضارات؛ الثّقافات.

Summary: This study examines the significance of translating the meanings of the Holy Qur'an in fostering cultural exchange and communication between civilizations and peoples. It explores how translation contributes to creating a social and cultural environment that promotes dialogue and religious tolerance. The proper translation of the Qur'an into other languages is seen as essential for promoting mutual understanding and dialogue between different cultures. Translation serves as a starting point for acquaintance, which can then lead to communication, dialogue, and coexistence between nations and peoples. The study acknowledges the pivotal role that the translation of sacred texts plays in enriching cultures, connecting people worldwide, and developing a renewed perspective on the relationship between individuals and others.

Keywords: Koran- translation; acquaintance; dialogue; civilizations; cultures.

مقدّمة: إنّ المشكلة بين الثّقافات والشّعوب ليس في عدم الحوار فيما بينها، وإنّما في عدم التّعارف والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة، فإن كل ثقافة غالبا ما تصور مشكلاتها مع الثّقافات الأخرى على أساس عدم المعرفة السّليمة بها، وقراءة المختلف بمرجعيات وأحكام مسبقة لا تمد جسر التّواصل بين الشّعوب، فيبقى جانب الصّراع والتّصادم هو الطاغي.

لقد كانت لترجمة النّص الدّيني _ القرآن الكريم _ الوسيلة المهمّة في إيصال رسالة الإسلام إلى النّاس كافّة والأثر الكبير في تدبر معاني القرآن الكريم لمن لم يستطع أن يراه بمنظار اللّغة العربيّة من المسلمين وغيرهم.... وبالتّالي يكون هناك تقريب بين الشّعوب وحوار للثّقافات وتعارف للحضارات الذي حدّده الله تعالى في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ ﴾(الحجرات: 13) وهذا لبناء الجسور والوصول إلى المختلف وتجاوز الذّات أو فلسفة الذات، باعتبار أنّ التّرجمة هي السّفينة التي تنقل الحمولات الثّقافيّة المتنوعة من مرفأ إلى آخر.

من هذا المنطلق تحاول الدّراسة استجلاء دور ترجمة معاني القرآن الكريم في خلق المناخ الاجتماعي والثّقافي للتعارف بين الحضارات والشّعوب، وما يتّصل به من بناء وتجديد في الثّقافة الإسلاميّة وتواصلها مع ثقافة الشّعوب الأخرى المختلفة.

فما مدى إسهام ترجمة معاني القرآن الكريم في تعارف الحضارت، والتّواصل بين الشّعوب وثقافة الحوار ونشر التّسامح الدّيني؟

وما المسالك الكفيلة لترجمة معاني القرآن الكريم التي ترسم تعارف الحضارات، أبعاد حوار الثّقافات؟ وهل للتّرجمة السّليمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى أهميّة في تعارف وحوار الثّقافات؟ وهل التّعارف هو بدايّة التّواصل، ثم الحوار، ثم التّعايش بين الأمم والشّعوب والأقوام.

أوّلا: استراتيجيّة ترجمة معاني القرآن الكريم: يشير القرآن الكريم بألفاظه العربيّة الفصيحة إلى معاني دقيقة تحتاج إلى التّعميق في البحث، وغوص وراء جواهره المكنونة، لهذا نجد علماء التّفسير يركّزون على المعنى القريب الميسور الرّاجح، فإذا ترجم هذا التّفسير بأمانة وبراعة فإنّ هذا يقال فيه: ترجمة تفسير القرآن، بمعنى شرح الكلام، وبيان معناه بلغة أخرى. فما استراتيجيّة ترجمة معاني القرآن الكريم عند المستشرقين وعند المسلمين؟

أ-عند المستشرقين: ترجع أولى محاولة لترجمة القرآن الكريم في القرن الثّاني عشر، وقد تمّت بتوجيه من "بطرس المبجل" رئيس دير كلوني، وقام بها عالم إنكليزي" روبرت الكيتوني و(Roberto Ketton) وساعده ألماني اسمه هرمانوس (Hermanus) وراهب إسباني مجهول، وقد تضمّنت التّرجمة شروحات وتعليقات وردود وملاحظات، وكان القصد من التّرجمة ليس معرفة ما يقوله القرآن الكريم بقدر ما كان القصد منها تفنيد ما فيه – بزعمهم–والرّد عليه وتنفير النّصارى من الإسلام.

وظهرت ترجمات أخرى إلى اللاتينيّة من بينها ترجمة الألماني جوستاف فلوجيل (Gustav flugel) وهو الذي وضع أوّل معجم لألفاظ القرآن الكريم.

وتوالى ظهور ترجمات لمعاني القرآن باللّغات الأوروبيّة المعاصرة، فقد ترجمه إلى الألمانيّة شفير (Schwegger) سنة 1616م.

وتعد أقدم ترجمة كاملة للقرآن الكريم في الغرب، في مطلع العصر الحديث تلك التي قام بها القس مراتشي في أواخر القرن السّابع عشر والتي ظهرت عام 1698م بعنوان "حول تنفيذ القرآن" ويتضمّن هذا العمل النّص العربي والتّرجمة اللاتينيّة للقرآن الكريم ومقدمة. وقد قام مراتشي بالتّعليق على النّص العربي برمته وتفنيده.

وبناء على ترجمة مراتشي هذه التي راح منها المستشرقون، يصبون فرياتهم في صلب ترجماتهم وفي التّعليقات والهوامش المرتبطة بها وفي المقدّمات الخاصّة بها، أصبح هناك في كل دولة غربيّة ترجمة أم تعدّ بمثابة القالب الذي لا يجب عليهم الحياد عنه. ومنها ترجمة" تيودور نولدكه" في ألمانيا، ودورييه (Deryer) في فرنسا سنة

1647، وسافاري سنة 1783 وبلاشير (Blachere) سنة 1948، وظهرت ترجمة حديثة جدا للمستشرق جاك بيرك عام 1993.

أمّا التّرجمات باللّغة الإنكليزيّة فمن أبرزها ترجمة "روس Ross " سنة 1648 وترجمة" جورج سيلGeorge) Sale) سنة 1743، والتي اشتهرت بمقدمتها التي تضمنت كثيرا من المفتريات على القرآن الكريم، وقام بترجمته مستشرق آخر هو "بالمر (Palmer) سنة1861. ومن التّرجمات الحديثة ترجمة "بَكْتَل" وترجمة " آربري" وقد ترجمه مسلمون بالأسلوب الاستشراقي وهم " احمد علي" وترجمة " عبد الله يوسف"، وهو قادياني.

وقد جمع كاتب مقال (القرآن) في دائرة المعارف الإسلاميّة في طبعتها الحديثة سردا بمختلف ترجمات القرآن الكريم سواء التي قام بها مستشرقون أو مسلمون[1]، وقد استخلصنا ترجمات المستشرقين وأحصيناها كما يلي:

الألمانيّة15 ترجمة ـ الفرنسيّة 10 ـ الإنكليزيّة10 ـــ الايطاليّة09 ـ الرّوسيّة 10 ـ الهولنديّة06 ـ الإسپانيّة10 ـ البلغاريّة 03 ـ الهنغاريّة02.البولونيّة02 ـ اللاتينيّة 07ـ الفيلنديّة02 ـ الرّومانيّة01 ـ اليونانيّة01 – العبريّة 06–الصّينيّة 04.

ويمكن تلخيص استراتيجيّة ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرقين والتي لن تحيد عنها أي ترجمة من ترجماته حتى يومنا هذا، وإن اختلفت الصّور والأساليب في النّقاط الأساسيّة التّاليّة:

1- أثارت كثيرا من الشّبهات والافتراءات حول القرآن الكريم، حاول من خلالها إنكار أنّ القرآن الكريم منزّل من عند الله، والادعاء بأنّه لا يتضمّن تشريعا. والإصرار على أنّه من تأليف سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وإنكار أميته. والادعاء بأنّه يزخر بالتّحريف الذي تم أثناء جمعه وتدوينه، وبأنّه غير صالح لكل زمان ومكان.

2- نادرا ما توفرت الشّروط الموضوعيّة العلميّة والتّجرد المنهجي في ترجماتهم، وذلك راجع لسباق تعصبهم الدّيني، أو اعتقادهم الباطل بشريّة القرآن.

وقد أجاد أبو الحسن النّدوي –فيما اصطلح عليه بـ "الاستراتيجيّة الاستشراقيّة الدّقيقة" حين قال عن هؤلاء:" ومن دأب كثير من المستشرقين: أنهم يعينون لهم غايّة، ويقدرون في أنفسهم تحقيق تلك الغايّة بكل طريق، ثم يقومون بجمع معلومات لها ـ من كل رطب ويابس ـ ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الدّيانة والتّاريخ أم الأدب والشّعر، أم الرّوايّة والقصص، أم المجون والفكاهة. وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدّمونها بعد التّمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظريّة لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم"[2]

ويذكر المستشرق الإنكليزي "مو نتو جمر يوات" في كتابه "أثر الإسلام على أوروبا في القرون الوسطى" محاولة بعض الصّليبيين تشويه القرآن عن طريق التّرجمة المغلوطة عمدا قائلا:" وكثيرا ما يحدث أن تترجم آيات قرآنيّة بشكل مغلوط لإظهار أنّها تزين الفاحشة في مواضع لا يوجد فيها ذلك"[3].

وهذا ما شهد به أيضًا محمد حميد والله، حين ذكر في ترجمته للقرآن بالفرنسيّة أنّه في سنة 1861 طبعت في مدينة لشبونة ترجمة للقرآن باسم امرأة تزعم أنّها مسلمة تدعى (فاطمة زايد) قال: "وما هي في الواقع إلا دسيسة من دسائس بعض المشعوذين، فهي –أي التّرجمة المذكورة–فيما عدا سورة الفاتحة، خليط من نصوص مدسوسة عليه، وفي كثير من الأحيان آيات من سور معينة مدمجة في سور أخرى"[4].

3 -ربما كان الطعن في لغة القرآن وبلاغته انعكاسا للواقع الذي يجد فيه المترجم المستشرق نفسه حين يعجز عن فهم أساليب اللّغة العربيّة، وتقصر همّته عن إدراك معاني اللّسان الذي نزل به القرآن الكريم، فيلجأ المترجم العاجز إلى التّغطيّة على ضعفه وقصوره بالتّحامل على لغة القرآن الكريم.

ومن المترجمين الذين يصدق عليهم هذا الوصف: المستشرق الألماني " تيودور نولدكه" (1836-1930) ويهمنا في هذا البحث ما استرسله في تعداد "ملاحظاته النّقديّة حول الأسلوب والتّركيب في القرآن" حيث قال: "إنّ القرآن تكرر فيه كثيرا مقاطع رئيسيّة بنفس الألفاظ، وهذا – التّكرار-يثير الاستفزاز"[5].

وكلامه في هذا الموضوع يشهد على مدى جهله باللّسان العربي الذي يدعى دراسته ونقده[6]، ولا يتسع المجال لتتبع مختلف أراجيف هذا المستشرق، فهو لا يتوانى عن الطعن في إعراب القرآن، والصّرف، وبلاغة الأسلوب.... وقد صدق عمر لطفي حين قال عن نولدكه: بأنّه "رغب في تبرير عجزه اللّغويّ وإحساسه بالضّعف عن مجاراة علماء المسلمين في لغتهم..."[7].

د-محاولة إفساد ترتيب أي القرآن الكريم، بدعوى تسهيل العمل على الباحثين الأجانب الرّاغبين في معرفة تاريخ، ومراحل، وأسباب نزول الوحي، وتقوم هذه المحاولة على إعادة ترتيب الآيات القرآنيّة، لا كما هي عليه في المصحف، وإنّما حسب ترتيب نزولها، وهذا مخالف للترتيب المتوارث عن الرّسول صلّى الله عليم وسلّم، وهو ترتيب توقيفي وليس توفيقي كما هو معلوم[8].

وهذه المحاولة رددها الكثير من المستشرقين الذين عنوا أيما عنايّة بدقة التّرتيب ولطافة التّبويب، منهم بلاشير الذي أخذ يبحث عن السّبب في عدم إطراء التّرتيب في السّور، ولماذا قدمت بعض السّور الأصغر حجما على أخرى أطول منها؟

وقد انتقد صبحي الصّالح هذه المحاولات، وبين ضعفها، وذكر أنّ: "بلاشير نفسه اعترف بضعف محاولته مع دقة ترجمته، قال: "تظل ترجمة (بلاشير) للقرآن في نظرنا أدق التّرجمات، للروح العلمي الذي يسودها، لا ينقص من قيمتها إلا التّرتيب الزّمني للسور القرآنيّة بطريقة يعترف (بلاشير) نفسه بأنّها لا تخلو من تعسف في إطلاق الأحكام"[9].

4ـ إلحاح المترجمين المستشرقين بضرورة إخضاع القرآن للنقد التّاريخي والتّحليل اللّغويّ الحديث حتى يمكن إدماجه في العصر الحديث، وكأنهم يتناسون أنّه لا يمكن استخدام آليات التّحليل والدّراسات الالسّنيّة للغة اللاتينيّة على اللّغة العربيّة المختلفة الأصل والجذور.

5 ـ تمتاز بعض التّرجمات على تبيان معانيها، وذلك طبقا لمعتقدات المترجم، مقابل نص القرآن الكريم دون شرح، أو الزّام في اختيار كلمات التّرجمة بما سجلته القواميس. أو ما اختاره كبار علماء الانكليزيّة، بل نجد أحيانا أن المترجم يصنف كلمات للدلالة على معاني النّص الشّريف، منها: ما يبدو مستوفيا للمدلول، ومنها: ما يدعو إلى الاستغراب.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- الصّلاة: تعرف على أنّها أقوال وأفعال مفتتحة بالتّكبير مختتمة بالتّسليم مع النّيّة بشرائط مخصوصة هذا اصطلاحا، أمّا لغة: فهي الدّعاء لقوله تعالى:" (وصل عليهم) (التّوبة:103).

وفي التّرجمة للصّلاة نجد أنّها ترجمت بـ (PRAYER) بمعنى الدّعاء فقط أو جلسة الكنيسة التي يتم فيها دعاء يردده القساوسة أو الاتباع، وهي لا تعطي الصّورة المرادة في الإسلام، ويطلق عليها (ماريا دوك) كلمة عبادة (Worship)، مع أنّه يطلق نفس الكلمة على الصّلاة في أوّل سورة البقرة: ﴿**ألم؛ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين الذِينَ يُومِنُون بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصّلاَة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون**﴾(سورة البقرة :1-3).

-الزّكاة: يترجمها (مارما دوك) في قوله ﴿والذين هم للزّكاة فاعلون﴾(سورة المؤمنون:04)، بقوله:﴿الذين يدفعون للفقراء المستحق لهم﴾:(Paying of the poor due) وكلمة (DUE) تطلق على أي شيء مستحق دَينًا أو غيره.

أمّا عبد الله يوسف-باكستاني من الفرقة القاديانيّة، ترجم القرآن الكريم ثم وضع تعليقات بالهامش يشرح المقصود من التّرجمة -فيترجم الزّكاة في نفس هذه الآيّة بكلمة (Charitty) التي من معانيها؛ الهبة أو الإحسان أو عمل الخير، أو المحبة، ومع أن ترجمة (مارما دوك)، لا تعطينا معنى الزّكاة في الإسلام، إلا أنّها أدقّ من ترجمة (يوسف علي) إلى حدٍّ ما.

- لفظ الجلالة (الله) يساوون بها كلمة (God) مع أنّها لا تعطي المعنى المراد، لأنّ كلمة (إلاه God) يجوز فيها التّشريك، وهي لا تعني عند القارئ النّصراني، ما يعنيه المسلم من كلمة أو الاسم الأعظم (الله) بل إنّها تطلق على غير الله عند معتقدي التّثليث، وتطلق على معان أخرى مبثوثة في معاجم اللّغة ولا تصح إطلاقا على الله سبحانه وتعالى، لأنّ الاسم (الله)، لا يطلق على غيره كما هو معلوم عند علماء الإسلام من الدّين بالضّرورة.

- كلمة النّبي تترجم (Prophet)، وهذه التّرجمة لا تعني عند أهل الغرب أنّها قاصرة على رسل الله الكرام بل أنّ الكلمة تطلق على من له نبوءة بأمر له اتصال بالمستقبل، كما تطلق على صاحب نظريّة جديدة إلى غير ذلك.

- يترجمون (الغيب) بكلمة (Unseen) غير مرئي، وهذه الكلمة لا تعني الغيب الذي أخبرنا الله به، ولا سبيل إلى رؤيته، وقد لا يحتاج إلى إيمان بوجوده، وما كل غير المنظور يطالب النّاس بالإيمان به كعالم الأشباح.

هكذا نرى فساد تراجم هؤلاء المترجمين المستشرقين وأذنابهم -المنتمين إلى بيئة القرآن وحضارة الإسلام- لإخضاعهم التّرجمة لما يهدف لمبادئهم وأهوائهم، وعدائهم للإسلام، وقد انتحلوا لذلك أراجيف سبقهم إلى الطعن بها-في ربانيّة القرآن-سلفهم، ممن شهد نزول الوحي، وتولى القرآن نفسه الرّد على تلك الأراجيف.

ورغم هذا الفساد والخلط نجد بعض الدّارسين المسلمين المعاصرين من يرى في المستشرقين رمزا من رموز "البحث العلمي الموضوعي الرّصين".

وإذا كانت مختلف التّرجمات قد ابتغت ترجمة القرآن الكريم لتسليم لها معتقداتها فأدى بها ذلك إلى التّفريط في المنهج. فإنّ التّرجمات الاستشراقيّة للقرآن قد جعلت التّعصب أو الحقد مرآة لها تنظر من خلالهما إلى القرآن ففرطت في المنهج العلمي الذي ادعته، وأفرطت في تحاملها على موضوع دراستها الذي هو ترجمة معاني القرآن.

ب: ترجمة معاني القرآن الكريم عند المسلمين: حيال كل تلك المحاولات الاستشراقيّة الدّؤوبة للنيل من القرآن الكريم، بدأت بعض المؤسسات الإسلاميّة وبعض العلماء الغيورين على دينهم في عمل ترجمات أمينة لمعاني القرآن منذ مطلع القرن العشرين، ومنها ترجمات جزئيّة وأخرى كاملة. ومن أهم المؤسّسات جامعة الأزهر والمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة بجمهوريّة مصر العربيّة، ومجمع الملك فهد بالمملكة العربيّة السّعوديّة، ورابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة)، ومعهد الأديان بالأردن.

وقد أثير موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم في مصر، في العصر الحديث، ثلاث مرات[10]:

1– لما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن باللّغة الإنكليزيّة وطلبت مصلحة الجمارك بإحراقها سنة 1925م.

2– حينما قررت حكومة تركيا برئاسة مصطفى كمال أتاتورك ترجمة معاني القرآن إلى اللّغة التّركيّة.

3– عندما قررت مشيخة الأزهر الشّروع في عمل تفسير منتخب لمعاني القرآن بالاشتراك مع وزارة المعارف وذلك أيام تولي فضيلة الإمام محمد مصطفى المراغي رئاسة المشيخة للمرّة الثّانيّة عام 1936م على أن تقوم لجنة من المتخصّصين في اللّغات الأجنبيّة بترجمة هذا التّفسير.

وسبب هذا القرار الذي يمثل تحولا في موقف المشيخة هو المناخ الذي كان يسود البلدان الإسلاميّة غير المتحدثة بالعربيّة، وهو مناخ مسمم بكل ما يمس الإسلام والمسلمين، فلم يكن بين أيديهم سوى ترجمات مشوهة قام بها المستشرقون كما ذكرنا آنفا.

ولكن رغم هذه الجهود المبذولة، اعترف الكثير ممّن ترجموا معاني القرآن من غير النّاطقين باللّغة العربيّة مسلمين كانوا أو غير مسلمين بصعوبة ترجمة القرآن والعجز عن مضاهاة اللّغات الأخرى باللّغة العربيّة، ومن هؤلاء على سبيل المثال: أ، ج، اربري الذي كان من أشد المعجبين بلغة القرآن لكنّه قال: "بدون شك لغة القرآن العربيّة تتحدى أيّة ترجمة مناسبة لأنّ البيان المعجز يتلاشى حتى في أكثر التّرجمات دقّة"[11].

هذه الصّعوبة دفعت مترجمي القرآن الكريم إلى اللّغة الإنكليزيّة مثلا، إلى ابتكار ما يمكن تسميته بلغة إسلاميّة إنكليزيّة (ISLAMIC ENGLISH)، حيث قاموا بالتّعبير عن الأسماء الإسلاميّة بمعانيها دون تحريف وبذلك ظهرت مفردات دينيّة بديلة تغلغلت في اللّغة الإنكليزيّة مثل: اسم الجلالة الله (ALLAH) بدلا من (GOD)، وهذا ما نجده عند المسلمين في أوربا وغيرها، ينفرون من استعمال كلمة (GOD) ويفضّلون استعمال الكلمة العربيّة (الله)، وكلمة (HAJ) بدلا من (PILGRIMAGE) و(ZAKAT) و(SADAKAH) بدلا من (CHARITY) وهكذا مشيرة إلى أنّ انتشار المفردات الإسلاميّة ودخولها إلى اللّغات الأخرى يؤدي دورا هاما في توحيد المسلمين في العالم على اختلاف لغاتهم.

ثانيا: الحضارات: من الصّراع إلى التّعارف والحوار:

أ: الحضارات ...بدل الصّراع والحوار! يرى صامويل هنتغتون (Samuel Huntington),(1927-2008) أنّ الفروق بين الحضارات الأربع (الصّينيّة الهندوسيّة والإسلاميّة والغربيّة) هي فروق أساسيّة تتلخّص في التّاريخ واللّغة الثّقافيّة والأهم الدّين، فالدّين مركزي في العالم الحديث, وربما كان هو القوة المركزيّة التي تحرك النّاس وتشحدهم... وأنّ الإسلام يمثل مشكلة ليس لها حل، حسب رأي هنتغتون، لاسيما في ظل الصّحوة الإسلاميّة التي منحت المسلمين الثّقة في شخصيتهم المميزة، وفي الإحساس بأهميّة حضارتهم، وفي القيم الإسلاميّة بالمقارنة بالقيم والحضارة الغربيّة في العالم.[12]

كما أنّ خطورة الإسلام –حسب قول هنتغتون –تكمن في التّوسع الخارجي للمجتمعات الإسلاميّة أو على شكل الهجرة إلى أوروبا وأمريكا[13]. ممّا يعني اتساع الرّقعة الجغرافيّة للإسلام... وكذا إقبال الغرب على اعتناق الإسلام بكثافة تلقائيّة ممّا يغذي قاعدة الإيمان بالعناصر البشريّة[14].

فنظرة هنتغتون إلى مستقبل العالم نظرة تشاؤميّة، ونظرته إلى الإسلام نظرة عدوانيّة... لهذا دعت الأفكار العاقلة إلى استبدال مقولة صراع الحضارات بمقولة حوار الحضارات والثّقافات، رغبة منهم في إيجاد قيم مشتركة بين الشّعوب والثّقافات، دعما للتفاهم بين الحضارات المختلفة لإقامة جسور التّواصل والتّفاهم بين الأمم والشّعوب.

فلا شكّ "أنّ الخيار البديل لصدام الحضارات هو أنّ تتفاعل الحضارات الإنسانيّة مع بعضها بعضا بما يعود على الإنسان والبشريّة جمعاء بالخير والفائدة، فالتّفاعل عمليّة صراعيّة ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضاريّة لتحديات الرّاهن، عكس نظريّة "صدام الحضارات" التي هي مقولة صراعيّة تدفع الغرب بإمكاناته العلميّة والماديّة لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسّيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى وتبرير أن نزاعات العالم المقبلة سيتحكم فيها العامل الحضاري".[15]

ب . تعارف الحضارات... بديل الصّراع والحوار! يرى الجابري، أنّ من يقول بحوار الحضارات يقع في شباك "هنتغتون" نفسه، لأنّه من النّاحيّة التّاريخيّة لا معنى لحوار الثّقافات، فالثّقافات تتداخل وتتلاقح. وهذا التّداخل يتمّ بشكل عفوي لا إرادي عن طريق الاحتكاك الحضاري عبر قنوات ووسائط مختلفة، وليس بشكل مخطط له وإلاّ اعتبر غزوا ثقافيا، خاصّة إذا مورست المثاقفة تحت ضغوط معيّنة من الغالب على المغلوب مثلما فعلت بعض الدّول الاستعماريّة على الشّعوب المستعمرة في محو شخصيّة هذه الشّعوب وخاصّة اللّغة والدّين والعادات والتّقاليد لتصبغها بثقافة جديدة هي ثقافة المستعمر"[16]

كما يرى زكي الميلاد بأنّ صدام الحضارات ... تشاؤم وتكريس للصراع، وأن حوار الحضارات ... طموح تفصله مسافات طويلة تمنع من أن يتقدّم العالم خطوات نحوها. وهي المقولة الجاهزة الاعتراضيّة على مقولة صراع الحضارات[17].

فحوار الحضارات أو الأديان أو الثّقافات ... لا يحتاج إلى دعوة، فهو سنّة من سنّن الكون الثّابتة إنّما يحتاج إلى إبراز عناصر التّفعيل من لدن هذه الحضارات كما من لدن تلك... والتي من أهمها حسب زكي الميلاد عنصر "مشروطيّة" التّعارف القبلي فيما بين الحضارات، وفق أخلاقيات تحدد لذلك الإطار والتّوجه والفلسفة[18].

فالنّظريّة البديلة لصراع الحضارات، التي يحاول أن يؤسّس لها زكي الميلاد هي "تعارف الحضارات" وهي رؤيّة إسلاميّة مقتبسة من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(سورة الحجرات:13)، كما أنّها نظريّة إنشائيّة بمعنى أن القاعدة فيها هي الإنشاء وليس الإخبار، فقد جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين النّاس كافة حينما انقسموا إلى شعوب وقبائل، كما نصّت الآيّة السّابقة.

إنّ الحقيقة الرّفيعة التي تفيدها آيّة سورة الحجرات تخص الحياة الاجتماعيّة، أي: (يا أيُّها النّاس) خلقناكم طوائف وقبائل وأممًا وشعوبًا كي يعرف بعضكم بعضًا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعيّة، لتتعارفوا فيما بينكم فتعاونوا فتحابوا، ولم نجعلكم شعوبا وقبائل لتتناكروا فتعاندوا فتتعادوا[19].

ففكرة تعارف الحضارات، إنّما هي "محاولة لتطوير مستويات الفهم في النّظر إلى عالم الحضارات، والسّعي لاكتشاف آفاق جديدة أو غائبة، تسهم في تجديد العلاقات بين الحضارات، وتوسع من دائرة التّواصل فيما بينها والتّأكيد على ضرورة بناء هذه العلاقات على أساس المعرفة المتبادلة، ومن خلال بناء جسور التّعارف، لإزالة كافة صور الجهل، والتّخلص من رواسب وإشكاليات القطيعة، والحكمة من هذه الفكرة تنطلق من قاعدة أن تعدد الحضارات أو انبعاث حضارات جديدة، لا يفترض أن يؤدي إلى صدام، ولا ينبغي أن يفهم هذا التّعدد بمنطق التّصادم والصّراع بينهما، وإنّما يفهم على أساس التّنوع والتّعارف والتّعايش بينهم."[20]

لذلك فتعارف الأنا مع الآخر المختلف وتوسيع دائرة التّعارف هذه يؤدي كما يقول طه عبد الرّحمن إلى "تبيين أنّهم جميعا يشتركون في التّعارف، أي أنّ العمل التّعارفي الكوني، يفضي على كونيّة العمل التّعارفي"[21].

فزكي الميلاد مدرك تمام الإدراك أن مبدأ العالميّة الذي نادى به القرآن الكريم هو سلوك حضاري متفتح يدعو إلى تعارف الحضارات، لذلك وظف الخطاب القرآني في الحض على إقامة علائق وديّة بين شعوب العالم كما أنّه متشبع بفكرة بناء المجتمع الإنساني القائم على تعارف الشّعوب وتعاونها، بغض النّظر عن اختلاف الالسّنة والألوان وتعدد الثّقافات.

إنّ استحضار بيان آيّة التّعارف جاء ليحصن الاختلاف من الخلاف، وليعزّز الاجتماع البشري وينظمه، لهذا يفترض أن يتحقق في هذا البيان بعدان الأوّل هو بعد الغايّة والثّاني هو بعد الوسيلة. أمّا بعد الغايّة فهو الذي أدركه جل المفسرين بقولهم إنّنا مأمورون بالتّعرف على الحضارات الأخرى ومأمورون بمد جسور التّثاقف، ويظهر هذا البعد حين نقرأ الأمر بالتّعارف على أنه مقصد للاختلاف، وأمّا بعد الوسيلة فهو ضرورة أن يكون التّعارف لا مجرد غايّة بل وسيلة لتدبير الاختلاف والتّنوع وتحقيق الائتلاف.

فالتّعارف هو المفهوم الذي حددته آيّة الحجرات لتحديد النّمط العام لعلاقات النّاس كافة مهما تعددت وتنوّعت أعراقهم وسلالاتهم، لغاتهم والسّنتهم، ديانتهم ومذاهبهم، تاريخهم وجغرافيتهم، ولأنّ خطاب آيّة الحجرات إلى النّاس كافة[22]، ولأن الحديث عن الشّعوب والقبائل وليس عن أفراد أي أنّه حديث عن أمم ومجتمعات وتجمعات، لذلك فقط جاز لنا تطبيق هذا المفهوم على مستوى الحضارات، ومن هنا تحديد مفهوم تعارف الحضارات.

كما يلاحظ أنّ آيّة تعارف الشّعوب هي من سورة الحجرات (جمع الحجرة)، وهذه الشّعوب والقبائل تسكن هذه الحجرات، ولكي تكون هذه الشّعوب كتلة مجتمعة لا متفرقة، لابد أن تتعارف وتعيش في أمان في هذه الحجرات وكأن الاحتواء حقيقة بين الشّعوب على اختلافها في هذه الحجرات.

"فنظريّة تعارف الحضارات هي أكثر من كونها مرحلة وسيطة أو انتقاليّة، فهي وسيطة بمعنى على أساسها تتحدد مستويات ودرجات واتجاهات العلاقات ونظم التّواصل بين النّاس وبين المجموعات البشريّة وبين الحضارات وكذا أنماط وأشكال وصور هذه العلاقات والتّواصلات؛ فالتّعارف هو الذي يؤسّس لأشكال الحوار ومستوياته ودرجاته..."[23]

إنّ إعادة قراءة مفهوم التّعارف في ضوء الاستخلاف وتدبير الاختلاف يجعلنا ننظر إلى التّعارف باعتباره مفهوما منظما للاجتماع البشري أي باعتباره غايّة ووسيلة في آن واحد. لقد أمرنا الله بالتّعارف باعتباره غايّة للاختلاف[24]، إلا أنّ من حكمة هذا القرآن ورؤيته البنائيّة للعالم أن جعل الغايات تستبطن في عمقها الوسائل فاستبطن التّعارف في عمقه الكيف الذي ينبغي أن يكون عليه هذا التّعارف حتى يحقق المنتظر منه، إن النّظر إلى التّعارف باعتباره وسيلة لتدبير الاختلاف يجعلنا نقرأ التّعارف على أنّه في المستوى العالي هو: التّعرف على الآخر والإقبال عليه ومد جسور التّثاقف معه، أمّا في مستواه الوسيلي فإنه يفترض أن يكون وسيلة تؤمن تحقيق المستوى الغاني.

فالغايّة الأساسيّة بنظرنا لتعارف الشّعوب هو الوصول إلى حوار الثّقافات الذي يحدد شكل العلاقات بين الحضارات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطورها؛ فالمشكلة بين الحضارات ليس في عدم الحوار فيما بينها وإنّما في عدم التّعارف والانقطاع عن تكوين هذه لمعرفة وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص، لذلك فإنّ كل حضارة غالبًا ما تصور مشكلاتها مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة السّليمة أو الصّحيحة بها.

ولعلّ هذا ما نجده في الثّقافة الغربيّة ونظرتها إلى الحضارة الإسلاميّة، حينما تتوهم عن الإسلام أوهاما كثيرة تجعل منه عدوا تاريخيا وتقليديا لها، كما توهم هنتغتون، أو ما يقوم به الإعلام الغربي من التّحريض على التّخوف من أسس ومبادئه وقيمه، حتى أصبح يعرف ما يسمى " بالإسلاموفوبيا".

غير أنّ هذا التّوهم والتّخويف لا أساس له، فالإسلام دين إنساني النّزعة يجد تألفا له ولفكره حينما يتلاقح مع الأفكار الأخرى بطريقة الأخذ والعطاء بما يخدم الإنسانيّة، كما أنّ الإسلام كدين وحضارة يدعو إلى التّفاعل مع باقي الدّيانات والحضارات، وهذه الدّعوة تنبع من رؤيّة الدّين الإسلامي إلى التّعامل مع غير المسلمين.

كما أنّ للحضارة الإسلاميّة ملامح تتمحور في أربعة عناصر أساسيّة متعاونة إيجابا، وبها وعليها قامت حضارة الإسلام: الرّبانيّة، الإخاء الإنساني، الشّمول، المنهجيّة العلميّة.

-فالرّبانيّة صلة بين الإنسان وربّه؛

-والإخاء صلة بين الإنسان وأخيه الإنسان؛

-والشّمول صلة بين الإنسان والكون.

أمّا المنهجيّة العلميّة بمفهومها الإسلامي الذي يجمع بين الوحي والعقل، طريقة للتعامل بنورين من الوحي والعقل، مع الكون والإنسان.

فبهذه الملامح نقدم حضارتنا الإسلاميّة إلى حضارة الغرب والحضارات الأخرى، نقدمها بإبداعاتها وقيمها، نقدّم رؤيتها لقضايا العالم، من حقوق الإنسان، وسلام وديمقراطيّة وأخلاقيات في التّعامل والمحبة والتّعاون....

لكن لا بد ــ قبل التّقديم ــ من معرفة جوانب قوة ومكامن ضعف هذه الحضارة، واكتشاف قدراتها الحقيقيّة وإمكاناتها الرّوحيّة والفكريّة والبشريّة والماديّة، وإدراك صورة هذه الذات عند الحضارات الأخرى، ولابد بعد ذلك من تقديم فهم عقلي لعالمنا المعاصر، كما يتطلّب تقديم الإجابة الواضحة عمّا يسميه هنتيغتون تهديد الحضارة الإسلاميّة للحضارة الغربيّة.

والذي أتوقّف عنده هل صحيح أنّ الإسلام خطر على الغرب؟ وهل الغرب أو المختلف أخذ الإسلام على حقيقته؟ هل ما يصله من أفكار عن الإسلام صحيحة؟ وهل ما يقرأه ويترجم له وخاصّة القرآن الكريم ـ أساس ثوابت الثّقافة الإسلاميّة ـ، يوصله إلى بر الأمان وحقيقة الإيمان؟ أم أنّ "الإسلام بريء إلاّ أنّ محاميه ضعفاء" كما يقول محمد الغزالي؛ وإذا قرأ ترجمة معاني القرآن الكريم يكون هناك تعارفا بين الحضارة الإسلاميّة والحضارات الأخرى؟

وأكثر من ذلك ما السّبيل إلى تقديم الإسلام للمختلف بدون عقدة التّخويف والأفكار السّلبيّة المسبقة؟ وما مدى قدرتنا على تغيير هذه الصّورة النّمطيّة للإسلام عند المختلف وبناء معالم جديدة؟

ثالثًا: ترجمة القرآن الكريم: من التّعارف إلى الحوار: ما سقناه في الصّفحات السّابقة يمكن أن ينتهي بنا إلى حقيقة أساسيّة، وهي أنّ علينا أن نحدد أوّلا وسائل تعارف الحضارات المرجوة وغايتها، وأن نعمل بالتّالي من أجل تحقيقها.

ولعلّ من وسائل تعارف الحضارات ترجمة المكونات الأساسيّة والثّوابت الثّقافيّة للحضارات والشّعوب إلى لغة الحضارات الأخرى، لما لها ـ التّرجمة ـ من مصداقيّة للحكم على حيويّة أي حضارة وقدرتها على الاستمرار، وأحد أدوات قراءة المختلف، وكذا تعرف الشّعوب على بعضهم البعض بتنقل الحمولات الثّقافيّة المتنوّعة من مرفئ إلى آخر.

فالحضارة الإسلاميّة لها مكونات أساسيّة، أهمّها القرآن الكريم، والمختلف إذا أراد أن يتعرف على الإسلام وحضارته لابد له أن يعرف هذه المكونات، وأهمها أن يطلع على معاني القرآن الكريم ومقاصده، بدون خلفيّة مسبقة، وبالتّالي يكون قد خطا خطوة للتعرف والتّواصل مع الحضارة الإسلاميّة.

لهذا من واجب المسلمين اليوم تصحيح الصّورة النّمطيّة المتوارثة عن الإسلام في الغرب ، وتبليغ ما أنزل الله تعالى إلى الرّسول الكريم من وحي، وبيانه له ، تحقيقا لأوامر الله تعالى في قوله:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة المائدة الآيّة 68)،... ولذا كانت التّرجمة لمعاني القرآن وكل ما يتعلّق بمبادئ الدّعوة الإسلاميّة أمرا مرتبطا بتحقيق عموم رسالة النّبي صلّى الله عليه وسلّم وإنّه قد بلغ قومه بلسانهم، وحملهم مسؤوليّة إتمام التّبليغ إلى الأمم المختلفة

بالسّنتها المتباينة، بعد أن تقدم بالخطوة الأولى في هذا الميدان، قال صلّى الله عليه وسلّم: "بلغوا عني ولو آيّة" وفي خطبة حجة الوداع أكد تحمل هذه المتابعة فقال: "... ألا فليبلغ الشّاهد منكم الغائب"[25].

وقد جعل الله تعالى القرآن الكريم عربيا لعلهم يعقلون، وأرسل به رسوله بلسان عربي مبين، لعلهم يهتدون ويتفكرون، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(سورة إبراهيم، الآيّة: 04).

كما بعث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى النّاس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ، 28)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(سورة الشّعراء، 192-195).

ورد في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليشمل الإنسان العربي والعجمي والجني والملائكي؛ وقوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أي ليبين لأولئك القوم الذين أرسل إليهم ما كلفوا به، فيتلقونه بسهولة ويسر ولتقوم عليهم الحجة وينقطع العذر، وقد جاء هذا الكتاب بلغتهم وهو يتلى عليهم، فأي عذر في ألا يفقهوه، وما الذي صدّهم عن أن يدرسوا ليعلموا ما فيه من حكم وأحكام، وحلال وحرام، وإصلاح لنظم المجتمع[26].

والنّبي صلّى الله عليه وسلّم وإن أرسل إلى النّاس جميعا ولغاتهم متباينة، والسّنتهم مختلفة، فإرساله بلسان قومه العربي أولى من إرساله بلسان غيره، لأنهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه لهم، حتى يصير مفهوما لهم كما فهموه، ولو نزل بلغات من أرسل إليهم وبينه ولكل قوم بلسانه لكان ذلك مظنة للاختلاف، وفتحا لباب التّنازع، لأنّ كل أمّة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وقد يفضي ذلك إلى التّحريف والتّصحيف قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾ (سورة فصلت الآيّة: 44).

ولأنّه ليس هناك من سبيل يتأتى به واجب تبليغ رسالة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وما أنزل إليه إلى النّاس كافة إلا التّرجمة الدّقيقة، حتى تلزمهم الحجة إذا ترجمت إليهم معاني القرآن الكريم بلغاتهم، فإنّنا بهذا العمل سوف نؤدي واجب التّبليغ، إذا ما نجحنا في نقل معاني القرآن إلى شتى الأمم بمختلف السّنتها، كما ستجني حركة المد الإسلامي انفتاح حضاري كبير في ميدان الدّعوة، وتوسيع ساحته، فإنّ ذلك سيؤدي إلى درء الشّبهات والأباطيل كما سيصلح التّرجمات التي تنطوي على قصور في تأديّة المعاني القرآنيّة وركاكة في التّعبير عن عباراته المقدسة.

فلترجمة معاني القرآن الكريم أهميّة في بناء الجسور بين الشّعوب والقبائل المختلفة، فتيسر التّواصل والتّفاعل بينها، فيكون هناك التّعارف بين الحضارات، كما أنها البوابة التي يعبر منها الإسلام إلى المختلف أو ما يسميه البعض الآخر، وبالتّالي تساعد على معرفة الذات عن طريق نقل الإسلام للآخر.

كما تعمل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى إحداث نهضة ثقافيّة بين الحضارات، فلما تقوم بنقل مفاهيم الثّقافة والحضارة الإسلاميّة إلى ثقافة أخرى فإنّها تبسط الجو لتلاقح الثّقافة المتلقيّة بغيرها وتتعرف على الحضارة الإسلاميّة... فالتّفاعل الثّقافي للحضارة الإسلاميّة مع الحضارات الأخرى له أهميّة في تعارف الحضارات.

فالتّرجمة صانعة لفعل المثاقفة لأنّها تعبّر عن أبعاد حضاريّة قابلة للتعميم والانتشار، عبر تفاعل الثّقافات في إطار من العلاقات المبنيّة على التّبادل الثّقافي الحر، والإبداع بين مختلف الشّعوب والقوميات وهي حوار ضمني بين تجارب الشّعوب الثّقافيّة عبر الكلمة الفاعلة .وبقدر ما تبتعد عن الاستعلاء الثّقافي، بقدر ما تنجح في نشر ثقافة الانفتاح والتّواصل الحرّ، وينغرس تأثيرها الإيجابي عميقا في وجدان المتلقي لتصبح جزءا من تراثه الثّقافي .وهي بالمدلول الثّقافي والحضاري للمفهوم، ليست مجرد نقل كلمة أو فكرة من لغة إلى أخرى، بل هي في الدّرجة الأولى، فعل ثقافة حيّة قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوى محركة للطاقات الإبداعيّة فيه، ولديها القدرة على تحويل الثّقافة إلى فعل حضاري، وديناميّة قويّة لتغيير المجتمع، بعد أن أصبح العالم كله مساحة ثقافيّة واحدة في عصر العولمة، تعيش نوعا من التّفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثّقافات واللّغات والشّعوب[27].

فالتّرجمة هي دون أدنى شك الوسيلة الحاسمة في تعميق علاقات التّواصل مع العالم المختلف، وفي توسيع دوائر الحوار التي تؤدي إلى امتلاك مفردات العصر ولغاته، وتجسير الهوة الفاصلة بين الذات والمختلف، والسّبيل إلى تفتح آفاق جديدة للتعايش الإنساني.

وعليه تبدو العلاقة بين ترجمة القرآن الكريم والمثاقفة متجهة صوب تشييد رؤيّة معرفيّة غايتها محو وإلغاء كل تصور سلبي يجعل المثاقفة فعلا ينبني على الإلغاء والتّفاضل، من منطلق أنّ التّرجمة وسيلة لوعي الفارق بين التّثاقف والالغاء الثّقافي.

كما لا يتوقف دور ترجمة معاني القرآن الكريم عند إثراء الثّقافة المتلقيّة ولغتها وتواصل الشّعوب، وإنّما يتعدى ذلك إلى تأثير القرآن الكريم في قارئه وسامعه. فمن مظاهر تأثير القرآن الكريم الخارق للعادة تأثيره الكبير في انتشار الإسلام، فلم يحدث في تاريخ البشريّة أن تركت معجزة مثل التّأثير الذي أحدثه القرآن، وفي هذا يقول رشيد رضا: "كانت قراءة القرآن تفعل في جذب النّاس إليه ما لم تفعله جميع آيات الأنبياء السّابقين"[28].

فهذا الإعجاز التّأثيري للقرآن هو وجهة من وجوه إعجاز القرآن الكريم ويتمثل فيما تركه القرآن من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه، ولا يستطيع هذا السّامع أو القارئ مقاومته ودفعه، ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به بل حتى الكافرين به.

ونتيجة لترجمة معاني القرآن الكريم فقد أسلم أناس كثير، وانقشعت بذلك ظلمات الجهل والشّرك والخرافة فأصبح القرآن الكريم هو مرشدهم، تقول ديبورابوتر (Deborah board): "عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأنّ هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشّافيّة حول مسائل الخلق وغيرها. وأنّه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقيّة نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدّينيّة، أمّا القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع، وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأنّ هذه هي الحقيقة، وأنّ هذا الكلام هو من عند الله لا محالة[29].

ويقول وليم بيرشل بيكارد (william bitche bikard): "ابتعت نسخة من ترجمة سافاري (Savary) الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم، وهي أغلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيراً حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة الخالدّ قد أشرق عليَّ بنوره المبارك".

كما يذكر عامر علي داود: "تناولت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللّغة الإنكليزيّة؛ لأنّني عرفت أنّ هذا هو الكتاب المقدّس عند المسلمين، فشرعت في قراءته، وتدبر معانيه، لقد استقطب جُلَّ اهتمامي، وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت الإجابة المقنعة عن سؤالي المحير: (الهدف من الخلق) في الصّفحات الأولى من القرآن الكريم.. لقد قرأت الآيات [30–39] من سورة البقرة.. وهي آيات توضح الحقيقة بجلاء لكل دارس منصف إنّ هذه الآيات تخبرنا بكل وضوح وجلاء وبطريقة مقنعة عن قصة الخلق"[30].

ويقول يوسف إسلام: "في تلك الفترة من حياتي بدا لي وكأنّني فعلت كل شيء، وحققت لنفسي النّجاح والشّهرة والمال والنّساء وكل شيء، ولكن كنت مثل القرد أقفز من شجرة إلى أخرى، ولم أكن قانعاً أبداً، ولكن كانت قراءة القرآن بمثابة توكيد لكل شيء بداخلي كنت أراه حقاً، وكان الوضع مثل مواجهة شخصيتي الحقيقيّة".

كما يضيف قائلاً: "في عام 1975م حدثت المعجزة، بعد أن قدّم لي شقيقي الكبير نسخة من القرآن الكريم هديّة، وبقيت هذه النّسخة معي حتى زرت القدس في فلسطين، ومن تلك الزّيارة بدأت أهتم بذلك الكتاب الذي أهدانيه أخي، والذي لا أعرف ما بداخله، وماذا يتحدث عنه." إلى أن يقول: "القرآن هو الذي دعاني للإسلام فأجبت دعوته، أما الكنيسة التي حطمتني، وجلبت لي التّعاسة والعناء، فهي التي أرسلتني إلى هذا القرآن عندما عجزت عن الإجابة عن تساؤلات النّفس والرّوح"[31].

ويصف جيفري لارنج القرآن الكريم بقوله:" شعرت أنني أمام أستاذ علم نفس يسلط الأشعة على كل مشاعري المخبأة، كنت أحاول مناقشة بعض المشاكل فأجده أمامي بالمرصاد، يغوص في أعماقي، فيجعلني عاريا أمام الحقيقة"[32].

إنّ الأمر يستدعي العمل على إيجاد أرضيّة مشتركة مع الحضارات والثّقافات الأخرى قاعدتها الحوار الإيجابي والتّعايش والتّلاقي البناء، ومنع كافة أشكال الصّراع، ورفض تدنيس القيم الأخلاقيّة والدّينيّة وانتهاك المحرّمات والمقدسات، واحترام قيم كل ثقافة المختلف، مع التّرحيب الفعلي للتنوع الثّقافي.

خـــاتـمـــة: يعد هذا البحث محاولة لإضافة معرفيّة في مجال الدّراسة الموضوعيّة الكاشفة عن ترجمة النّص المقدس، وقد أجاب عن سؤال جوهري كيف تكون ترجمة معاني القرآن الكريم سندًا لبناء تعارف الحضارات؟ ويمكننا أن نجمل نتائج البحث فيما يلي:

- إنّ رسالة الإسلام رسالة عالميّة والقرآن الكريم خطاب إلى النّاس كافة، من غير أن يتحيز إلى العرب الذي نزل القرآن الكريم بلغتهم؛
- اقتضت حكمة الله تعالى البالغة جعل لغات النّاس التي يتواصلون بها لغات متعدّدة ومختلفة. ولما كانت لغة القرآن الكريم اللّغة العربيّة فإن التّرجمة هي الوسيلة المهمة في إيصال رسالة الإسلام إلى النّاس كافة؛

- إنّ نقل معاني القرآن الكريم نقلا سليما إلى اللّغات الأخرى له أهميّة قصوى في إثراء الحضارات وتعارفها وفي الرّبط بين شعوب العالم المختلفة، وصياغة رؤيّة نابضة ومتجددة للعلاقة بين الأنا والمختلف (الآخر). فالقرآن الكريم كتاب هدايّة للبشر كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(سورة سبأ: الآيّة: 28)؛

- من أثر ترجمة معاني القرآن الكريم استعداد الحضارات الأخرى فهم الحضارة الإسلاميّة، وتجنب إصدار أحكام مسبقة على الإسلام، والاتفاق على إعادة صياغة صورة الإسلام في إطار فهم آية القرآن الكريم ومقاصده وأحكامه، وبالتّالي احترام المختلف للإسلام؛

- التّرجمة في كل الحضارات هي آيّة دالة على عظمة الاختلاف، وروعة تنوع الشّعوب، وسبيلا هاديا إلى الثّراء والاغتناء، وجسرا واصلا بين الأمم والثّقافات وتكاملها، وتعارف الحضارات؛

- تعارف الحضارات هو الأسلوب الأمثل في الحد من الاختلاف والعنف وتحقيق التّواصل والتّقارب بين الشّعوب، وتجاوز مشاكل الصّراع والنّزاع من خلال الحوار والانفتاح على المختلف، كما يحدد . تعارف الحضارات ـ مستويات الحوار والتّعاون، ويثيرهما ويثمرهما.

لائحة المصادر والمراجع باللّغة العربيّة:

1. القرآن الكريم، روايّة حفص عن عاصم.
2. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان.1955.
3. أبو الحسن النّدوي، الإسلاميات، بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، بيروت مؤسّسة الرّسالة، 1406..
4. البخاري، صحيح البخاري، بيروت دار الفكر، 1987.
5. بديع الزّمان سعيد النّورسي. المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، اسطنبول، شوزلر للنشر.1992
6. ----------.صقيل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم ،اسطنبول، شوزلر للنشر،1992 .
7. ----------، المعجزة القرآنيّة، ترجمة: إحسان قاسم، اسطنبول، شوزلر للنشر 2004.
8. حميدو الله محمد، القرآن المجيد مع معانيه بالفرنسيّة، بيروت مؤسسة الرّسالة 1981.
9. رضا محمد رشيد، الوحي المحمدي القاهرة، شركة الطباعة الفنيّة، 1980.
10. الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم بيروت، دار المعرفة. دط.
11. زكي، الميلاد. المسألة الحضاريّة. كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير، الدّار البيضاء المركز الثّقافي العربي، 1999.
12. صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1972.
13. عماد الدّين، خليل. قالوا عن الإسلام، الرّياض، نشر النّدوة العالميّة للشباب الإسلامي 1412.
14. عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991.
15. محمد عابد الجابري، ليس في ثقافتنا مفهوم آخر وحوار الثّقافات شعار ظرفي، مجلة آيس، السّداسي الأول، دار اخبار الصّحافة، الجزائر، 2007م.ص66-69.
16. محمد، محفوظ. الإسلام الغرب وحوار المستقبل الدّار البيضاء المركز الثّقافي العربي، 1998.
17. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، بيروت دار إحياء التّراث العربي. دت.
18. نوره هادي السّعيد، دور التّرجمة في العولمة، مجلة الجوبة، مؤسسة عبد الرّحمن السّديري الخيريّة، العدد33، الرّياض السّعوديّة، خريف 1432هـ .2011م، ص10-25.
19. هنتغتون، صامويل. صراع الحضارات وإعادة صياغة النّظام العالمي نيويورك ، سايسون أند شوستر، 1996.
20. يحي اليحياوي: في القابليّة للتعارف على هامش أطروحة تعارف الحضارات، مجلة الكلمة، ع 58السّنة 15، شتاء 1429/2008هـ. ص68-80.

لائحة المصادر والمراجع باللّغات الأجنبيّة:

21. Monteomery. Watt, L'influence de l'Islam sur l'Europe Médiévale, trad G, Humbert. IMP A.Bontemps limoges. France, 1974.
22. Theador Noldere, Remarques Critiques sur le Style et la Syntaxe du Coran, ed : 1953 Maisonneuve, Paris, Traduit par G, H Bousquet.

الهوامش والإحالات:

1. دائرة المعارف الإسلاميّة, ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون, القاهرة، طبعة دار الشّعب، مادة قرآن.

2. أبو الحسن النّدوي، الإسلاميات، بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، بيروت مؤسّسة الرّسالة، 1406. ص 16.

3 – Monteomery. Watt, L'influence de l'Islam sur l'Europe Médiévale, trad G, Humbert. IMP A.Bontemps limoges. France, 1974, p: 146.

4. حميدو الله محمد، القرآن المجيد مع معانيه بالفرنسيّة، بيروت،مؤسسة الرّسالة 1981، صفحات المقدمة.

5 – Theador Noldere, Remarques Critiques sur le Style et la Syntaxe du Coran, ed : 1953 Maisonneuve, Paris, Traduit par G, H Bousquet, P : 08

6 . انظر: بلاغة التّكرار في القرآن الكريم عند:

. بديع الزّمان سعيد النّورسي، المعجزة القرآنيّة، ترجمة إحسان قاسم، اسطنبول، شوزلر للنشر 2004.

و– ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان.1955م.

7 . عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991، ص: 152.

8 . للتوسع حول مسألة ترتيب القرآن الكريم ينظر:

. الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم بيروت، دار المعرفة، ج1، ص: 259–610.

و. بديع الزّمان سعيد النّورسي: المعجزة القرآنيّة، مرجع سابق.

[9] . صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1972، ص: 177.

[10] . أحمد إبراهيم مهنا، مرجع سابق، ص: 25.

[11] . يراجع ليلى عبد الرّزاق عثمان، إشكاليّة ترجمة معاني القرآن الكريم، مخطوط، جامعة الأزهر، قسم اللّغة الإنكليزيّة والتّرجمة القاهرة، مصر.

[12]. هنتغتون، صامويل. صراع الحضارات، نيويورك، سايسون أند شوستر، 1996، ص 300.

[13]. المرجع نفسه، ص261.

[14]. المرجع نفسه، ص282

[15] . محمد، محفوظ. الإسلام الغرب وحوار المستقبل الدّار البيضاء المركز الثّقافي العربي، 1998، ص 135.

[16] . محمد عابد الجابري، ليس في ثقافتنا مفهوم آخر وحوار الثّقافات شعار ظرفي، لقاء مع الجابري، مجلة آيس، السّداسي الأول، دار اخبار الصّحافة، الجزائر، 2007، ص66–67.

[17]. زكي، الميلاد. المسألة الحضاريّة، الدّار البيضاء المركز الثّقافي العربي، 1999، ص 61.

[18]. يحي اليحياوي: في القابليّة للتعارف على هامش أطروحة تعارف الحضارات، مجلة الكلمة، ع 58السّنة 15، شتاء 1429/2008هـ. ص68.

[19] . زكي الميلاد. مرجع سابق، ص: 70 وما بعدها.

[20]. زكي الميلاد، تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق سوريا، 2006، ص9.

[21] . طه عبد الرّحمن: الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري المركز الثّقافي العربي دار البيضاء المغرب، 2005، ص30.

[22] . بديع الزّمان سعيد النّورسي. المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، اسطنبول، شوزلر للنشر، ص413.

وبديع الزّمان سعيد النّورسي. صقيل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، اسطنبول، شوزلر للنشر، ص335.

[23]. زكي الميلاد. مرجع سابق، ص 76.

[24] . فوخري شيماء: لغة القرآن ورؤيته للعالم أساس منهجي لبناء المفاهيم، مجلة التّجسير، المجلد الأول، العدد الأول، 2019 دار نشر جامعة قطر.

[25] . رواه البخاري، البخاري، صحيح البخاري، بيروت دار الفكر، 1987، ج1، ص 287.

[26]. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، بيروت دار إحياء التّراث العربي، ج13، ص: 126.

[27]. نوره، هادي السّعيد. "دور التّرجمة في العولمة"، الجوبة، العدد33، خريف 1432هـ.2011م، ص 14.

[28]. رضا محمد رشيد، الوحي المحمدي القاهرة، شركة الطباعة الفنيّة، 1980، ص 119.

[29]. عماد الدّين، خليل. قالوا عن الإسلام، الرّياض، نشر النّدوة العالميّة للشباب الإسلامي 1412، ص55.

[30]. المرجع نفسه، ص 57.

[31]. عماد الدّين، خليل. المرجع نفسه، ص 59.

دَوْر النّشاطات المدرسيّة اللاّصفيّة في تعزيز التّعايش اللّغويّ والثّقافيّ

The Role of Extracurricular Activities in Promoting Linguistic and Cultural Coexistence

د. نبيلة بومنقاش
المدرسة العليا للأساتذة العلمة– سطيف

ملخّص: تعدّ النّشاطات المدرسيّة اللاّصفيّة ركيزة أساسيّة في المدارس الجزائريّة، ولا تقل أهميّة عن بقيّة النّشاطات الصفيّة المقرّرة في البرامج الدّراسيّة وهي فرصه ثمينة تسهّل على التّلميذ الإبحار في شتّى أصناف الموروث الثّقافي واللّغويّ – من خلال المعارض، النّدوات، المسرحيات، احتفالات الأعياد الدّينيّة والوطنيّة والثّقافيّة المسابقات... – كما تكسبه سلوكا حضاريا ووعيًا اجتماعيًّا يجعله يتقبّل الاختلاف/التّنوّع ويدحض التّحيّز الثّقافي والعصبيات القبليّة. بل ويمكن للأنشطة اللاّصفيّة أيضًا أن تؤطر التّلاميذ في مشاريع جماعيّة تسمح بإرساء التّواصل الفعال بين أفراد المؤسّسة الواحدة كما تزرع فيهم قيم التّسامح والهويّة والانتماء، وتفكك مختلف المفاهيم المرتبطة بالعنف. تتناول هذه المداخلة جملة من الاشكاليات المهمّة أبرزها ما يلي: كيف يمكن للنشاط اللاّصفي أن يدعم القيم المرتبطة بالتّعدديّة الثّقافيّة والانفتاح على الآخر؟ ما هي أبرز العقبات التي تواجه هذه النّشاطات في المدرسة الجزائريّة والتي تحول دون تحقيق أهدافها المنشودة؟ هل يمكن تحقيق التّكامل بين الأنشطة اللاّصفيّة والبرامج الدّراسيّة بما يعزّز قيم التّنوع الثّقافي واللّغويّ؟ كيف نخلّص التّلميذ الجزائري من تحيزاته الثّقافيّة واللّغويّة وهل يمكننا اقتحام مؤسّسات ثقافيّة أخرى لتحقيق هذه الأهداف؟

الكلمات المفتاحيّة: النّشاطات المدرسيّة؛ اللاّصفيّة؛ تعزيز ؛ التّعايش؛ اللّغويّ؛ الثّقافيّ.

Abstract: Extracurricular activities are a fundamental pillar in Algerian schools, no less important than other classroom activities included in the curriculum. They are a valuable opportunity that facilitates students' exploration of various aspects of cultural and linguistic heritage—through exhibitions, seminars, plays, religious, national, and cultural holiday celebrations, competitions, school radio, and wall magazines. They also provide students with a civilized behaviour and social awareness that enables them to accept differences and diversity and refute cultural bias and tribal fanaticism. Extracurricular activities can also guide students in group projects that facilitate effective communication between members of the same institution. They also instill in them the values of tolerance, identity, and belonging, and dismantle various concepts associated with violence. This presentation addresses a number of important issues, most notably: How can extracurricular activities support the values associated with cultural pluralism and openness to others? What are the most prominent obstacles facing these activities in Algerian schools that prevent them from achieving their desired goals? Is it possible to integrate extracurricular activities and academic

programs in a way that promotes the values of cultural and linguistic diversity? How can Algerian students be enabled to overcome their cultural and linguistic biases, and can we engage with other cultural institutions to achieve these goals?

Keywords: school activities; extracurricular activities; promoting; linguistic; cultural; coexistence.

مقدّمة: تلعب المدرسة دورا محوريا في بناء المجتمع وتحضره، إذ تكمل دور مؤسّسة الأسرة وتدفع بالطفل صوب النّضج المعرفي والسّلوكي والأخلاقي، من خلال صقل شخصيته وتنميّة مهاراته وبناء التّفكير الإبداعي لديه.

لا يتوقّف دور المدرسة عند حدود بناء الفرد وحسب بل يتعداه إلى إرساء قيم إنسانيّة مشتركة لحفظ أمن الوطن والمجتمع على حد سواء، لأنّها تزرع في الطّفل–منذ نعومة أظافره–قيم التّسامح واحترام الآخر، وقبول الاختلاف والتّعايش مع كل الفئات والطوائف.

يسعى الأساتذة جاهدين لتطوير التّفكير العقلاني والنّقدي لدى الطفل عبر فضح مخاطر المشاريع العنصريّة التي تهدد كينونة المجتمعات، كما يبرزون له دور قيم التّسامح والأخوة في بناء الدّول والمجتمعات عبر التّاريخ.

تعدّ الأنشطة اللاّصفيّة في هذا السّياق أرضيّة خصبة لتعزيز قيم التّسامح وبسط مشروع التّعايش الثّقافي واللّغويّ سيما عقب انتشار ظاهرة التّعصب سواء في المدرسة أم في ملاعب كرة القدم أو حتى في الوسائط الرّقميّة ووسائل التّواصل الاجتماعي. انطلاقا ممّا سبق تحاول هذه المداخلة إبراز دور الأنشطة اللاّصفيّة بمختلف أنواعها في تحقيق التّعايش اللّغويّ والثّقافي وإرساء قيم المحبة والأخوة والاختلاف داخل المدرسة الجزائريّة.

تعريف النّشاطات اللاّصفيّة: تعرف النّشاطات اللاّصفيّة بأنّها برامج إضافيّة تنظمها الأجهزة التّربويّة خارج قاعات الدّرس لكنّها متكاملة مع البرنامج التّعليمي، تستكمل بها المدرسة وظيفتها الاجتماعيّة، ويمارس الطلاّب هذه الأنشطة اختياريا، ويزاولونها بشوق وميل تلقائي –وهي غير متضمّنة في المناهج المدرسيّة– وذلك بدافع ذاتي من الرّضا الشّخصي الذي ينتج عنها، وتقدّم هذه البرامج بهدف تحقيق أهداف تربويّة معينة، إمّا باكتساب خبرة أو مهارة، أو اتجاه علمي، أو عملي، داخل المدرسة، أو خارجها، أثناء اليوم الدّراسي، أو بعد انتهاء الدّراسة على أن يؤدي ذلك إلى نمو في خبرة الطالب، وتنميّة هواياته، وقدراته، في الاتجاهات المرغوبة. بما يسمح بتحقيق نمو الفرد والجماعة وتحقيق الأهداف الاجتماعيّة المنتقاة المرتبطة بأغراض الفرد وأغراض المدرسة وبما يعزّز تنميّة روح الانتماء والمواطنة الصالحة ورفع الرّوح المعنويّة لممارسيها من التّلاميذ. فالأهداف السّاميّة لهذه الأنشطة تتلخص في تحقيق النّمو المتكامل والسّليم في شخصيّة المتعلمين وتأهيلهم كمواطنين صالحين في المجتمع والحياة وذلك تحت إشراف وتوجيه وتخطيط من إدارة المدرسة والأساتذة[1].

يقدّم التّعريف السّابق فكرة واضحة عن مفهوم النّشاطات اللاّصفيّة ودورها في تنميّة قدرات التّلميذ بعدّها حيزا هامًّا يكمّل مسار العمليّة التّعليميّة/ التّعلّميّة، ورغم أهميّة الأفكار المطروحة في هذا التّعريف إلا أنّه يغفل جانبا هامًّا يتعلق بالبعد التّطبيقي/الإجرائي للنشاطات اللاّصفيّة هذه الأخيرة التي يتفاوت مردودها بحسب إمكانيات المؤسسة التّربويّة ومهارات الأستاذ المشرف ومدى التّنسيق بينهما.

ويجدر التّذكير-في هذا السّياق – بأنّ دور النّشاط اللاّصفي لا يتوقف عند حدود التّرفيه والتّسليّة وصناعة الفرجة بل يحمل أهدافا تربويّة واجتماعيّة ساميّة ويعد بذلك امتدادا مباشرا للتعلم الصفي ولا يمكن لأي باحث وأستاذ أن ينظر إليه نظرة احتقار وازدراء، إذ كثيرا ما يتم دعم الحصص النّظريّة المجردة بنشاط لاصفي ميداني يسهل عمليّة استيعاب التّلميذ للطروحات النّظريّة التي تلقاها في حجرة الدّرس.

وتنقسم الأنشطة اللاّصفيّة إلى مجالات عديدة أبرزها:

1. مجال الأنشطة البدنيّة والرّياضيّة: ويشمل جميع الرّياضات والأنشطة الحركيّة التي تتناسب مع قدرات التّلاميذ واستعداداتهم، وكذلك الجوانب العلميّة والنّظريّة للحركة وللنشاط البدني والرّياضي.

2. مجال الأنشطة الثّقافيّة: وتشمل الإذاعة وصحف الحائط والإعلام واستخدامات المكتبة المدرسيّة والمعارض والكتابة والقراءة والخطابة والنّدوات وكل ما يرتبط بالتّنميّة الثّقافيّة.

3. مجال الأنشطة الفنيّة: ويشمل الجوانب الفنيّة في مجملها كالرّسم والتّمثيل المسرحي والأشغال والتّصوير والنّحت والأعمال اليدويّة .... إلخ.

4. مجال الأنشطة الاجتماعيّة: ويشمل جميع الأنشطة التي يكون الهدف منها التّنميّة الاجتماعيّة ويشترك بها أكثر من تلميذ، كالحفلات والزيارات والأعمال التّطوعيّة وجميع المجالات الأخرى.

5. مجال الأنشطة البيئيّة: ويشمل الأنشطة ذات العلاقة المباشرة بالبيئة كالرّحلات الخلويّة وتربيّة الطيور والحيوانات وحملات التّوعيّة بالنّظافة والمحافظة على البيئة.... إلخ.

6. مجال الأنشطة العلميّة: ويشمل التّجارب في جميع المجالات العلميّة وزيارة المصانع والمسابقات العلميّة.

7. مجال أنشطة الحاسب الآلي: ويشمل جميع استخدامات الحاسب الآلي وبرامجه المتعددة.

8. مجال أنشطة التّربيّة الاسلاميّة: ويشمل الأنشطة الدّينيّة المتعدّدة كالدّعوة والإرشاد والعنايّة بالمساجد ومكتباتها وقراءة القرآن الكريم وتجويده وترتيله ودراسة السّنة النّبويّة الشّريفة.

9. مجال النّشاط الكشفي: ويشمل الأنشطة ذات العلاقة بالمخيمات وحياة الخلاء والخدمة العامّة وخدمة المجتمع، بالإضافة إلى أنشطة الميول والهوايات الخاصّة[2]".

يوحي تنوع الأنشطة اللاّصفيّة بتنوع احتياجات التّلميذ وتعدد الاستراتيجيات التّعليميّة في المؤسّسات التّربويّة بهدف تمكين التّلاميذ من التّعبير عن مواهبهم بحريّة وتنميّة قدرات التّعبير لديهم، فضلا عن تقويّة بنيتهم الجسديّة وإرساء قيم متينة تدفعهم للانخراط في العمل الجماعي الذي يعد لبنة أساسيّة لبناء هويّة اجتماعيّة قويّة، وبهذا نضمن تكوينا لاصفيًّا متوازنا يجمع بين التّنظير والممارسة، القيم الفرديّة والجماعيّة، التّرفيه والمعرفة، القيم الأخلاقيّة والسّلوكيات الوسطيّة.

يتطلّب تحقيق هذه الأهداف وضع برنامج ثري خاضع لمبدأ التّنويع في الأنشطة بما يضمن تنويعا في الغايات المحققة سيما أن الكثير من المسؤولين والمربين يعتقدون أن مهمة النّشاط اللاّصفي تتوقف عند حدود التّرفيه وحسب.

لقد أطلق على النّشاط المدرسي اللاّصفي عدة تسميات منها النّشاط المساند والنّشاط المصاحب، النّشاط الدّاعم النّشاط اللامنهجي النّشاط الطلابي والمدرسي والإضافي واللاّصفي[3].

تعكس التّسميات المختلفة للنشاط اللاّصفي في ثقافتنا العربيّة معضلة في المصطلح وفوضى في المفاهيم وتوحي أيضًا بسلاسة النّشاط اللاّصفي وتنوّعه بحسب تنوّع احتياجات التّلميذ. فضلا عن ثراء هذا المفهوم التّربوي ممّا أفضى بعلماء التّربيّة إلى الاختلاف في زوايا عرضه ومناقشته وهو ما أثمر كما هائلا من المفاهيم والمصطلحات المترادفة والمختلفة في آن، والتي من شأنها أن تربك سيرورة البحث العلمي والتّدريس الأكاديمي المتخصّص.

يتّضح من خلال بعض المصطلحات السّابقة أن النّشاط اللاّصفي إضافي ويمكن الاستغناء عنه لأنّه لا يرتبط مطلقا بما يعرض في حجرات الدّراسة وهذا تعسف في حق أنشطة هامّة تكمل مهمة البرامج التّعليميّة حيث تعمل على إشباع الاحتياجات الجسديّة والنّفسيّة والاجتماعيّة للتلميذ كما تعتبر فسحة للتعبير عن ميولاته ومواهبه.

تجليات التّعصب اللّغويّ والثّقافي في المدرسة: يولد الطفل صفحة بيضاء لكنّه قد يتحول إلى صفحة سوداء يشوبها التّعصب وازدراء الآخر/المختلف واحتقار لغته وثقافته ورفضهما، وفي المقابل يعتقد التّلميذ أن لغته وثقافته مثاليّة لا يشوبها النّقص.

وتتشكل هذه الأحكام المسبقة لدى الطفل بسبب اعتناقه أفكارًا أيديولوجيّة غير سويّة يستمدها من مجتمعه ومحيطه الأسري ووسائل الإعلام ومواقع التّواصل الاجتماعي .وقد تتطور هذه الأفكار الايديولوجيّة وتؤدي به إلى القطيعة والعدوانيّة تجاه أفراد يختلفون عنه –عرقيا أو دينيا لغويا أو ثقافيا– في محيطه المدرسي.

يتجلى تعصب التّلميذ لمعتقداته من خلال عدة مظاهر منها عدم تجاوبه مع المواقف الاجتماعيّة التي يسودها التّنوع الثّقافي، وقد يظهر أيضًا من خلال تطرف التّلميذ ومغالاته في التّمسك بمعتقداته المذهبيّة واللّغويّة والثّقافيّة ويترجم هذا الغلو من خلال سلوكيات عديدة أبرزها: ممارسة التّلميذ للتنمر ضد من يختلفون عنه من خلال انتقاد لباسهم و مظهرهم عاداتهم ولغتهم وقد يتجاوز الأمر حدود العنف الرّمزي واللفظي إلى ظهور سلوكيات عدوانيّة كالضّرب والنّفور والانخراط في تكتلات صغيرة تجمع عددا من الأصدقاء الذين يشتركون معه في نفس المعتقدات ويشكلون بذلك عصابة داخل القسم أو في مقابلة كرة قدم داخل الحي السّكني الذي يقطن فيه التّلميذ، وبذلك تتشكل أولى بؤر التّطرف في المجتمعات.

يمكن استثمار الاختلاف القومي والثّقافي واللّغويّ داخل المدرسة الجزائريّة وتحويله إلى تنوع ثقافي يخدم مصلحة قطاع التّربيّة ويؤسس للاعتزاز بالهويّة الوطنيّة، وذلك من خلال استغلال الطاقات الخلاقة التي توفرها الأنشطة المدرسيّة اللاصفيّة هذه الأخيرة التي تعد وعاء يستقطب جميع التّلاميذ بمختلف معتقداتهم وهوياتهم الثّقافيّة.

دور الأنشطة اللاصفيّة في إرساء قيم التّعايش اللّغويّ والثّقافي: يرتبط التّعايش اللّغويّ بقدرة التّلميذ على التّفاعل والاندماج واحترام اختلاف المرجعيات اللّغويّة لزملائه داخل الصف والمدرسة على حد سواء، فضلا عن اعتبار هذا الاختلاف ثراء ثقافيا ولا يهدد هويته وكينونته الثّقافيّة وبذلك يستبدل مفاهيم الاحتقار/ التّمييز/ والإقصاء/ التّنمر بمفاهيم حضاريّة ساميّة هي التّقبل/ الاحترام/ الاندماج.

أمّا التّعايش الثّقافي فيشير إلى نبذ التّعصّب الثّقافي وتشجيع التّلميذ على الاحتكاك مع جميع زملائه- رغم اختلاف هوياتهم الثّقافيّة وعاداتهم وأعرافهم- ودون تحيز أو تطرف، وبهذا تسهم المدرسة في إعداد جيل قادر على التّفاعل الإيجابي في مجتمع متعدد الأعراق والثّقافات.

01- الأنشطة الرّياضيّة والبدنيّة: يعتبر النّشاط الرّياضي مجالا طبيعيا للتربيّة الخلقيّة والاجتماعيّة فهو فضاء التّنفيس عن الانفعالات والنّزاعات وفرصة طيبة لتوجيهها وتهذيبها. ولا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات الإنسانيّة من شكل من أشكال الرّياضة بغض النّظر عن مستوى تقدم هذا المجتمع أو تخلفه فمن الصعب تجاهل المغزى الاجتماعي التّشاركي للنشاط الرّياضي[4].

تمتاز الأنشطة الرّياضيّة بطابعها الجماعي القائم على الولاء لروح الفريق الجماعي-لا للعصبيات القوميّة واللّغويّة-والتّعاون والتّواصل الإيجابي، الاحترام والتّكامل لتحقيق النّصر في المقابلة رغم اختلاف هويات اللاعبين. لذا يمكن للأستاذ استغلالها بطريقة جيدة في تفكيك التّعصب اللّغويّ والثّقافي لدى التّلاميذ وبناء جسور المحبة والتّآخي بينهم.

وقد تكون الرّياضات الجماعيّة فرصة ثمينة يمكن للتلميذ استغلالها في مراجعة أحكامه المسبقة اتجاه زملائه في الصف كما تمكنه من تجاوز العزلة الثّقافيّة.

ولتحقيق الأهداف السّابقة يتوجب على الأستاذ تكوين مجموعات وفرق رياضيّة يسودها التّنوع الثّقافي واللّغويّ بالإضافة إلى استغلال الشّعارات اللّغويّة الرّياضيّة وأسماء الفرق في دعم أهداف التّعايش اللّغويّ والثّقافي.

02- الأنشطة الثّقافيّة: هي فضاء مناسب لتعزيز الوعي بقيم التّعايش الثّقافي واللّغويّ فالتّظاهرات الثّقافيّة المختلفة التي تنظم في المناسبات الدّينيّة والوطنيّة تسمح للتلميذ بالتّعرف على الآخر، وعلى لباسه وأطباقه وعاداته وتقاليده، وكثيرا ما تثمر هذه التّظاهرات سلوك الاحترام المتبادل بين التّلاميذ. وهو ما نشهده أيضا في العروض المسرحيّة التي تمنح التّلاميذ فرصة تقمص أدوار عديدة ولغات مختلفة وهذا باختلاف المرجعيات التي يجسّدها الممثل على الخشبة.

ولعلّ أبرز خاصّيّة تتميز بها الأنشطة الثّقافيّة اللاصفيّة تكريسها للعمل الجماعي التّشاركي، وهذا النّمط من السّلوكيات بإمكانها تقليص الفجوة بين الهويّات الثّقافيّة التي تتصارع أو تتعصّب.

يتعيّن وجود مرشد نفسي من أجل الكشف عن قدرات الطلاب وميولهم، وتوجيههم لممارسة الأنشطة والهوايات المتوافقة مع استعداداتهم، ومن أجل مساعدة الطلاب على المشكلات النّفسيّة التي تعتريهم مثل الانطواء والخجل والاكتئاب والتّمرد والعنف والدّلال والتّحرش والتّنمر[5].

يستحسن إشراك الأخصائيين النّفسانيين في انتقاء التّلاميذ الذين يمارسون سلوكيات عنيفة في المحيط المدرسي- بسبب ظروفهم الأسريّة والاجتماعيّة الصعبة-ودفعهم للمشاركة في النّشاطات الفنيّة كالرّسم والموسيقى والكتابة والتّمثيل لأنها محطة هامة لتفريغ الشّحنات السّلبيّة والصدمات النّفسيّة، وتسهم في القضاء على أوقات الفراغ والشّعور بالملل، وبدل انضمام هؤلاء التّلاميذ لعصابات تمارس العنف يتم استقطابهم في أنشطة فنيّة هادفة.

ويتوجب أيضا دعوة مرشد ديني إلى المدرسة لتقديم الوعي الدّيني-من خلال الحصص والنّدوات والأنشطة المتخصصة-بصورته الوسطيّة المبسطة والمتماشيّة مع العصر الحديث ومساعدة الطلاب على التّوازن الرّوحي والفكري، وإرساء قيم دينيّة سليمة مبنيّة على الفهم السّليم للدين وحمايّة المتعلّمين من الوقوع في الأزمات الفكريّة كالتّطرف أو الإلحاد[6].

وتلعب الإذاعة المدرسيّة والمجلات الحائطيّة في هذا السّياق دورا محوريا في تعزيز التّسامح والإخاء بين التّلاميذ، إذ تقوم باستغلال الخطاب الدّيني (الآيات القرآنيّة، الحديث النّبوي الشّريف) في نشر الوعي بأهميّة التّآخي والمودة وقبول الآخر رغم اختلافه عنا. ويمكن استغلال البرامج والفقرات التي تقدم في هذه المنابر الإعلاميّة في التّعريف بشخصيات دينيّة أو تاريخيّة تمكنت من التّعايش مع الآخر بشكل مثالي مما يجعلها قدوة للتلاميذ.

ويتوجب على القائمين على البث الإذاعي المدرسي إشراك التّلاميذ بمختلف توجهاتهم الثّقافيّة والعرقيّة في التّنشيط وإعداد البرامج والأنشطة الفنيّة كالمسرح والشّعر... هذا ما يضمن تقويّة الشّعور بالانتماء الجماعي ومجابهة التّنمر والتّمييز العنصري.

03- الأنشطة الاجتماعيّة: تركز الأنشطة الاجتماعيّة اللاّصفيّة على استثارة العواطف الإنسانيّة وتحريك الوجدان الجماعي، وغالبا ما تركز على التّضامن والمسؤوليات الجماعيّة والتّعاون. وبهذا تكرس قيمة أساسيّة مفادها أن قيمة الإنسان تتجلى في تراحمه وإنسانيته وإحساسه بوجع الآخرين ولا علاقة لها بالانتماءات القوميّة والثّقافيّة لهذا الإنسان، وبهذا يتم كسر الصور النّمطيّة التي تروج للعصبيات.

تعمق الأنشطة الاجتماعيّة اللاّصفيّة أيضًا مفهوم المواطنة والشّعور بالانتماء والولاء للوطن والإحساس بالفخر نحو المجتمع والإحساس بالمسؤوليّة تجاهه وخصوصا في الفترة الرّاهنة، وتسهم أيضا في تبصير الطلبة بثقافة المواطنة بضرورة نبذ الجهويّة والقبليّة، من خلال نشر ثقافة الحوار والعمل التّطوعي والتّعايش المشترك واحترام الرّأي الآخر، واحترام حقوق المرأة والطفل، والتّعريف بالمواثيق والاتفاقيات المعنيّة بحقوق الإنسان، وتعزيز مفهوم المجتمع المدني واحترام القانون... وذلك من خلال المحاضرات التّاريخيّة والتّعريف بقيمة الوطن، وأهميته عبر التّاريخ القديم والمعاصر، ومن خلال الرّحلات السّياحيّة الدّاخليّة للتعرف غلى معالمه وعراقته[7].

الأنشطة البيئيّة: ما يميز هذه الأنشطة هو وحدة الهدف المسطر رغم اختلاف ثقافات وهويات المشاركين في تحقيقه، ويتم فيها تقرير روح الانتماء الجماعي والمسؤوليّة المشتركة بوضع منشورات توعويّة بلغات مختلفة لدعم مشاريع الحفاظ على البيئة وتشجيع مخططات التّنميّة.

وغالبا ما يتم استغلال الثّقافات واللغات المختلفة في تبادل الخبرات البيئيّة وكتابة الشّعارات والجداريات من خلال عرض صور مرفقة برسائل لغويّة من لغات مختلفة.

بالإضافة إلى ما تم ذكره تحقق الأنشطة اللاصفيّة أيضا عددا من الوظائف الاجتماعيّة للتلاميذ أبرزها:

-تنميه روح التّعاون؛

- تسهم في تنميه اتجاهات اجتماعيّة مهمّة مثل: الصداقة والمحبة والتّنافس الشّريف؛

-تنميّة الثّقة بالنّفس واحترام الآخرين؛

-احترام الأنظمة والقوانين وتعميقها في نفوسهم؛

- تنميه المهارات الاجتماعيّة المرغوبة فيها؛

-تنميه الولاء الاجتماعي للآخرين وللبيئة المحيطة[8].

"كما تتيح الأنشطة الفرصة لمساعدة الطلبة على التّكيف مع الحياة، فهي جزء من الإعداد للحياة بشكل عام إضافة إلى أهميتها في تكوين العلاقات الاجتماعيّة، والابتعاد عن العزلة والانطواء على الذات من خلال العمل الجماعي، والتّفاعل مع الجماعة[9]".

يتوجب إخضاع الأنشطة اللاّصفيّة لمجموعة من المعايير التي تسمح بتحقيق أهدافها بشكل شمولي، تتلخص فيما يلي:

-يجب أن تتناسب الأنشطة مع خصائص نمو التّلاميذ (العقليّة، والانفعاليّة، والاجتماعيّة، والحركيّة، والبدنيّة واللّغويّة ... الخ) وتحقق النّمو الشّامل؛

-يجب أن يكون للأنشطة المدرسيّة أهدافا محددة وواضحة لكل من مدير المدرسة والمدرس والتّلميذ وولي أمره؛

-يجب أن تستمد أهداف الأنشطة المدرسيّة من أهداف التّربيّة العامّة؛

-يجب أن تكون الأنشطة المدرسيّة وثيقة الصلة بأهداف العمليّة التّعليميّة وبالدّراسة داخل الفصل؛

-يجب أن تتنوع مجالات الأنشطة المدرسيّة حتى يجد التّلاميذ العديد من الفرص للتعبير عن ميولهم وإشباع حاجاتهم بما يتناسب مع قدراتهم والفروق الفرديّة بينهم؛

-يجب أن تخضع الأنشطة المدرسيّة للملاحظة الدّقيقة والمستمرة من قبل رواد النّشاط (المدرسين) المتميزين؛

-يجب أن تتلاءم الأنشطة المدرسيّة مع القدرات الماديّة والبشريّة المتاحة بالمدرسة؛

- يجب أن تتسم الأنشطة المدرسيّة بالمرونة من النّاحيّة التّنفيذيّة (الجوانب الاقتصاديّة والزمانيّة والمكانيّة ...الخ) وتكون قابلة للتقويم المستمر والتّقويم النّهائي[10].

وبنظرة سريعة على واقع النّشاط اللاصفي في بعض المدارس، نلاحظ وجود منهج قائم على الفصل بين هذا النّشاط والمواد المقررة، حيث يتم وضع النّشاط اللاصفي في منزلة أقل من المقررات الدّراسيّة، لذلك فقد تم تغييب النّشاطات إلى وقت غير معروف. فالمناهج الدّراسيّة مثقلة بالمواد النّظريّة الكثيرة والمكثفة والتي لا تترك وقتا للمعلم الذي لا يشغله سوى هاجس إنهاء المنهج الرّسمي المقرر، ولا يستطيع العمل مع الطلاب لتطبيق ما تعلموه من معلومات ومعارف.

وفي بعض المدارس يأخذ النّشاط شكلاً سطحياً لا يعتني بالمضمون بقدر العنايّة بما يتم وضعه على الورق كأداة زينة مدرسيّة تلحق بالمنهج العام، فما زالتّ مواد دراسيّة مقررة تعتمد على النّشاط كالتّربيّة البدنيّة والتّربيّة الفنيّة تعتبر مواد مكملة والكل يجتازها بكل يسر[11].

خاتمة:

-تلعب المدرسة دورا محوريا في بناء المجتمع وتحضره، وتدفع الطفل صوب النّضج المعرفي السّلوكي والأخلاقي، كما ترسخ فيه القيم الإنسانيّة المشتركة لحفظ استقرار الوطن والمجتمع من خلال تعزيز سلوك التّسامح واحترام الآخر وقبول الاختلاف والتّعايش مع كل الفئات والطوائف؛

-لا يتوقف دور النّشاط اللاّصفي عند حدود التّرفيه والتّسليّة وصناعه الفرجة بل يحمل أهدافا تربويّة واجتماعيّة ساميّة تعد امتدادا مباشرا للتعلم الصفي ولا يمكن لأي باحث أن ينظر إليها نظرة احتقار وازدراء. ويوحي تنوع الأنشطة اللاّصفيّة بتنوع احتياجات التّلميذ وتعدّد الاستراتيجيات التّعليميّة في المؤسسات التّربويّة. ويتفاوت مردود الأنشطة اللاّصفيّة بتفاوت إمكانيات المؤسسات التّعليميّة ومهارات الأستاذ المشرف ومدى التّنسيق بينهما؛

- يرتبط التّعايش اللّغويّ والثّقافي بقدرة التّلميذ على التّفاعل والاندماج واحترام اختلاف المرجعيات اللّغويّة لزملائه داخل الصف والمدرسة، فضلا عن اعتبار هذا الاختلاف ثراء ثقافيا لا يهدد هويته وكينونته الثّقافيّة. كما يشير هذا المصطلح أيضًا إلى نبذ التّعصب الثّقافي وتشجيع التّلميذ على الاحتكاك بجميع زملائه رغم اختلاف هوياتهم ودون تطرف؛

- يعتبر النّشاط الرّياضي مجالا للتربيّة الخلقيّة والاجتماعيّة وهو فضاء التّنفيس عن الانفعالات ويمتاز بطابعه الجماعي القائم على الولاء الرّوحي للفريق الجماعي لا العصبيات القوميّة واللّغويّة لذا يمكن للأستاذ استغلاله في تفكيك التّعصب اللّغويّ والثّقافي وبناء جسور المحبة بشرط تكوين فرق رياضيّة ينتمي أعضاؤها لمرجعيات ثقافيّة ولغويّة مختلفة؛

-تسهل الأنشطة الثّقافيّة تعزيز قيم التّعايش اللّغويّ والثّقافي لأنها فرصة سانحة للتعرف على ثقافة الآخر ولباسه وعاداته وتقاليده وكثيرا ما تثمر هذه الأنشطة سلوك الاحترام المتبادل بين التّلاميذ والعمل الجماعي، وبهذا يتم تقليص الفجوة الثّقافيّة بين الأفراد؛

- تركز الأنشطة الاجتماعيّة اللاّصفيّة على استثارة العواطف الإنسانيّة وتحريك الوجدان الجماعي وغالبا ما تركز على التّضامن والمسؤوليات الجماعيّة، وبهذا يتضح أن قيمة الإنسان تتجلى في تراحمه وإنسانيته وإحساسه بوجع الآخرين، ولا علاقة لها بالولاء للانتماءات اللّغويّة والقوميّة، كما تعمق الأنشطة الاجتماعيّة الولاء للوطن وترسخ قيم المواطنة والأمن الاجتماعي.

قائمة المراجع:

1-عبد الله الموسوي النّشاطات اللاصفيّة، أهميتها، أنماطها ومعايير تفعيلها موقع المعرفة (علم وخبر 3) على الرّابط https://www.almaarifa.org/index.php/ar/tarbia/55-anshitaنشر بتاريخ: 12 حزيران/يونيو 2022 تاريخ الاطلاع 2025/04/01.

2-سمير عاطف، النّشاطات المدرسيّة ماهيتها وأهميتها ومجالاتها على الرّابط :
https://samiratef.ahlamontada.com/t87-topicنشر بتاريخ الأربعاء 03فبراير, 2010 6:31pm ، تاريخ الاطلاع 2025/04/01.

3-سعيد عبد الله لافي، النّشاط المدرسي بين النّظريّة والتّطبيق عالم الكتب، القاهرة /مصر، 2010.

4-أنور الخولي أمين، الرّياضة والمجتمع، سلسلة عالم المعرفة/ الكويت، العدد 216، 1996.

5-أريج إبراهيم، الأدوار المتجددة للأنشطة المدرسيّة – اللاّصفيّة تصور مقترح مستمد من التّجربة اليابانيّة المعاصرة، دراسة تحليليّة مقارنة 22 مارس، 2022 مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانيّة على الرّابطhttps://tanwair.com/archives/14520 .

6-أبو عبد الله، زهرة النّشاط المدرسي دار الحكمة للطباعة والنّشر والتّوزيع ط1، 2014.

7-غادة العمري تصور مقترح للأنشطة اللاصفيّة المدرسيّة في ضوء رؤيّة المملكة 2030، المجلة الدّوليّة للدراسات التّربويّة والنّفسيّة-المجلد7، العدد2-2020.

الهوامش:

[1] ينظر: عبد الله الموسوي النّشاطات اللاصفيّة، أهميتها، أنماطها ومعايير تفعيلها موقع المعرفة (علم وخبر 3) على الرّابط https://www.almaarifa.org/index.php/ar/tarbia/55-anshita نشر بتاريخ: 12 حزيران/يونيو 2022 تاريخ الاطلاع 2025/04/01.

[2] سمير عاطف، النّشاطات المدرسيّة ماهيتها وأهميتها ومجالاتها على الرّابط https://samiratef.ahlamontada.com/t87-topic نشر بتاريخ الأربعاء 03فبراير, 2010 6:31 pm، تاريخ الاطلاع 2025/04/01

[3] ينظر: سعيد عبد الله لافي، النّشاط المدرسي بين النّظريّة والتّطبيق عالم الكتب، القاهرة /مصر، 2010، ص 23

[4] ينظر: أنور الخولي أمين، الرّياضة والمجتمع، سلسلة عالم المعرفة/ الكويت، العدد 216، 1996، ص 05

[5] أريج إبراهيم، الأدوار المتجددة للأنشطة المدرسيّة – اللاّصفيّة تصور مقترح مستمد من التّجربة اليابانيّة المعاصرة، دراسة تحليليّة مقارنة 22 مارس، 2022 مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانيّة على الرّابط https://tanwair.com/archives/14520

[6] المرجع نفسه.

[7] المرجع نفسه.

[8] ينظر: أبو عبد الله، زهرة النّشاط المدرسي دار الحكمة للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 2014، ص 47 – 48

[9] غادة العمري تصور مقترح للأنشطة اللاصفيّة المدرسيّة في ضوء رؤيّة المملكة 2030، المجلة الدّوليّة للدراسات التّربويّة والنّفسيّة-المجلد7، العدد2-2020، ص362

[10] سمير عاطف، النّشاطات المدرسيّة ماهيتها وأهميتها ومجالاتها على الرّابط:
https://samiratef.ahlamontada.com/t87-topic:

[11] المرجع نفسه.

التّرجمَة والثّقافة واللّغات:
"تحدّيات االتّفسير والدّقّة في نقل المَعانيّ"

د. لويزة وعزار
المدرسة العليا للتّسيير والاقتصاد الرّقمي– الجزائر

الملخّص: اللّغة، منذ فجر التّاريخ وإلى يومنا هذا، كانت ولا تزال الأداة الأساسيّة التي تربط بين البشر عبر الأزمنة والأمكنة، وتُعدُّ وسيلةً محوريّة في نقل الفكر والمعرفة بين الأمم. فهي ليست مجرّد وسيلة التّواصل فحسب، بل هي أيضًا جوهر الهويّة الثّقافيّة والفكريّة التي تحدّد ملامح كل مجتمع. من هنا، تبرز التّرجمة كأداة حيويّة تتيح نقل هذه المعارف والقيم بين اللّغات والثّقافات، ممّا يسهم في تعزيز الفهم المتبادل والتّعاون بين الشّعوب.

إنّ التّرجمة، التي تُعدُّ امتدادًا طبيعيًا للّغة، تلعب دورًا أساسيًا في تقليص الحواجز بين اللّغات والثّقافات وتوسيع آفاق المعرفة الإنسانيّة. ولكن، إذا لم تُؤخذ التّرجمة بعين الاعتبار بدقة، فإنّها قد تُفضي إلى نتائج كارثيّة تؤدّي إلى سوء الفهم وسوء التّواصل، وهو ما قد يُحدث تداعيات سلبيّة خطيرة تؤثّر على الاستقرار بين الأمم. ومن هذا المنطلق، كان من الضّروري في هذا البحث تسليط الضّوء على العلاقة الوثيقة التي تربط بين اللّغة والتّرجمة، وكيف أنّ هذه الأخيرة تسهم في بناء جسور ثقافيّة وفكريّة بين الأمم، ممّا يعزّز التّفاهم والاحترام المتبادل.

وفي هذا السّياق، يطرح التّساؤل الجوهري: كيف يمكن للتّرجمة أن تُسهم في فك الغموض وتوضيح المفاهيم في الملتّقيات الثّقافيّة والفكريّة؟ وهل يجب أن تقتصر على احتياجات الجهة المتلقيّة فقط، أم أنّ السّياق الثّقافي واللّغوي للجهة الأصليّة يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار لضمان تحقيق التّرجمة لأهدافها بدقة وكفاءة عاليّة؟

الكلمات المفتاحيّة: اللّغة؛ الثّقافة؛ التّرجمة؛ الفهم المتبادل؛ فك الغموض؛ الجهة المتلقيّة؛ الجهة المرسِلة.

Abstract: Language, since the dawn of history and up to the present day, has remained the fundamental tool that connects human beings across time and space. It serves as a central medium for transmitting thought and knowledge among nations. More than just a means of communication, language embodies the cultural and intellectual identity that defines each society. In this context, translation emerges as a vital instrument that facilitates the transfer of knowledge and values between languages and cultures, fostering mutual understanding and cooperation among peoples.

As a natural extension of language, translation plays a crucial role in bridging linguistic and cultural gaps while expanding the horizons of human knowledge. However, if not approached with precision, translation can lead to disastrous consequences, resulting in miscommunication and misunderstanding—factors that

may have severe repercussions on international stability. Hence, this research seeks to shed light on the intrinsic relationship between language and translation and how the latter contributes to constructing cultural and intellectual bridges between nations, thereby promoting mutual understanding and respect.

Within this framework, a fundamental question arises: How can translation contribute to resolving ambiguity and clarifying concepts in cultural and intellectual exchanges? Should it be tailored exclusively to the needs of the target audience, or must the cultural and linguistic context of the source language also be considered to ensure that translation fulfills its objectives with accuracy and efficiency?

المقدّمة: منذ القِدَم، اعتُبرت اللّغة أداة محوريّة التّواصل والتّفاهم، تُمكن البشر من الانتقال بين المجتمعات والتّخصّص في مجالات قد لا تكون متاحة في بلدانهم، بالإضافة إلى إحراز التّقدم العلمي والاطلاع على المستجدات والتّعرف على الآخر كما لعبت دورًا رئيسيًا في تطوّر اللّغات، من خلال دعم العلوم، وتعزيز التّبادلات التّجاريّة، وتكثيف الاحتكاك مع الأمم الأخرى، ممّا كان عاملًا أساسيًا في تطوّر اللّغات، حيث احتوت كل لغة على مفردات ومصطلحات دخيلة فرضت نفسها بفعل متغيرات مختلفة، فأصبحت جزءًا من الاستخدام اليومي أو مقتصرة على مجالات تخصّصيّة معينة.

ولضمان الاستمرار في دائرة المعرفة ومواكبة التّطورات المتسارعة، تبرز التّرجمة كأداة لا غنى عنها، إذ يسّرت عبر العصور فهم ما استعصى إدراكه، ومهدت الطّريق الانخراط في عالم التّكنولوجيا، وربطت المجتمعات بأحدث الإصدارات العلميّة والإنسانيّة، مما أسهم في تحقيق نهضة فكريّة وحضاريّة مستدامة. ولا تقتصر التّرجمة على النّقل الحرفي للمحتوى أو لثقافة اللّغة المصدر فحسب، بل تُسهم أيضًا في بلورة الفكر ذاته وإنتاج لغة تتماشى مع حاجات القارئ وتوقعاته (Jun, 2007).

في هذا السّياق، تشير ماريان لودورير (Lederer, 1998) إلى مثال الكاتب فيكرام سيث (Vikram Seth)، الذي يكتب بالإنكليزيّة نظرًا لجنسيته المزدوجة الهنديّة والبريطانيّة، حيث أدرج في أعماله ما يقارب 360 كلمة هنديّة مستعارة داخل اللّغة الإنكليزيّة. ويعتمد أسلوبه على تقديم هذه المصطلحات ضمن سياق سردي منهجي، يسمح للقارئ باستيعابها تدريجيًا، مما يتيح له التّعمق في فهم الثّقافة الهنديّة والتّفاعل معها بوعي أكثر شمولًا. وترى لودورير أنّ المترجم يمكنه أن يستلهم هذا النّهج عند نقل النّصوص، بحيث يترك بعض المصطلحات الأصليّة في النّص المترجَم، ويعتمد على تقنيات سرديّة تسهّل على القارئ فهمها وتجاوز أي غموض اصطلاحي، ممّا يجعل التّرجمة أداة تواصل ثقافي تتجاوز مجرد النّقل اللغوي.

وإذا كانت التّرجمة تسهم في تعزيز التّقارب الثّقافي، كما يظهر في أعمال سيث، فإنّ أي انحراف عنها أو سوء تأويل لها قد يفضي إلى عواقب وخيمة، تتجاوز الإطار الأدبي لتّمتد إلى أبعاد سياسيّة ودبلوماسيّة، إذ أن أي خطأ فيها قد يؤدي إلى تداعيات دبلوماسيّة خطيرة، كما يُبرزه هذا البحث من خلال أمثلة تاريخيّة ملموسة أفضت إلى تداعيات دبلوماسيّة خطيرة.

ومن هنا تتبلور إشكاليّة هذا البحث حول كيفيّة تحقيق التّرجمة توازنًا بين الدّقة والوضوح، بحيث تنقل المعلومات دون تحريف أو إغفال، مع مراعاة تأثيرها على المتلقي، حيث تمتلك كل منهما منظومة ثقافيّة قد تختلف جذريًا عن الأخرى، سواء على مستوى العقائد الدّينيّة، أم التّقاليد، أم أنماط العيش، أم طرق تأويل العالم. ويطرح هذا البحث التّساؤل التّالي: هل يُعدّ تكييف النّص المترجَم ليتماشى مع ثقافة معينة دون الأخرى نوعًا من الانحياز؟ سؤال نحاول معالجته في بحثنا، حيث نُسلّط الضّوء على العلاقة الوثيقة بين التّرجمة والثّقافة ونتساءل عمّا إذا كان على التّرجمة أن تبقى وفيّة للنص الأصلي أم أن تأخذ في الاعتبار خصوصيات المتلقي وسياقه الثّقافي.

1. الثّقافة والتّرجمة: بين هويّة الأنا وتأثير الآخر: إنّ معرفة ثقافة الآخر تعدّ دافعًا لدى البعض لاكتشافها والتّعمق في قراءاتها، مما يمنحهم تصورًا أوسع عن ثقافة قد تكون مجهولة لديهم أو لا يمتلكون عنها سوى معرفة سطحيّة. فالثّقافة، بطبيعتها، تتشكل وفقًا لما يتلقاه الفرد منذ طفولتّه، وما يعيد إنتاجه بوعي أو دون وعي ممّا يجعله ينتمي إلى بيئة مألوفة يشعر فيها بالرّاحة والانتماء. وإذا كانت اللّغة عنصرًا موحِّدًا للثقافة، فإنّها في الوقت ذاته تتباين وفقًا لاختلاف استعمالاتها وسياقاتها الاجتماعيّة والثّقافيّة، مما يمنحها أبعادًا متعددة داخل المجتمع الواحد.

وفقا لبيتر نيومارك (Newmark, 1988, p. 94) تُعرَّف الثّقافة على أنها "أسلوب الحياة وتجلياته الخاصّة بمجتمع معيَّن يستخدم لغة محددة كوسيلة للتّعبير." (ترجمتنا) ومن هذا المنظور، تعدّ اللّغة عنصرًا موحِّدًا للثقافة، حيث تتيح للفرد، من خلال استخدامها، الانتماء إلى مجتمع يتقاسم العادات والتّقاليد والقيم المشتركة.....

غير أنّ نيومارك يميز بين "اللّغة الثّقافيّة"، "اللّغة العالميّة"، و"اللّغة الشّخصيّة"(ibid. 1988, p. 94) مشيرًا إلى إمكانيّة وجود عدة ثقافات، بما في ذلك الثّقافات الفرعيّة، داخل لغة واحدة. فاللّغة، من هذا المنظور لا تقتصر على كونها أداة تواصل، بل تمثل عنصرًا جوهريًا في إنتاج المعرفة وتداولها بين الثّقافات، وهو ما يُعرف بالوظيفة المعرفيّة، كما أشار إليها ليتشيك، حيث تتجلى في مختلف المجالات العلميّة، والأدبيّة والتّكنولوجيّة، وغيرها، حيث تتيح نقل المفاهيم والأفكار بين المجتمعات مما يسمح بتبادل معرفي وثقافي يسهم في بناء مجتمعات غنيّة بالمعارف المجتمعيّة (Leitchik, p. 108). فهي تقوم "بوظيفة مهمة جدًا في حياة النّاس اليوميّة، لأنها تتيح لهم لعب دور نشط في عمليات تلقي المعلومات واختيارها وتحويلها وتخزينها وتفصيلها واسترجاعها، ممّا يسمح لهم بالعمل بشكل طبيعي في البيئة المحيطة بهم"(النفس). وبمعنى آخر تسهم هذه الوظيفة في تمكين الأفراد من التّكيف مع بيئتهم، من خلال مساعدتهم على استقبال المعلومات، معالجتها وتوظيفها بفعاليّة، مما يعزز قدرتهم على التّفاعل الطّبيعي مع محيطهم.

ومع تطورات العولمة، التي أسهمت في تعزيز أشكال مختلفة من التّفاعل والتّواصل، سواء الأحادي اللّغة أم متعدد اللّغات، إلى جانب تزايد التّنقل بين البلدان، تغيرت أنماط التّواصل، مما جعلها تتطلب دقة وحرفيّة أكبر في مجال التّرجمة. وفي هذا السّياق، يواجه المترجمون تحدي نقل ثقافة الآخر، مما يدفعهم إلى اعتماد

استراتيجيات تقوم على التّبسيط، بهدف تجاوز الحواجز اللّغويّة وتيسير عمليّة الفهم، وتعزيز التّقارب بين الشّعوب(Mi-Yeon & Brisset, 2006).

ومن هذا المنطلق، تصبح التّرجمة أداة تخدم المتلقي دون إغفال ثقافة المصدر، إذ تختلف عمليّة التّرجمة باختلاف الثّقافات، ولا يمكن اعتبارها ثابتة أو موحدة، بل تتقاطع فيها أساليب التّرجمة مع أنماط وجود الثّقافة (Cordonnier, 2002). ونظرًا لاختلاف الثّقافات، قد يواجه المترجم تحديات متعددة ناجمة عن العوامل السّياسيّة، والدّينيّة، والأيديولوجيّة، وغيرها، مما قد يؤثر سلبًا على نقل الثّقافة أو على دقة ترجمة النّص الأصلي. وفي هذا السّياق، يجد المترجم نفسه أمام "مهمة استيراد القيم" (ibid., 2002). وهذا يدفعنا إلى التّساؤل: هل تكتفي التّرجمة بنقل المعاني أم أنها تؤثر بدورها في إعادة تشكيل الثّقافة؟ سنحاول استكشاف هذه العلاقة الجدليّة في القسم التّالي.

غير أن هذا الاستيراد قد يكون سيفًا ذا حدين، حيث يمكن أن يؤدي إلى تصادم بين الثّقافات، لا سيما عندما تحاول إحداها فرض قيمها على الأخرى، مما قد يولّد مقاومة أو رفضًا. وفي بعض الحالات، تخضع القيم الأصليّة التّعديلات تتماشى مع ثقافة المتلقي، وهو ما قد يُفقدها بعضًا من معناها الأصلي، مما يطرح تساؤلات حول مدى وفاء التّرجمة للنص المصدر ومدى تأثيرها على هويّة الثّقافة المنقولة.

2. التّفاعل بين التّرجمة والثّقافة: تحديات الدّلالة وسوء الفهم: تتطلب التّرجمة قدرًا عاليًا من الدّقة والحذر نظرًا لأن الكلمات والعبارات قد تكتسب دلالات مختلفة تبعًا للسياق الذي ترد فيه. وكما أشرنا سابقًا، فإن الثّقافة تتباين وفقًا للموروث الحضاري لكل مجتمع، بل إنها قد تشهد اختلافات داخل المجتمع الواحد، حيث تتجلى في تنوع العادات والتّقاليد واللهجات. فعلى سبيل المثال تتميز الجزائر بتعددها اللغوي والثّقافي، إذ تتعايش فيها لهجات متنوعة، مثل الشّاويّة، والقبائليّة، والمزابيّة، وغيرها، التي، رغم تقاربها في بعض الجوانب تعكس خصوصيات ثقافيّة متميزة لكل مجموعة.

ورغم هذا التّنوع، تجد الثّقافة نفسها مترجمة، سواء بهدف نقل المعرفة أم لفهم أنماط العيش المختلفة للمجتمعات. ويمكن النّظر إلى العلاقة بين الثّقافة والتّرجمة من منظور تكاملي وتواصلي، حيث تؤثر قراءة الثّقافة وفهم العبارات، بل وحتى طرق نطق الكلمات ومخارج الأصوات، على عمليّة التّرجمة (Gambier, 2008).

تمتدّ التّرجمة إلى ما هو أبعد من مجرد تحويل النّصوص بين اللّغات، إذ تسعى إلى استيعاب جوهر المعاني الكامنة في الكلمات والعبارات، مع الأخذ في الاعتبار الأبعاد الثّقافيّة والسّياقيّة التي تؤثر في دلالاتها، ولهذا تركز جميع المنظمات الدّوليّة على إنشاء مصادر إلكترونيّة للمصطلحات تغنيها وتثريها عن طريق البحث الوثائقي، وهو عمل لا يقتصر على نقل اللّغة فقط وإنما البحث والتّوثيق والمراجعة الدّقيقة والمراقبة المصطلحيّة قبل إصدار التّرجمة(Rochard, 2009) .

غير أنّ التّرجمة، في بعض الأحيان، تكتفي بالنّقل اللفظي دون مراعاة للمعنى العميق أو الالتّزامات التي يفترض أن ترافق هذا النّقل. ويتجلى ذلك بوضوح في المجال السّياسي، حيث تختلف ترجمة مفاهيم مثل

"الدّيمقراطيّة" باختلاف الأوطان والثّقافات، بل وقد تُفرغ من مضمونها الحقيقي عند تطبيقها، مما يُخلّ بالدّلالة الأصليّة للمصطلح. وهذا يبرز مدى تعقيد التّرجمة الرّمزيّة، خاصّة عندما تتعلق بمفاهيم محمّلة بشحنات سياسيّة ومبدئيّة لا تجد غالبًا تطبيقًا فعليًا على أرض الواقع.

لكن ماذا يحدث عندما تؤدي أخطاء التّرجمة إلى سوء فهم كارثي، يتجاوز الإطار الثّقافي إلى المجال السّياسي والدّبلوماسي؟ لفهم ذلك، ننتقل إلى دراسة تأثير اللّغة والتّرجمة على العلاقات الدّوليّة.

3. تأثير اللّغة والتّرجمة على السّياسات الدّوليّة: بين الدّقة وسوء الفهم: تُمثّل التّرجمة أداة جوهريّة لنقل المعاني بين اللّغات، وتؤدي دورًا محوريًا في شتى المجالات، لما تحمله من تأثير بالغ في فهم المصطلحات وتأويلها. وقد أدّت بعض الأخطاء التّرجميّة، عبر التّاريخ، إلى نتائج كارثيّة خلّفت تداعيات مأساويّة لا تزال آثارها حاضرة حتى يومنا هذا.

لا تقتصر التّرجمة على كونها مجرد أداة لنقل المعلومات، بل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالبنيّة اللّغويّة والثّقافيّة للنصوص، إذ تتشكل اللّغة وفقًا للعوامل الاجتماعيّة والتّاريخيّة التي تسهم في صياغة معانيها. وتُعدّ اللّغة كيانًا معقدًا يتداخل فيه البعد الثّقافي مع المعرفي، وهي ليست ثابتة، بل تتأثر بالموروث الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد من المجتمع الذي نشأ فيه أو الذي يعيش فيه. فالإنسان يتفاعل مع بيئته المحيطة، ويكتسب من اللّغة كل ما يتعلق بالثّقافة، والتّواصل، ووسائل العيش وغيرها... (Gelavizh, Saleh, Arezoo, Elenaz, & Dehghan, 2012).

كما تشكل اللّغة عاملاً حاسمًا في تقريب الأفراد أو تفريقهم، ويمكن أن تُستخدم كسلاح فعّال لخدمة مصالح معينة أو ضد فئة معينة. ومن أبرز الأمثلة التي تعكس تعقيد اللّغة في هذا السّياق هو ما يمكن تسميته "الغموض اللغوي"، "حيث يكون العنصر اللغوي غامضًا عندما يتوافق مع شكل واحد ويحمل عدة معانٍ" (Fuchs, 2009) ، ومن أبرز هذه الأمثلة مصطلح (Mokusatsu) الياباني، الذي يحمل تفسيرات متنوعة والذي أدّى سوء ترجمته إلى اتخاذ قرار مصيري تمثل في إلقاء القنبالتين الذريتين على هيروشيما وناغاساكي في 6 و9 أغسطس 1945(Ndior) وهو الحدث الذي عجّل بنهايّة الحرب العالميّة الثّانيّة وأسهم في إعادة تشكيل ملامح التّاريخ الحديث.

تعكس هذه الحادثة الكارثيّة الأهميّة البالغة للدقة في التّرجمة، إذ يُعزى الخطأ فيها إلى المترجمين الذين لم يراعوا تعدديّة السّياقات التي يُستخدم فيها المصطلح، مما أدى إلى تداعيات كارثيّة على المستويات السّياسيّة الإنسانيّة، والعسكريّة، كما هو موضح في المصدر أدناه:

UNCLASSIFIED MOKUSATSU

Almost without exception, whenever this story is told, mention is made of the poor translation job. One short magazine article [2] calls it "The World's Most Tragic Translation," "the ill-chosen translation of a common Japanese word," "disastrous oversight in this most important of all messages," and "that inauspicious translation." Indeed, there seems to be little question about the translator's culpability.

المرجع (nsa.gov)

"وقد وصفت إحدى المقالات القصيرة في إحدى المجلات هذه التّرجمة بأنّها "من أكثر التّرجمات مأساويّة في العالم"، و"ترجمة غير دقيقة لمصطلح ياباني شائع" ، وأنّها كانت خطأ فادحًا في رسالة تُعدّ من بين الأهم على الإطلاق"، إضافة إلى كونها "ترجمة مشؤومة" (ترجمتنا).

ولقد تسببت بعض الأخطاء التّرجميّة في أزمات دبلوماسيّة وانقطاع في العلاقات الدّوليّة، وأحيانًا أدت إلى خسائر بشريّة، كما حدث في واقعة مقتل زايدا كاتالان، السّويديّة من أصل تشيلي، ومايكل شارب، المواطن الأمريكي، اللذين كانا يحققان في قضيّة المقابر الجماعيّة. فقد لقيا حتفهما نتيجة خطأ جسيم في التّرجمة ارتُكب عمدًا، حيث نُقلت رسالة تفيد بإمكانيّة ذهابهما بأمان، بينما تم تجاهل تحذير أساسي يشير إلى احتمال تعرضهما لكمين في حال توجّها إلى بونكوندي(AFP, 2017) من هنا، يظهر أنّ اللّغة ليست مجرد وسيلة التّواصل، بل هي وعاء غني بالتّركيبات اللّغويّة والنّحويّة، والمصطلحات المتنوعة التي تحمل معانٍ متعددة. ولا يمكن تجاهل هذه التّغيرات أو إغفال نقل المعنى الدّقيق؛ إذ إن ذلك سيؤدي إلى إخلال بالتّرجمة ويجعل عمل المترجم يفقد النّزاهة المطلوبة.

وفي هذا السّياق، تبرز ضرورة احترام الخصوصيات الثّقافيّة، والتّاريخيّة، والمجتمعيّة للغة، إذ يتحدد معناها وفقًا لجملة من العوامل السّياسيّة، والتّاريخيّة، والثّقافيّة. لذا، ينبغي على المترجم مراعاة هذه الأبعاد لضمان دقة التّرجمة وملاءمتها للسياق المستهدف، وذلك عبر تحقيق توازن دقيق بين الأمانة للنص الأصلي والتّكيف مع ثقافة المتلقي. وفي هذا السّياق، ننتقل في القسم التّالي إلى كلمة "السّلام" بكل معانيها، مع التّركيز على الوفاء بإبقائها كما هي، وتوضيح الهدف من وراء الحفاظ على هذه الكلمة دون ترجمة.

4. جسر الوصول الثّقافي: تحيّة السّلام ومتطلبات التّفاهم بين الثّقافات: لا تعتبر اللّغة مجرد وسيلة التّواصل، بل هي وعاء يعكس هويّة النّاطقين بها وعمق سياقاتهم الثّقافيّة، فبعض الكلمات تتجاوز أبعادها اللّغويّة التّصبح رموزًا ثقافيّة تعبّر عن قيم إنسانيّة مشتركة، مما يسهم في مدّ جسور التّواصل بين الشّعوب، حتى في البيئات غير الإسلاميّة التي تتبنى بعض المفردات تعبيرًا عن مبادئ عالميّة كالأمن والسّلام والتّآخي.

فعلى سبيل المثال، تحظى تحيّة "**السّلام**" بمكانة خاصّة في المجتمعات الإسلاميّة والعربيّة، إذ لا تقتصر وظيفتها على التّحيّة فحسب، بل تشمل مفاهيم أعمق كالسّلام والتّفاهم المتبادل. وقد أصبحت هذه التّحيّة متداولة في العديد من اللّغات، ممّا يعكس انتشارها وتأثيرها الثّقافي بوصفها تحيّة متجذّرة في القيم الإسلاميّة (orthodidacte)، وأصبح استخدامها شائعًا ليس فقط بين المسلمين، بل حتى غير المسلمين، باختلاف لغاتهم ما يعزز حضورها كتعبير ثقافي يتجاوز الحواجز اللّغويّة والجغرافيّة.

وفي هذا السّياق، تعدّ عبارة "**السّلام عليكم** "نموذجًا حيًا التّعبيرات اكتسبت بعدًا عالميًا، حيث تجاوزت كونها تحيّة تقليديّة التّصبح رمزًا يعكس ثقافة السّلام والتّسامح. ولهذا، كثيرًا ما تُستخدم بصيغتها الأصليّة دون ترجمة لما تحمله من معانٍ دقيقة لا يمكن اختزالها في مقابل لغوي مباشر. إنّ تداولها بهذا اشّكل يعكس مكانتها الرّمزيّة ويُبرز تأثيرها الثّقافي، التّصبح جسرًا فعّالًا التّواصل بين الثّقافات.

وهنا، يمكن القول إن ترجمة هذه التّحيّة ليست جوهريّة، لأن عبارة "السّلام عليكم" لا تُقابلها عبارة بديلة تحمل جميع أبعادها في لغات أخرى.

فبالرّغم من إمكانيّة تقديم ترجمة مثل (Peace be upon you) في الإنكليزيّة، أو (Que la paix soit sur vous) في اللّغة الفرنسيّة، إلاّ أنّ هذه الصّيغ لا تعكس الأبعاد الدّينيّة والثّقافيّة والرّمزيّة التي تتضمنها العبارة، خصوصا في السّياق الإسلامي. فهي ليست تحيّة عابرة، بل تحمل معاني السّلام والأمان والتّآخي، ممّا يجعلها أعمق من مجرد ترجمة لغويّة، ويُضفي عليها طابعًا ثقافيًا وإنسانيًا مشتركًا.

وقد تجالتّ هذه الرّمزيّة في عدة مؤلفات بلغات غير عربيّة، حيث تم استعمال عبارة "السّلام عليكم" كعلامة على التّرحيب والانتماء الثّقافي، كما في كتاب "**السّلام عليكم الجزائر** "الذي يُجسّد كيف تحوّلت هذه التّحيّة إلى عنصر من عناصر الهويّة الثّقافيّة، ومؤشرًا على القيم الأصيلة تُعزز التّواصل بين الشّعوب المختلفة (Jouannault, 2024). بل وحتى فيلم "عودة المومياء" الذي صدر عام 2001، حافظ المترجم على كلمة "سلام" « salam » على حالها بمعنى "الوداع الآمن" كما هي في المشهد الأخير، حيث ودّع أحد أبطال الفيلم الممثلين الرّئيسيين، مستخدما "سلام".

ومن ثم، يكتسب مصطلح "السّلام" أبعادا متعددة، إذ يشمل السّلام، والتّحيّة، والقبول". فمصطلح ""السّلام" بالنّسبة للبعض يعني غياب النّزاع. أمّا بالنّسبة للآخرين، فهذا يعني إنهاء العنف أو الوقف الرّسمي للأعمال العدائيّة. وبالنّسبة لآخرين أيضاً، يعني العودة إلى حل النّزاع بالوسائل السّياسيّة" (manara).

الخاتمة: تُعدّ اللّغة أداةً لا غنى عنها في تقريب المسافات بين الشّعوب، وفي إزالة اللبس وسوء الفهم، وذلك من خلال التّرجمة. فاللّغة كيان حيّ متحرّك، تنتقل من بلد إلى آخر، وتتفاعل مع غيرها عبر الأخذ والعطاء؛ إذ نستعير من اللّغات الأخرى تعبيراها ومفرداتها كما نُغنيها نحن بمفرداتنا وتعبيراتنا.

ولا تقتصر اللّغة على كونها وسيلة التّواصل فقط، بل هي حاملة للثقافة والفكر والسّياسة، إذ تعكس منظومة القيم، والرّؤيّة المجتمعيّة، والخلفيّة التّاريخيّة والحضاريّة لكل أمة. ومن هذا المنطلق، تبرز التّرجمة كوسيلة رئيسيّة لفهم الآخر، ليس فقط ثقافيًا، بل أيضًا سياسيًا، خاصّة عندما تتعلق الأمور بالمفاهيم الحساسة كحقوق الإنسان، أو السّياسات الدّوليّة، أو مفاهيم الهويّة والانتماء.

والتّحقيق هذا الفهم المتبادل، يجب أن تتم التّرجمة بشكل دقيق وأمين، يحترم خصوصيّة اللّغة المصدر ويضمن إيصال المعنى دون تحريف أو تأويل مخلّ. أمّا التّرجمة غير الدّقيقة، فهي قد تؤدي إلى تشويه المعنى الأصلي، وخلق سوء فهم ثقافي أو سياسي قد تكون له تبعات وخيمة.

ومن المهم الإشارة إلى أن بعض العبارات لا تحتاج إلى ترجمة، لما تحمله من دلالات ثقافيّة وسياسيّة وروحيّة مكتملة تعبّر بعمق عن المقصود في اللّغة الأم، وتسهم في توثيق أواصر التّواصل والتّفاهم. ويبرز هذا جليًّا في مثال التّحيّة "السّلام عليكم"، التي تعبّر بوضوح عن رسالة السّلام والاحترام في السّياقين الاجتماعي والثّقافي.

قائمة المراجع:

AFP. (2017, 09 13). *L'Express.* Consulté le 03 09, 2025, sur L'Express: lexpress.fr/economie/les-experts-de-l-onu-tues-en-rdc-induits-en-erreur-par-une-fausse-traduction_1943105.html

Fuchs, C. (2009, 06). L'ambiguïté : du fait de langue aux stratégies interlocutives. pp. 3-16.

Gambier, Y. (2008). Traduire l'autre. *éla, Etude de linguistique appliquée , 2* (150), pp. 177-194.

Gelavizh, A., Saleh, S., Arezoo, A., Elenaz, J., & Dehghan, S. S. (2012). Language, Translation, and Culture. *33*.

Jean-Louis Cordonnier. (2002, 03). Aspects culturels de la traduction : quelques notions clés. *Meta*، *47* (1).

Jouannault, J.-L. (2024). *Salem Aleykoum l'Algérie.* Fnac.

Jun, X. (2007). Diversité culturelle : la mission de la traduction. *Hèrmes, La Revue , 3* (49), p. 185 à 192.

Lederer, M. (1998). Traduire le culturel : la problématique de l'explicitation. *Palimpsestes* , pp. 161-171.

Leitchik, V. *Les relations entre culture et langue:fonctions communes.*

manara. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 24 02, 2025، من https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85

Mi-Yeon, J., & Brisset, A. (2006). La notion de culture dans les manuels de traduction Domaines allemand, anglais, coréen et français. *Meta , 51* (2), pp. 389–409.

Ndior, V. (s.d.). Erreurs de traduction et malentendus diplomatiques. *Presses de l'Université Toulouse Capitole* , pp. 297-312.

Newmark, P. (1988). *A Textbook Of Translation.* Great britain: Wheaton and Co.ltd.

nsa.gov. (s.d.). Consulté le 03 09, 2025, sur https://www.nsa.gov/portals/75/documents/news-features/declassified-documents/tech-journals/mokusatsu.pdff

orthodidacte. (s.d.). Consulté le 02 24, 2025, sur https://dictionnaire.orthodidacte.com/

Rochard, M. (2009). Traduction et organisations internationales : sortir de la bulle ? *Traduire* , pp. 5-13.

tech كليّة علم النّفس. (بلا تاريخ). *tech كليّة علم النّفس* . تاريخ الاسترداد 03 03, 2025، من tech كليّة علم النّفس : https://www.techtitute.com/dz/psychology/postgraduate-certificate

جهود الجزائر في تكريس التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ الوطنيّ

د. خولة ميسي
جامعة سوق أهراس

ملخّص: في ظل التّكالب الشّرس على بلدنا الحبيب، كان لزاما علينا إثارة مثل هكذا مواضيع حساسة تمسّ الأمن الثّقافي واللغوي القومي والوطني، وفي هذه المداخلة سنوضح أهميّة التّنوع الثّقافي الذي تزخر به الجزائر من الشّرق إلى الغرب ومن الشّمال إلى الجنوب، ما جعلها محط مكائد الطامعين وأهل الشّرور، فلطالما كان ولا يزال تنوعها الثّقافي واللّغويّ عامل استغلال، تركن إليه المؤامرات الاستعماريّة الدّنيئة التّي تسعى لإثارة النّعرات والفتن بين أبناء الشّعب الواحد بهدف تقسيم ترابها وإضعافها؛ لكن الجزائر قد اكتسبت مناعة وطنيّة، ساعدت في تكريس وحدتها التّي يستعصي أمام هجمات العدو.

والتّجارب الطويلة والتّاريخ التّليد لها في هذا المجال، يثبت نجاحها في تخطيها المراحل الصّعبة التّي مرت بها منذ الاستعمار إلى اليوم، وذلك بتكريس وعي وطني ثقافي أمني قائم على تضافر جهود جميع الأطياف والطوائف الوطنيّة ومختلف المكونات الثّقافيّة واللّغويّة للحفاظ على وحدة ترابها، واستثمار هذا التّنوع للحفاظ على مقوماتها الأساسيّة وهويتها الوطنيّة. فما هي الاستراتيجيات التّي وضعتها الجزائر والمشرع القانوني للحفاظ على ثرائها وتنوعها الثّقافي واللغوي؟ وكيف السّبيل لردع الهجمات المهدّدة لهذا الموروث الثّقافي واللغوي؟ وإلى أي مدى يمكننا تحقيق أمن ثقافيّ لغويّ في ظلّ الانفتاح الرّقميّ؟

Abstract: Given the turbulent circumstances our beloved country has endured, it has become imperative to address topics of such sensitivity—ones that touch upon cultural security, national unity, and linguistic cohesion. In this presentation, we will shed light on the vital role of diversity in Algeria, particularly its historical positioning between the East and the West, as well as the North and the South. This unique placement has long made Algeria a coveted prize for opportunists and adversaries alike.

Throughout history, Algeria has been a melting pot of cultural and linguistic diversity, continuously exploited by colonial powers that sought to sow discord and division among its people. However, the Algerian nation has demonstrated remarkable resilience, transforming its cultural mosaic into a source of strength rather than fragmentation. These deeply rooted national values have played a pivotal role in fostering unity and solidifying the country's defenses against external threats.

Algeria’s extensive historical experience in this domain serves as compelling evidence of its success in crafting strategic policies for managing diversity—a journey that dates back to the colonial era and continues to this day. The nation has

managed to cultivate a robust cultural consciousness founded on the collective efforts of all societal groups, national factions, and

diverse cultural and linguistic components. This unity has been instrumental in safeguarding Algeria's territorial integrity.

Nonetheless, the question remains: How can this diversity be further preserved to reinforce Algeria's core identity and national cohesion? What strategies have been implemented at the legal and institutional levels to maintain the nation's rich cultural and linguistic plurality? Furthermore, what measures can be taken to counter potential threats aimed at exploiting this diversity for divisive purposes?

Finally, in an era characterized by rapid digital globalization, to what extent can we achieve linguistic and cultural security while embracing the opportunities presented by digital openness?

1. مقدّمة: إنّ الحفاظ على الهويّة الوطنيّة وتعزيزها، من أهم أولويات الدّولة الجزائريّة، لذلك سعت جاهدة لبناء مجتمع متماسك يحترم ويتقبل التّنوع الثّقافي واللغوي، الذي تتمتع به البلاد، والذي يعد مصدر قوة، ومكونًا أساسًا من مكوناتها.

وفي هذا المقال سنركز على جهود الدّولة الجزائريّة في تكريس التّنوع الثّقافي واللغوي الوطني، وما هي الاستراتيجيات التّي وضعتها للحفاظ على هذا الثّراء الثّقافي والتّنوع اللغوي، خاصّة أن منظمة اليونسكو دعت إلى ضرورة اعتبار التّنوع الثّقافي تراثا مشتركا للإنسانيّة جمعاء، وقد أصدرت إعلانا عام 2001 في ذات السّياق.

والمجتمع الجزائري من بين المجتمعات التّي تزخر بثراء ثقافي لغوي نوعي؛ فعلى الرّغم من أن اللّغة الرّسميّة للدولة هي العربيّة والأمازيغيّة، إلا أنه هناك تنوعا في اللهجات: شاويّة، تارقيّة، مزابيّة، قبائليّة.... وهذا يجعلنا نقف على اختلاف نوعي ومتباين في العادات والتّقاليد والثّقافات التّي توارثتها الأجيال منذ زمن بعيد.

أضف إلى أن الجزائر من بين البلدان التّي تعاقبت عليها حضارات قديمة، توارثها الشّعب الجزائري، فصارت جزءا من أعرافه وعاداته وتقاليده، وقد جاءت عناوين المقال الرّئيسيّة والفرعيّة خادمة للإشكاليات الآتيّة:

- ما هي الجهود التّي بذلتها الجزائر للحفاظ على الإرث الثّقافي واللغوي؟
- وما هي السّبُل الممكنة للتصدي للهجمات المهددة لهذا الإرث؟
- وهل في وسعنا تحقيق أمن ثقافي لغوي في ظل الانفتاح الرّقمي؟

2. ضبط أهم المفاهيم:

2-أ. مفهوم الثّقافة: إن سبيل تقدم الأمم والبلدان تمسكها بثقافتها، فمن خلالها تتحقق اللُّحمة الاجتماعيّة والاستقرار على جميع الأصعدة، وبالثّقافة يُستتب الأمن ويُتقبل الآخر، فيُكرس التّعايش السّلمي ونبذ العنف والتّعصب، وقد ورد في لسان العرب أصل كلمة ثقافة «ثَقِفَ الشّيء ثَقْفًا وثِقَافًا وثُقُوفَةً: حذَقَهُ. ورجل ثَقْفٌ وثِقْفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ، فِهمٌ وثَقِفَ الشّيء ثَقْفًا وثِقَافًا وثُقُوفَةً: حَذَقَهُ. ورجل ثَقْفٌ وثِقفٌ وثَقُفٌ: حاذقٌ، فَهِمٌ، وثَقِفَ الشّيء وهو سرعة التّعلّم، وثقفته إذا ظفرت به.»[1] فالمستفاد من هذا التّعريف اللغوي أن لكلمة ثقافة معان عدّة، «فهي

تشير: لتقويم الاعوجاج والخصام والجلاد والإدراك والظفر وضبط المعرفة المتلقاة والتّأديب والتّهذيب والحذق والفهم.»[2]

أما اصطلاحا فقد ورد لها العديد من المفاهيم، من أوجزها القائل بأنها: «أسلوب الحياة»[3] ولأنها من المفاهيم التّي يصعب ضبطها، فقد وجدت إشكال في عرض مفهوم مبسط، يمكن أن نقول أنها، «تشمل المستويات الدّاخليّة المعرفيّة والعاطفيّة التّي يصعب تلمسها مثل: الافتراضات والقيم والمعتقدات والمشاعر والسّرديات والإدراكات. والثّقافة تتمظهر في الأنظمة المؤسسات، وكذلك في أنماط السّلوك والرّموز والقطع الأثريّة وهي تعمل كعدسات تأويليّة لمستويات هوياتيّة متنوعة.»[4]

ب. مفهوم اللّغة: أثرى البحاثة في دراساتهم مفهوما لها، وسنعرض في بحثنا هذا المفهوم القريب من موضوعنا، فاللّغة هي: «لسان يؤكد به المرء هويته، يبلور به أفكاره، ويعبر به عن مشاعره، ويتواصل به مع غيره، يطلع به على تراثه ويصنع به حضارته، ويحقق به تنميته.»[5] فالعلاقة وثيقة بين اللّغة والثّقافة، فكلاهما يتأثر بالآخر وبالتّالي لا يمكن الفصل بينهما؛ فوسيلة نقل الثّقافة من جيل إلى آخر هي اللّغة، فكلاهما يمثلان الهويّة الوطنيّة ويعززان تاريخها وعاداتها وتقاليدها.

ت. مفهوم التّنوع الثّقافي: يُعرَّفُ على أنه «التّراث المشترك للإنسانيّة، وينبغي الاعتراف به والتّأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل.»[6]كما يمكن تعريفه على أنه «تعدد الأشكال التّي تعبر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافاتها. وأشكال التّعبير هذه يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات فيما بينها وتربط منظمة اليونسكو مفهومه بالهويّة والتّعدديّة بوصفه مصدرا للتبادل والتّجديد والإبداع وأنه ضروري للجنس البشري ضرورة التّنوع البيولوجي بالنّسبة للكائنات الحيّة»[7] وللتنوع الثّقافي الفضل في زيادة الإبداع والابتكار، لأنه أسهم في إثراء المجتمع ويعطي مساحة كبيرة للطاقات لتبادل الأفكار والخبرات والمعارف.

ث. مفهوم التّنوع اللّغوي: التّنوع اللغوي أو ما يطلق عليه بالتّعدد اللغوي، وهو مصطلح يشير إلى وجود لغات عديدة في مجتمع ما، وله مصطلحات أخرى منها: «التّباين والتّلون والنّوعيّة والتّغير إلاّ أنّ أغلب المصطلحات وإن اختلفت في المسمى فقط اتفقت في المفهوم وأنّ التّنوع هو تواجد أكثر من منظومة لغويّة في مجتمع واحد وكل لغة تستعمل في سياق اجتماعي معين.»[8] فاللّغة ليست وسيلة لتسهيل التّواصل وحسب، فهي تُعد كذلك جزءًا أساسًا من هويّة المجتمعات، فهي التّي تعكس ارثها الثّقافي.

3. **تعزيز الجزائر للتنوع الثّقافي واللّغوي:** قطعت الجزائر أشواطا في سبيل الحفاظ على ارثها الثّقافي واللغوي، ولكنه ليس كافيًا، «فعلى الرّغم من اتساع المساحة والتّنوع الجغرافي وعمق التّاريخ وتعدد الحضارات الذي حبيت به الجزائر، ما جعلها من أكثر الدّول تنوعا تراثيا وثقافيا، مقارنة بدول جارة مثل تونس والمغرب ظل الاهتمام بهذا التّنوع الثّقافي الشّعبي محتشما إن لم نقل منعدما، بشكل ضيعت فيه الجزائر موردا هاما على الصّعيد الثّقافي والعلمي، وأيضًا على الصّعيد السّياحي والاقتصادي. كما تزخر الجزائر أيضا بمعالم تاريخيّة لا تعدُّ ولا تحصى وتحف أثريّة نادرة في العالم تبرز مختلف الحضارات التّي تعاقبت على الجزائر منذ فجر التّاريخ وحتى عينات من الحضارة الفرعونيّة والإغريقيّة، يمكن أن تكون قبلة للملايين من السّياح التّواقين إلى استكشاف

علاقة الإنسان بالبحر واليابسة على مدار آلاف السّنين، وما قد يدره ذلك على البلاد من إيرادات ماليّة قد لا تقل عن مستويات مبيعات النّفط والغاز وحتى الإنتاج الزراعي.»[9] وقد سبق أن ثمنت الجزائر اللّغة الأمازيغيّة ورقّتها فصارت لغة رسميّة هدفت من خلال هذا القرار الحفاظ على مختلف مكونات الهويّة الوطنيّة.

وتُعد المادة 3 من الدّستور الأخير 2020م الفصل الأول من الباب الأول للمبادئ العامة التّي تحكم المجتمع الجزائري، التّي يقرر فيها اللّغة العربيّة هي اللّغة الوطنيّة والرّسميّة. تظل العربيّة هي اللّغة الرّسميّة للدولة يُحدث لدى رئيس الجمهوريّة مجلس أعلى للغة العربيّة، ويكلف هذا الأخير على الخصوص بالعمل على ازدهار اللّغة العربيّة وتعميم استعمالها في الميادين العلميّة والتّكنولوجيّة والتّشجيع على التّرجمة إليها لهذه الغايّة؛ أما المادة 4 ففحواها تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة، تعمل الدّولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانيّة المستعملة عبر التّراب الوطني، يُحدث مَجمع جزائري للغة تمازيغت يوضع لدى رئيس الجمهوريّة؛ يستند المجمع إلى أشغال الخبراء، ويكلف بتوفير الشّروط اللازمة لترقيّة تمازيغت قصد تجسيد وضعها كلغة رسميّة فيما بعد.[10] فاعتراف المشرع الدّستوري باللّغة الأمازيغيّة لغة رسميّة، من شأنه أن يشجع التّعبير الثّقافي لتامازيغت والذي تجسد فيما بعد على شكل دعم المبادرات الفنيّة: كالمهرجانات والنّشاطات الفنيّة والفعاليات الثّقافيّة والإنتاج المسرحي والسّينمائي والأدبي باللّغة الأمازيغيّة.

لم تتوقف الجزائر في سعيها للحفاظ على موروثها اللغوي والثّقافي في ظل تنوعه عند هذا الحدّ؛ بل إنّها انتبهت للخطر الذي يُحْدق بالعربيّة، وما تتعرض له من محاولة تغريب، فعلماء اللسانيات يؤكدون على «أنه يوجد في الوقت الحاضر ما بين 5000 و6000 لغة (طبقا لنوعيّة التّصنيف واحتساب اللهجات أو عدمه) وتشير الإحصائيات العلميّة أن ما بين 250 و300 لغة تنقرض سنويا بفعل سرعة التّواصل والميل إلى استعمال اللّغات العالميّة الأكثر فاعليّة واستعمالا، وهذا ما يسميه بعضهم بالغزو الثّقافي أو اللغوي.»[11] لذلك عملت الجزائر على تعزيز اللّغة العربيّة، من خلال:

- الاهتمام باستخدامها في المؤسسات العموميّة والإدارات العامّة؛
- كما تسعى الدّولة لتطوير المناهج التّعليميّة باللّغة العربيّة في جميع الأطوار؛
- دمجها في مجال التّطور التّكنولوجي والبرمجيات والالكترونيات والإعلام، وجميع مجالات البحث العلمي؛
- تعميم استعمالها والمشاركة بها في المؤتمرات والمحافل الدّوليّة، قصد تعزيز مكانتها على المستوى العالمي.

لذلك فهناك تحديات تواجه اللّغة العربيّة في الجزائر، وهذا ما أكد عليه «أحد تقارير اليونسكو الأخيرة عن أنّ عددا من لغات العالم مهددة بالانقراض، ومن بينها اللّغة العربيّة.»[12] في ظل التّأثر الشّديد باللّغات الأجنبيّة– الفرنسيّة والانكليزيّة– مع واقع استخدام اللهجات العاميّة، هو تحدي ومكسب في حدّ ذاته، فالتّنوع اللغوي في الجزائر يعد ثروة ومكسبًا لابد من الحفاظ عليه ودعمه؛ فعلينا «الاحتفاء بمن يكتب الأدب بالعربيّة والأمازيغيّة وبالدّارجة المحليّة(الملحون) وكذا اللّغات الأجنبيّة بما فيها الفرنسيّة والانكليزيّة، خصوصا إن التّعدد ليس على

المستوى اللغوي فقط، بل يتجاوزه إلى مستويات مختلفة كالجماليات والرّؤى والمناهج وغيرها،»[13] والاستفادة منها في جميع المجالات الاقتصاديّة والتّكنولوجيّة والثّقافيّة والسّياحيّة.

وهناك من دعا إلى التّركيز على التّربيّة اللّغويّة للطفل وإكسابه أكثر من لغة، والقرار الأخير لرئيس الجمهوريّة السّيّد عبد المجيد تبون، في إدراج اللّغة الانكليزيّة في التّعليم الابتدائي، من شأنه تكوين جيل متمكن من لغات العالم المتحكم بالتّطور التّكنولوجي والاقتصادي، على شرط التّدرج في اكتساب هذه المهارة «فيكون البدء بالتّدريب على المحادثة والاستماع في رياض الأطفال قبل الانتقال إلى تعليم القراءة والكتابة آخذين بالحسبان التّدرج في تعليم المهارات اللّغويّة.»[14] فبمثل هذه المبادرات، تتسع دائرة المعارف والثّقافات، ويُبنى مجتمع متماسك اجتماعيا، تتعايش في كنفه اللّغة العربيّة مع الأمازيغيّة بلهجاتها المختلفة، بالإضافة إلى اللّغات الأجنبيّة.

إنّ تفرد الجزائر وتميزها بتعدديّة ثقافيّة، يعكس تاريخها العظيم وتعاقب الحضارات عليها، وهو ظاهرة واقعة في جميع بلدان العالم، وللتنوع مظاهر مختلفة من حيث: العرق، الدّين، الجنس، العادات والتّقاليد، اللّغة... وفي ذات السّياق أكّد رئيس مجلس الأمة، السّيد صالح قوجيل «أن الجزائر تدرك تماما أهميّة التّنوع الثّقافي الذي تحظى به، حيث نجحت في تكريسه واستغلاله كعامل لتعزيز الوحدة الوطنيّة وحمايته من أي محاولات استغلال دنيء لزرع الفتنة، وأشار إلى أن الجزائر تدرك تماما أهميّة التّنوع الثّقافي الذي تحظى به والمتكون من عدّة ثقافات متنوعة تختلف في العادات واللهجات والأعراف، لتشكل في مجملها الأمة الجزائريّة الموحدة والمنسجمة، لافتا إلى أنها تتعامل مع هذا التّنوع كثروة إنسانيّة حقيقيّة لها انعكاساتها الايجابيّة على التّماسك الاجتماعي وتعزيز النّمو الاقتصادي.»[15] ولتحفظ الجزائر موروثها الثّقافي، إيمانا منها بأهميته سعت لتعزيزه عبر مؤسّساتها: من خلال مراكز ثقافيّة، مكاتب عموميّة للمطالعة، دور ثقافة وبرامج ثقافيّة حافلة؛ وهذا الدّعم سبقته مراسيم وقوانين نُشرت في الجرائد الرّسميّة، كالقانون الوارد في الباب الأوّل من الأحكام العامّة المتعلّق بحمايّة التّراث الثّقافي، الذي ينص في المادّة الأولى من على المحافظة وحمايّة وتثمين الإرث الثّقافي[16] وقد أتْبعَ المشرع هذه القوانين بنصوص تطبيقيّة تسمح بإنشاء لجان تختص بحمايّة هذه الممتلكات، حيث قام بـ:

- إنشاء صندوق وطني للتراث الثّقافي لتمويل جميع عمليات صيانة وحفظ وحمايّة وترميم وإعادة تأهيل الممتلكات الثّقافيّة العقاريّة والمنقولة والممتلكات الثّقافيّة غير الماديّة؛
- التّسهيلات الممنوحة للجمعيات ذات الطابع الثّقافي والتّي تسعى إلى حمايّة الموروث الثّقافي والتّعريف به.[17]

ولتعزيز التّنوع الثّقافي في الجزائر على الدّولة:

- إعطاء أهميّة للغة والثّقافة الأمازيغيّة، وتعميم تعلمها على أوسع نطاق ممكن؛
- تمكين مختلف شرائح المجتمع من الاستفادة من تراث الجزائر العربي الإسلامي المتنوع والثّري، لترسيخ الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة في أذهان أبناء الشّعب الواحد؛
- الانفتاح على باقي ثقافات العالم مع الحفاظ على موروثنا الثّقافي الوطني؛

- استغلال المنصات الرّقميّة والوسائط الإعلاميّة السّمعيّة البصريّة لتقويّة الرّوابط الثّقافيّة بين مختلف فئات المجتمع.

نخلص في هذا المقام من المقال للقول أن جهود الجزائر في تكريس التّنوع الثّقافي واللغوي، تبقى غير كافيّة في ظل التّحديات التّي تواجه البلاد في عصرنا الحالي وحتى في المستقبل، لما يشهده العالم من تحول تكنولوجي اقتصادي وثقافي وسياسي رهيب، لذا وجب تضافر جهود جميع الأطراف–أفراد، جمعيات، حكومة– لتحقيق أمن لغوي ثقافي وبناء مجتمع متماسك ومتسامح مع بعضه البعض، يستطيع الصّمود أمام الهجمات المتكررة ضده.

3. السّبل الممكنة للتصدي للهجمات المهددة لهذا الإرث: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[18]، فالمعنى الإجمالي للآيّة يحيلنا على القول بأن التّراث هو ما خلفه لنا الأجداد جيلا بعد جيل سواء أكان ماديًّا أو لا مادي، فهو تاريخها العتيق وماضيها التّليد، الذي يثبت صمودها عبر الأزمان؛ والجزائر من بين الأوطان التّي تعاقبت عليها حضارات عدّة، وللحفاظ على تراثها حاولت إيجاد آليات لحمايته من الإتلاف أو التّشويه أو السّرقة، نذكر منها:

أ– **الحمايّة القانونيّة لهذا الإرث والتّطبيق الصّارم لها:** لكي يصبح الممتلك ممتلكا ثقافيا خاضعا لقانون الحمايّة ومن ضمن الممتلكات العموميّة للدولة، عليها إتباع آليات قانونيّة للحفاظ عليه، منها:

- تسجيل في قائمة الجرد الممتلكات الثّقافيّة والعقاريّة التّي تكتسي أهميّة من وجهة التّاريخ؛
- جرد عام للممتلكات الثّقافيّة المصنفة من قبل متخصّصين بقرار من الوزير المكلف بالثّقافة أو بقرار من الوالي عقب استشارة لجنة الممتلكات الثّقافيّة؛
- ضبط البيانات الواجب توفرها على الممتلك الثّقافي ونشر قرار التّسجيل في قائمة الجرد؛
- تصنيف الممتلكات الثّقافيّة المحميّة بموجب القانون 98–04 المتضمن حمايّة التّراث؛
- الحفاظ على المباني القديمة التّي تكتسي أهميّة فنيّة أو تاريخيّة؛
- دمج الممتلكات الثّقافيّة ضمن أملاك الدّولة العموميّة؛
- نزع الملكيّة الخاصّة للمنفعة العامّة.[19]

كما وجب على المشرع مراجعة هذه القوانين وتحديثها وتفعيلها بما يتماشى مع التّهديدات الحديثة: كالسّرقة العمد والاتجار بها بطريقة غير مشروعة وتخريبها عمدا، حمايتها من التّأثيرات السّلبيّة التّي نشهدها مع العالم الافتراضي.

على الدّولة الجزائريّة التّطبيق الصّارم للقوانين؛ لأنه «لا تزال المواقع الأثريّة عرضة للنهب والسّرقة من قبل أياد تمكنت على مدى أعوام من سرقة قطع ثمينة وتهريب بعضها إلى خارج الجزائر، لذا فانه كان من الواجب تعاون الدّول والمجتمع الإنساني لحمايّة هذا الإرث الحضاري المهم للإنسانيّة جمعاء سواء وقت السّلم أم وقت النّزاع المسلح،»[20] وهذا يجعلنا نُشيد بالتّعاون الدّولي وتعزيزه خاصّة مع المنظمات الدّوليّة* المعنيّة بمكافحة الاتجار الغير مشروع بالقطع النّمينة والممتلكات الثّقافيّة وإعادتها إلى موطنها الأصلي.

كما على الدّولة الجزائريّة دعم الشّرطة والجمارك بوحدات مختصة في التّعامل مع هذه الجرائم بحقّ تراثنا الثّقافي واللغوي، وهذا يكون بعد تدريب وإعداد مدروس لمتخصصين في الجهاز الأمني والقضائي في قضايا التّراث.

ب. نشر التّوعيّة بقيمة هذا الإرث وتعليمه: إنّ إدراج مفاهيم عامة للتراث الثّقافي واللغوي للجزائر في المناهج التّربويّة التّعليميّة في جميع الأطوار من شأنه أن ينمّي الوعي لدى الأجيال الصّاعدة بأهميته، وغرس فيهم قيم الوطنيّة، كما على الدّولة تنظيم حملات توعويّة تحسيسيّة عبر جميع المنابر التّواصليّة الإعلاميّة للتعريف بإرثنا الثّقافي واللغوي، والتّشديد على ضرورة الحفاظ عليه وحمايته؛ بالإضافة إلى رقمنة الممتلكات الثّقافيّة وجميع الوثائق والمخطوطات التّاريخيّة لتسهيل الوصول إليها.

ت. دمج التّراث في التّنميّة المستدامة: لابد على الدّولة أن تستفيد من هذا الإرث، وجعله موردًا اقتصاديًّا وتعزيز السّياحة الثّقافيّة، كما نجدها في كثير من دول العالم، كتركيا مثلا. بالإضافة إلى دعم الصّناعة التّقليديّة وتوريثها للأجيال النّاشئة؛ كما على الحكومة دعم المهرجانات والممارسات الثّقافيّة والشّعبيّة التّي تهدف لإحياء العادات والتّقاليد؛ والفخر بمبدعيها وكتابها وفنانيها الذين يسهمون في نشر وإثراء السّاحة الثّقافيّة واللّغويّة.

4. الأمن الثّقافي اللغوي في ظل الانفتاح الرّقمي: في ظل الانفتاح التّكنولوجي والرّقمي الذي يشهده العالم استفادت الجزائر كغيرها من دول العالم منه؛ فقد أتاح لها نشر تراثها الثّقافي واللغوي على أوسع نطاق وتبادل المعرفة الثّقافيّة «وفي ظل تغير العالم بصورة سريعة نحو عصر رقمي جديد تطلب تغير في سماته وخصائصه عن ذي قبل، وصل هذا التّغير في كل مجالات الحياة بصور متعددة، مما تطلب معه التّكيف مع هذا التّقدم الهائل والسّعي نحو الاستفادة من الثّورة الرّقميّة والنّقلة المعلوماتيّة الحديثة. فلم يعد الإنسان يعتمد في معلوماته وقيمه ومبادئه وتقاليده على الواقع المجتمعي الذي يعيش فيه، ولكن اعتمد على الفضاء الالكتروني والعالم الرّقمي. ومن هنا نشأ التّحدي الكبير أمام مؤسسات المجتمع لاسيما التّربيّة؛ وذلك لتعدد أشكال التّطبيقات الرّقميّة والتّي منها: الهاتف الذكي الانترنيت، والتّطبيقات والبرامج التّكنولوجيّة المختلفة مثل: (youtube–Facebook–Watsapp) الألعاب الالكترونيّة المتعددة التّي ربما تكون حاملة لثقافة مختلفة عن الثّقافة الأم.[21] فأمام الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة العديد من التّحديات التّي تهدد مكانتها، فما هي أهمها في ظل الانفتاح الرّقمي؟

إنّ غلبة اللّغات الأجنبيّة– الفرنسيّة والانكليزيّة– على أغلب المواقع والتّطبيقات والمحتويات الرّقميّة، جعل مستخدميها يفضلون التّعامل بهذه اللّغات على حساب اللّغة العربيّة، أضف إلى ذلك الاستخدام الطاغي للعاميّة والرّموز والمختصرات التّي من شأنها أن تضعف اللّغة العربيّة وتخل بقواعدها؛ «وفي ذلك تأكيد على أنّ للفضاء الرّقمي والأنترنيت القدرة على اختراق الحصون الثّقافيّة للدول والشّعوب باستخدامه لعبارة "خطاب الكراهيّة جعلهم متطرفين" كما أن فيه مساس بالشّخصيّة والهويّة الثّقافيّة "الإرهاب والتّطرف الفكري والايديولوجي"»[22] فسرعة التّفاعل الاجتماعي الالكتروني، واستهلاك معلومات ومعارف مختلفة من قبل روادها بات حقيقة يشهدها العالم كحتميّة عمّا حملته العولمة في طياتها من تشجيع على الانفتاح الرّقمي.

فهذا التّزاوج بين العلم والتّقنيّة والثّقافة في تعميق الهوة بين عناصر الهويّة الثّقافيّة، خاصّة في ظل التّغيرات السّريعة التّي يشهدها المجتمع المعاصر، وبروز العالم الافتراضي كشريك أساسي أسهم في خلق مجتمع شبكي موازي يعمل على إعادة صياغة منطق التّواصل والعلاقات الإنسانيّة عبر التّكنولوجيّة الرّقميّة، الأمر الذي دفع إلى إعادة إحياء التّساؤل الكلاسيكي حول الهويّة الثّقافيّة للمجتمع، والبحث في عناصرها المرجعيّة، والتّحديات التّي تواجهها في هذا العالم الرّقمي الجديد خاصّة وأن الهويّة الثّقافيّة تعد رمزا للتفرد والاختلاف،[23] ففي ظل هذه الظروف، على الدّولة والمجتمع تعزيز أمْنها الثّقافي اللغوي أمام الانفتاح الرّقمي المتنامي والرّهيب.

وفي الأخير نقترح بعض الممارسات التّي من شأنها أن تُعزز أمن الجزائر الثّقافي واللغوي في ظل الرّقمنة نذكر منها:

- دعم المحتوى الرّقمي العربي؛
- تشجيع إنتاج المعرفة الرّقميّة باللّغة العربيّة؛
- السّهر على إمداد الفضاء الرّقمي بتطبيقات ومنصات باللّغة العربيّة؛
- دمج اللّغة العربيّة في التّكنولوجيات الحديثة لدورها في الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة.

5. **خاتمة:** على الرّغم من التّحديات التّي تواجهها الجزائر في تكريس التّنوع اللغوي والثّقافي، إلاّ أنّها تبذل جهودا جبارة في سبيل تجسيد ذلك على أرض الواقع، لما له من أهميّة بالغة في إثراء هويتها الوطنيّة وصمودها أمام الهجمات المتكررة لزعزعة أمنها الثّقافي والاقتصادي والسّياسي؛ ومن بين النّتائج المتوصل إليها في هذا البحث:

- تكريس الجزائر جهودها –حكومة وشعبا ومجتمعًا مدنيًّا–لتعزيز التّنوع الثّقافي واللغوي الغالب على تركيبته؛
- الإرث الثّقافي جزء من الهويّة الوطنيّة، سعت الدّولة لحمايته بمختلف السّبل؛
- مساندة المشرع القانوني للرؤيّة التّنمويّة الرّاميّة لتعزيز التّنوع الثّقافي واللغوي في الجزائر؛
- سعي الجزائر للحفاظ على اللّغة العربيّة وإدماجها في المجال التّكنولوجي، لضمان استمراريتها وعدم انقراضها، لأنّها من مقوّمات الدّولة والأمّة؛
- سهر الجزائر على أمنها الثّقافي في ظلّ الانفتاح الرّقمي، ومحاولتها تجاوز جميع التّحديات.

الهوامش:

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج9، دار صادر، بيروت، ص 18،19.

[2] محند أو سعيد سامي: إدارة التّنوع الثّقافي وانعكاساته على الأمن المجتمعي: مخطوطة (ماستر)، جامعة 8 ماي 1945 گالمة 2019، 2020، ص 28.

[3] محمد محمد داود: علاقة اللّغة العربيّة بالسّيادة الوطنيّة والهويّة، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، ص 1535.

[4] خديجة حمداوي: التّنوع اللغوي والثّقافي في الجزائر وسُبل تعزيزهما–المفاهيم والعلاقات، مجلة معالم، مج2021،13 ص 168.

[5] المرجع نفسه، ص 168.

[6] يسمينة صدوقي: مظاهر ونتائج التّنوع الثّقافي في الجزائر، مجلة دائرة البحوث والدّراسات القانونيّة و السّياسيّة، ع4، جانفي 2018، ص 184.

[7] المرجع السّابق، ص 167.

[8] المرجع نفسه، ص 167.

[9] جريدة ثقافة العرب: التّنوع الثّقافي الشّعبي في الجزائر .. ثروة هائلة، ع11891، السّنة 43، 24.11.2025، ص 14.

[10] دستور الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة، الجريدة الرّسميّة للجمهوريّة الجزائريّة، الباب الأول: المبادئ العامة التّي تحكم المجتمع الجزائري، المادة: 3 و4، ع 82، ص 7.

[11] محمد محمد داود: علاقة اللّغة العربيّة بالسّيادة الوطنيّة، ص 1536.

[12] المرجع نفسه، ص1538.

[13] أمين الزاوي: التّنوع الثّقافي واللغوي في الجزائر مصدر قوة، وكالة الأنباء الجزائريّة، 11.04.2025 ، بتوقيت 02:41 https://www.aps.dz/ar/algerie/153238.

[14] محمد الأمين خلادي: التّعدد اللغوي في الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانيّة، ع8، 2015، ص 74.

[15] صالح قوجيل: الجزائر نجحت في تكريس تنوعها الثّقافي و حمايته من أي محاولات استغلال دنيء لزرع الفتنة، الإذاعة الجزائريّة، 11.04.2025 ، بتوقيت: 02:36 https://news.radioalgerie.dz/ar/node/44884.

[16] الجريدة الرّسميّة للجمهوريّة الجزائريّة، ع44، سنة 1998، ص 4.

[17] صالح قوجيل: الجزائر نجحت في تكريس تنوعها الثّقافي.

[18] سورة الأعراف، الآيّة: 128.

[19] عمران حدة: آليات الحمايّة القانونيّة للتراث الثّقافي في الجزائر، (مخطوطة/ ماستر)، جامعة زيان عاشور، الجلفة 2015،2016.

[20] المرجع نفسه، ص 37.

[*] الأجهزة والمؤسّسات الدّوليّة المكلفة بحمايّة التّراث الثّقافي هي:

- منظمة اليونسكو(PNUD)؛
- المجلس الدّولي للمعالم والمواقع الأثريّة(L'ICOMOS) ؛
- المنظمة الدّوليّة للشرطة الجنائيّة (OIPC/INTERPOL)؛
- المنظمة الدّوليّة للجمارك (OMD)؛
- المجلس الدّولي للمتاحف (ICOM).

[21] صفاء طلعت مدكور: دور التّحول الرّقمي في إعادة التّشكيل الثّقافي للمجتمع –الشّباب الجامعي نموذجا– دراسة ميدانيّة، مجلة التّربيّة، ع195، ج4، جامعة الأزهر، 2022، ص 476.

[22] أحمد مسعودي: الأمن الثّقافي الرّقمي: الأدبيات الميكانيزمات في زمن العولمة، المجلة الجزائريّة للأمن والتّنميّة، مج10 ع2 2021، ص 47.

[23] المرجع السّابق، ص 476، 477.

نحو استثمار الثّورة الرّقميّة والتّقنيّة في الحِفاظ على الثّقافَة والهويّة العربيّة

Title: Towards the investment of the digital and technical revolution in preserving Arab culture and identity

د. إيمان بلحداد
جامعة باتنة 1

الملخّص: يمثّل التّحول الرّقمي أهم عامل نحو التّحول إلى تهيئة البيئة الرّقميّة، وقد تأثرت هنا عدّة قطاعات نحو استغلال التّقنيات الحديثة، لتسهيل التّواصل والعمل عن بعد، وكانت الثّقافة العربيّة أهم عنصر حيوي يستدعي التّحديث، من خلال تفعيل الرّقمنة في الهويّة، لتثبيت التّنوع الثّقافي للأمم العربيّة، وتنميّة المجتمع الرّقمي، عن طريق استحداث التّعاملات لمسايرة العالم الرّقمي عن طريق محاكاة الذكاء الصناعي في التّعريف بالهويّة اللّغويّة والثّقافيّة، والتّمييز بين الخصوصيّات اللّغويّة والثّقافيّة في وطننا الجزائر، وهنا يعيش المثقف في وطننا حالة توتر والمراهنة بين ثوابت الهويّة وتحديّات العولمة والحداثة. وكل ذلك في أمل تقديم خدمات في ظلّ استغلال فضاء خاصّ للهويّة الرّقميّة وحلّ إشكالات صناعة الهويّة الرّقميّة عل مستوى المؤسّسات من قبل متخصّصين في مجال الذّكاء الصّناعي.

الكلمات المفتاحيّة: الثّورة التّقنيّة؛ الثّقافة؛ الهويّة العربيّة؛ العولمة.

Abstract: Digital transformation represents the most important factor towards the transformation to create the digital environment, and several sectors were affected here towards exploiting modern technologies, to facilitate communication from remote work, and Arab culture was the most important vital element that calls for modernization, by activating digitization in identity, to stabilize the cultural diversity of Arab nations, and the development of the digital community, by developing transactions to keep up with the digital world by simulating industrial intelligence in defining the identity Linguistic and cultural, and the distinction between linguistic and cultural specificities in our homeland, Algeria, and here the intellectual in our homeland lives in a state of tension and betting between the constants of identity and the challenges of globalization and modernity. All of this is in the hope of providing services in light of the exploitation of a special space for digital identity and the solution to the problems of digital identity industry at the level of institutions by specialists in the field of artificial intelligence.

Key words: Technical Revolution; Culture; Arab Identity; Globalization.

مقدّمة: لقد عرف المجتمع ثورة رقميّة جعلته يستخدم التّقنيّة الحديثة في التّواصل، والتّعريف بالثّقافات واللّغات، فكان المجتمع المعلوماتي والذي يستعين بالرّقمنة في التّعامل ونقل المعارف، لكن رغم هذا التّحول الرّقمي، عرف المجتمع العربي حالة تشتت بين الانغلاق على الثّقافة الخاصّة والتّفتّح على الثّقافات الأخرى دون

مراعاة للقيم والثّوابت العربيّة، وهو ما عرف بتحديّات العولمة التّي تحاول جعل العالم في قالب موحّد ثقافيًّا ومعرفيا وتاريخيا، وهذا الأخير يؤدي إلى طمس معالم ثقافتنا وتعاليم ديننا ومثلنا نحو القيم التّي تربّينا عليها.

وبذلك جاءت هذه الدّراسة لنشر الوعي الثّقافي وتنهض بالثّقافات والهويّة العربيّة باستخدام تقنيات تساير التّطور وتسهّل التّواصل والتّفاهم بين الأمم، وتوسيع مجال التّفاهم في وسط رقمي محترم يراعي خصوصيات الفرد، وجوهرها بطاقة للهويّة الرّقميّة العربيّة، تحافظ على كيانه، وتثبت شخصيته ووجوده وعلمه وهويته، وترسّخ تعاليم ديننا الإسلامي بما تحمله من رسالات رسله وأنبيائه، علاوة على ذلك تحقيق الكيان والوجود الرّقمي في ظل تحدّيات العصر والرّقمنة والعولمة.

وتأتي إشكاليّة الدّراسة في التّساؤل الآتي: كيف يمكن استثمار الثّورة الرّقميّة والتّقنيّة في الحفاظ على الهويّة والثّقافة العربيّة في ظلّ تحدّيات الرّقمنة والعولمة؟

وبذلك تتجلى أهداف الدّراسة فيما يلي:

-تثبيت الهويّة والثّقافة العربيتين في أمتنا؛

-استغلال الثّورة الرّقميّة في التّعريف بالهويّة واللّغة والثّقافة؛

-تنميّة المجتمع المعلوماتي من خلال تسهيل طرق التّواصل عن بعد، والحفاظ على سرّيّة التّواصل عن بعد بين الباحثين؛

-دعوة للنهوض بالعالم العربي رقميًّا، مع الحفاظ على الخصوصيّة اللّغويّة والثّقافيّة العربيّة، وفي الجزائر خاصّة.

أما منهج البحث المعتمد فهو الوصفي الذي يعنى بدراسة دور الثّورة الرّقميّة في تحديث الثّقافة والهويّة العربيّة من جهة، والبحث عن آليات الحفاظ عليها في ظلّ تحدّيات العولمة من جهة أخرى.

1-بين الثّقافة والهويّة العربيّة أيّة علاقة؟

تمثل الهويّة الذاتيّة والخصوصيّة، والقيم والمثل والمبادئ التّي تشكّل في الأساس النّخاع للشّخصيّة الفرديّة والمجتمعيّة، وهويّة الفرد في عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه، هي أيضًا هويّة المجتمع والرّوح المعنويّة والجوهر لكيان الأمّة، والهويّة كذلك هي الوعي بالذات الاجتماعيّة والثّقافيّة.[1]

وتعدّ العلاقة بين الثّقافة والهويّة علاقة الذات بالموضوع، فلكل مجتمع ثقافة تميزه، وتظهر في شكل تعبير الذات عنها والهويّة الثّقافيّة هي القدر الثّابت والجوهري الذي يميّز حضارة كل أمّة من الأمم عن غيرها من الحضارات، وتجعل للشخصيّة الوطنيّة أو القوميّة طابعا تتميز به عن الشّخصيات الوطنيّة والقوميّة الأخرى وباعتبار أصل الأمّة العربيّة مسلمة فلا بدّ أن تستمد أبعاد الهويّة الثّقافيّة من القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة باعتبارها مصدر هويتنا.[2]

وبذلك فاللّغة هي الوسيلة التّعبيريّة الأولى عما يجول في خاطره من أفكار، ومن هنا فإنّ اللّغة هي النّاطق الرّسمي باسم الثّقافة، وبها يمكن للإنسان أن يشرح للآخرين وجوه التّميّز الثّقافي لدى أمته، ويتعرف أيضًا على الثّقافات الأخرى الموجودة في هذا العالم، كما أنّ الثّقافة توظّف وبشدة عند تعليم اللغات للأجانب الرّاغبين في

تعلمها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى التّكامل بين الثّقافة واللّغة، فهما من الأمور المتلازمة التّي لا يمكن الفصل بينها مهما حصل، إلى جانب ذلك فإنّ ثقافة شعب من الشّعوب تسهم في تطوّر لغته وإثرائها من خلال العديد من المفردات الجديدة إليها، فاللّغة على الدّوام تقتبس مفرداتها من ثقافة الشّعوب الأصليّة التّي تتكلم بها، وما اللّغة العربيّة وبحر مفرداتها الذي لا حصر له إلاّ مثال واضح على ذلك.[3]

ومنه فلكلّ مجتمع ثقافته الخاصة به، تحمل مميّزات ليست موجودة في مجتمع آخر. والاختلاف في اللّغات دليل على تنوع الثّقافات، فاللّغة تبقى جوفاء إن لم تجد روحا وفكرا وثقافة تحرّكها، وإلاّ بقيت راكدة كاللّغات واللهجات الإفريقيّة الميّتة قريبة الانقراض.[4]

كما أنّ اللّغة دون ثقافة، لا تعي الواقع ومميّزات شعوبها، وميولهم وتراثهم الحيّ بطبيعة الحال الذي تصفه في مختلف المناسبات، ومن جهة أخرى اللّغة أداة للتعبير عن تجليات التّفكير الإنساني والفصح عن كل ما تتميّز به الشّعوب من خصائص ووعي بالواقع.

2-نحو استثمار التّقنيات الحديثة في التّعريف والحفاظ على الهويّة اللّغويّة والثّقافيّة: يمثل التّنوع في اللّغة والثّقافة ضرورة حتميّة أبدتها ظروف الحياة والنّشأة والعادات والتّقاليد، ففي ظل اختلاف اللّغات، أضحت الحاجة ماسّة إلى التّرجمة من أجل توصيل روابط العلاقة بين الدّول العربيّة والغربيّة، وبدأ التّطور يمسّ جميع المجالات المعرفيّة، وخاصّة بتضخّم المعلومات والمعارف في ظلّ تسارع تطور المعلومات وانتشارها، فكانت الحوسبة آليّة لتخزينها في البرامج الحاسوبيّة ونشرها إلكترونيًّا لتعمّ الفائدة.

وهذا الانتقال والاحتكاك بين شعوب العالم، ولّد جيلا مثقّفا، يعي ويحترم خصوصيات الدّول الأخرى من اللّغة والدّين والعادات والمساجد والمعتقدات وما إلى ذلك من الثّوابث التّي تخصّ هويّة الأمّة وثقافتها. ولهذا كان لهجرة العرب -والأدمغة العربيّة على حد تعبير البعض-إلى الغرب، كانت مدعاة لتطوير فكرهم لا ثقافتهم وذلك بسبب توفر الإمكانات في تطوير مهاراتهم من جهة، والإسهامات الفعّالة في تحديث العلوم والمعارف ومختلف التّخصّصات العلميّة والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة من جهة أخرى.

وبما أنّ الفضل الأوّل يرجع للعرب قديما في تطوير العلوم وازدهارها، ولهذا ينبغي بناء وتأسيس مؤسّسات ناشئة تحتضن الأعمال الرّائدة، وتعمل على توفير الظروف والوسائل الحديثة لتجديد البحث والرّفع من مستواه على مستوى المحتوى الرّقمي العربي، وأهم خطوة توفر عليهم التّعاون والعمل، هو توفير بيئة رقميّة متطورة وتخصيص للباحثين والطلبة الرّائدين في مختلف التّخصّصات فرق بحثيّة، وبطاقة هويّة رقميّة خاصّة، تساعدهم في التّواصل والاتفاق وعقد مختلف الاجتماعات، حتى مع الطلبة والعاملين في بلدان غربيّة، مع المحافظة على الخصوصيّة الرّقميّة للبطاقات الرّقميّة، لتجنب أي اختراق أو الحفاظ على أمن خصوصيات الاستخدام والبحث.

وعلى هذا الأساس تبادر إلى ذهني دعم التّفكير الإستراتيجي لدى الباحثين، من خلال خلق بيئة رقميّة عربيّة تعمل على مستوى العالم، ويدعمها الجميع، للحفاظ على الهويّة العربيّة والثّقافيّة، وتقدّم خدمات تسهم في تطوير الدّول العربيّة، وتركّز على البنيّة التّحتيّة لتؤسس شركات كبرى تُستثمر لأجلها أموال لعمل مشاريع تنمويّة في مختلف المجالات.

ومن بين خدماتها المحليّة، أنّها تسهّل عمليّة التّواصل والعمل عن بعد، والاستفادة من مختلف الخدمات نظرًا لتفرعها حسب المتطلبات اليوميّة أو في ما يخصّ مشاغل العمل، وتطوير مؤهلات العمل والشّغل في مختلف القطاعات، وهذا التّسهيل يسمح لكل العرب الإسهام به، والاستفادة من خدماته سواء أكان ذلك داخل الوطن العربي أم خارجه. مع التّزام الحفاظ على سريّة العمل والتّعامل.

أمّا عن آليّة العمل فهي بسيطة وتتيح فرصة للتعامل في أقلّ وقت ممكن، هذا بالنّسبة للمواطنين العاديين بينما الباحثون ومطورو المشاريع، فهم عماد البيئة الرّقميّة، وأيّ تطوير يخضع للتجربة والتّدقيق، والمراجعة في الأخير، لإطلاق مشاريع أو تحديثات وما شابه ذلك.

3-نموذج تطبيقي لتصميم بيئات رقميّة والبطاقات التّقنيّة الدّاعمة للمشاريع العربيّة: يمثل تصميم بيئة رقميّة خاصّة بالمشاريع التّنمويّة للأعمال الرّائدة في مختلف التّخصّصات في البلدان العربيّة، من العوامل التّي تحقق تقدما وريادة للأمة العربيّة، ويضمن استمراريّة البحث والتّطوير واستثمار التّقنيات الحديثة قدر الإمكان لرفع المحتوى العربي على الشّابكة نظريا وتصميما وتطبيقا.

وعلى هذا الأساس أحاول اقتراح تصور لوضع هذه البيئات الرّقميّة وطريقة عملها، بالإضافة إلى تصميم بطاقة الهويّة الرّقميّة التّي تسمح بالتّعريف للباحثين والعلماء كلّ في ميدان تخصّصه ومجاله البحثي. أثناء عقد الاجتماعات والمؤتمرات لتطوير المجالات البحثيّة وتنميّة اللّغة العربيّة في مختلف التّخصّصات وتطوير الجانب التّقني خاصّة. مع إمكانيّة تحديث البطاقات الرّقميّة ومسايرة ركب التّطور في تقنيات الذكاء الصناعي الذي يتطور باستمرار، ويتولى المهام الصعبة في التّنفيذ والعمل. ولهذا ينبغي اليقظة في الاستخدام والتّطوير والحفاظ على الآمان وضمان خصوصيّة العمل في المنصّة المصمّمة، من خلال تشفير وتجديد بياناتها باستمرار.

أمّا بالنّسبة للفئات المشاركة في المشروع: فتضم الباحثين والعلماء وطلبة الدّكتوراه في جميع التّخصّصات الجامعيّة، وتضم جميع الدّول العربيّة، بالإضافة إلى الباحثين والعلماء العرب في الخارج في حال قبول العمل والتّعاون عن بعد، مع التّزام سريّة العمل خدمة للعربيّة.

وتسعى المبادرة إلى النّهوض بلغة الضاد وتنميّة متطلباتها الماديّة والبشريّة والفنيّة، ولمّ شمل العلماء والمتطوعين في تتطوير مباحث اللّغة العربيّة والعلوم البينيّة والعلوم التّطبيقيّة والفنيّة، لأنّها محل البحث وبحاجة أكثر من غيرها إلى التّعميق في الدّراسة التّنظيريّة وإجراء تطبيقات تسمح بريادتها على المستوى العالمي. وفيما يلي تصميم أولي للمنصّة الرّقميّة للباحثين العرب:

الصورة رقم 1: الصفحة الأولى لبرنامج المنصّة الرّقميّة (من إعداد الباحثة

الصورة رقم 2: واجهة المنصّة الرّقميّة (من إعداد الباحثة)

الصورة رقم 3: الصفحة الرّئيسيّة للمنصّة الرّقميّة للمشاريع الحاسوبيّة العربيّة (من إعداد الباحثة)

وبعد النّقر على أيقونة دخول نلج إلى اسم المستخدم وكلمة السّر، ومباشرة يسمح لنا بالدّخول للمنصّة:

4-تثبيت القيم والثوابت العربيّة والثّقافيّة في ظلّ تحديات العولمة: لقد عرف العالم ثورة ثقافيّة ومعرفيّة واسعة، من أجل نشر ثقافة الغرب، وادعاء الحريّة الماليّة والتّطور، وتحقيق الاكتفاء الذاتي والاستقرار المالي من خلال مشاريع رقميّة والتّسويق الإلكتروني للمنتجات والمشاريع وهذا ما ولّد احتكاكًا وتواصلًا بين الشّعوب وتبادل الثّقافات، وهذا ما جعل فئة الشّباب خاصّة يتأثّرون بثقافات الغرب في الدّعوة إلى التّحرر والاستقرار الذاتي وتحقيق الحريّة الماليّة.

واعتمادهم في ذلك عدّة أساليب، وجذبهم لحياة الرّفاهيّة والبذخ التّي ينعم بها هؤلاء، لكن في مقابل ذلك تحاول توريطهم في أمور قد تخلّ بالقيم الأخلاقيّة وتنافي تعاليم دينهم، وذلك بعد إمضائهم على اتفاقيّة العمل معهم عن بعد، وهذا ما يجعلهم فريسة للاستغلال في جهدهم ووقتهم، إذا كانوا من فئة الشّباب، وقد يؤول الأمر إلى تحريفهم أو تبديل ثقافتهم بثقافة الآخر، نظرا لانبهارهم بتلك الثّقافات والتّحرر.

ويتعين في عالم يسوده التّباين الثّقافي أن نضع استراتيجيات تتجاوز الصراع الحضاري بإعادة النّظر في طرق التّواصل بين الثّقافات وتوعيّة الأمم بالقاسم الثّقافي المشترك بين تلك الحضارات، ويمكن أن نقترح الحوار بين الثّقافات والتّفاعل بينها كبديل وحل لمشكل التّصادم بين اللغات والثّقافات، ويمكن حصر تلك المقترحات في الاستراتيجيات السّاعيّة لتحقيق الأمن والسّلام في النّقاط الآتيّة:[5]

-العمل على الاستثمار في التّنوّع الثّقافي، عن طريق إقامة حملات توعيّة وندوات عالميّة تعرّف بالثّقافات المختلفة وتروّج لها في مناسبة تاريخها، لفتح باب الحوار والتّفاعل بين الشّعوب المختلفة، وفي ذلك ضمان للممارسة الفعليّة لحقوق الإنسان المعترف بها عالميا؛

-الإقرار بحريّة التّدين واحترام حقوق الإنسان وحرياته في جميع دول العالم؛

-تعزيز التّماسك الاجتماعي بين جميع الثّقافات المتنوعة وشعوبها من قبل السّلطات الحكوميّة والهيئات المختصة بحقوق الإنسان؛

-مواجهة صراع الحضارات بين العرب والغرب، باحترام كل طرف للهويّة الثّقافيّة والدّين واللّغة؛

-الدّعوة لبناء مشروع سياسي يدعو إلى تكامل اللغات وثقافاتها في ظل العولمة، تشارك فيه كل دول العالم ويكون لها حضور تعاوني بين العرب والغرب؛

-تقويّة البعد الثّقافي لحقوق الإنسان؛ من عادات وتقاليد وديانات، لضمان استمراريّة التّمتّع بالهويّة الثّقافيّة؛

-المساواة في المكانة الثّقافيّة بين كل المجتمعات، وتعزيز أسباب التّعايش السّلمي والأمن الدّيمقراطي داخل الأمم المتنوعة اللّغات والثّقافات؛

-تبني استراتيجيّة التّحالف بين الفئة المثقفة في بناء المعارف وتطوير العلوم؛ وذلك بإقامة علاقة تكامليّة تبادليّة سلميّة بين المتعلّمين في مختلف بقاع العالم؛

-البحث عن أسباب الثّقة بين متعلّمي الثّقافات واللغات المتعدّدة، بكونه أساس نجاح العلاقات فيما بينهم؛

-تثمين القدرة على الانفتاح والاستماع للطرف الآخر ذي اللّغة والثّقافة المختلفة، بانتهاج طريقة واعيّة في التّعامل مع مختلف الخصائص الثّقافيّة.

الخاتمة: وفي الأخير أصل إلى أنّ التنوّع في الثّقافة واللّغة يمثّل ميزة الأمم منذ القدم، وبما أننا نعيش في عالم رقمي ومجتمع معلوماتي، فهو بحاجة إلى تطوير استخداماته اللّغويّة والثّقافيّة، وتسهيل التّواصل بنقرة واحدة، وتحقيق المبتغى، ولكن يبقى الاستغلال للتكنولوجيا بما يخدم الأمّة، ويزيد من قيمتها ومكانة لغتها، وهذا هو الأساس في رقي تلك الأمم، وزيادة دورها وفاعليتها في تنميّة لغتها وتميّزها بين اللغات عالميا، ونتيجة حسن استغلال تقنيات الذكاء الصناعي والتّمكن من حوسبة لغتها وتمثيلها حاسوبيا، والنّجاح في تصميم برامج حاسوبيّة متطوّرة، وبذلك يصطبغ العالم بجيل جديد رقمي، يعمل على تقنين اللغات ومعالجتها آليا، فتصبح الآلة هي المدبّر في الكون، وتتمكن من ممارسة مهام البشر بدقة وتفنّن وإبداع وبأقلّ وقت ممكن.

ومن أهم النّتائج والتّوصيات التّي توصلت إليها من خلال هذه الدّراسة:

-تمثّل الهويّة الرّقميّة ضرورة حتميّة لمسايرة ركب التّطور في العالم؛

-ينبغي الحفاظ على الخصوصيات الثّقافيّة العربيّة والجزائريّة خاصّة، في ظلّ تحدّيات العولمة، والتّعريف بها عالميا، والافتخار بها في مختلف المناسبات والمحافل الدّوليّة؛

-تخصيص هياكل بشريّة خدمة للجانب الفنّي والتّقني من متخصصين في الذكاء الصنعي والأدب وفنونه والثّقافات الوطنيّة والأمازيغيّة؛

-فتح مشاريع تنمويّة في تطوير بيئة التّواصل والحفاظ على خصوصيّة تبادل المعارف، من خلال تشفير المحادثات والرّسائل خاصة المتعلقة منها بمشروع النّهوض باللّغة العربيّة نحو العالميّة؛

-تشجيع الطلبة والباحثين -خاصّة في الدّراسات العليا-على البحث في العلوم البينيّة، وتحديث العلوم والمعارف منهجا وتطبيقا، مع الحفاظ على الخصوصيّة العربيّة والثّقافة وتعليم الدّين الإسلامي في مجال بحوث العلوم الإسلاميّة؛

-فتح فضاء رقمي لغايّة التّعرف والتّعاون بين الباحثين المتميّزين في مختلف العلوم، من أجل استحداثها وخلق جوّ للتنافس والبحث والتّطلع نحو تطوير العلوم البينيّة ومناهجها البينيّة أيضا، ومحاولة استغلال تقنيات الذكاء الصناعي في ذلك.

الهوامش:

[1]. انظر: عصام أحمد حسين، إدراك الهويّة القوميّة لدى الطفل المصري، رسالة ماجستير، معهد الدّراسات العليا للطفل جامعة عين الشّمس.

[2]. انظر: أسماء إبراهيمي، العلاقة بين الثّقافة والهويّة، مجلة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، المجلد 7، العدد 14، ص584.

[3]. انظر: قضايا اللّغة والثّقافة، اطّلع بتاريخ 2018/7/24، www.alarabiahconference.org، تاريخ الاطلاع: 2025/3/15م.

[4]. انظر: إيمان بلحداد، إشكاليّة التّواصل بين المتعلمين في ظل التّنوع اللغوي والثّقافي، بحث ضمن أعمال اليوم الدّراسي حول: (21 مايو) اليوم العالمي للتنوع الثّقافي من أجل الحوار والتّنميّة، يوم 17 جوان 2019م، منشورات المجلس 2019 ص405.

[5]. انظر: إيمان بلحداد، إشكاليّة التّواصل بين المتعلمين في ظل التّنوع اللغوي والثّقافي، ص407-408.

التّعدّد اللّغويّ واللّهجيّ ودورهما في التّأسيس لتنوّع ثقافيّ في المجْتمَعات

Diversity of Languages and Dialects and Their Role in Establishing Cultural Diversity in societies

ط. د. سهى حيمور
جامعة گالمة – الجزائر

الملخّص: تَرُومُ هَذه الورقة البحثيّة دراسة التّعدّد اللّغويّ واللّهجيّ في المجتمعات، إذ تعدّ أنموذجا حيّا للثّراء اللّغويّ من خلال اللّغات، واللّهجات المختلفة في ربوع الوطن، بحيث يعتبر هذا التّعدّد عنصرا أساسيّا في تشكيل الهويّة، وتعزيز التّعدديّة الثّقافيّة، إذ يعكس كلّ تعدّد لغويّ موروثا ثقافيّا غنيّا يعبّر عن تاريخ المجتمعات وتفاعلها مع مختلف الحضارات. كما يؤدّي إلى التّقارب بين فئات المجتمع عبر تبادل العادات والتّقاليد، ويعزّز الإبداع الأدبي والفنّي، ومنه يستفيد الأدب في هذه المناطق من تعدّد اللّغات في إنتاج أعمال تعكس الهويّة بأبعادها المختلفة.

الكلمات المفتاحيّة: التّنوّع؛ اللّغة؛ اللّهجة؛ التّأسيس؛ الثّقافة؛ المجتمع.

Abstract: The study of linguistic and dialectical pluralism in Algeria is the basis of this paper. It is a living model of linguistic affluence through languages and different dialects throughout the country. To shape the identity, promote multiculturalism, and reflect the diversity of the Algerian language from the backbone, diversity is a crucial element. It also leads to a rapprochement of society's groups through the exchange of customs and traditions, and promotes literary and artistic creativity, from which Algerian literature benefits from multilingualism in the production of works reflecting Algerian identity in its various dimensions.

Keywords: Diversity ; language; dialect; foundation; culture; society.

مقدّمة: من الظّواهر الثّقافيّة البارزة في المجتمعات البشريّة مسألة التّعدّد اللّغويّ، والتّنوّع الثّقافيّ الذي يعكس ثراء هذه المجتمعات وانفتاحها على الآخر وتنوّعها، فاللّغة وعاءٌ يتّسع ليشمل كلّ المحمولات التّاريخيّة والثّقافيّة على صعيد الفرد والمجتمع، لا وسيلة للتّواصل فقط، ومنه فإنّ للتعدّد اللّغويّ دورا مهمّا في التّأسيس لتنوّع ثقافيّ يعكس العمق الحضاري للبلاد من خلال إسهامه في تشكيل الهويّة الوطنيّة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذا التّنوّع؛ اللّغويّ والثّقافيّ؛ يسهم في بناء مجتمع متعدّد الثّقافات، ويُعزّز التّفاهم والاحترام المتبادل بين الفئات المختلفة داخل البلد الواحد، والوقوف عند إشكاليّة التّعالق والتّواشج بين التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافيّ يقتضي علينا طرح الإشكاليّة الآتيّة: هل يؤثّر التّعدّد اللّغويّ في التّنوّع الثّقافيّ؟ وما دور التّعدّد اللّغويّ في تنميّة الوعي الثّقافي؟

كل هذا وأكثر ممّا سنحاول الإجابة عنه في متن هذه الورقة البحثيّة.

1- التّعدّد اللّغويّ واللّهجيّ والتّنوّع الثّقافيّ: قراءة في المفاهيم والمصطلحات:

التّعدّد اللّغويّ واللّهجيّ: يعتبر التّعدّد اللّغويّ ظاهرة اجتماعيّة ولسانيّة قديمة، والبحث في مفهوم هذا المصطلح يحيلنا إلى دلالات عديدة يمكن ربطها في المجمل بأنه يشير إلى إمكانيّة استخدام عدّة لغات أو لهجات بالنّسبة للفرد الواحد أو عدّة أفراد في المجتمع بأكمله، وذلك من خلال إتقان الفرد للغات عديدة أو لهجات مختلفة، أو من خلال تعايش هذه اللّغات أو اللّهجات في نفس البيئة الاجتماعيّة، ومنه فالتّعدّد اللّغويّ واللهجي يكون على مستويين: التّعدّد على المستوى الفردي، والتّعدّد على المستوى الاجتماعي، يعرّفه صالح بلعيد على أنّه "مجموعة من اللّغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد"[1] وقد أشار "جون ديبوا" في قاموس اللّسانيات إلى أنّ التّعدّد اللّغويّ (Plurilinguisme) هو اجتماع "أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التّواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسيّة والإيطاليّة والألمانيّة هي لغات رسميّة بها"[2] ونرى أنّ أصدق تعريف لهذا المصطلح هو استخدام لغات متعدّدة في مجتمع واحد، على أن لا يكون من شروط هذا التّعدّد شموله لجميع أفراد المجتمع، فقد يتقن فرد واحد أكثر من لغة ولا يتقنها مجتمعٌ بأكمله، وهذا ما يطلق عليه باسم الثّنائيّة اللّغويّة، ما يشير إلى أنّ التّعدّد اللّغويّ مصطلح هلامي يصعب ضبط تعريف مِعياري له في ظلّ هذا الاختلاف لصعوبة إثبات "الحصول على قدرة متساويّة في اللّغات واكتسابها بشكل متزامن، أو استعمالها في نفس السّياقات"[3]، أمّا التّعدّد اللّهجي فهو تنوّعات محليّة لنفس للّغة ويقصد به "تعدّد الصيغ المختلفة في لغة من اللّغات"[4]، وتعكس هذه اللهجات التّأثيرات الجغرافيّة والاجتماعيّة والتّاريخيّة.

وفي الجزائر يظهر التّنوع اللّغويّ في التّعايش بين اللّغة العربيّة بمستوياتها المختلفة (الفصحى والعاميّة) والأمازيغيّة بلهجاتها المتعددة (القبائليّة، الشّاويّة، المزابيّة، التّارقيّة)، إضافة إلى التّأثير القوي للغة الفرنسيّة التي تعود إلى الفترة الاستعماريّة، وتعتبر الجزائر أنموذجًا حيًا يعكس هذا التّنوع، حيث تتميز كل منطقة بطابعها اللّغويّ الخاص، ممّا يثري المشهد الثّقافي والاجتماعي.

أ-**التّنوّع الثّقافيّ:** يمكن القول عن التّنوّع الثّقافي أنّه "ما يميّز مجموعة من الأفراد عن غيرها اعتبارا لجملة من الأبعاد الأوليّة والثّانويّة والتي لها تأثير مباشر على هويّات الأفراد مثل: النوع الاجتماعي، العرق، القدرات العقليّة والجسديّة، التّوجّه الجنسي، أمّا الأبعاد الثّانويّة فتشمل الخلفيّة التّعليميّة، الموقع الجغرافي، الدّين، اللّغة والخبرات العلميّة والتّنظيميّة"[5] أيّ أنّه يمثّل ذلك الاختلاف الواقع في المجتمع، وما يتّسم به من تغيّرات، وهو يضمّ الإرث الحضاري القديم الذي ينعكس على أفراد المجتمع وأنماط معيشته، كما يفرض عليه التّعايش مع الآخر والانسجام معه، وقد اتّفق على هذا التّعريف جملة من المختصّين، فمنهم من يقول في نفس السّياق أنّه "وجود شخصين أو أكثر ينتمون إلى مجموعات ثقافيّة مختلفة، يلتقون ضمن منظّمة واحدة، وتكون معظم هذه المنظّمات متعدّدة الثّقافات، لأنّ العاملين فيها يتوزّعون إلى مجموعات فرعيّة ثقافيّة مختلفة (الجنس، الأصل العرقي) ويحدث ذلك حتّى مع المنظّمات التي ليس لها هيكل تنظيمي متنوّع ثقافيا، فقد تكون غير ملمّة بمعرفة

هذا التّنوّع"[6] وعليه فإنّ مفهوم التّنوّع الثّقافي يفيضنا إلى حقيقة واحدة مفادها الاتّسام بالاختلاف في شتّى الثّقافات الإنسانيّة.

2- التّعدد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافي: التّأثر والتّأثير: محاولةً للإجابة على إشكالات الملتقى عامّة، وإشكالات ورقتنا البحثيّة؛ يمكننا طرح الأسئلة الجوهريّة التّاليّة:

أ- هل يؤدّي التّعدّد اللّغويّ في المجتمع/ البلد الواحد بالضّرورة إلى تعدّد ثقافيّ؟

نحتاج قبل البحث في علاقة التّأثير والتّأثر بين هذين العنصرين المهمين: التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافيّ إلى استيضاحهما على حدة، فنقول:

* **التّعدد اللّغويّ والتّعدد الثّقافي:** في العديد من الحالات، يمكن للتعدد اللّغويّ أن يؤدي إلى تنوع ثقافي. فعندما يتحدث الناس بلغات مختلفة، قد يعكس ذلك اختلافات في ممارساتهم الثّقافيّة، معتقداتهم، قيمهم وعاداتهم. مثلاً، في مناطق مثل الهند أو كندا أو جنوب أفريقيا، التّعدد اللّغويّ يرتبط بشكل وثيق بالتّنوع الثّقافي حيث تكون كل مجموعة لغويّة قد طورت ثقافتها الخاصّة المرتبطة بتقاليدها وطرق حياتها[7].

*** هل التّعدد اللّغويّ يعني تنوعًا ثقافيًا؟**

ليس بالضرورة. في بعض الأحيان، يمكن للمجتمع متعدد اللّغات أن تكون له ثقافة واحدة مشتركة. على سبيل المثال، في بعض الدّول التي تضم مجموعة لغات، مثل سويسرا أو بلجيكا، هناك تعدد لغوي ولكن قد يكون هناك توجه ثقافي موحد أو ثقافة عامة تتقاسمها كل هذه المجموعات اللّغويّة. في هذه الحالات، قد تكون اللّغة هي العامل الذي يميز بين المجموعات، ولكن القيم والممارسات الثّقافيّة الأساسيّة قد تظل متشابهة إلى حد كبير[8].

* **التّعدد اللّغويّ في سياقات معيّنة:** في بعض المجتمعات، قد يكون التّعدد اللّغويّ جزءًا من عمليّة اندماج أو توحيد ثقافي، مثلما يحدث في بعض الدّول التي تتبنى لغات متعددة على المستوى الرسمي ولكن تحاول الحفاظ على ثقافة وطنيّة موحدة، مثل الولايات المتحدة التي تعتمد على اللّغة الإنكليزيّة بشكل أساسي ولكن يوجد فيها تنوع لغوي وثقافي كبير.

* **التّعدد اللّغويّ كعامل هويّة:** اللّغة هي إحدى أهم عناصر الهويّة الثّقافيّة، ولذلك فإنّ المجتمعات التي تتحدث لغات متعددة قد يكون لديها نوع من التّنوع الثّقافي العميق. على سبيل المثال، في بعض الدّول العربيّة مثل لبنان، هناك تعدد لغوي يشمل العربيّة، الفرنسيّة، والإنكليزيّة، وهذه اللّغات تعكس تداخلًا ثقافيًّا بين التّأثيرات العربيّة والغربيّة[9].

إذن؛ يمكن للتعدد اللّغويّ أن يؤدي إلى تنوّع ثقافي، ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل مجتمع متعدد اللّغات مجتمعًا متعدد الثّقافات. يمكن أن يكون هناك تفاوت بين تأثيرات اللّغة والثّقافة، وقد تتأثر هذه العلاقة بالعديد من العوامل الأخرى مثل التّاريخ، والسّياسة، والاقتصاد، والهويّة الوطنيّة.

وفي المقابل، نتساءل ثانيا:

1- هل يؤدي التّنوع الثّقافيّ في المجتمع الواحد إلى تعدّد لغويّ بالضرورة؟

التّنوع الثّقافي في المجتمع الواحد لا يؤدي بالضرورة إلى التّعدد اللّغويّ، ولكن هناك ارتباط بينهما في العديد من الحالات. سأشرح ذلك بتفصيل أكثر:

* **التّنوع الثّقافي لا يعني بالضرورة التّعدد اللّغويّ:** يمكن أن يكون هناك تنوع ثقافي داخل مجتمع ما، لكن هذا التّنوع قد لا يظهر في تعدد لغوي. على سبيل المثال، يمكن أن يتكون مجتمع من مختلف الجماعات الثّقافيّة، مثل المجموعات العرقيّة أو الدّينيّة المختلفة، التي تتشارك في لغة واحدة. ففي بعض المجتمعات، يمكن أن تكون هناك ثقافات متعددة تؤثّر في ممارسات الأفراد وعاداتهم ولكنّهم يتحدثون لغة واحدة فقط. على سبيل المثال، قد تكون هناك مجموعات عرقيّة أو دينيّة في مجتمع يتحدث جميع أفراده نفس اللّغة الرّسميّة أو الوطنيّة ولكن كل مجموعة تحافظ على عاداتها وتقاليدها الخاصّة[10].

* **التّنوّع الثّقافي والتّعدد اللّغويّ في نفس الوقت:** في بعض المجتمعات، التّنوع الثّقافي يمكن أن يسهم في وجود تعدد لغوي. عندما تتعايش مجموعات ثقافيّة متنوعة ذات لغات مختلفة، قد تؤدي هذه الاختلافات الثّقافيّة إلى ظهور لغات متعدّدة داخل المجتمع. مثلما يحدث في بعض المناطق المتنوعة ثقافيًا مثل الهند، حيث تختلف اللّغات بشكل كبير بين المجموعات العرقيّة والدّينيّة، مما يؤدي إلى تعدد لغوي.

* **العوامل الأخرى التي تؤثر في التّعدد اللّغويّ:** هناك أيضًا عوامل أخرى تسهم في وجود التّعدد اللّغويّ مثل التّاريخ والهجرة والتّأثيرات السّياسيّة. ففي بعض المجتمعات، قد يكون التّعدد اللّغويّ نتيجة لهجرة جماعات من دول مختلفة أو تأثيرات استعماريّة، حيث تتعدد اللّغات ولكن لا يكون هناك بالضرورة تنوع ثقافي حقيقي بين هذه الجماعات.

* **أمثلة عن المجتمعات ذات التّنوع الثّقافي دون تعدد لغويّ:** في بعض المجتمعات مثل اليابان أو كوريا توجد ثقافة واحدة موحدة (تقريبًا)، رغم أنّ هناك تنوعًا اجتماعيًا أو تاريخيًا. في هذه المجتمعات، يتم التّحدث بلغة واحدة وتتوحد الممارسات الثّقافيّة بشكل كبير، رغم تنوع الخلفيات أو الانتماءات داخل المجتمع.

إذن؛ فالتّنوع الثّقافي لا يؤدي بالضرورة إلى التّعدد اللّغويّ. يمكن أن يتواجد تنوع ثقافي داخل مجتمع واحد يتحدث لغة واحدة، كما يمكن أن يظهر التّعدد اللّغويّ نتيجة لعوامل تاريخيّة، سياسيّة، أو اجتماعيّة مختلفة، دون أن يكون هذا التّعدد اللّغويّ بالضرورة مرتبطًا بتنوع ثقافي كبير.

ثانيا: الهويّة في ظلّ التّعدد اللّغويّ: إشكاليّة التّأثّر والتّأثير: خدمةً لعنوان مداخلتنا، يحقّ لنا أن نتساءل عن مدى تأثّر المجتمعات ذات التّعدديّة اللّغويّة، على مستوى الحفاظ على الهويّة، هذا العامل المهم من عوامل توحيد المجتمعات، التي تسعى الدّول إلى الحفاظ عليه؛ وعليه فإنّنا نقول:

إنّ أثر التّعدد اللّغويّ في الحفاظ على هويّة المجتمع هو موضوع معقد وعميق، حيث تتداخل فيه العديد من العوامل الثّقافيّة، الاجتماعيّة، والتّاريخيّة. التّعدد اللّغويّ يمكن أن يكون له تأثيرات إيجابيّة أو سلبيّة على الهويّة اعتمادًا على السّياق الذي يحدث فيه. في ما يلي بعض النقاط التي توضح هذا التّأثير:

1- حمايّة الهويّة الثّقافيّة:

* **اللّغة كحافظ للثقافة:** اللّغة هي إحدى أهم عناصر الهويّة الثّقافيّة، حيث تتضمّن كل لغة مجموعة من القيم، والتّقاليد، والتّاريخ الخاص بالمجموعة التي تتحدث بها. التّعدد اللّغويّ يمكن أن يسهم في الحفاظ على هذه الهويّة الثّقافيّة من خلال إتاحة الفرصة للمجتمعات المختلفة للحفاظ على لغاتها الأصليّة. ومثال ذلك: في بعض المجتمعات مثل **الهنود الحمر** في أمريكا الشّماليّة أو **السّاكيون** في النرويج، تمثل اللّغة جزءًا أساسيًا من الهويّة الثّقافيّة لهم، وتعد بمثابة جسر بين الأجيال للحفاظ على العادات والممارسات التّقليديّة[11].

2- اللّغة كأداة للتعبير الثّقافي:

* **التّعدد اللّغويّ يزيد من تنوع التّعبيرات الثّقافيّة:** عندما يتحدث المجتمع أكثر من لغة، يعزز ذلك القدرة على التّعبير عن الثّقافة بطرق متنوعة. الفنون، مثل الشّعر والموسيقى والسّينما، تتأثر كثيرًا باللّغة المستخدمة فيها. تعدد اللّغات يوفر أداة غنيّة للتعبير عن الهويات الثّقافيّة المتنوعة. ومثال ذلك: في دول مثل **كندا** أو **بلجيكا** حيث يوجد تعدد لغوي (مثل الإنكليزيّة والفرنسيّة في كندا)، يمكن لكل مجموعة لغويّة التّعبير عن ثقافتها الخاصّة من خلال الفنون والإعلام بلغة خاصّة بها.

3- التّعدد اللّغويّ كمصدر للتنوع والتّكامل:

* **الاعتراف باللّغات المتعددة يعزز التّعايش والتّفاهم:** المجتمعات التي تحتفل بتعدد لغاتها غالبًا ما تكون أكثر انفتاحًا وتسامحًا مع الثّقافات المختلفة. التّعدد اللّغويّ يمكن أن يساعد في بناء هويّة مجتمع تعددي يتقبل التّنوع ويشجّع على التّفاهم المتبادل بين الأفراد ذوي الخلفيات المختلفة. ومثال ذلك: في **سويسرا**، حيث يتم التّحدث بأربع لغات رسميّة (الألمانيّة، الفرنسيّة، الإيطاليّة، والرومانش)، يتم تعزيز التّفاهم بين المجموعات الثّقافيّة المختلفة، ممّا يسهم في تكامل الهويّة الوطنيّة رغم التّنوع اللّغويّ[12].

4- اللّغة كأداة تهديد أو تهميش الهويّة:

* **اللّغات المهددة قد تؤدي إلى فقدان الهويّة:** في بعض الحالات، قد يؤدّي التّعدد اللّغويّ إلى التّهميش أو تهديد بعض اللّغات المحليّة أو الأقليّة. في المجتمعات التي يتم فيها فرض لغة معينة (عادة ما تكون اللّغة الرسميّة أو العالميّة)، قد تتعرض اللّغات الأخرى للاندثار، وبالتّالي تهدد الهويّة الثّقافيّة المرتبطة بها. ومثال ذلك: في بعض الدّول التي تفرض لغة رسميّة واحدة، مثل بعض البلدان الناطقة بالعربيّة أو الإنكليزيّة، قد تجد اللّغات المحليّة أو الأصليّة (مثل الأمازيغيّة في شمال إفريقيا) مهددة بالاندثار، ممّا يهدد الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة المرتبطة بتلك اللّغات[13].

5- اللّغة كأداة تواصل بين الثّقافات:

* **التّعدد اللّغويّ يعزز التّواصل بين الثّقافات:** في المجتمع متعدد اللّغات، يمكن أن تصبح اللّغة جسرًا بين ثقافات مختلفة. إذا كانت هناك عدة لغات تتعايش معًا في المجتمع، فإنّ هذا قد يعزز التّواصل بين الأفراد من خلفيات ثقافيّة مختلفة، مما يسهم في تعزيز الفهم المشترك وبناء هويّة اجتماعيّة وطنيّة تكون شاملة ومتعددة.

ومثال ذلك: **جنوب أفريقيا**، حيث توجد 11 لغة رسميّة، يُمكن للأفراد من مجموعات ثقافيّة مختلفة أن يتواصلوا باستخدام لغات متعددة، مما يعزز من التّفاهم الاجتماعي وتشارك الهويّة الوطنيّة رغم التّنوع الثّقافي.

6- دور التّعليم والسّياسة في الحفاظ على الهويّة اللّغويّة:

* **التّعليم واللّغة الرسميّة:** سياسات التّعليم يمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة من خلال تعزيز تعلم اللّغات المحليّة أو الأصليّة جنبًا إلى جنب مع اللّغات العالميّة. عندما يتم تدريس اللّغة الأم في المدارس جنبًا إلى جنب مع اللّغة الرسميّة، يساعد ذلك في الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة من خلال تيسير نقل التّراث الثّقافي إلى الأجيال القادمة. ومثال ذلك: في **نيوزيلندا**، حيث توجد لغة الماوري (لغة السّكان الأصليين) تُدرّس اللّغة الماوريّة في المدارس، مما يساعد في الحفاظ على الثّقافة الماوريّة رغم تأثير الثّقافة الغربيّة.

إذن؛ فالتّعدد اللّغويّ يمكن أن يكون له أثر إيجابي كبير في الحفاظ على هويّة المجتمع من خلال تعزيز التّنوع الثّقافي، الحفاظ على التّراث الثّقافي، وتيسير التّعبير عن الفنون والآداب بلغة تعكس ممارسات وهويّة كل مجموعة ثقافيّة. ولكن، في بعض الحالات، قد يؤدي التّعدد اللّغويّ إلى تهديد الهويّة الثّقافيّة لبعض المجموعات إذا كانت اللّغات الأخرى تُهمش أو تُقمع لصالح لغة واحدة.

ثالثًا: الهويّة في ظلّ التّنوع الثّقافي: إشكاليّة التّأثّر والتّأثير: عطفا على ما سبق آخِرًا، من أثر التّعدد اللّغويّ على الحفاظ على هويّة المجتمعات والدّول؛ وفي المقابل؛ كيف يكون تأثير تعدد وتنوع الثّقافات داخل المجتمع الواحد في الحفاظ على هويّة هذا المجتمع؟ ونقول: إنّ التّنوع الثّقافي لا يعني فقط تنوّع اللّغات والعادات، بل يشمل أيضًا تنوع القيم، الدّيانات، التّقاليد، والأيديولوجيات. ويتجلّى ذلك من زوايا عدّة؛ منها:

1- تعزيز الهويّة الثّقافيّة الخاصّة بالمجموعة:

* **الحفاظ على التّقاليد والطقوس:** التّنوع الثّقافي يعزّز من قدرة المجموعات المختلفة على الحفاظ على تقاليدها وطقوسها الخاصة، مما يساعد على استمراريّة الهويّة الثّقافيّة عبر الأجيال. من خلال التّمسك بالعادات والأنماط الاجتماعيّة المميزة، يمكن لهذه المجموعات الحفاظ على هويتها الخاصة وتفردها داخل المجتمع. ومثال ذلك: في بعض المجتمعات مثل **الهند** أو **مصر**، حيث توجد مجموعة كبيرة من الأقليات الثّقافيّة والعرقيّة، يمكن لكل مجموعة أن تحافظ على هويتها من خلال ممارسة تقاليدها الخاصّة مثل الطعام، الأعياد، الملابس واللّغة[14].

أ- تعزيز التّنوّع كمصدر للابتكار والإبداع:

* **التّنوع الثّقافي كمحفز للإبداع:** عندما يختلط الأفراد من خلفيات ثقافيّة متنوعة، يمكن أن يخلق ذلك بيئة من الابتكار والإبداع. الأفكار المختلفة يمكن أن تتلاقى وتنتج مزيجًا ثقافيًا يعزز من التّعبير الفني، الأدبي الاجتماعي، والسّياسي. التّعدد الثّقافي يؤدي إلى تنوع في أساليب التّفكير وحلول للمشكلات، ممّا يسهم في تعزيز الهويّة المجتمعيّة بطريقة مبتكرة. ومثال ذلك: في **الولايات المتحدة الأمريكيّة**، حيث توجد مجموعات ثقافيّة متعددة (مثل المهاجرين من مختلف الدّول)، يتم دمج هذه الثّقافات في مجالات الفن والموسيقى والسّينما ممّا يعزز من الهويّة الأمريكيّة المتعددة، والتي تضم تأثيرات ثقافيّة متنوعة.

ب- تعزيز التّفاهم والاحترام المتبادل:

* **التّعايش السّلمي والتّفاعل بين الثّقافات:** التّنوع الثّقافي يسهم في بناء مجتمع مفتوح ومتسامح حيث يمكن للأفراد من ثقافات مختلفة أن يتفاعلوا مع بعضهم البعض بشكل إيجابي. الفهم المتبادل يعزز من الاحترام المتبادل، مما يؤدي إلى بناء هويّة اجتماعيّة وطنيّة موحدة رغم التّنوع الثّقافي. ومثال ذلك: في **جنوب أفريقيا** بعد نهايّة الفصل العنصري، عملت السّياسة على تعزيز التّعايش بين المجموعات الثّقافيّة المختلفة (مثل الزولو والبيضاء، والكوسا) بشكل يعزز من الهويّة الوطنيّة الجنوب أفريقيّة[15].

ج- تكوين هويّة وطنيّة شاملة:

* **التّعدد الثّقافي كجزء من الهويّة الوطنيّة:** في بعض المجتمعات، يمكن أن يشكل التّنوع الثّقافي أساسًا لهويّة وطنيّة شاملة، حيث يتم دمج كافة المجموعات الثّقافيّة لتكوين هويّة واحدة. هذا لا يعني القضاء على الثّقافات المختلفة، بل بالعكس، يعزز من الاحتفاء بكل مجموعة ثقافيّة كجزء أساسي من النسيج الاجتماعي. ومثال ذلك: في **كندا**، تعتبر "سياسة التّعدد الثّقافي" جزءًا من الهويّة الوطنيّة. الحكومة الكنديّة تحتفل بجميع الثّقافات التي تشكل المجتمع الكندي، مما يجعلها جزءًا من الهويّة الوطنيّة الكنديّة.

د- التّحولات في هويّة المجتمع عبر الزمن:

* **التّنوع الثّقافي يعزز التّكيف مع التّغيرات:** المجتمعات التي تتسم بالتّنوع الثّقافي غالبًا ما تكون أكثر قدرة على التّكيف مع التّحولات الاجتماعيّة والسّياسيّة. هذا التّنوع يسهم في تعزيز قدرة المجتمع على استيعاب التّغييرات دون أن يفقد هويته الثّقافيّة. حيث يسمح التّنوع الثّقافي للمجتمع بالتّوسع والتّطور في ظل الاحترام المتبادل للهويّة الخاصة بكل مجموعة. ومثال ذلك في **فرنسا**، فرغم تنوع الخلفيات الثّقافيّة لمواطنيها، يبقى "المفهوم الفرنسي" للحريّة والمساواة والإخاء جزءًا من الهويّة الوطنيّة التي توحد مختلف الثّقافات تحت سقف واحد.

6- التّنوع الثّقافي وتحديات الهويّة:

* **صراع الهويّة والتّحديات الاجتماعيّة:** في بعض الحالات، قد يؤدي التّنوع الثّقافي إلى صراع حول الهويّة حيث قد يشعر بعض الأفراد أو الجماعات الثّقافيّة بأن هويتهم مهددة أو لا يتم الاعتراف بها بشكل كافٍ. إذا لم يتم إدارة التّنوع الثّقافي بشكل جيد، قد يؤدي إلى الانقسام الاجتماعي أو الشّعور بالعزلة لبعض الفئات. ومثال ذلك أنّه في بعض المجتمعات الأوروبيّة، حيث توجد موجات هجرة كبيرة، يمكن أن يظهر شعور ببعض التّوترات الثّقافيّة بين المهاجرين والمجتمعات المحليّة، مما يؤثر على كيفيّة تعريف الهويّة الوطنيّة.

7- اللّغة كجزء من الهويّة الثّقافيّة:

* **اللّغة والحفاظ على الهويّة الثّقافيّة:** تعد اللّغة جزءًا أساسيًا من التّنوع الثّقافي، ويمكن أن يكون لها دور كبير في الحفاظ على هويّة المجتمع. المجتمعات متعددة الثّقافات قد تحافظ على لغاتها الخاصّة ممّا يساعد في الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة. وبالمقابل، قد يؤدي عدم الحفاظ على اللّغة الأم إلى فقدان جزء كبير من الهويّة

الثّقافيّة. ففي **إسبانيا** مثلا، حيث يوجد تنوع لغوي (مثل الكاتالونيّة، والباسكيّة)، يساعد الحفاظ على هذه اللّغات في الحفاظ على هويّة الثّقافات المحليّة[16].

إذن؛ فالتّنوع الثّقافي يمكن أن يعزز الهويّة المجتمعيّة من خلال تعزيز الإبداع، واحترام التّنوع، وتعزيز التّفاهم المتبادل. ولكنّه، في الوقت نفسه، قد يواجه تحديات في بعض الأحيان نتيجة لتداخل الهويّة الثّقافيّة ومشاكل في التّعايش بين المجموعات المختلفة. في المجمل، إذا تم التّعامل مع التّنوع الثّقافي بشكل إيجابي، فإنّه يصبح مصدرًا للغنى والإثراء، مما يسهم في الحفاظ على هويّة المجتمع بشكل شامل.

خاتمة: إنّ التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافي لا يشكّلان مجرّد خصائص سطحيّة للمجتمعات المعاصرة، بل يمثّلان عناصر جوهريّة في بنيّة الهويّة، وصورًا من التّفاعل المعقّد بين الإنسان واللّغة والمكان إذ إنّ الهويّة ليست معطًى ثابتًا، بل هي عمليّة تشكّل مستمرة، تتأثر بعوامل داخليّة وخارجيّة، من أبرزها الانتماءات اللّغويّة والثّقافيّة التي يحملها الفرد أو تُفرض عليه. ومن هنا، فإنّ التّعدّد اللّغويّ لا يُعبّر فقط عن تمايزات لسانيّة، فهو يحمل في طيّاته أنماطًا من التّفكير، وأنساقًا من القيم، وسبلًا مغايرة لفهم العالم والتّعبير عنه.

وقد بيّنت الدّراسات الحديثة أنّ التّنوع اللّغويّ والثّقافي يمكن أن يسهم، إذا ما أُحسن توجيهه، في إثراء المجتمعات وتعزيز قدرتها على الابتكار والتّفاهم الدّاخلي والانفتاح العالمي. كما أنّ سياسات الإقصاء أو التّذويب القسري للهويات الفرعيّة غالبًا ما تؤدي إلى اضطرابات اجتماعيّة ونزاعات هويّاتيّة مزمنة، تعيق التّنميّة المستدامة، وتضعف تماسك النسيج الاجتماعي.

إنّ التّحدّي الأكبر الذي تواجهه المجتمعات التّعدّديّة اليوم لا يتمثّل في وجود هذا التّنوّع في حدّ ذاته، بل في القدرة على تنظيمه ضمن أطر قانونيّة وتربويّة وإعلاميّة عادلة، تضمن المساواة بين اللّغات والثّقافات، وتحمي حقوق الأفراد والجماعات في التّعبير عن ذواتهم، دون المساس بوحدة المجتمع أو استقراره. ومن هنا، فإنّ التّربيّة المتعدّدة الثّقافات، وتطوير المناهج التّعليميّة، وتشجيع الإعلام التّعدّدي، هي من بين أهمّ الوسائل التي يمكن أن تسهم في بناء هويّة جامعة، تعترف بالتّعدّد دون أن تقع في فخّ التّشرذم أو الانغلاق.

وعليه، فإنّ مستقبل التّنوّع اللّغويّ والثّقافي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى وعي المجتمعات بقيمته، وقدرتها على إدارته إدارة رشيدة، تتجاوز المقاربات الضيّقة للهويّة، نحو رؤيّة إنسانيّة أكثر شمولًا، ترى في الاختلاف مصدرَ قوّة لا تهديد، وفي التّعدّد أفقًا للحوار لا صراعًا على الانتماء.

التّوصيّات:

-إنّ للتعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافي أثرا في تحقيق الاستقرار الاجتماعي ووحدة الهويّة الثّقافيّة واللّغويّة لايمكن نكرانها أو تجاوزها، ومنه فإعطاؤهما العنايّة المستحقّة صار لزاما علينا، وعلى هذا الأساس يجدر بنا أن نقترح في هذه الورقة البحثيّة بعض التّوصيات، منها:

- تعزيز التّعليم متعدد اللّغات لتوسيع آفاق التّواصل والانفتاح على الثّقافات الأخرى، ودعم اللّغات واللهجات المحليّة (العربيّة، الأمازيغيّة، الدّارجة بالجزائر) لتعزيز الهويّة الثّقافيّة؛

- حمايّة اللهجات المحليّة من خلال تشجيع البحث الأكاديمي في اللهجات الجزائريّة المختلفة، مثل الشّاويّة القبائليّة، الميزابيّة، التّارقيّة، وغيرها، للحفاظ عليها من الاندثار، وتوثيق التّراث الشّفوي المرتبط بهذه اللهجات من خلال الدّراسات والكتب والمبادرات الرقميّة؛
- دعم الإنتاج الأدبي والفني والإعلامي الذي يستخدم اللّغات المختلفة في الجزائر، بما في ذلك الأفلام المسرحيات، والروايات؛
- تشجيع الصحافة والإعلام على تقديم محتوى متنوع لغويًا يعكس ثراء المجتمع الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أثير عبد اللّه محمّد، تأثير معالجات التّنوّع في الموارد البشريّة في الآداء التّشغيلي، دراسة استطلاعيّة لآراء عيّنة من مديري محطّة كهرباء القدس الغزيّة، مجلّة كليّة بغداد للعلوم الاقتصاديّة الجامعة، كليّة الإذارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العراق العدد 40.

2. إيمان قردون، التّنوع الثّقافي في الجزائر، مبرراته وأهم تجلياته، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر المجلد16، العدد1، 2023.

3. إيناس محروس بوبس، ما علاقة الهويّة باللّغة وهل العربيّة في خطر؟ الجزيرة، 2024، الرابط:

4. بشير خليفي، التّعدد اللّغويّ والوعي الحضاري بين الرغبة في المعرفة وهاجس الاستلاب، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعيّة جامعة سطيف، العدد24، 2017.

5. سارة غربي، خديجة زياني، إدارة التّعدد الثّقافي واللّغويّ في الجزائر، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدّراسات في حوار الدّيانات والحضارات، المجلد8، العدد1، 2019.

6. سمير أبيش، التّعدد اللّغويّ وسؤال الهويّة: قراءة في المفهوم والدّلالات، مجلة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر، المجلد25، العدد 64، 2023.

7. صالح بلعيد، في الأمن اللّغويّ، دار هومة، الجزائر، 2010.

8. صالح سعدون، ضرورة التّعدد اللّغويّ وسلبيات التّفريط فيه على مجتمع اليوم، مجلة فصل الخطاب المجلد12، العدد3.

9. فلاح تايه النعيمي، لؤي لطيف بطرس الشّكر، إدارة التّنوّع الثّقافي وأثرها في المرونة الاستراتيجيّة، دراسة ميدانيّة، مجلّة الاقتصاد والإدارة، السّنة 38، العدد 106.

10. قرينات بن شهرة، النّوع الثّقافي ودوره في تشكيل الهويّة الثّقافيّة من منظور قيم المواطنة، مجلة أنثروبولوجيا، مركز فاعلون، الجزائر، المجلد9، العدد1.

11. كرّوم لخضر، بن شتّوح عامر، النوّع اللّغويّ واللهجي في المجتمع الجزائري وانعكاساته على التّحصيل اللّغويّ للمتعلّم المجتمع الأغواطي أنموذجا، مجلّة معالم، مج 13، العدد الخاص.

12. كمال بوغديري، التّعدديّة اللّغويّة في الجزائر السّياق السّوسيوثقافي للظاهرة، مجلة دفاتر المخبر المجلد17، العدد1 2022.

13. كمال بوغديري، التّعدديّة اللّغويّة في الجزائر السّياق السّوسيوثقافي للظاهرة، مجلة دفاتر المخبر المجلد17، العدد1 2022.

14. مايكل كلين، التّعدّد اللّغويّ ضمن كتاب دليل السّوسيو لسانيات، تحرير: فلوريان كولماس، تر: خالد الأشهب، وماجدولين النهيبي، مراجعة ميشال زكرياء، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2009.

15. وهيبة بوربعين، عبد الله بن معمر، التّنميّة والتّعايش دراسة سوسيوتنمويّة للتعايش الثّقافي كقوة محركة للتنميّة البشريّة مجلة الحوار الثّقافي، جامعة مستغانم، المجلد5، العدد1.

الهوامش:

1- صالح بلعيد، في الأمن اللّغويّ، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 224.

2 J..Dubois et autre: Dictionnaire de linguistique, paris, Larousse, 1973, p:368

3- مايكل كلين، التّعدّد اللّغويّ ضمن كتاب دليل السّوسيو لسانيات، تحرير: فلوريان كولماس، تر: خالدّ الأشهب، وماجدولين النهيبي مراجعة ميشال زكريا، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2009، ص650.

4- كرّوم لخضر، بن شتّوح عامر، النوّع اللّغويّ واللهجي في المجتمع الجزائري وانعكاساته على التّحصيل اللّغويّ للمتعلّم المجتمع الأغواطي أنموذجا، مجلّة معالم، مج 13، العدد الخاص، 2021، ص 151.

5- أثير عبد اللّه محمّد، تأثير معالجات التّنوّع في الموارد البشريّة في الآداء التّشغيلي، دراسة استطلاعيّة لآراء عيّنة من مديري محطّة كهرباء القدس الغزيّة، مجلّة كليّة بغداد للعلوم الاقتصاديّة الجامعة، كليّة الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العراق العدد 40، 2014، ص 2014/2013.

6- فلاح تايه النعيمي، لؤي لطيف بطرس الشّكر، إدارة التّنوّع الثّقافي وأثرها في المرونة الاستراتيجيّة، دراسة ميدانيّة، مجلّة الاقتصاد والإدارة، السّنة 38، العدد 106، 2016، ص 300.

7- ينظر: سارة غربي، خديجة زياني، إدارة التّعدد الثّقافي واللّغويّ في الجزائر، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدّراسات في حوار الدّيانات والحضارات، المجلد8، العدد1، 2019، ص67- 94.

[8]- ينظر: صالح سعدون، ضرورة التّعدد اللّغويّ وسلبيات التّفريط فيه على مجتمع اليوم، مجلة فصل الخطاب، المجلد12 العدد3، 2023، ص443- 452.

[9]- ينظر: سمير أبيش، التّعدد اللّغويّ وسؤال الهويّة: قراءة في المفهوم والدّلالات، مجلة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، المجلد25، العدد 64، 2023، ص27- 42.

[10]- ينظر: إيمان قردون، التّنوع الثّقافي في الجزائر، مبرراته وأهم تجلياته، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر المجلد16، العدد1، 2023، ص247- 262.

[11]- ينظر: إيناس محروس بوبس، ما علاقة الهويّة باللّغة وهل العربيّة في خطر؟ الجزيرة، 2024، الرابط: ما-علاقة-الهويّة-باللّغة-وهل-العربيّة-في خطر؟ https://www.aljazeera.net/culture/2024/3/7/

[12]- ينظر: كمال بوغديري، التّعدديّة اللّغويّة في الجزائر السّياق السّوسيوثقافي للظاهرة، مجلة دفاتر المخبر، المجلد17 العدد1 2022، ص206- 217.

[13]- ينظر: بشير خليفي، التّعدد اللّغويّ والوعي الحضاري بين الرغبة في المعرفة وهاجس الاستلاب، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة سطيف، العدد24، 2017، ص65- 74.

[14]- ينظر: قرينات بن شهرة، التّوع الثّقافي ودوره في تشكيل الهويّة الثّقافيّة من منظور قيم المواطنة، مجلة أنثروبولوجيا، مركز فاعلون، الجزائر، المجلد9، العدد1، ص47- 61.

[15]- ينظر: وهيبة بوربعين، عبد الله بن معمر، التّنميّة والتّعايش دراسة سوسيوتنمويّة للتعايش الثّقافي كقوة محركة للتنميّة البشريّة، مجلة الحوار الثّقافي، جامعة مستغانم، المجلد5، العدد1، ص81- 89.

[16] - ينظر: إيناس محروس بوبس، ما علاقة الهويّة باللّغة وهل العربيّة في خطر؟

التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ: تحدّيات الوحدة وآفاق التّكامل في بناء الهويّة المُشتركة

ط. د. إيمان شرشار
جامعة سيدي بلعباس

الملخّص: لا مِراء في أنّ التّنوّع الثّقافي واللّغوي يشكلان ظاهرة طبيعيّة تعكس ثراء المجتمعات وتاريخها ويمكن أن تحدث نتيجة لاختلافات جغرافيّة، اجتماعيّة، تاريخيّة، ودينيّة بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع نفسه، هذه التّعدّديّة تُثري التّفاعل بين الأفراد وتسهم في بناء فهم أعمق للتّقاليد والعادات المختلفة وتعزّز التّبادل الثّقافي والمعرفي بين الأمم والشّعوب لكنّه في الوقت نفسه تثير تساؤلات جمّة حول مدى تأثيره على وحدة الهويّة الثّقافيّة واللّغويّة.

ومن ناحيّة أخرى، عندما يتجه التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ إلى حالة من التّفرقة أو الانعزاليّة، فإنّه قد يؤدّي إلى ضعف الانتماء الوطني والشّعور بالتّجزئة. وهذا يمكن أن يتفاقم بسبب السّياسات التي قد تُهمش بعض اللّغات أو الثّقافات لصالح أخرى، أو بسبب انعدام التّفاعل بين الجماعات المختلفة في المجتمع. لذا فإن معالجة هذه التّحديات تتطلّب حلولًا تتمثل في التّعليم المتعدّد الثّقافات، وتعزيز سياسات تعترف بالتّنوّع من خلال إنشاء أرضيّة مشتركة تحفظ حقوق جميع الجماعات. ولكن لا يجب أن يُنظر إلى هذا التّعدّد كتهديد لوحدة الهويّة، بل كفرصة لتجديد وتعميق تلك الهويّة بشرط أن يتم احترام جميع الثّقافات واللّغات، وتعزيز قيم العيش المشترك والتّفاهم بين مختلف فئات المجتمع.

الكلمات المفتاحيّة: التّعدّد اللّغوي؛ التّعدّد الثّقافيّ؛ التّنوّع؛ الثّقافات؛ اللّغة؛ الهويّة.

Abstract : Cultural and linguistic diversity are undoubtedly a natural phenomenon that reflects the richness and history of societies. And can occur as a result of geographical, social, historical and religious differences between individuals and groups within society itself multilateralism enriches interaction between individuals and contributes to building a deeper understanding of different traditions and customs, Cultural and knowledge exchanges between nations and peoples have been strengthened, but at the same time it raises serious questions about its impact on the unity of cultural and linguistic identity.

On the other hand, when cultural and linguistic diversity tends to be segregated or isolationist, it can lead to weak national affiliation and a sense of fragmentation. This can be exacerbated by policies that may marginalize certain languages or cultures in favour of others, or by the lack of interaction between different groups in society. Addressing these challenges requires solutions such as multicultural education and promoting policies that recognize diversity by establishing common ground that safeguards the rights of all communities. But this pluralism must not be seen as a threat

to the unity of identity, but as an opportunity to renew and deepen that identity provided that all cultures and languages are respected, values of coexistence and understanding are promoted among different groups of society.

Keywords: linguistic pluralism; multiculturalism; diversity; cultures; language; identity.

مقدّمة: في خضمّ التّحوّلات الكبرى المحيطة التي يشهدها عالمنا اليوم يأخذ التّنوّع بشقيه الثّقافي واللّغوي مكانًا رئيسيًا في تشكيل وبناء لَبِنات المجتمعات المعاصرة، خاصّة مع زيادة التّفاعل بين الشّعوب والأمم من خلال ارتفاع نسبة الهجرة وتوسيع العلاقات الدّوليّة، مما أسهم في خلق بيئات اجتماعيّة غنيّة ومتنوّعة من حيث الثّقافات واللّغات، فيكون التّنوّع جنبًا لقوّة المجتمع حيث يعكس تعّدد الهويات والإيديولوجيات واختلاف التّجارب البشريّة الإنسانيّة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا التّنوّع نفسه يطرح العديد من التّحدّيات على أصعدة متنوّعة، تؤثر بدورها في قدرة المجتمع على تحقيق الوحدة الوطنيّة، والتّكامل الاجتماعي.

في ذات السّياق تظهر جملة من التّحدّيات تمسّ بالدّرجة الأولى الهويّة المشتركة بين الأفراد والجماعات ويكون تأثيرها مباشرًا على تحقيق الانسجام والوحدة الاجتماعيّة، الأمر الذي يقتضي بروز آفاق جديدة للتكامل الثّقافي واللّغوي كفرصة لتوحيد المناحي، وبناء هويّة واحدة مشتركة، حيث يمكن من خلال السّياسات العامّة والتّعليميّة الفعّالة أن يتمّ تعزيز التّفاهم المُتبادل وتكريس القيم الإنسانيّة المشتركة بين الأفراد والجماعات.

ومن خلال هذا الطرح نقف على عتبة الإشكاليّة الآتيّة: كيف يمكن للتنوّع الثّقافي واللّغوي أن يسهم في تعزيز الهويّة الثّقافيّة المشتركة دون أن يؤدي إلى تفكّكها أو إضعافها؟ وما هي الاستراتيجيات الفعالة لتحقيق التّوازن بين التّعدّديّة الثّقافيّة ووحدة الهويّة في المجتمعات المتنوّعة؟

قراءة في المفاهيم:

التّنوّع الثّقافي: Cultural Diversity: يعدّ مصطلح التّنوّع الثّقافي مصطلحًا مركّبًا مبنيا على كلمتي "التّنوّع" و"الثّقافة"، أمّا التّنوّع فهو "سمة كونيّة شاخصة في كل زمان وفي كل بقعة من بقاع الأرض، ذلك أنّه سنة من سنن الخالق في كونه، أقرّها عز وجّل في كتابه الحكيم حين قال في سورة الحجرات: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(13)**﴾ "[1]" وقد تضمّنت هذه الآيّة تنوعات مختلفة بشكل صريح، فالقول يبدأ من مطلق قرآني يعترف بتنوع البشر، ليس فقط على مستوى الشّكل أو الأصل، بل يتعداه إلى مستوى التّنوع الثّقافي والاجتماعي والسّياسي، مما يضفي طابعًا إنسانيًا ومعرفيًا للتنوع، وفي هذا التّنوع ثراء معرفي منوط بالدّراسة والبحث "وثمة اقتراب من الأدبيات نحو هذا الطرح القرآني للتنوع فيما يتعلق بتثمين الفروقات والتّشابهات الموجودة بين بني البشر، ويشمل التّنوع بذلك الخصائص البشريّة المختلفة مثل العرق والعمر والعقيدة والأصل القومي والدّين والنّوع الاجتماعي"[2]، ويمكن أن يكون هذا الالتقاء بين المقصد القرآني والتّعبير الأدبي دليلا على الاشتراك في الاقناع والتّأكيد من خلال ثراء المعاني وتعدّد الأساليب وجماليّة اللّغة.

ونافلة القول إنّ التّنوّع في فحواه يعني الاختلاف والتّعدد في الأشكال والمضامين والطرق التي يُعبَّر بها عن المعاني والأفكار سواء على مستوى الأسلوب أم المواضيع أم المقاصد.

أمّا "**الثّقافة**" **Culture** فهي: "الكلّ المركب الذي يشمل المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون والعرف وكل ما اكتسبه الانسان من قدرات وعادات أخرى بصفته عضوًا في المجتمع"[3]، ونجد الثّقافة طبقا لمنظمة الأمم المتحدة للتربيّة والعلوم والثّقافة (اليونسكو) (UNESCO) تتخّذ "أشكالًا متنوعة عبر المكان والزمان ويتجلى هذا التّنوع في أصالة وتعدّد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألّف منها الإنسانيّة"[4]، وهذا يحيل إلى أنّ الثّقافة هي الرّوح الجمعيّة التي تعبّر عن طريقة تفكير وشعور وتصرف جماعة ما، وتشكل جوهر تواصلهم، وبها يتجلى كيانهم ويتحدد وجودهم، وتتمثل أعمق مستوياتها في بنيتها القيميّة الأساسيّة، التي تنشأ من منظور كلي يتأثر بالعلاقات المتبادلة بين الأفراد وبيئاتهم الطبيعيّة والاجتماعيّة.

ونجد في تعريف التّ**نوع الثّقافي** كمصلح مركب أنّه: "التّعدد في أنماط الحياة، والقيم، والمعتقدات واللّغات والتّقاليد، وغيرها من مظاهر التّعبير الثّقافي التي تميز المجتمعات البشريّة، وهو يشكل أساسًا للتفاعل الإيجابي بين الثّقافات المختلفة، ويُعدّ شرطًا ضروريًا للتنميّة المستدامة والتّعايش السّلمي"[5]، ويشير هذا إلى أن التّنوع الثّقافي يشمل عمق الحياة الإنسانيّة من خلال أنماط المعيشة، والقيم، والمعتقدات واللّغات والتّقاليد التي تُميز المجتمعات البشريّة. ويركز على أنّ لكل ثقافة طابعًا خاصًا ناتجًا عن تفاعلها مع بيئتها مما يجعل التّنوع سمة أصيلة في التّجربة الإنسانيّة. كما يسلط الضّوء على البعد الوظيفي لهذا التّنوع، إذ لا يُعد مجرد ظاهرة، بل عنصرًا أساسيًا لتحقيق التّفاعل الإيجابي بين الثّقافات، والتّأسيس لحالة من التّعايش السّلمي والتّنميّة المستدامة. بالتّالي، فإن احترام التّنوع الثّقافي يتجاوز كونه قيمة إنسانيّة إلى كونه شرطًا ضروريًا لبناء مجتمعات متوازنة ومزدهرة.

كما نجد في النّص القرآني إشارة للتنوع الثّقافي من خلال قوله تعالي: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ...** ﴾(119) سورة هود الآيّة 119/118 فكان التّعارف والتّقارب والتّثاقف أمرًا محتومًا مكتوبًا على البشريّة، فتنتشر بذلك المعارف والثّقافات وتُفهم العادات ويكون الانتقال من الثّقافة الواحدة واللّغة الواحدة إلى التّعدّد والتّنوع الذي يفتح الأبواب أمام تجسير حضاري إنساني كبير.

التّنوّع اللّغوي: Linguistic Diversity: جيء في القصد منه أنّه، "تعدد الصّيغ المختلفة في لغة من اللّغات"[6] يشير هذا المفهوم إلى تنوّع الأشكال اللّغويّة التي يمكن أن تُستخدم في لغة معينة ويعكس هذا التّنوّع تعدديّة المعاني، والأساليب، والهويات اللّغويّة داخل المجتمع المتحدّث بتلك اللّغة، وفي ذات السّياق نجد انقسام اللّغويين في تحديد معنى هذا المصطلح ومساواته مع مصطلح "**التّعدّد اللغوي**" حيث ترى طائفة أنّ "التّعدّد يعني في نهايته التّنوع بغيّة معرفة القيمة وتقييم الذات"[7] ومن بين القائلين بهذا التّرادف نجد "جولييت غارمادي" والتي حاولت الجمع بين هذين المصطلحين تحت ما يسمى ب: "**التّبايُن اللّساني**" حيث "يتجلى في استعمالات وفي بنى منظومة واحدة، كذلك من الممكن أن يتميز هذا النّشاط بالتّباين بين الالسّنة"[8] فتكون زاويّة النّظر في هذا المقام ثابتة في أنّ التّنوّع اللّغوي أو التّعدّد اللّغوي أو التّباين اللّساني مرادفات لمفهوم واحد يكمن في أنّ التّنوّع عبارة عن اختلاف الاستعمالات التي يمكن للجماعة اللّغويّة أن تمارس بها المنظومة اللّسانيّة.

ونجد الطائفة الثّانيّة التي تفرّق بين المصطلحين على غرار" كمال بشر الذي يدل التّنوّع اللغوي عنده على الانقسام والتّفرّع والتّشعّب، إضافة إلى الثّنائي "ميلروي جيمس وليسلي" والذي يدل كذلك هذا المصطلح عندهما على التّغيير"[9]، ويحدّد "لويس كالفن" مفهوم التّعدّديّة اللّغويّة فيقول بأنّه: "قدرة الفرد على استخدام أكثر من لغتين"[10] إضافة إلى "مايكل كلين" والذي يعرّف التّعدّد اللّغوي بأنّه "مصطلح يحيل سواء على استعمال اللّغة أو على قدرة الفرد أو على الوضعيّة اللّغويّة في أمّة كاملة أو مجتمع"[11].

ومن خلال هذا يمكننا القول بأنّ التّنوّع اللّغوي يشير إلى التّغيير الذي يحصل على مستوى بنيّة اللّغة أما التّعدّد اللغوي فهو القدرة سواء على مستوى الفرد أو المجتمع على استعمال أكثر من لغة واحدة، ومهما يكن من أمر فإنّنا نرى أنّ كلّ تنوعٍ لغوي يحتوي بدوره على التّعدد، وكل تعددّ لغوي يشكل تنوّعًا هو الآخر.

الهويّة المشتركة: Shared Identity: تعني "الهويّة": «إحساس الفرد أو الجماعة بالذات، إنّها نتيجة وعي الذات بأنّني أو نحن نمتلك خصائص مميزة، ككينونة تميّزني عنك وتميّزنا عنهم»[12]، فهي بمثابة البطاقة الشّخصيّة المسؤولة عن إثبات حقيقة الفرد.

أشار "محمد عمارة" إلى أن: "هويّة الشّيء ثوابته لا تتجدد، ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنّسبة للإنسان، يتميّز بها عن غيرها وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلّما أزيلت من فوقها طوارئ اللّمس، أمّا الشّفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون، باعتباره منتميا لتلك الجماعة"[13]، ويمكننا القول حينئذ إنّ الهويّة هي الملمح المميّز لشيء عن غيره، أو شخص عن غيره، ويكون معنى الهويّة المشتركة في هذا المقام أنّها نسق من المعايير المشتركة بين الأفراد والجماعات، التي تعكس ثقافتهم ولغتهم وعقيدتهم داخل أو خارج المجتمع.

التّنوّع عنصر الهويّة الوطنيّة والعالميّة: يشكّل التّنوّع الثّقافي واللّغوي أحد أهمّ العوامل المحوريّة في تشكيل الهويّة سواء أكانت وطنيّة أم عالميّة حيث يلعب هذا التّنوّع دورًا محوريًا في عمليّة تشكيل المجتمعات الحديثة وبناءها من خلال سياقاته المتعدّدة، وقد أشار تقرير اليونسكو إلى أن "التّنوّع الثّقافي هو قوة دافعة للتنميّة، ليس على مستوى النّمو الاقتصادي فحسب، بل أيضًا كوسيلة لعيش حياة فكريّة وعاطفيّة وأخلاقيّة وروحيّة أكثر ثراءً"[14] ما يعكس أهميّة هذا التّنوع في تعزيز الهويّة بأبعادها المختلفة، ولعلّ الهويّة الوطنيّة لا تقتصر على مكونات ثقافيّة ولغويّة واحدة بل تمتاز بالتّعدّد والشّموليّة في العادات والتّقاليد والأنماط الفكريّة واللّغويّة ما يجعل الهويّة الوطنيّة أكثر مرونة وانفتاحا، و في هذا السّياق، يرى عالم الاجتماع "مانويل كاستلز" أن "الهويات تُبنى على أساس مصدر المعنى، لكنها ليست منغلقة، بل تتكوّن في تفاعل مستمر مع الهويات الأخرى ضمن فضاءات ثقافيّة متعددة"[15] من هنا، يكون التّنوع الثّقافي واللّغوي مصدر قوة للهويّة الوطنيّة بدلاً من أن يكون عامل تفرقة بين الجماعات كما يعكس هذا التّنوع في مجموعة من الدّول تاريخًا طويلًا من التّعايش بين ثقافات ولغات متعدّدة، مما يعزّز الشّعور بالوحدة الوطنيّة بين المواطنين الذين ينتمون إلى خلفيات ثقافيّة ولغويّة مختلفة.

أما على الصّعيد العالمي، فالتّنوّع الثّقافي واللّغوي يمثلان أحد العوامل الأساسيّة في بناء الهويّة الإنسانيّة المشتركة، خصوصًا في عصر العولمة التي تسهم في ربط الشّعوب بعضها ببعض، في هذا السّياق، يُعتبر هذا التّنوع محركًا رئيسيًا لتعزيز الفهم المتبادل بين الثّقافات المتعّددة، ما يعزّز التّعايش السّلمي ويسهم في معالجة التّحديات الكبرى التي يواجهها العالم، مثل التّغير المناخي، والفقر، والصّراعات السّياسيّة. كما يصبح عاملًا مهمًّا لبناء جسر من التّعاون الدّولي، من خلال السّعي لإيجاد حلول جماعيّة لهذه القضايا العالميّة. وقد أشار نادر كاظم في دراسته إلى أن "التّنوع الثّقافي، بمكوناته اللّغويّة والعرقيّة والدّينيّة، يتيح للإنسانيّة فرصة فريدة لبناء عالم يسوده التّعاون المتبادل، بعيدًا عن التّفرقة والصّراعات"[16] حيث يمكن أن يساعد هذا التّنوع داخل البيئة في تعزيز التّفاهم بين الثّقافات المتعدّدة على المستوى العالمي، إضافة إلى ذلك، يُسهم التّقدير والاعتراف بالاختلافات الثّقافيّة كجزء من التّجربة الإنسانيّة العالميّة في تعزيز التّضامن بين الشّعوب. وهذا يعكس فهمًا أعمق لمفهوم العولمة باعتبارها عمليّة تواصل بين الثّقافات المتنوعة، تتطلب احترام التّنوع والتّفاعل المستمرين بين تلك الثّقافات لتجاوز التّحديات المشتركة.

تحدّيات الوحدة في ظل التّنوّع الثّقافي واللّغوي: على الرّغم من أنّ التّنوع الثّقافي واللّغوي يمكن أن يكون مصدرًا للقوة والثّراء، إلّا أنه في بعض الأحيان يمكن أن يشكلا تحدّيًا لعمليّة بناء الهويّة الوطنيّة المتماسكة حيث نجده في أغلب الدّول يؤدي إلى صراعات هوياتيّة حول السّيّادة الثّقافيّة، ويتباين من خلال ذلك معنى الهويّة الوطنيّة وكيفيّة تحقيقها، وهو ما يعيق تحقيق الوحدة الوطنيّة في شقها العام، ويمكن أن نجمل هذه التّحدّيات على النّحو الآتي:

التّحديات السّياسيّة: تُشكّل الاختلافات الثّقافيّة واللّغويّة سببًا رئيسيًا للنزاعات حول السّلطة، وسببًا محوريًا في نشوء توترات سياسيّة داخل الدّول، خاصّة في المجتمعات التي تتّسم بالتّعدّد الثّقافي دون وجود سياسات شاملة لاحتواء هذا التّعدّد بشكل عادل. وغالبًا ما تسعى بعض الجماعات إلى فرض لغتها أو ثقافتها باعتبارها "الهويّة المعياريّة" التي يجب أن تسود، وهو ما يولّد شعورًا بالإقصاء والتّهميش لدى المجموعات الأخرى. ويصبح التّنوّع في هذه الحالة لا عامل غنى، بل مصدراً للخلاف والصّراع حول من يملك شرعيّة تمثيل الأمّة.

وفي كثير من الحالات، تتعارض اللّغات والثّقافات المختلفة داخل الدّولة الواحدة، ليس فقط على المستوى الرّمزي، بل كذلك في المجال المؤسسي والتّشريعي، مما يجعل من الصّعب بناء هويّة وطنيّة واحدة جامعة. وفي هذا السّياق، يُشير الباحث محمد الشّامي إلى أن "النّزاعات الثّقافيّة داخل الدّولة غالبًا ما تكون نتيجة غياب الاعتراف بالتّعدد، وتَحوُّل الهويّة من إطار جامع إلى أداة إقصاء، تفرض رؤيّة أحاديّة للانتماء الوطني"[17] من هنا، فإن غياب الاعتراف المتبادل بين الجماعات الثّقافيّة قد يؤدي إلى انقسامات داخليّة ويُضعف مشروع الدّولة الحديثة، التي تسعى في جوهرها إلى تكوين عقد اجتماعي يقوم على المواطنة لا الانتماءات الثّقافيّة الضّيقة.

التّحديات الاجتماعيّة: في خضمّ التّنوّع، يعاني العديد من الأفراد والجماعات من التّمييز الاجتماعي على أساس لغوي أو ثقافي، حيث يتحوّل التّنوع من مصدر غنى وثراء إلى سبب للإقصاء والتّهميش خاصّة عندما ترتبط اللّغة أو الثّقافة بالانتماء إلى أقليّة عرقيّة أو دينيّة. ويمسّ هذا التّمييز مختلف مناحي الحياة اليوميّة، من

فرص العمل، إلى الحق في التّعليم، وصولًا إلى السّكن والمشاركة السّياسيّة، ممّا يؤدي إلى خلق تفاوتات مجتمعيّة صارخة. ويُعدّ هذا الوضع من أبرز الأسباب التي تُنتج ما يُعرف بالعنصريّة البنيويّة حيث لا يكون التّمييز مجرد ممارسات فرديّة، بل يصبح مكرّسًا ضمن السّياسات والنّظم الاجتماعيّة. وقد أشار الباحث فرانز فانون إلى أنّ "العنصريّة لا تُولد من كراهيّة فرديّة، بل تُبنى ضمن نظام اجتماعي يجعل الآخر دائمًا في موقع التّابع"[18]، وهو ما يفسّر كيف يتحوّل التّنوع غير المُدار إلى أداة لإعادة إنتاج الفوارق الاجتماعيّة.

وتزداد خطورة هذه الظاهرة عندما يُنظر إلى اللّغات والثّقافات غير المهيمنة على أنّها "أدنى"، ممّا يؤثّر في تقدير الذات والانتماء لدى الأفراد المنتمين إلى الأقليات، وهو ما أشار إليه بول ريكور بقوله: "الهويّة المجروحة هي نتيجة مباشرة لإنكار الاعتراف بالآخر، ورفض مكانته الرّمزيّة داخل المجتمع"[19]، وبالتّالي يُعدّ هذا التّمييز حاجزًا بنيويًا أمام بناء مجتمع متماسك، يقوم على أسس العدل، والتّعدد، والوحدة، ويُعيق التّقدّم نحو نموذج اجتماعي يثمّن الاختلاف بدل أن يُقصيه.

التّحديات التّعليميّة: يواجه النّظام التّعليمي اليوم، خصوصًا في الدّول المتعددة ثقافيًا ولغويًا، تحديات متزايدة في التّوفيق بين تعليم اللّغات الرّسميّة وفهم الثّقافات المتنوعة داخل المجتمع الواحد. فغالبًا ما يُعاني الطلبة الذين يتحدثون لغات غير اللّغة الرّسميّة للبلد من صعوبات مزدوجة، تتمثل في حاجز اللّغة من جهة وفي ضعف التّمثيل الثّقافي داخل المناهج من جهة أخرى. ولا يقتصر الأمر على تعليم اللّغة، بل يمتد إلى الفشل في دمج الخلفيات الثّقافيّة للطلاب، مما يؤدي إلى ضعف التّواصل، وانتشار الصّور النّمطيّة والمفاهيم المغلوطة حول الثّقافات الأخرى.

وفي ظلّ هذا الوضع، تُصبح المدرسة بيئة غير دامجة، تُعيد إنتاج التّمييز بدل أن تتجاوزه، مما يُصعّب تحقيق الانسجام المجتمعي والوحدة في إطار هويّة وطنيّة شاملة. وقد أشار عبد الله خليل إلى هذه الإشكاليّة بقوله: "النّظام التّربوي في البلدان المتعددة الثّقافات لا يزال يفتقر إلى رؤيّة تعليميّة تراعي الخصوصيات الثّقافيّة للمتعلمين، ما يجعل المدرسة أداةً لإعادة إنتاج الإقصاء بدلًا من أن تكون فضاءً للدمج والتّفاهم الثّقافي"[20]. وبالتّالي، فإن غياب الوعي التّربوي بأهميّة التّنوع، وصعوبة إدماجه في مناهج التّعليم، يُعد من العوامل الرّئيسيّة التي تُضعف بناء هويّة مشتركة تقوم على الاحترام المتبادل والتّعدديّة.

التّحديات الاقتصاديّة: إنّ تأثير الجانب الاقتصادي في بناء هويّة موحّدة مشتركة يُعدّ مطلبًا أساسيًا لا يمكن تجاوزه، ذلك أنّ الاستقرار الاجتماعي والتّماسك الوطني يتوقفان إلى حدّ كبير على مدى تحقيق العدالة الاقتصاديّة بين مختلف مكوّنات المجتمع. غير أن التّفاوت في الفرص الاقتصاديّة يُعدّ من أكبر العوائق أمام هذا الهدف خاصّة عندما ترتبط هذه الفجوات بالتّمييز الثّقافي أو اللغوي. فالجماعات التي تنتمي إلى خلفيات لغويّة أو ثقافيّة مختلفة غالبًا ما تكون محرومة من فرص التّعليم الجيّد أو من سوق العمل بسبب الحواجز اللّغويّة، أو بسبب الصّور النّمطيّة التي تُنتجها الثّقافة المهيمنة. وتُؤدي هذه التّباينات إلى تكريس الفقر والتّهميش، فتنعكس آثارها على التّماسك الاجتماعي وتُضعف الانتماء الوطني، وفي هذا السّياق يكون "غياب العدالة الاجتماعيّة لا يؤدي فقط إلى الفقر والتّفاوت، بل يُزعزع أسس الهويّة الجماعيّة المشتركة ويحوّل الاختلافات الطبيعيّة إلى انقسامات

اجتماعيّة خطيرة"[21]. وهو ما يعني أن غياب المساواة في الحقوق والفرص يعمّق من الشّعور باللاانتماء لدى الفئات المهمّشة، ويُضعف ميزان العدالة داخل المجتمع، مما يجعل من الصّعب بناء هويّة وطنيّة تقوم على التّعدد والاحترام المتبادل.

وقد عبّر سمير أمين عن هذا البعد الاقتصادي في علاقة الفرد بالهويّة بقوله: "إنّ التّنميّة الاقتصاديّة الشّاملة لا تنفصل عن بناء وعي جماعي بالهويّة، فهي الوسيلة التي تضمن مشاركة الجميع في صياغة المستقبل دون تمييز"[22]، وبالتّالي، فإنّ العدالة الاقتصاديّة ليست مطلبًا اجتماعيًا فقط، بل شرطًا بنيويًا لتحقيق هويّة جامعة تحفظ كرامة كل فرد، بغض النّظر عن لغته أو ثقافته.

آفاق التّكامل الثّقافي واللّغوي في بناء الهويّة المشتركة: في ظلّ التّعدّد الثّقافي واللّغوي الذي يميز المجتمعات المعاصرة، لم يعد من الممكن بناء هويّة وطنيّة جامعة دون الأخذ بعين الاعتبار هذا التّنوع ليس فقط كواقع مفروض، بل كعنصر إيجابي يمكن توجيهه لخدمة الانسجام المجتمعي. ومن هذا المنطلق تبرز أهميّة البحث في الآليات والسّبل الكفيلة بتحقيق التّكامل بين المكوّنات الثّقافيّة واللّغويّة المختلفة، وذلك من خلال تبنّي سياسات شاملة تُعزز من قيم التّعايش، وتضمن الاعتراف المتبادل بين كافة فئات المجتمع. وفيما يلي عرض لأبرز الأبعاد المؤثرة في تحقيق هذا التّكامل:

- **دور السّياسات العامّة في تعزيز التّكامل الثّقافي واللّغوي:** تلعب السّياسات العامة دورًا جوهريًا في إدارة التّنوّع الثّقافي واللّغوي وتحويله إلى مصدر قوة بدلاً من كونه عامل تفرقة. فحين تعتمد الدّولة سياسات تُعزّز الاعتراف بالتّعدّد وتُؤطّره ضمن منظومة قانونيّة تضمن المساواة، تُصبح قادرة على بناء هويّة وطنيّة قائمة على المشاركة والانتماء. ويتجلّى ذلك في سنّ قوانين تحمي اللّغات والثّقافات المحليّة، وتوفّر فضاءات للتعبير والتّفاعل المتبادل، وهو ما أشار إليه إبراهيم أبو عياش بقوله: "لا يمكن تحقيق وحدة وطنيّة حقيقيّة دون أن تعكس السّياسات العامة احترامها لتعدد الانتماءات الثّقافيّة واللّغويّة داخل المجتمع"[23]، فالسّياسات الرّسميّة لا تؤدي فقط دورًا تنظيميًا بل تشكل الأداة الأساسيّة في رسم ملامح الهويّة الوطنيّة. إذ من دون الاعتراف المؤسسي بالتّنوع، تبقى محاولات التّعايش مجرد شعارات فارغة، ما يجعل التّكامل مسألة سياسيّة في جوهرها.

- **برامج التّعليم والتّوعيّة التي تدعم التّنوّع الثّقافي:** يمثّل التّعليم الوسيلة الأنجع لترسيخ قيم التّنوّع والتّعايش داخل المجتمعات، فحين تُدمج المناهج الدّراسيّة برؤيّة منفتحة على الثّقافات المختلفة، وتُعرض محتويات متعدّدة لغويًا وثقافيًا، فإنها تُرسّخ لدى المتعلّم تقديرًا للاختلاف واحترامًا له. كما أن برامج التّوعيّة المجتمعيّة تُسهم في مواجهة الصّور النّمطيّة، وتُعزّز من فهم الآخر في بيئة متعددة الهويّات، وفي هذا الإطار، يوضّح خالدّ الزهراني أنّ "التّعليم المتعدّد الثّقافات هو البوابة الأولى لبناء وعي جمعي يؤمن بالاختلاف ويعتبره مصدرًا للغنى لا للتهديد"[24]. فيلعب النّظام التّربوي بذلك دوراً جللاً في تعزيز ثقافة التّعدد وهو ما يُشكّل أساسًا لأي مشروع وطني يستهدف بناء وحدة شاملة. فالتّعليم الذي يحتضن التّنوع لا ينقل المعرفة فقط، بل يُعيد تشكيل نظرة الأفراد إلى الآخر المختلف.

- **تعزيز القيم الإنسانيّة المشتركة في بناء الهويّة الوطنيّة:** تشكّل القيم الإنسانيّة المشتركة مثل العدالة والكرامة، والحريّة، والمساواة، قاعدة أساسيّة لبناء هويّة وطنيّة جامعة تتجاوز الفروقات العرقيّة والثّقافيّة. فالتّركيز على هذه القيم يسهم في تشكيل إحساس جماعي بالانتماء إلى الوطن، دون طمس الخصوصيات. كما تُسهم هذه القيم في التّأسيس لعقد اجتماعي جديد يُراعي الجميع دون إقصاء، "فليست الهويّة في ذاتها هي ما يصنع التّماسك بل القيم التي تُنظم العلاقة بين المختلفين داخل الإطار الواحد"[25]، وهذا يؤكد على أنّ التّماسك الوطني لا ينبني فقط على عناصر الثّقافة أو اللّغة، بل على منظومة من القيم تُجسّد العيش المشترك. فحين تتحوّل القيم الإنسانيّة إلى رابط بين المواطنين، يصبح التّنوع عامل إثراء لا تهديد.

- **النّموذج الدّيمقراطي الشّامل الذي يعترف بحقوق الأقليات الثّقافيّة واللّغويّة:** إنّ الدّيمقراطيّة الحقيقيّة لا تقتصر على آليات الانتخاب والتّداول السّلمي للسلطة، بل تشمل أيضًا الاعتراف العملي بحقوق الجماعات الثّقافيّة واللّغويّة المختلفة. فتبنّي نموذج ديمقراطي شامل يُراعي خصوصيات الأقليات ويضمن مشاركتها في القرار السّياسي والثّقافي، يُعد شرطًا أساسيًا لتحقيق الانسجام الاجتماعي والتّوازن الهويّاتي، ويمكن تلخيص هذه الفكرة بأنّ "الدّيمقراطيّة لا تكتمل إلا حين تكون ضامنة لحقوق المجموعات الصّغرى، لا في تمثيلها السّياسي فقط، بل في صيانة ثقافتها ولغتها وحقها في التّعبير"[26]، حيث أنّ الدّيمقراطيّة الحقيقيّة تتجاوز الجانب الإجرائي نحو البُعد القيمي الذي يضمن التّنوع، إذ لا معنى لمشاركة سياسيّة تُقصي الهويّات الثّقافيّة أو اللّغويّة. فحمايّة خصوصيات الأقليّات تمثل الشّرط الأخلاقي والسّياسي لتحقيق وطن للجميع.

خاتمة: ونافلة القول ها هنا أنّ التّعدّد الثّقافي واللّغوي يشكلان حلقة مشتركة للبشريّة جمعاء، ومصدرًا لتجدد الأفكار والانفتاح على الأخر، كونهما وسيلة لتحقيق الوحدة والتّنميّة، بالرّغم من الإشكالات المترتّبة عنهما والتي تمس الميادين الأكثر تأثيرًا على مستوى الدّولة، وما قد تطرحه هذه الفوارق من صعوبات تتعلق بالوحدة الوطنيّة والتّكامل الاجتماعي، فإنَّ التّحديات السّياسيّة والاجتماعيّة والتّعليميّة التي يثيرها التّنوع يمكن أن تُحوَّل إلى محركات للتقدم والتّنميّة، إذا ما تم التّعامل معها بحكمة ورؤيّة شاملة، ولا شك في أنّ بناء هويّة وطنيّة مشتركة تتسع للجميع وتحتفل بتعدد الثّقافات واللّغات يتطلب تضافر الجهود على كافة الأصعدة بدءًا من تبني سياسات عامة تحترم هذا التّنوّع من جهة وتدعم التّكامل من جهة أخرى، وصولاً إلى تعزيز التّعليم الذي يزرع قيم الاحترام المتبادل وفهم الآخر. كما أن تعزيز القيم الإنسانيّة المشتركة، مثل العدالة والمساواة، يشكل حجر الزاويّة في تحقيق التّفاهم المتبادل بين مختلف المكونات الثّقافيّة واللّغويّة، مما يسهم في خلق بيئة مجتمعيّة أكثر تماسكًا وتطورًا.

توصيات: وفي الأخير يمكن إجمال مجموعة من التّوصيات تمّت بلورتها من خلال مناقشة فحوى الورقة البحثيّة، نُمثّلها فيما يلي:

- تمويل مشروعات بحثيّة تدرس تأثير التّنوع الثّقافي واللغوي على التّنميّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة؛
- دعم برامج الابتكار التي تهدف إلى حل التّحديات التي يفرضها التّنوع الثّقافي؛
- تضمين مواضيع تتعلق بالتّنوع الثّقافي واللغوي في المناهج الدّراسيّة لتعريف الطلاب بتاريخ وثقافات ولغات مختلفة؛

- تبني سياسات حكوميّة تضمن المساواة بين الثّقافات واللّغات المختلفة؛
- دعم الشّركات والمشاريع التي تسهم في تعزيز التّنوع الثّقافي وتوفير بيئات عمل شاملة؛
- تطوير منصات رقميّة تعزز التّبادل الثّقافي بين الأفراد من خلفيات ثقافيّة ولغويّة مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أبو عياش، السّياسات الثّقافيّة في الوطن العربي: نحو تكامل ثقافي، مركز دراسات الوحدة العربيّة بيروت – لبنان 2017م.
- إبراهيم خليل سلمان، الهويّة والثّقافة، مجلة سورمي، سوريا، العدد15، 2016م.
- جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعيّة، ط 01، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت – لبنان 1990م.
- حسن حنفي، الهويّة: من التّعدد إلى التّوحيد، دار قباء، القاهرة – مصر، 2002م.
- حسيبة مصباحي، التّعدد اللغوي بين المقدس والمدنس، مجلة إشكاليات في اللّغة والأدب، معهد الآداب واللّغات تامنغست الجزائر، العدد 08، 2015م.
- حنان عواريب، مدخل إلى التّعدديّة اللّغويّة نحو تصور شامل للمصطلح والمفهوم، مجلة الذاكرة مخبر التّراث اللغوي والأدبي الجزائر، العدد 09، 2017م.
- خالدّ الزهراني، التّعليم والتّنوع الثّقافي: مقاربة نقديّة، مكتبة الرّشد، الرّياض، 2019م.
- خديجة محمد كمال سعد الشّاذلي، التّنوع الثّقافي وآليات تعزيزه بالتّعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر مجلة كليّة التّربيّة جامعة بني سويف، مصر.
- راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدّولة الإسلاميّة مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان 1993م.
- سمير أمين، في نقد الخطاب العربي الرّاهن، دار الفارابي، بيروت – لبنان، 2005م.
- صبري إبراهيم السّيد، ص 33، نقلا عن محمد عفيف الدّين دمياطي، مدخل إلى علم اللّغة الاجتماعي مكتبة اللسان العربي أندونيسيا، 2017م، ط 02.
- عبد الله خليل، التّربيّة والتّنوع الثّقافي في الوطن العربي، دار المناهج للنشر والتّوزيع، عمان، 2020م.
- فرانز فانون، بشرة سوداء، أقنعة بيضاء، ترجمة حسان بورقيّة الدّار البيضاء: دار الآفاق الجديدة 1981م.
- فلوريان كولماس، دليل السّوسيولسانيات، ط 01، ترجمة: خالدّ الأشهب وماجدولين النّهيبي، المنظمة العربيّة للترجمة: لبنان 2009م.
- لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغويّة، ط 01، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربيّة للتّرجمة لبنان 2008م.
- محمد الشّامي، سوسيولوجيا الثّقافة والهويّة في الوطن العربي، المركز الثّقافي العربي، الرّباط، 2019م.
- محمد عابد الجابري، الهويّة الثّقافيّة والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان 1994م.
- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهويّة الثّقافيّة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة مصر 1999م ط 01.
- نادر كاظم، التّنوع الثّقافي في عصر العولمة، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، 2016م.
- اليونسكو، إعلان اليونسكو العالمي بشأن التّنوع الثّقافي المعتمد في المؤتمر العام لليونسكو في دورته الحاديّة والثّلاثين 02 نوفمبر، 2001م، باريس.
- Manuel Castells, The Power of Identity, 2nd ed. (Malden, MA : Blackwell Publishing, 2010.
- Paul Ricoeur, The Course of Recognition, trans. David Pellauer (Cambridge, MA : Harvard University Press, 2005
- UNESCO. Convention on the Protection and Promotion of the Diversity of Cultural Expressions. Paris : United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2005. https://en.unesco.org/creativity/convention.

الهوامش:

[1] – خديجة محمد كمال سعد الشّاذلي، التّنوع الثّقافي وآليات تعزيزه بالتّعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر، مجلة كليّة التّربيّة جامعة بني سويف، مصر، عدد يناير، الجزء 02، ص 325.

[2] – ينظر، المصدر نفسه، ص 328.

[3]– المصدر نفسه، ص 328.

[4] – اليونسكو، إعلان اليونسكو العالمي بشأن التّنوع الثّقافي المعتمد في المؤتمر العام لليونسكو في دورته الحاديّة والثّلاثين، 02 نوفمبر، 2001م، باريس، اليونسكو، المادة 01، ص 03.

[5] –UNESCO. Convention on the Protection and Promotion of the Diversity of Cultural Expressions. Paris : United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2005. https://en.unesco.org/creativity/convention.

[6] – صبري إبراهيم السّيد، ص 33، نقلا عن محمد عفيف الدّين دمياطي، مدخل إلى علم اللّغة الاجتماعي، مكتبة اللسان العربي، أندونيسيا، 2017م، ط 02، ص 50.

[7] – حسيبة مصباحي، التّعدد اللغوي بين المقدس والمدنس، مجلة إشكاليات في اللّغة والأدب، معهد الآداب واللّغات تامنغست الجزائر، العدد 08، 2015م، ص 125.

[8] – جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعيّة، ط 01، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت – لبنان، 1990م، ص 32.

[9]– ينظر، حنان عواريب، مدخل إلى التّعدديّة اللّغويّة نحو تصور شامل للمصطلح والمفهوم، مجلة الذاكرة، مخبر التّراث اللغوي والأدبي، الجزائر، العدد 09، 2017م، ص 54.

[10] – لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغويّة، ط 01، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، 2008م ص 397.

[11] – فلوريان كولماس، دليل السّوسيولسانيات، ط 01، ترجمة: خالدّ الأشهب وماجدولين النّهيبي، المنظمة العربيّة للترجمة لبنان 2009م، ص 649.

[12] – إبراهيم خليل سلمان، الهويّة والثّقافة، مجلة سورمي، سوريا، العدد15، 2016م، ص 36.

[13] – ينظر، محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهويّة الثّقافيّة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1999م ط 01، ص 06.

[14] – UNESCO, Investing in Cultural Diversity and Intercultural Dialogue (Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2009)، P 10.

[15] – Manuel Castells, The Power of Identity, 2nd ed. (Malden, MA : Blackwell Publishing, 2010) P 07.

[16] – نادر كاظم، التّنوع الثّقافي في عصر العولمة، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، 2016م، ص 78.16

[17] – محمد الشّامي، سوسيولوجيا الثّقافة والهويّة في الوطن العربي، المركز الثّقافي العربي، الرّباط، 2019م، ص 102.

[18] – فرانز فانون، بشرة سوداء، أقنعة بيضاء، ترجمة حسان بورقيّة الدّار البيضاء: دار الآفاق الجديدة، 1981م، 45.

[19] – Paul Ricoeur, The Course of Recognition, trans. David Pellauer (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2005) P 17.

[20] – عبد الله خليل، التّربيّة والتّنوع الثّقافي في الوطن العربي، دار المناهج للنشر والتّوزيع، عمان، 2020م، ص 67.

[21] – محمد عابد الجابري، الهويّة الثّقافيّة والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان، 1994م، ص 54

[22] – سمير أمين، في نقد الخطاب العربي الرّاهن، دار الفارابي، بيروت – لبنان، 2005م، ص 91.

[23] – إبراهيم أبو عياش، السّياسات الثّقافيّة في الوطن العربي: نحو تكامل ثقافي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان 2017م، ص 54.

[24] – خالدّ الزهراني، التّعليم والتّنوع الثّقافي: مقاربة نقديّة، مكتبة الرّشد، الرّياض، 2019م، ص 88.

[25] – حسن حنفي، الهويّة: من التّعدد إلى التّوحيد، دار قباء، القاهرة – مصر، 2002م، ص 41.

[26] – راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدّولة الإسلاميّة مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت – لبنان، 1993م، ص 132.

العلاقة بين التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافيّ واستراتيجيات تعزيز وحدة الهويّة وتحقيق الوئام بين المُجتمعات اللّغويّة المختلفة في البَلَد الواحدْ

ط. د. رئاب القاسم طالب
د. كراش بن خولة
جامعة تيارت

ملخّص: إنّ التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ من الظواهر الاجتماعيّة المميّزة للمجتمعات، إذ يسهم في تشكيل الهويات الفرديّة والجماعيّة ويعكس تنوّع القيم والثّقافات، رغم كونه عاملًا يثري الحضارات ويعزّز التّفاعل الإيجابي بينها، إلاّ أنّ تأثيره على وحدة الهويّة والاستقرار الاجتماعي متعلّق بآليات إدارته داخل المجتمع. فما العلاقة بين التّعدد اللّغويّ في المجتمع وتنوع ثقافاته وما استراتيجيات المجتمع متعدّد اللّغات والثّقافات لتحقيق الاستقرار والوئام وبالتّالي الاستفادة من هذا التّنوّع؟

العلاقة بين التّنوع اللّغويّ والهويّة الثّقافيّة: من أهم اركان الهويّة الثّقافة اللّغة والتّاريخ المشترك، لذا فتنوع اللّغة يثري التّنوع الثّقافي ويعزز الهويّة الثّقافيّة للمجتمع متعدّد اللّغات، كما يؤثّر على الهويّة فاعتماد سياسات لغويّة تعترف بحقوق جميع الجماعات اللّغويّة يسهم في الحفاظ على التّماسك الاجتماعي.

أثر التّنوع الثّقافي واللّغويّ على الاستقرار الاجتماعي هو تعزيز التّفاعل والتّواصل والانتماء إلى المجتمع فالوطن، وكذا تحقيق التّنميّة المستدامة عبر الاستفادة من التّعدديّة الثّقافيّة، لذلك وجب وضع آليات واستراتيجيات لتعزيز الوحدة والاستقرار الاجتماعي عن طريق التّعليم متعدد اللّغات والذي يسهم في تعزيز فهم الثّقافات المختلفة وتقليل الفجوات اللّغويّة بين الأفراد وسياسات الدّمج الثّقافي من خلال الاحتفاء بالتّنوع وتعزيز قيم المواطنة المشتركة وكذا الاعلام العاكس للتّنوع عبر تقديم محتوى يشمل مختلف الثّقافات واللّغات وتشجيع الحوار بينها لتحقيق بيئة التّقبل والتّعاون.

يمكن أن يكون التّنوع الثّقافي واللّغويّ مصدر قوة واستقرار إذا أُدير بشكل يعزز الهويّة الوطنيّة المشتركة، كتبنّي سياسات تدعم التّنوع مع تعزيز الوحدة الوطنيّة ممّا يضمن تحقيق مجتمع أكثر استقرارًا وتعايشًا.

مقدّمة: يُعدّ التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافي من الخصائص الجوهريّة التي تميّز المجتمعات الإنسانيّة إذ يشكّلان امتدادًا طبيعيًا للتفاعلات التّاريخيّة والجغرافيّة والسّياسيّة داخل أي مجتمع. فليس هناك مجتمع خالٍ تمامًا من الفروقات اللّغويّة أو الثّقافيّة، حتى في أكثر الدّول تجانسًا من حيث اللّغة أو الإثنيّة. وتكتسي هذه الظاهرة أهميّة متزايدة في ظل العولمة والانفتاح على الآخر، وما ينتج عنه من تداخل ثقافات وتعدد في المرجعيات والهويات، وعلى الرّغم من كون هذا التّنوّع عامل إثراء للحضارات، ومصدرًا للابتكار والتّكامل الاجتماعي، فإنه يمكن أن يتحوّل في بعض السّياقات إلى عنصر توتّر أو انقسام خصوصًا إذا لم تُصَغ له سياسات عموميّة رشيدة تضمن الإنصاف والاعتراف بالتّعدّد داخل الوحدة. ويبرز التّحدي الأكبر في كيفيّة إدارة هذا التّعدد بطريقة تحفظ الهويّة الوطنيّة وتكرّس الانتماء الجماعي دون الوقوع في فخ الإقصاء أو الذوبان.

من هذا المنطلق، يتناول هذا البحث العلاقة بين التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع الثّقافي، وكيف يمكن تحويلهما إلى أدوات فاعلة لتعزيز وحدة الهويّة الوطنيّة وتحقيق الوئام داخل المجتمعات متعددة المكونات، مع الاستدلال بمثال الجزائر بوصفها نموذجًا حيًا للتعدد اللّغويّ والثّقافي في بلد واحد، وتتمثل الإشكاليّة المحوريّة التي يسعى هذا البحث للإجابة عنها في السّؤال الآتي: **ما العلاقة بين التّعدّد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي في المجتمعات، وكيف يمكن صياغة استراتيجيات فعالة تعزّز وحدة الهويّة وتضمن الوئام بين مختلف المكونات اللّغويّة والثّقافيّة؟** والتي يمكن تقسيمها إلى أسئلة فرعيّة تبين خطة البحث وتسهل الإجابة عنها وهي:

-كيف ينعكس التّعدّد اللّغويّ على بنيّة الهويّة الوطنيّة؟

-ما طبيعة العلاقة بين اللّغة والثّقافة في السّياقات المتعددة؟

-ما التّحديات التي تواجه المجتمعات متعددة اللّغات والثّقافات؟

-ما هي الآليات المقترحة لتحقيق التّوازن بين الوحدة والتّنوّع؟

-كيف يمكن الاستفادة من تجربة الجزائر في هذا السّياق؟

أهميّة البحث: تكمن أهميّة البحث في راهنيّة موضوعه وامتداده في الواقع الاجتماعي والسّياسي والثّقافي، خاصّة في الدّول التي تسعى لبناء لحمة وطنيّة جامعة دون إلغاء الخصوصيات المحليّة. كما يسهم في تقديم رؤيّة متوازنة حول التّعدّد، تحوّله من مصدر خلاف إلى فرصة للتكامل.

أهداف البحث

- توضيح مفهوم التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي وأبعادهما الاجتماعيّة؛
- تحليل تأثير هذا التّعدد على الهويّة الوطنيّة والوحدة المجتمعيّة؛
- عرض أبرز التّحديات التي تواجه المجتمعات المتعددة لغويًا وثقافيًا؛

- اقتراح استراتيجيات وآليات ناجعة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي عبر إدارة التّنوع؛
- تسليط الضوء على نموذج الجزائر في هذا السّياق.

وقد اعتمدنا **المنهج الوصفي التّحليلي** كإطار منهجي لهذا البحث، بالنّظر إلى طبيعة الموضوع وارتباطه بالمعطيات الواقعيّة والسّياقات الاجتماعيّة والثّقافيّة. كما تمّ توظيف المنهج المقارن عند الاستدلال بالنّموذج الجزائري ومقارنته ببعض المفاهيم النّظريّة العامة. وقد تم دعم التّحليل بتوثيق أكاديمي من مراجع متخصصة في علم الاجتماع، والسّياسات اللّغويّة، والدّراسات الثّقافيّة.

أوّلا: مفهوم التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي:

1-1 تعريف التّعدد اللّغويّ: يعدّ التّعدد اللّغويّ من المفاهيم الأساسيّة التي تتعلق بتعدّد اللّغات داخل المجتمع الواحد. يشير هذا المفهوم إلى الوضع الذي تتواجد فيه عدة لغات حيّة في نفس المجتمع، حيث تستخدم كل لغة في سياقات معينة مثل التّعليم، الإعلام، العمل، أو التّواصل الاجتماعي. يتميز التّعدّد اللّغويّ بوجود أكثر من لغة وطنيّة أو رسميّة في بعض الحالات، ما يعكس التّنوع الثّقافي والاجتماعي في هذا المجتمع.

وفقًا للباحث "جون ماكنيل"، يشير التّعدد اللّغويّ إلى استخدام أكثر من لغة واحدة في حياة الأفراد اليوميّة، وهو يتجسد في مختلف جوانب الحياة مثل العائلة، المدارس، والأعمال التّجاريّة. ويُعتبر التّعدّد اللّغويّ من أهم العناصر التي تسهم في تكوين الهويّة الثّقافيّة للأفراد والجماعات، حيث تُعتبر اللّغة أحد الوسائل الأساسيّة للتعبير عن الذات والفكر والثّقافة.[1]

وفي السّياق الجزائري، يعتبر التّعدد اللّغويّ ظاهرة معقّدة، حيث يتحدث المواطنون الجزائريّة عدّة لغات: العربيّة، الأمازيغيّة، الفرنسيّة، واللهجات المحليّة. حيث أقرّ الدّستور الجزائري لعام 2016 بأن الأمازيغيّة هي لغة رسميّة إلى جانب العربيّة، وهذا يعد إقرارًا رسميًا بأنّ الجزائر هي مجتمع متعدّد اللّغات، ويشكل ذلك تحديًا في إدماج هذه اللّغات في النّظام التّعليمي والإعلامي بشكل متوازن.

2-1 مفهوم التّنوع الثّقافي: التّنوع الثّقافي هو وجود تباين في ثقافات مختلفة داخل مجتمع واحد، بما في ذلك اللّغات، الأديان، الأعراق، العادات والتّقاليد. يمثل التّنوّع الثّقافي عنصرًا غنيًا يعزز من الفهم المشترك بين المجتمعات المختلفة ويسهم في خلق بيئة من التّعايش السّلمي والاحترام المتبادل. ينطوي هذا التّنوع على الاعتراف بأن كل ثقافة تحمل قيمًا وتجارب فريدة تستحق الاحترام والمشاركة في الحوار الحضاري.

بحسب الباحث "ليو تريفورد"، يعكس التّنوع الثّقافي قدرة المجتمع على التّكيف مع التّغيرات العالميّة وتحدياتها. حيث يساعد هذا التّنوع في تعزيز الثّقة المتبادلة بين الأفراد من خلفيات ثقافيّة مختلفة، ممّا

يسهم في تقليل التّوترات الاجتماعيّة والنّزاعات. كما أنّ التّنوع الثّقافي يعزّز من فرص الابتكار والإبداع ويؤدي إلى تنميّة اقتصاديّة وفكريّة أكبر بسبب تزايد التّنوع في الأفكار والمهارات.[2]

في الجزائر، يمثل التّنوع الثّقافي جزءًا لا يتجزأ من الهويّة الوطنيّة. فهذا البلد يحتفظ بمجموعة واسعة من الثّقافات التي تمثل تمازجًا بين العرب والأمازيغ والفرنسيين، إضافة إلى تأثيرات أخرى من الثّقافات المجاورة. وقد انعكست هذه العوامل على الحياة اليوميّة في الجزائر، خاصّة في مجالات مثل الفنّ والموسيقى والأدب، وهو ما يعكس التّنوع الغني في المجتمع الجزائري.

1-3 التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي: علاقة تفاعليّة تعتبر العلاقة بين التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي علاقة تفاعليّة، حيث يشكل كل منهما جزءًا أساسيًا من الآخر. فاللّغة ليست مجرد وسيلة للتّواصل، بل هي وعاء للثقافة، وتنقل القيم والمعتقدات والتّقاليد من جيل إلى جيل. بالتّالي، فإنّ المجتمعات متعدّدة اللّغات تكون عادة أيضًا متعددة الثّقافات، بحيث يمكن أن تشترك الثّقافات في بعض العناصر ولكن أيضًا تتمايز وتختلف في مجالات أخرى.

كما يشير "إدوارد سعيد" في كتابه "الاستشراق" أن اللّغة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالهويّة الثّقافيّة للأفراد. فاللّغة ليست فقط أداة للتعبير، بل هي الشّكل الذي يتبنى من خلاله الأفراد معاييرهم الثّقافيّة والاجتماعيّة وبهذا المعنى يكون التّعدد اللّغويّ هو أحد العناصر التي تسهم في تنوع الثّقافات داخل المجتمع، حيث أنّ كل لغة تحمل خلفها هويّة ثقافيّة وفكريّة مميزة[3].

وفي الجزائر، تتجسّد هذه العلاقة التّفاعليّة بين التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي من خلال الانفتاح على اللّغات والثّقافات المختلفة. اللّغة الأمازيغيّة، على سبيل المثال، تحمل معها ليس فقط طرقًا مختلفة للتواصل، بل أيضًا أنماطًا مختلفة من التّفكير والعيش التي تؤثر في الثّقافة الجزائريّة بشكل عامّ. وبالمثل، فإن العربيّة – بوصفها اللّغة الرّسميّة – تتفاعل مع هذه الثّقافات المختلفة، مما يؤدي إلى انصهار العديد من العادات والتّقاليد التي تعكس هذا التّعدد اللّغويّ والثّقافي.

1-4 التّحديات التي يطرحها التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي: رغم أنّ التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي يسهمان في إثراء المجتمعات، إلا أن هذه الظواهر قد تطرح أيضًا تحديات اجتماعيّة وسياسيّة. من أهم هذه التّحديات التّهميش اللّغويّ والثّقافي، حيث يمكن أن تتعرض بعض اللّغات والثّقافات للمسح أو التّهميش في حال عدم الاعتراف بها بشكل رسمي. كما أن التّعدد اللّغويّ قد يؤدي إلى فجوات اجتماعيّة إذا لم يتم إيجاد آليات للتواصل والتّفاعل بين المجموعات اللّغويّة المختلفة.

تعد الجزائر مثالاً بارزًا في هذا السّياق، حيث كانت اللّغة الأمازيغيّة لفترة طويلة مهمّشة في السّياسات العامة، وهو ما أدى إلى مشاعر التّهميش بين الأفراد النّاطقين بها. لكن بعد التّعديلات الدّستوريّة الأخيرة

التي أقرت الأمازيغيّة لغة رسميّة إلى جانب العربيّة، بدأت تظهر تحولات إيجابيّة نحو تعزيز التّنوّع الثّقافي واللّغويّ في المجتمع الجزائري.[4]

ثانيًا: تأثير التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي على الاستقرار الاجتماعي والوئام الوطني

2-1 :التّعدد اللّغويّ كعامل محفّز للتفاعل والانتماء: يُعد التّعدد اللّغويّ جزءًا أساسيًا من البناء الاجتماعي في أي مجتمع متعدد الأعراق والثّقافات. عند الاعتراف باللّغات المتعددة في البلد وتعزيز وجودها في المجالات التّعليميّة، الإعلاميّة، والقانونيّة، يسهم هذا في تحسين التّفاعل الاجتماعي بين الأفراد من مختلف المجموعات اللّغويّة، كما يعزز شعورهم بالانتماء إلى الدّولة والمجتمع بشكل عام.

يشير الباحث "جوشوا فيشمان" إلى أن سياسات "الاحترام المتبادل للغات" يمكن أن تسهم في بناء روابط قويّة بين الأفراد والجماعات المختلفة في المجتمع، مما يحسن التّفاعل الاجتماعي ويُخفّف من الانقسامات النّاتجة عن التّفاوت اللّغويّ أو الثّقافي.[5]

علاوة على ذلك، يُسهم التّعدد اللّغويّ في تعزيز التّواصل بين الأجيال، إذ أن اللّغات تحمل في طياتها تقاليد، قيمًا اجتماعيّة، ومعارف محليّة يمكن أن تسهم في نقل الهويّة الثّقافيّة بين الأفراد. على سبيل المثال، نجد أن الأطفال الذين ينشؤون في بيئة متعددة اللّغات يمكن أن يمتلكوا قدرة أفضل على التّفاعل مع الآخرين وحل المشكلات الاجتماعيّة بشكل مبتكر.

2-2 :آثار التّهميش اللّغويّ والثّقافي على النّسيج الاجتماعي: تؤدي سياسات التّهميش اللّغويّ إلى نتائج سلبيّة على استقرار المجتمع، حيث يشعر الأفراد المنتمون إلى المجموعات اللّغويّة المهمّشة بعدم المساواة والتّمييز، مما يؤدي إلى شعورهم بالاستبعاد من العمليّة الاجتماعيّة والسّياسيّة. يُعتبر هذا التّهميش أحد العوامل الأساسيّة التي تساهم في الانقسامات الاجتماعيّة وهو ما يمكن أن يؤدي إلى تكوين "معسكرات ثقافيّة" تُحافظ على هويتها من خلال التّقوقع والانفصال عن المجتمع الأكبر.

ففي العديد من الدّول التي تشهد تنوعًا لغويًا مثل الهند أو كندا، أظهرت الدّراسات أنّ عدم المساواة في اللّغة يسهم في الشّعور بالاغتراب الاجتماعي والثّقافي، ممّا يؤدي إلى نزاعات بين المجموعات اللّغويّة. كما أشار "ماثيو فاري" في كتابه الهويّة والهجرة إلى أن التّهميش اللّغويّ يمكن أن يقود إلى مشاعر بالانفصال والانتماء إلى مجموعات "مختلفة"، ما يهدد استقرار النّسيج الاجتماعي.[6]

وفي حالة الجزائر، كانت الأمازيغيّة لفترة طويلة لغة مهمّشة في السّياسات التّعليميّة والإعلاميّة، وهو ما أدى إلى إضعاف مكانتها في المجتمع، بل وعُدّت بمثابة لغة أقل شأناً من اللّغة العربيّة. هذه السّياسات خلقت شعورًا بالعزلة والانقسام لدى بعض الفئات، وهو ما دفعهم للتمسك بهويتهم الثّقافيّة واللّغويّة كوسيلة للدّفاع عن وجودهم في المجتمع.[7]

2-3 :التعدد الثقافي بوصفه مصدرًا للتنمية والاستقرار: يُعد التعدد الثقافي عنصرًا أساسيًّا في تكوين المجتمع المدني الحديث. حيث لا يقتصر دوره على تعزيز الهويّة الثّقافيّة لكل مجموعة لغويّة فحسب، بل يمتد ليُغني الحقل المعرفي والفني والاجتماعي عبر ممارسات وتقنيات مختلفة يتم التّفاعل بينها. إنّ التّعدد الثّقافي في المجتمعات يُسهم في خلق فرص جديدة للإبداع والابتكار، مما يُعزز من التّنميّة المستدامة ويقلّل من تأثيرات النّزاعات الاجتماعيّة.

على المستوى الدّولي، نرى أنّ البلدان التي تتمتع بتعدد ثقافي تميل إلى أن تكون أكثر قدرة على التّكيف مع التّغيرات السّريعة في البيئة الاقتصاديّة والاجتماعيّة. فعلى سبيل المثال، "سنغافورة" التي تحتفظ بتعدد لغوي وثقافي هائل، تعتبر من أكثر البلدان تطورًا في آسيا، بفضل قدرتها على الاستفادة من تنوعها الثّقافي في بناء قوة اقتصاديّة من خلال التّعليم والبحث والممارسات الثّقافيّة المتنوعة.[8]

في الجزائر، يعتبر التّنوع الثّقافي بمثابة مصدر رئيسي لتطوير العديد من القطاعات الحيويّة مثل السّياحة، والتّعليم، والفن. على الرّغم من التّحديات المرتبطة بالصراعات التّاريخيّة حول الهويّة، إلاّ أنّ الدّولة بدأت في إدراك أهميّة التّعدد الثّقافي في بناء مجتمع قوي قادر على مواجهة التّحديات المعاصرة. إن الاحتفاء بالثّقافة الأمازيغيّة من خلال تنظيم المهرجانات الثّقافيّة، وبرامج الإعلام الأمازيغي، يُسهم في خلق بيئة من التّعاون والانسجام بين مختلف المجموعات الثّقافيّة في المجتمع.

2-4 :التّعدد اللّغويّ والثّقافيّ في الجزائر: مثال على التّنوع والتّحديات: شهدت الجزائر تطورات كبيرة في مجال الاعتراف بالتّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي منذ الاستقلال، لكن هذه العمليّة لم تكن خاليّة من التّحديات. ففي مرحلة ما بعد الاستقلال، كانت اللّغة العربيّة هي اللّغة الرّسميّة الوحيدة، بينما تم تهميش اللّغة الأمازيغيّة، رغم أنّها كانت لغة العديد من المجتمعات المحليّة. هذا التّهميش كانت له تأثيرات سلبيّة على الهويّة الثّقافيّة للأمازيغيين، وقد أسهم في زيادة التّوترات داخل المجتمع الجزائري.

لكن مع دستور 2002 الذي أقرّ بالأمازيغيّة لغة وطنيّة، ثم الدّستور المعدل عام 2016 الذي جعلها لغة رسميّة إلى جانب العربيّة، بدأ المجتمع يشهد تحولات هامّة في العلاقات بين المجموعات الثّقافيّة المختلفة. هذا التّغيير يسهم في خلق بيئة اجتماعيّة أكثر توازنًا، حيث يحق لكل مجموعة ثقافيّة أن تعبر عن نفسها بحريّة، وأن تشارك في بناء الهويّة الوطنيّة المشتركة.

يُلاحظ أن التّنوع الثّقافي في الجزائر يسهم أيضًا في تعزيز الهويّة الوطنيّة المشتركة، والتي تقوم على التّقدير المتبادل والاحترام بين الثّقافات المختلفة. ومع مرور الوقت، بدأ النّاس يتقبلون التّنوع كجزء من القوة الوطنيّة، وبدأت هناك ممارسات تعليميّة وإعلاميّة تهدف إلى تعزيز هذا الوعي بين الأجيال الجديدة.[9]

ثالثًا: استراتيجيات تعزيز وحدة الهويّة وتحقيق الوئام في ظل التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي: في ضوء التّعقيد الذي يفرضه التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي داخل المجتمعات، خاصّة المتعددة اللّغات، تبرز الحاجة إلى وضع استراتيجيات فاعلة قادرة على صون وحدة الهويّة وضمان الاستقرار الاجتماعي، دون الإضرار بالتّنوع أو تهميش مكوناته. فالتّنوع ليس مصدرًا للانقسام بحد ذاته، إنما يصبح كذلك في غياب إدارة رشيدة وحوكمة ثقافيّة منفتحة ومتوازنة.

3-1: التّعليم متعدد اللّغات كرافعة للتعايش والوحدة: يُعدّ التّعليم أحد أبرز الأدوات الاستراتيجيّة في بناء مجتمع متماسك، حيث تسهم المناهج متعدّدة اللّغات في تنميّة الفهم المتبادل والتّقارب الثّقافي. فالتّعليم بلغات مختلفة يُرسّخ احترام الآخر، ويُقلّص من حدة التّوترات الثّقافيّة والهوياتيّة، ويُسهم في بناء هويّة جامعة تحتضن التّعدد وتوجهه نحو التّعايش.

وقد أظهرت تجارب العديد من الدّول (كالهند وسويسرا وكندا) أنّ إدماج اللّغات المحليّة والوطنيّة في المنظومة التّربويّة يُعزّز الإحساس بالانتماء ويُجنّب الإقصاء اللّغويّ الذي قد يُفضي إلى التّهميش الثّقافي والسّياسي.[10]

3- 2: سياسات الدّمج الثّقافيّ: من الاعتراف إلى التّفعيل: لا تكتفي استراتيجيات الدّمج الثّقافيّ بمجرد الاعتراف النّظري بالتّنوع، بل تتجاوز ذلك إلى التّفعيل العملي في مختلف المؤسسات: الإعلام الثّقافة، الإدارة، والمجتمع المدني. وتشمل هذه السّياسات:

- الاحتفاء بالمناسبات الثّقافيّة واللّغويّة لجميع الجماعات، من خلال أيام وطنيّة أو فعاليات رسميّة؛
- تشجيع الإنتاج الثّقافي بلغات متعددة وتوفير الدّعم للمبدعين من مختلف الخلفيات؛
- اعتماد خطاب إعلامي يعكس التّعدد ويروّج لصورة مجتمع موحّد متنوّع.

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنّ "الدّمج الحقيقي لا يتحقق إلا حين يشعر الفرد أنّ هويته الأصليّة معترف بها وغير مهددة داخل الفضاء العام.[11]

3-3: الإعلام الشّامل والتّمثيل المتوازن: يلعب الإعلام دورًا محوريًا في صياغة التّصورات الجماعيّة وإعادة إنتاج الرّموز الثّقافيّة والهوياتيّة. لذا فإنّ تمثيل مختلف اللّغات والثّقافات في وسائل الإعلام يعكس احترام الدّولة للتنوع، ويعزز وحدة الشّعور بالانتماء إلى الوطن المشترك. فالإعلام قد يكون أداة للوئام حين يُمثّل الجميع، كما قد يكون وسيلة للفرقة حين يُقصي البعض ويُكرّس هيمنة ثقافيّة واحدة.

من الضروري أن تتبنّى المؤسسات الإعلاميّة خطًا تحريريًا منفتحًا على جميع اللّغات الرّسميّة والمحليّة، وأن يتم تدريب الصحفيين على الحساسيّة الثّقافيّة وتجنب الصور النّمطيّة.

3- 4: التّعدد اللّغويّ والثّقافيّ في الجزائر: نموذج جدير بالدّراسة: تشكل الجزائر مثالًا واضحًا لمجتمع متعدد لغويًا وثقافيًا، يجمع بين العربيّة، والأمازيغيّة بمختلف لهجاتها، والفرنسيّة باعتبارها لغة تاريخ استعماري وتأثير ثقافي، ما يخلق فسيفساء لغويّة تنعكس على الهويّة الوطنيّة. وقد سعت الدّولة الجزائريّة، لاسيما منذ ترسيم اللّغة الأمازيغيّة، إلى إرساء مبدأ الاعتراف المتبادل، غير أنّ التّحديات لا تزال قائمة على مستوى تفعيل ذلك عمليًا، خاصّة في مجالي الإعلام والتّعليم. وقد بيّنت دراسة ميدانيّة أنّ "جزءًا من التّوترات المجتمعيّة في الجزائر تعود إلى ضعف إدماج الأمازيغيّة في التّعليم والإدارة، وإلى الهيمنة الرّمزيّة للفرنسيّة في قطاعات واسعة.[12]

رابعا: استراتيجيات تعزيز وحدة الهويّة وتحقيق الوئام في المجتمعات متعددة اللّغات والثّقافات: تُعدّ المجتمعات المتعددة لغويًا وثقافيًا بيئات خصبة للتنوع، لكنها في الوقت ذاته تحتاج إلى أدوات واستراتيجيات فعّالة لإدارة هذا التّعدد وضمان الانسجام الدّاخلي وتحقيق وحدة الهويّة الوطنيّة. ولأن التّعدد قد يتحول إلى مصدر خلاف وتباين في حال غياب إدارة حكيمة، وجب تسليط الضوء على الاستراتيجيات التي من شأنها أن تعزز من اللحمة الاجتماعيّة وتكرّس المواطنة الجامعة.

4-1: السّياسات اللّغويّة الشّاملة والمتوازنة: تلعب السّياسات اللّغويّة دورًا حاسمًا في إدارة التّعدّد وضمان عدم التّمييز أو التّهميش، فتبنّي سياسة لغويّة تعترف باللّغات الوطنيّة وتوظفها في التّعليم والإعلام والإدارة يعزز الانتماء المشترك. وفي هذا السّياق، يرى جوشوا فيشمان أن "اللّغة ليست فقط وسيلة تواصل بل أداة مركزيّة في بناء الهويّات الجماعيّة.[13]

مثال ذلك، اعتماد الجزائر رسميًا للغتين العربيّة والأمازيغيّة في دستورها يُعد خطوة مهمة نحو دمج مكونات الهويّة الثّقافيّة في نسيج الدّولة الوطنيّة، مما يسهم في الحد من التّوترات الهوياتيّة.[14]

4-2: التّعليم المتعدد اللّغات: يُعتبر التّعليم وسيلة استراتيجيّة لتكريس التّنوع وضمان فهم الآخر. فالتّعليم بلغات المجتمع المتعددة يخلق تواصلاً إنسانياً صحياً ويقلص من الفجوات الثّقافيّة. وقد أكّد لافونس أن "تدريس اللّغة الأم أحد أشكال العدالة اللّغويّة، وهو أمر حاسم لضمان احترام التّعدديّة ومنع الهيمنة الثّقافيّة.[15]

وفي الحالة الجزائريّة، فإن دمج اللّغة الأمازيغيّة في المنظومة التّربويّة يُعد نموذجًا على محاولة دمج مكونات المجتمع في إطار وطني جامع، يحقق العدالة اللّغويّة ويكرّس التّعدد.

4-3: الإعلام العاكس للتنوع: يلعب الإعلام دورًا محوريًا في تثبيت الصور الذهنيّة حول الذّات والآخر. إعلامٌ يُعبر عن جميع مكونات المجتمع الثّقافيّة واللّغويّة هو إعلام يُعزّز الوحدة. أما الإعلام الإقصائي فيسهم في توليد الشّعور بالاستبعاد واللاانتماء. وقد بين "معهد السّلام الأميركي" أنّ الإعلام في المجتمعات المتعددة إذا لم يعكس التّنوع فإنه يُعيد إنتاج التّهميش ويُغذي النّزاعات.[16]

من هنا تبرز أهميّة إنتاج محتوى إعلامي يعكس التّعدد اللّغويّ والثّقافي، ويعزز التّفاعل بين المكونات المختلفة، عبر منصات إعلاميّة وطنيّة جامعة.

4 .الاحتفال بالتّراث الثّقافي وتكريسه في الفضاء العامّ: يسهم إبراز الرّموز الثّقافيّة المختلفة من خلال الفضاءات العامة والمهرجانات الرّسميّة والاحتفالات الوطنيّة في تعزيز الشّعور بالاعتراف والتّمثيل. ويذهب الفيلسوف تشارلز تايلور إلى أن "الاعتراف المتبادل شرط أساسي لبناء هويّة جامعة، وهو يعزّز الشّعور بالقيمة والكرامة لدى المجموعات الهوياتيّة.[17] لذا فإنّ تضمين الرّموز الثّقافيّة واللّغويّة في الحياة العامة يسهم في جعل كل أفراد المجتمع شركاء فعليين في الفضاء الوطني.

4-5: تشجيع الحوار الثّقافي والتّعايش المؤسساتي: إنّ تفعيل مساحات حوار ثقافي مفتوح بين الجماعات اللّغويّة والثّقافيّة المختلفة، وتشجيع التّمثيل العادل في مؤسّسات الدّولة، هما من أهم آليات الحوكمة المتعددة ثقافيًا. وتؤكد منظمة اليونسكو في تقريرها حول "إدارة التّعدديّة الثّقافيّة" أن "الحوار بين الثّقافات لا يُبنى إلا بالاعتراف المتبادل، والمشاركة المؤسساتيّة المتوازنة.[18]فمن شأن هذه السّياسات أن تبني مجتمعًا متماسكًا، يستفيد من تنوعه بدل أن يتنازع بسببه.

إنّ تعزيز وحدة الهويّة الوطنيّة وتحقيق الوئام المجتمعي لا يمكن أن يتما إلا عبر آليات سياسيّة وثقافيّة وتربويّة متكاملة، تعترف بالتّنوع لا كمشكلة بل كعنصر قوة. التّعدد، إذا ما أُدير بوعي وشموليّة يصبح أداة لتحقيق الاستقرار والتّنميّة والعدالة الثّقافيّة.

خاتمة: لقد سعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة المعقدة والدّيناميكيّة بين التّعدد اللّغويّ والتّنوع الثّقافي من جهة، وبين وحدة الهويّة وتحقيق الوئام المجتمعي من جهة أخرى، مع التّركيز على ضرورة فهم هذه العلاقة في إطارها البنيوي والمؤسساتي، وبالنّظر إليها كعامل ممكن للاستقرار وليس تهديدًا له. ومن خلال تحليل المفاهيم المركزيّة ذات الصلة، واستعراض النّماذج والاستراتيجيات المختلفة لإدارة التّنوع تبيّن أنّ نجاح المجتمعات متعددة اللّغات والثّقافات في تحقيق التّماسك يرتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرتها على إدارة هذا التّعدد بصورة عادلة وشاملة.

وقد أظهرت الدّراسة أن التّعدد اللّغويّ ليس مجرد ظاهرة لغويّة، بل هو تعبير عن مكونات هوياتيّة وثقافيّة متجذّرة، وهو بذلك يتطلب معالجة متعدّدة الأبعاد تشمل الجوانب السّياسيّة والتّربويّة والإعلاميّة والثّقافيّة. كما كشفت أنّ المجتمعات التي تنتهج سياسات إقصائيّة أو تهميشيّة تؤدي إلى تعزيز الانقسامات، في حين أن المجتمعات التي تتبنى استراتيجيات إدماج واعتراف متوازن تستطيع بناء هويّة وطنيّة جامعة دون إلغاء الفروقات.

نتائج البحث:

1.التّعدد اللّغويّ والثّقافي عنصر تأسيسي للهويّة المجتمعيّة، ويُعدّ مصدر غنى حضاري حين يُدار ضمن رؤيّة شاملة تعترف بحقوق جميع المكونات دون تمييز.

2.اللّغة والثّقافة مكونان أساسيان في تشكيل الهويّة الوطنيّة، وأي إخلال بالتّوازن بين المكونات اللّغويّة قد يُفضي إلى شعور بالإقصاء لدى بعض الفئات.

3.سياسات الدّولة تجاه التّعدد هي التي تحدد ما إذا كان هذا التّعدد سيؤدي إلى الانسجام أو إلى الصراع، وهو ما يبرز دور الدّولة كمُنظم شرعي للفضاء اللّغويّ والثّقافي.

4.التّجارب النّاجحة عالميًا ومحليًا، مثل التّجربة الجزائريّة في الاعتراف بالأمازيغيّة كلغة رسميّة، تؤكد إمكانيّة المواءمة بين التّعدد والوحدة إذا ما توفرت الإرادة السّياسيّة وأدوات التّنفيذ الفعّالة.

5.غياب استراتيجيّة مندمجة تعكس التّعدّد في التّعليم والإعلام والإدارة يُكرّس الفجوة بين مكونات المجتمع، ويؤدي إلى هشاشة في الانتماء الوطني.

توصيّات:

1. إرساء سياسات لغويّة عادلة تقوم على الاعتراف الفعلي بجميع اللّغات الوطنيّة وتوظيفها في النّظام التّعليمي والإداري، بما يكرّس المساواة الرّمزيّة والعمليّة بين المكونات.

2. إصلاح منظومة التّعليم بما يراعي التّنوع اللّغويّ والثّقافي للمجتمع، ويُدمج اللّغة الأمّ للمتعلّمين ضمن البرامج التّعليميّة كوسيلة لفهم أعمق للهويّة وتحصيل معرفي أفضل.

3. تطوير الإعلام الوطني ليعكس التّنوّع الحقيقي للمجتمع، عبر دعم المحتوى المتعدّد اللّغات والثّقافات، وتوفير منصات إعلاميّة ممثلة لكل الفئات.

4. إشراك الفاعلين الثّقافيين ومؤسسات المجتمع المدني في هندسة السّياسات الثّقافيّة، بما يعزّز من مشاركة الجميع في صنع القرار الثّقافي.

5. تفعيل الحوار الثّقافي بين المكونات المختلفة من خلال المنتديات والمبادرات الوطنيّة التي تعزّز ثقافة التّعدد وتقلل من الأحكام المسبقة.

6. ضرورة تبنّي منظور تعددي في هويّة الدّولة لا ينفي الخصوصيات الثّقافيّة بل يجعل منها مصدر ثراء لبناء هويّة جامعة تقوم على قيم المواطنة والانتماء المشترك.

الإحالة والتّهميش:

[1]-McNeil, J. (2007). *Multilingualism and Identity: The Role of Language in Social Integration*. Oxford University Press, p. 22

[2]- Trevord, L. (2010). *Cultural Diversity and Social Integration*. Routledge, p. 34.

[3]- Said, E. (1978). *Orientalism*. Pantheon Books, p. 55.

[4]– بوعمامة، محمد. (2018). "السّياسة اللّغويّة في الجزائر: قراءة في التّحولات القانونيّة والاجتماعيّة"، مجلة الدّراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة وهران، العدد 42، ص 78.

[5] - Fishman, J. A. (1991). *Reversing Language Shift*. Multilingual Matters, p. 59.

[6] - Vary, M. (2013). Identity and Migration: The Role of Language in Identity Formation. Palgrave Macmillan, p. 72.

[7]– بوعمامة، محمد. (2018). "السّياسة اللّغويّة في الجزائر: قراءة في التّحولات القانونيّة والاجتماعيّة"، مجلة الدّراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة وهران، العدد 42، ص78.

[8] - Jelin, E., & Castells, M. (2003). Globalization and its Impact on Development. University of California Press, p. 102.

[9] – خليفي، محمد. (2020). "التّعدديّة الثّقافيّة في الجزائر: التّحديات والفرص"، مجلة الثّقافة الجزائريّة، العدد 15 ص45.

[10]- UNESCO. *Education in a Multilingual World*. Paris: UNESCO, 2003, p. 21.

[11] – نزار صويحة، التّعدديّة الثّقافيّة وبناء الدّولة في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2018، ص. 154.

[12] – بن فاطمة، جمال .الهويات الثّقافيّة في الجزائر: بين الاعتراف والإنكار، مجلة العلوم الاجتماعيّة، جامعة الجزائر 2 العدد 18، 2021، ص. 63.

[13]- Fishman, Joshua A., Reversing Language Shift, Multilingual Matters, 1991, p. 4.

[14] – الدّستور الجزائري، تعديل 2016، المادة 3 مكرر.

[15] - Laponce, Jean, Languages and Their Territories, University of Toronto Press, 2004, p. 23.

[16] - USIP – United States Institute of Peace, Media and Conflict: Journalism and Public Discourse in Fragile States, 2016, p. 17.

[17] - Taylor, Charles, Multiculturalism and the Politics of Recognition, Princeton University Press, 1994, p. 25.

[18]- UNESCO, Investing in Cultural Diversity and Intercultural Dialogue, UNESCO World Report, 2009, p. 35.

معجم الثّقافة الجزائريّة في خدمة التّنوّع اللّغويّ والثّقافيّ في الجزائر

أ. زينة رميلي
المجلس الأعلى للّغة العربيّة

الملخّص: معجم الثّقافة يُعدُّ نافذةً تطلُّ على ثقافة الأمّة الجزائريّة العريقة، التي تمتدُّ جذورها في أعماق تاريخ البشريّة. فقد عُثر على آثار للإنسان الجزائري في هذه الأرض الطّاهرة منذ أكثر من مليوني سنة، تاركًا وراءه إرثًا حضاريًا عظيمًا حفظته هذه الأرض الكريمة. يُبرز المعجم الثّراء الثّقافي لهذا الوطن العظيم، حيث يسلط الضّوء على جوانب متعدّدة من الثّقافة الجزائريّة الغنيّة والمتنوّعة، التي تشكّلت عبر قرون من الزمن، لتصبح نسيجًا اجتماعيًا متينًا تزداد قوةً مع مرور الأيام وتوالي الأحداث.

هذا العمل الثّقافي المتميز، الذي يتشرف المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالإشراف على طباعته، يهدف إلى تعزيز روح التّواصل البنّاء، وبناء جسور التّعايش والتّعاون والتّبادل الثّقافي بين الأمم المختلفة، مع إبراز الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة بكل تجلياتها وأشكالها. يُعتبر هذا المعجم باكورةً لمشروعٍ ثقافيٍ كبير، ومدخلاً لعملٍ جليلٍ يهدف إلى توثيق التّراث الثّقافي الجزائري. وقد زُوِّد المعجم بفهرس أبجدي لمداخله، بالإضافة إلى خريطة ثقافيّة توضّح بعض المفاهيم، وذلك تماشيًا مع عصر الرّقمنة الذي يقود دفة المعرفة في عالمنا اليوم.

الكلمات المفتاحيّة: الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة؛ التّبادل الثّقافي؛ التّراث الثّقافي؛ الوعي الثّقافي المثاقفة؛ حوار الثّقافات.

Abstract: The Dictionary of algerian Culture serves as a gateway to the rich heritage of the Algerian nation, whose roots stretch deep into the history of humanity. Evidence of human presence in this sacred land dates back over two million years, leaving behind a great civilizational legacy preserved by this generous land. The dictionary highlights the cultural richness of this great nation, showcasing the diverse and multifaceted aspects of Algerian culture, which has evolved over centuries into a strong social fabric that grows even more resilient with time and the passage of events.

This distinguished cultural work, proudly overseen by the Supreme Council of the Arabic Language, aims to foster constructive communication, build bridges of coexistence, cooperation, and cultural exchange among nations, while emphasizing the Algerian cultural identity in all its forms and expressions. This dictionary marks the beginning of a grand cultural project, serving as an entry point to a noble endeavor aimed at documenting Algeria's cultural heritage. It is equipped with an alphabetical index of its entries, along with a cultural map illustrating some key concepts, in alignment with the era of digitalization that drives the course of knowledge in our contemporary world.

The keywords: Algerian Cultural Identity; Cultural Exchange; Cultural Heritage.

المقدّمة: يُعتبر معجم الثّقافة الجزائريّة مرجعًا ثقافيًا شاملاً يُلخّص روح الهويّة الوطنيّة، ويبرز تنوّعها الغنيّ الذي تشكّل عبر آلاف السّنين ويمتدّ تاريخ الجزائر عبر تاريخها الطّويل إلى عصور ما قبل التّاريخ، حيث تُظهر الاكتشافات الأثريّة وجود الإنسان على هذه الأرض الطّاهرة منذ أكثر من مليوني سنة. هذا الإرث العريق جعل من الجزائر بوتقة انصهرت فيها حضارات متعدّدة ومتنوّعة، من المازيغيّة إلى الرّومانيّة، مرورًا بالعربيّة الإسلاميّة وصولًا إلى التّأثيرات الأوروبيّة الحديثة. يستعرض هذا المعجم بين دفّتيه مكوّنات الثّقافة الجزائريّة بكل أبعادها مرورا بالأدب والفنون إلى العادات والتّقاليد، وصولا إلى اللّغة واللهجات، والموسيقى والتّراث المادي وغير المادّي. كما يسلّط هذا السّفر الكبير الضّوء على مقوّمات الثّقافة الجزائريّة ودورها الكبير في نشر الوعي الثّقافيّ، وأثرها في تعزيز الحوار بين الحضارات، وبناء جسور التّواصل مع الآخر والإسهام في الحضارة العالميّة.

يأتي هذا المعجم نتاج جهد علميّ وفكريّ لمختصّين وباحثين في التّراث الجزائريّ، ويهدف إلى توثيق الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة وحفظها للأجيال القادمة والإسهام في صون الذّاكرة الوطنيّة، مع التّأكيد على أهميّتها في تشكيل حاضر ومستقبل الأمّة. إنّه ليس مجرّد كتاب، بل هو نافذة تُطلّ على روح الشّعب الجزائري وتاريخه العريق، ومرآة تعكس تنوّعه وثراءه الثّقافي عبر آلاف السّنين.

المشاركون في إنجاز المعجم: قام على إعداد هذا المعجم أعضاء فريق متطوّع من ثلّة من أساتذة وباحثين عبر مختلف جامعات ومراكز الوطن؛ المهتميّن بشأن التّراث والهويّة الثّقافيّة الجزائريّة، أسهموا في تدوين الثّقافة الجزائريّة في محاورها المختلفة وأطيافها المتنوّعة لينجزوا وعاءً زاخرًا بالمعلومات حاملا للثّقافة الجزائريّة ليسهل الولوج إليها، هذا العمل أنجز تحت مظلّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة، تحت القيادة الرّشيدة للبروفيسور صالح بلعيد.

محاور المعجم: شمل المعجم في محاوره الأحد عشر أزيد من ألفي مدخل، وتوزّعت على المجالات التّاليّة: الأديان والمعتقدات[1].

جدول1. عدد المداخل في معجم الثّقافة الجزائريّة [2]

المجال	عدد المداخل
الأديان والمعتقدات	47
اللغات واللهجات	18
الأقاليم والعمران	259
العادات والتّقاليد	170
الصّناعات والحرف	70
الأمثال الشّعبيّة	500

الألغاز الشّعبيّة (المحاجيات)	500
البوقالات	100
المسرح والسّينما	72
الشّعر والموسيقى	68
الرّسم والفنون التّشكيليّة	276
المجموع	**2080**

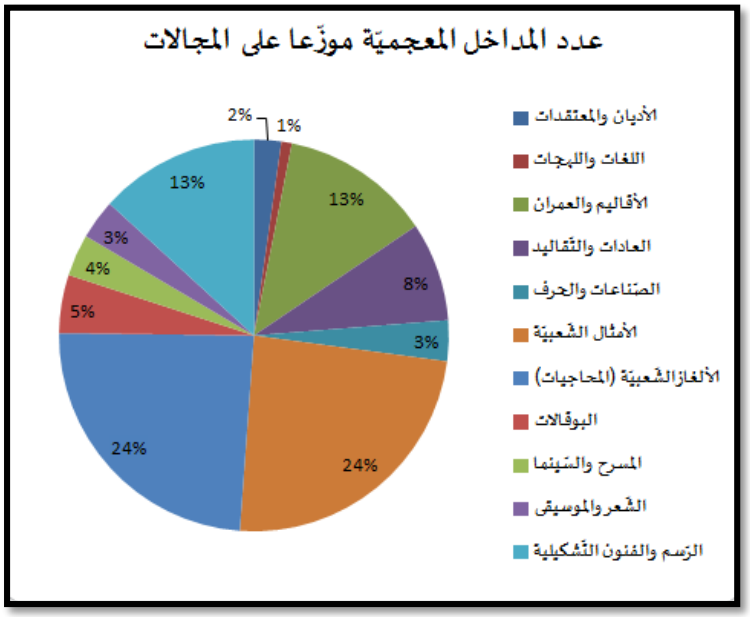

يُسلِّط **المعجم الثّقافي الجزائري** الضّوء على مراحل التّطوّر الفكري والعقدي التي مرّ بها المجتمع الجزائري عبر العصور. فمنذ آلاف السّنين، شهدت الجزائر تنوعًا وثراءً كبيرًا في المعتقدات الدّينيّة والرّوحيّة، تمامًا كما هو الحال في مختلف المجتمعات البشريّة.

كان لهذا التّنوع جذوره في التّفاعل البشري، سواء من خلال الهجرات أم الاحتكاك بين الحضارات والثّقافات المختلفة. ومن المعروف أن الدّين، مهما كان مصدره، يُلبّي حاجة الإنسان الرّوحيّة، ويمنحه وسيلة لمواجهة تحديات الطّبيعة ومتغيراتها.

بدأ الجزائريّون في العصور القديمة باعتناق الدّيانات الوثنيّة، ثم انتقلوا إلى الأديان السّماويّة، بدءًا باليهوديّة ثم المسيحيّة، وأخيرًا الإسلام، الذي أصبح الدّين السّائد في البلاد.

يهدف هذا المعجم إلى تقديم نبذات موجزة عن مختلف الأديان التي عرفتها الجزائر، وذلك لتعزيز الفهم والتّقارب الثّقافي بين القرّاء.

إلى جانب الأديان السّماويّة، شهدت الجزائر عبر تاريخها الطّويل مجموعة متنوعة من **المعتقدات الرّوحيّة** التي تأثرت بالبيئة، والثّقافات المختلفة، والتّفاعلات الحضاريّة. قبل انتشار الأديان السّماويّة، كان للجزائريين القدماء طقوسهم ومعتقداتهم الوثنيّة التي تمحورت حول تقديس قوى الطّبيعة مثل الشّمس، القمر، الأشجار والأنهار حيث كانوا يرون فيها رموزًا للقوة والحياة.

كما لعبت **الرّوحانيّة والطّقوس السّحريّة** دورًا بارزًا في حياة المجتمعات القديمة، فقد كان هناك اعتقاد بقدرة الأرواح والأسلاف على التّأثير في حياة الأحياء، مما أدى إلى انتشار طقوس الاسترضاء، والتّعاويذ، والتّنبؤات.

ومع دخول اليهوديّة، ثم المسيحيّة، وبعدها الإسلام، انصهرت هذه المعتقدات تدريجيًا مع التّعاليم الدّينيّة الجديدة، إلا أن بعض العادات والموروثات الشّعبيّة بقيت مستمرة في المجتمع الجزائري، حيث نراها اليوم في بعض التّقاليد والمناسبات الدّينيّة والممارسات الثّقافيّة.

هذا التّنوع في المعتقدات يعكس **الهويّة الرّوحيّة العميقة** للجزائريين، ويؤكد على تأثرهم بمختلف الحقب التّاريخيّة التي مرّوا بها.

اللّغات واللهجات:

اللّغات واللّهجات في الجزائر: تنوع ثقافي ضارب في التّاريخ: الجزائر، كغيرها من البلدان ذات العمق الحضاري، تتميز بتعدد لغوي يعكس تاريخها الطّويل من التّفاعلات الثّقافيّة والهجرات. فاللّغة في الجزائر ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي مرآة لعصور من التّلاقح بين الشّعوب والحضارات.

-1الأمازيغيّة: الجذور العريقة: تُعتبر **الأمازيغيّة** أقدم لغة معروفة في الجزائر، حيث يتحدث بها السّكان الأصليون منذ آلاف السّنين. وتنتمي الأمازيغيّة إلى عائلة اللغات **الأفروآسيويّة**، وقد تطورت عبر الزمن إلى عدة لهجات مثل:

- **الشّاويّة** في الأوراس؛
- **القبائليّة** في منطقة القبائل؛
- **الميزابيّة** في غرداية؛
- **الطّارقيّة** لدى الطّوارق في الجنوب.

الأقاليم والعمران، العادات والتّقاليد، الصّناعات والحرف، الأمثال الشّعبيّة، الألغاز الشّعبيّة والمحاجيات البوقالات، المسرح والسّينما، الشّعر والموسيقى.

الرّسم والفنون التّشكيليّة: تُعدّ الثّقافة الجزائريّة بمختلف مكوناتها من لغة، وتقاليد، وفنون، وعادات، وتاريخ معجمًا حيًّا يعكس روح الأمّة الجزائريّة ويجسد هويتها الوطنيّة. هذا المعجم، وإن لم يُدوّن كلّه في الكتب، إلاّ أنّه محفور في ذاكرة الشّعب وممارس في حياته اليوميّة، ما يجعله الرّكيزة الأساسيّة لحفظ الكيان الوطني في مواجهة التّحديات الثّقافيّة العالميّة.

الثّقافة كهويّة متجذرة: الهويّة الوطنيّة لا تُبنى من فراغ، بل تنبع من تراكمات تاريخيّة وثقافيّة تمتدّ عبر قرون من النّضال والتّفاعل الحضاري. في الجزائر، تشكّلت هذه الهويّة من خلال امتزاج متعدّد الطّبقات بين الأمازيغيّة والعربيّة والإسلاميّة، وتفاعلت مع تأثيرات البحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي الذي سعى لمحو معالم الشّخصيّة الوطنيّة الجزائريّة. لقد كانت الثّقافة سلاحًا في وجه هذا المسعى، فحفظت اللّغة وروت البطولات، وعبّرت عن الانتماء رغم كل محاولات الطّمس والإقصاء.

المعجم الثّقافيّ كمصدر للمناعة الوطنيّة: المعجم الثّقافي الجزائري ليس مجرد كلمات ومصطلحات، بل هو حامل لقيم ومرجع للرموز والمعاني التي تُشكّل الوعي الجمعي. من الأمثال الشّعبيّة، إلى الحكايات التّراثيّة، إلى الأغاني الفلكلوريّة، إلى اللباس التّقليدي، إلى المطبخ المحلي، كلّها عناصر تؤسّس لمنظومة من القيم التي توجّه السّلوك وتحفظ التّماسك الاجتماعي.

كما أنّ اللّغة تلعب دورًا أساسيًّا في هذا المعجم؛ فالدّارجة الجزائريّة، والمازيغيّة بمختلف لهجاتها، والعربيّة الفصحى، تتكامل في تشكيل خطاب ثقافي جامع، يعكس وحدة التّنوع الذي يميّز الشّخصيّة الجزائريّة.

الثّقافة في مواجهة العولمة: في عصر العولمة، تزداد أهميّة الحفاظ على المعجم الثّقافي الوطني. إذ أنّ الانفتاح الثّقافي السّريع قد يُعرض الهويات الضّعيفة للذّوبان أو التّآكل. غير أنّ الجزائر، بما تملكه من رصيد ثقافي غني ومتنوع، قادرة على التّفاعل مع العالم دون التّفريط في خصوصياتها. وهنا تأتي أهميّة دعم المؤسّسات الثّقافيّة، وتوثيق التّراث غير المادي، وتعزيز حضور اللّغة والفنون الجزائريّة في وسائل الإعلام ومناهج التّعليم.

دورها في تشكيل المعجم الثّقافي وحمايته: في خضمّ التّحوّلات الثّقافيّة العالميّة، تبرز **المثاقفة** كمسار ضروري للانفتاح على الآخر دون التّفريط في الذات. فالثّقافة الحيّة لا تعيش في عزلة، بل تتفاعل وتتجدد، وهذا ما يجعل المثاقفة عاملًا فاعلًا في **إغناء المعجم الثّقافي** الوطني، وفي الوقت ذاته، وسيلة لحمايته وتحصينه من التّبعيّة والانصهار.

المثاقفة كقيمة مُضافة للمعجم الثّقافي: المعجم الثّقافي لأي أمّة ليس مجموعة مغلقة من المفردات والرّموز بل هو فضاء مفتوح يتطور بتفاعل الإنسان مع بيئته وتاريخه ومع الآخرين. وهنا تلعب المثاقفة دورًا مركزيًا، إذ تسمح بدخول عناصر ثقافيّة جديدة تُثري هذا المعجم دون أن تُلغيه.

عندما تستقبل الجزائر أنماطًا فنيّة جديدة، أو مفاهيم فكريّة، أو تقنيات معاصرة، فإنّها تُعيد تشكيلها بلغتها ورؤيتها وتُدرجها ضمن منظومتها الثّقافيّة الخاصّة. من هنا، تُسهم المثاقفة في **توسيع دائرة المعجم الثّقافي الجزائري** لتشمل مفردات عصريّة ومعاني عالميّة، ولكن بروح محليّة.

"المثاقفة هي مجموع التّفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثّقافات المختلفة، كالتّأثير والتّأثر والاستيراد والحوار والرّفض والتّمثل، وغير ذلك مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التّفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل الإشكاليات، مما يعني أنّ التّركيبة الثّقافيّة والمفاهيميّة لا يمكن أن تبقى أو تعود بحال من الأحوال إلى ما كانت عليه قبل هذه العمليّة[3]".

الوعي الثّقافي: فلتر المثاقفة في المعجم الوطني: لا يمكن الحديث عن مثاقفة بنّاءة دون وجود **وعي ثقافي** يميز بين التّفاعل والتّقليد. هذا الوعي يُعدّ بمثابة "الفلتر" الذي يُفرز ما يُناسب الهويّة الوطنيّة ممّا لا يُناسبها فيضمن أن ما يدخل إلى المعجم الثّقافي ينسجم مع القيم والموروثات ولا يُهددها.

الوعي الثّقافي يُمكّن المجتمع من الحفاظ على توازنه؛ فلا يصبح منغلقًا على ذاته يرفض كل جديد، ولا مفرّطًا في هويته أمام كل وافد. بهذا التّوازن، تتحول المثاقفة من خطر على المعجم الثّقافي إلى مصدر تجدّد وقوّة.

الهويّة الثّقافيّة كأصلٍ يُوجّه المثاقفة: الهويّة الثّقافيّة ليست حاجزًا أمام المثاقفة، بل هي البوصلة التي تُوجّهها. فحين تكون الهويّة واضحة ومتماسكة، تصبح المثاقفة فرصة لتطوير الذات لا لذوبانها. وفي هذا الإطار، يُعيد المعجم الثّقافي إنتاج الهويّة بطريقة تُعبّر عن الحاضر دون خيانة الماضي.

اللباس، اللّغة، الفنون، التّقاليد، الأمثال، كلّها عناصر تندرج ضمن هذا المعجم وتخضع لعمليّة المثاقفة. فقد تتغير أشكالها، لكن جوهرها يظل متجذرًا في الهويّة المحليّة، يُعيد تقديم نفسه بشكل جديد يُواكب العصر دون أن ينسلخ عن أصله.

وعلى الجانب الآخر، فنحن في حاجة ماسّة ودائمة للحوار مع الآخر حضاريا وثقافيًّا وعلميًّا وفكريًّا، من خلال الوعي العميق بالثّقافة العالميّة المعاصرة، والاقتباس الإيجابي من ثقافات الآخرين، من أجل تلقيح ثقافتنا بالجديد وتحقيق مفهوم المعاصرة الذي يعني الحضور الدّائم في خارطة الثّقافة العالميّة، ولاسيما في ميدان العلوم والتّقنيات الحديثة؛ فالمواءمة بين التّراث/ الأصالة، وبين الجديد/ المعاصرة يحفظ للأمة هويتها، ويجدد طاقتها وإبداعها ويوجد حالة من التّنافس الحميد، على مستوى النّخبة القائدة، والنّخبة المفكرة، والنّخبة المبدعة، من أجل الحفاظ على تميزنا الحضاري والثّقافي، والتّعاطي بالنّقاش الحر مع المستجدات الفكريّة العالميّة.[4]

يُعدّ معجم الثّقافة الجزائريّة حاملًا لذاكرة الأمّة وحاميًا لهويتها الوطنيّة من كل محاولات المسخ والتّغريب. إنّه درع الوجدان الجمعي، ومرآة الانتماء العميق لأرض الشّهداء. ومن هذا المنطلق، فإنّ الاستثمار في الثّقافة ليس ترفًا، بل هو استثمار في استقرار الوطن واستمراريّة وجوده ككيان مستقل متفرّد في عالم تتنافس فيه الهويات والثّقافات.

المثاقفة: حوار الثّقافات، الوعي الثّقافي، الهويّة الثّقافيّة: تُعدّ **المثاقفة** من أبرز الظّواهر التي يشهدها العالم المعاصر، خاصّة في ظل الانفتاح العالمي وثورة الاتصالات، حيث أصبحت الثّقافات تتفاعل وتؤثر وتتأثر فيما بينها بشكل متسارع. والمثاقفة بهذا المعنى هي عمليّة التّبادل الثّقافي بين الأفراد أو الجماعات تنشأ عنها حالة من **التّفاعل الحضاري**، يمكن أن تكون مثمرة كما يمكن أن تحمل معها تحديات.[5]

المثاقفة والتّواصل: حوار الذات وحوار الحضارات: في قلب المثاقفة نجد مفهوم **حوار الثّقافات**، الذي يُعدّ ضرورة ملحّة في عالم تتشابك فيه الهويات والانتماءات. فبدلًا من الصّدام، يدعو الحوار الثّقافي إلى التّفاهم والاعتراف بالآخر، وتقدير التّنوّع بوصفه غنىً لا تهديدًا. ونجاح هذا الحوار يتطلب أرضيّة مشتركة من **الوعي الثّقافي**، حيث يكون الفرد مدركًا لخصوصيّة ثقافته ومُنفتحًا على ثقافة الآخر دون أن يشعر بالذوبان أو الانسلاخ.

من هنا ينبثق الحديث عن **الهويّة الثّقافيّة**، التي تتشكّل من مكونات اللّغة، والدّين، والعادات، والتّقاليد، والتّاريخ المشترك. وهي ليست مفهومًا جامدًا، بل هويّة حيّة تتطور عبر الزمن، لكنّها تحتاج إلى التّثبيت في مواجهة الذوبان في ثقافات أخرى نتيجة العولمة أو الهيمنة الثّقافيّة.

وفي هذا السّياق، تلعب المدرسة، والأسرة، ووسائل الإعلام، والسّياسات الثّقافيّة، دورًا مهمًا في ترسيخ الوعي الثّقافي وحمايّة الهويّة من التّفكك، وفي نفس الوقت تشجيع المثاقفة الإيجابيّة التي تثري الفكر وتوسّع الأفق.

في الختام، تبقى المثاقفة ظاهرة طبيعيّة وملازمة للتطور البشري، لكنّها تحتاج إلى توازن دقيق بين **الانفتاح والتّأصيل**، بين **الخصوصيّة والانتماء الإنساني الأشمل**، وهذا ما يجعل الحديث عنها مهمًا وأكثر من ضروري في زمن التّحوّلات الكبرى.

لقد جاء هذا المعجم ليُعرّف النّاشئة والباحثين وكل المهتمين على حد سواء بـ **الثّقافة الجزائريّة بكل ألوانها:** من عادات وتقاليد، إلى طقوس وأمثال، وفنون وأزياء، ومأكولات، وأعلام فكريّة ودينيّة وأدبيّة تركت بصمتها في الذاكرة الجماعيّة. وهو بذلك يبرز **التّنوع الثّقافي الجزائري** كعنصر قوة، وليس عامل انقسام، إذ يجمع بين العربي والأمازيغي، الإسلامي والمتوسّطي، الإفريقي والعالمي، في بوتقة واحدة اسمها الجزائر.

لذلك فإنّ معجم الثّقافة الجزائريّة هو أكثر من عمل علمي، هو **موقف حضاري ومشروع وطني**، يعكس إيمانًا عميقًا بأنّ الدّفاع عن الوطن يبدأ من الدّفاع عن لغته وثقافته وتاريخه.

المصادر والمراجع:

- المجلس الأعلى للّغة العربيّة، معجم الثّقافة الجزائريّة، الجزائر: المجلس الأعلى للّغة العربيّة، 2022م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافيّ، بيروت: 1998م، دار الغرب الإسلامي.
- المجلس الإسلامي الأعلى، رسائل في التّراث والثّقافة، الجزائر: المجلس الإسلامي الأعلى، 2007م.
- عبد الله شريط، من واقع الثّقافة الجزائريّة، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع. العربيّة للدراسات والنّشر بيروت، 2004م.
- عبد العزيز بن عثمان التّويجري، العولمة وحوار الحضارات، رؤيّة من خلال الإسيسكو: أعمال المؤتمر الدّولي التّراث والمعاصرة وحوار الثّقافات، منشورات جمعيّة بيروت التّراث، بيروت، 2003م.
- صلاح جرار: زمان الوصل: دراسات في التّفاعل الحضاري والثّقافي في الأندلس، المؤسّسة.
- الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz :https//

الهوامش:

[1] المجلس الأعلى للّغة العربيّة، معجم الثّقافة الجزائريّة: الجزء الأوّل، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر 2022، ص 13.

[2] المجلس الأعلى للّغة العربيّة، معجم الثّقافة الجزائريّة: الجزء الأوّل، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر 2022، ص13.

[3] العنزي، 2012، ص. 11، كما ورد في مقال "خطابات المتنبي بين سلطة الأنا والمثاقفة مع الآخر" على موقع Aleph

[4] تأليف: أ. د. مصطفى عطيّة جمعة، المثاقفة والتّواصل 2023، ص 124.اللّغة: العربيّة.

[5]تأليف: أ. د. مصطفى عطيّة جمعة، المثاقفة والتّواصل 2023،ص 58.اللّغة: العربيّة.

التّنوّع الثّقافيّ في دُول الخَليج وأثره في الهَويّة اللّغويّة للمَنطِقة
-دولة قطر أنموذجا-

ط. د. فتيحة مقدم
المدرسة العليا للأساتذة . بوزرّيعة

الملخّص: تعدّ ظاهرة التّعدد الثّقافيّ في دول الخليج من الموضوعات المثيرة في البحث الأكاديميّ خاصّةً في ظل التّنوع السّكانيّ والاختلاط الثّقافيّ الذي تشهده نتيجة الهجرة والنمو الاقتصادي وتدفّق العمالة الأجنبيّة في المنطقة من مختلِف أنحاء العالم بالأخصّ دول الشّرق الآسيويّ، الأمر الذي كان له تأثيره البالغ في ظهور تنوّع لغويّ وثقافيّ كبيرين، أثّرا بشكل واضح على وجود اللّغة العربيّة في عقر دارها، والتي تعدّ المكوّن الأساسي في الهويّة الثّقافيّة العربيّة، علما أنّ فرض احترام اللّغة الرّسميّة في مختلِف السّياقات هو مؤشّر من مؤشّرات سيادة الدّول.

إنّ التحديات التي تمرّ بها اللّغة العربيّة في المنطقة نتيجة الانتشار الواسع للّغات الأجنبيّة على رأسها اللّغة الإنكليزيّة، تسبّب قلقًا على هويّة الأجيال الجديدة التي تنشأ في بيئة متعدّدة اللّغات يغيب فيها اعتبار اللّغة الأمّ للدّولة.

لا يمكننا إنكار إيجابيّة هذا التّنوع في إثراء التّواصل الحضاريّ والتّبادل الثّقافيّ بين الأمم، كما لا يمكننا إنكار خطورته على الهويّة اللّغويّة المحليّة، إذن فالأمر يتطلب جهودًا جبّارة لضمان بقاء اللّغة العربيّة قوية في مختلف السّياقات: التعليم والإعلام والعمل وتشجيع استعمالها في الحياة اليوميّة، مع احترام الثّقافات الأخرى وتعزيز التّسامح والحوار الفعّال بينها.

Abstract: The phenomenon of linguistic and cultural diversity in the context of population diversity in the Gulf countries is a particularly compelling subject in academic research. This is especially true given the migration, economic growth, and influx of foreign labor to the region from various parts of the world, particularly East Asia. This has had a significant impact, clearly reflected in the emergence of major linguistic and cultural diversity in the Gulf.

This situation has affected the Arabic language and culture, despite Arabic being the foundational component of cultural identity in the region. Enforcing respect for the Arabic language as the official language in various contexts is a key indicator of national sovereignty.

However, the challenges faced by Arabic in the region—due to the widespread use of foreign languages, most notably English—raise concerns about the identity of the new generations growing up in a multilingual environment where the mother tongue is no longer prioritized.

مقدّمة: عرفت منطقة الخليج العربي في العقد الأخير تحوّلاً كبيراً على مستوى قيمة الهويّة اللّغويّة بوصفها ركناً أساسيّاً من أركان الهويّة الإسلاميّة العربيّة، والوجود الحضاريّ وقوّته، إذ يُعزى هذا التّحوّل إلى ظاهرة التّنوّع الثقافي الذي اجتاح المنطقة نتيجة العولمة والانفتاح الاقتصادي وارتفاع نسبة تدفّق العمالة الأجنبيّة الوافدة من دول الشرق الآسيويّ، الأمر الذي أفرز تعدّدا ثقافيّا ولغويّاً في تركيبة المجتمع الخليجي تبعا لتعدّد الجنسيّات المقيمة فيها، وفي ظلّ هذه الفسيفساء التي استطاعت التّجذّر وتعميق أقدامها في الواقع العربي في منطقة الخليج تبرز مجموعة من التّساؤلات المهمّة حول وضعيّة اللّغة العربيّة أمام كلّ هذه التّحدّيات التي تواجهها، والتي تشكّل قلقا كبيرا وخطراً عميقاً على مستقبل الهويّة العربية عند الأجيال الجديدة والقادمة، في وسط تغيب فيه الذّات الجماعيّة، ويعجّ بلغات لا ننتمي إليها ولا تنتمي إلينا.

وتعدّ دولة قطر من دول الخليج التي تشهد تفاعلا كبيرا مع هذه التّحوّلات الحاصلة في ظلّ سعيها الحثيث نحو الانفتاح والتّنمية وتعزيز موقعها الحضاري في العالم، على حساب اللّغة العربيّة والانتماء الثّقافي والوطنيّ، غير أنّها تميّزت عن بقية دول المنطقة بإرادتها السّياسيّة والاجتماعيّة في التّجسير والعودة ومحاولاتها الجادّة في إحياء الهويّة اللّغويّة العربيّة من خلال مشاريعها في مختلِف المجالات.

مشكلة الدّراسة: لقد فرض هذا الواقع الجديد على منطقة الخليج عامّة، ودولة قطر خاصّة مجموعة من التّحدّيات التي عصفت بهويّتها اللّغويّة والوطنيّة، إذ أصبحت اللّغة العربيّة سمة ثقافيّة وهميّة في المجتمع القطريّ فغابت وغاب معها البعد الرّوحيّ للحضارة، ومن هنا جاء هذا البحث ليعالج الإشكاليّة الآتية:

إلى أيّ مدى تأثّرت الهويّة اللغويّة لدولة قطر بالتّعدّد الثّقافي واللّغوي الذي تحتويه؟ وأين يتجلّى هذا التّأثير؟ هل تشكّل هذه الظاهرة خطرا وتهديدا للّغة العربيّة؟ وهل ستمهّد لاحتباس حضاريّ في قطر؟ وما هو طوق النّجاة الذي يجب أن تتشبّث به قطر لإعادة بعث هويّتها اللّغويّة والحفاظ عليها؟

فرضيّات الدّراسة:

- يؤثّر التّعدّد الثّقافيّ سلبا على الهويّة اللّغويّة القطريّة؛
- كلّما تضاعف التّعدد والتّنوّع الثقافي، تراجع استعمال اللّغة العربيّة في المجتمع القطريّ؛
- يجابه الجيل الجديد خطر الانصهار أمام الانفتاح الثّقافيّ واللّغويّ؛
- تبقى اللّغة العربيّة روح الهويّة الثّقافيّة القطريّة، والحفاظ عليها مشروع يحظى بعناية مؤسّسيّة وجهود كبيرة.

أهداف الدّراسة:

- تحليل مدى تأثّر الهويّة اللّغويّة الوطنيّة بظاهرة التّعدّد الثّقافيّ في دولة قطر؛
- قياس استعمال اللّغة العربيّة في المجتمع القطريّ بالمقارنة مع اللّغات الوافدة؛
- تحليل جهود دولة قطر وإرادتها السّياسيّة في حماية هويّتها اللّغويّة من الاندثار؛
- رصد موقف بعض القطريّين من حالة الانصهار اللّغويّ الذي يعيشه الوطن؛
- تقديم حلول ناجعة للخروج من أزمة الانصهار اللّغويّ.

منهج الدّراسة: سنعتمد في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، من خلال نقل صورة عامّة عن الوضع اللّغويّ لدولة قطر في مختلِف القطاعات، وتتبّع ظاهرة التّعدد الثّقافي وأثرها في الهويّة اللّغويّة والوطنيّة للبلاد، كما سنستند إلى تحليل انطباع القطريين على الانفتاح الثّقافيّ وتداعيّاته على المجتمع.

سنستعرض في هذه الورقة البحثيّة واقع اللّغة العربيّة في دولة قطر باعتبارها أنموذجًا قويًّا في حالة "**الانصهار ومحاولة النّجاة** " مع تقديم إستراتيجيات فاعلة لتحقيق التّوازن بين مشروع إحياء الهويّة اللّغوية العربيّة والحفاظ عليها وبين حتميّة احترام الثّقافات الأخرى في منطقة الخليج عامّة وقطر خاصّة، والتفاعل معها تفاعلا عقلانيّاً مع تأكيد أهمّيّة دعم اللّغة العربيّة كوسيلة أساسيّة في الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة.

1- مفاهيم عامّة:

أ-التّنوّع الثّقافيّ:

- **الثّقافة:** جميع السّمات الرّوحية والمادّيّة والفكريّة والعاطفيّة التي تميّز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعيّة بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسيّة للإنسان ونظم القيم والتّقاليد والمعتقدات وإنّ الثّقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التّفكير في ذاته والتي تجعل منّا كائنات نتميّز بالإنسانيّة.[1]

فهي إذن نظام شامل لتأطير تعامل الفرد مه عالمه الخارجيّ.

- **التّنوّع الثقافيّ:** يشير هذا المفهوم على اتّساع الثّقافة الإنسانيّة عامّة لتحتوي العديد من الثقافات المختلفة في الدّين، واللّغة والعادات، والتقاليد، ونظم التّفكير، والسّلوك، فتتمايز الجماعات عن بعضها البعض، لتخلُق هويّات منفردة، مع إدراك هذا الاختلاف والتّمسّك به بوصفه سمة خاصّة وكيانًا مستقلًا ومستقرًّا، ورمزا من رموز الهويّة، دون تعصّب وتقوقع، فالثّقافة- في تقديرنا- بمفهومها الواسع هي إرث إنساني ذو فروع وجب الانفتاح عليه بالتّسامح والتّقبّل والتّلاقح دون انصهار أيّ طرف في الآخر.

ب- يعدّ سؤال الهويّة أحد السّؤالات المهمّة التي تتردّد بإلحاح في المجتمع العربيّ خاصّة، نتيجة المرحلة المعقّدة التي يعيشها الوطن الكبير بفعل تحدّيات العصر التي فرضت نفسها على المكوّنات الثّقافيّة للجماعة الأمر الذي حوّلها من أزمة هشاشة وارتباك، إلى أزمة وجود وانحباس حضاريّ.

- **لغةً:** جاء في لسان العرب: " قال ابن الأعرابيّ: "هويّة أراد أهوية فلمّا سقطت الهمزة رُدّت الضّمّة إلى الهاء وفي الحديث: إذا عرستم فاجتنبوا هويّ الأرض وهي جمع هوّة وهي الحفرة والمطمئنّ من الأرض"[2].

ونستنتج من هذا المفهوم اللّغويّ أنّ الهويّة هي الشّيء الذي تسكن إليه وتطمئن إليه، وتشعر من خلاله بالحماية والأمان والتّميّز، فهو يخصّك أنت، ولا يخصّ غيرك من غير المنتمين إليه[3].

- **اصطلاحاً:** خصوصيّة الذّات وما يتميّز به الفرد والمجتمع عن الأغيار، من خصائص وميّزات وقيم ومقومات، فميزات الفرد هي هويّته، وميزات الجماعة هي هويّة الجماعة[4]، وهي القدر الثّابت والجوهريّ والمشترك

من السّمات والقسمات العامّة، التي تميّز حضارة هذه الأمّة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشّخصيّة القوميّة طابعاً تتميّز به عن الشّخصيّات القوميّة الأخرى[5].

والمتأمّل في الهويّة يجدها تحتوي متناقضين اثنين في الآن نفسه، فالأوّل فهو المطابقة، لاشتراك الجماعة الواحدة في السّمات الثّقافيّة نفسها بإجماع وتجانس، أمّا الثّاني فهو الاختلاف الثّقافيّ بين المجتمعات والدّول.

ت- اللّغة: اللّغة عبارة عن نسقٍ من الرّموز والألفاظ والإشارات المنطوقة صوتيّاً، والتي تشكّل في النّهاية إحدى أدوات المعرفة التى يعبّر بها الأفراد عن أغراضهم واحتياجاتهم.

كما تعدّ اللّغة أهم ما يميّز القدرة الإنسانيّة عن الحيوانية، حيث إنّها ثمرة العقل، التي تترجم إلى رموز في شكل حروف وكلمات، وصوت مسموع، وهي السّبيل لفهم الرّسالات القادمة من الله تعالى، وفهم الدّين وحقيقته ومضمونه وتعاليمه وشعائره، وبذلك أثبتت اللّغة أنّها العنصر المحوريّ في أيّ ثقافة وحضارة.

ث- الهويّة اللّغويّة: ذلك الشّعور الثّقافيّ الذي تشعر به جماعة ذات لغة مشتركة، إذ تعكس التّحلّي بعاطفة الانتماء والتّميّز الثقافي والحضاريّ، فاللّغة في هذا السّياق تتجاوز المعنى اللّغوي المجرّد لتكون مؤشّرا لوعي الفرد وإدراكه لذاته، ورمزا من رموز سيادة الدّول واستقلالها وارتباطها بتاريخها وخصائصها الثّقافيّة، وولائها لها، إذن فهي "وعاء يحوي مكوّنات وجدانيّة ومعتقدات وخصوصيّات المجتمع، الأمر الذي يفسّر اعتزاز كلّ شعب بلغته"[6]

2- العلاقة بين اللّغة العربيّة والهويّة: يعدّ البحث في العلاقة بين هذه المفاهيم الثّلاثة من أصعب عمليّات البحث وأكثرها تعقيدا، ذلك أنّها مسألة أنثروبولوجيّة بحتة، ترتبط ارتباطا وثيقا بالذات الفرديّة والجماعيّة من جهة والذّات التّاريخيّة والحضاريّة من جهة أخرى، فاللّغة ليست مجرّد كلمات وقواعد نحويّة، بل هي تفاعل مع ماضي الجماعة الواحدة وحاضرها، وانتماء للرّوابط القائمة بين أفرادها، واعتزاز بالخصائص التي تميّزها عن غيرها من الجماعات والأمم، كما أنّها مرآة تعكس وعي الفرد بذاته، وموقفه من هويّته، واللّغة العربيّة كسائر اللّغات العالميّة الأخرى، لها تأثيرها البالغ في البعد الثّقافي والمرجعيّ للوطن العربيّ، فضلا عن أنّها " أكثر اللّغات انتشاراً، إذ يتحدّث بها أكثر من 422 مليون لسان، ويصفها الكثير من اللّغويين بملكة لغات العالم، فقد ضربت بجذورها في عمق التّاريخ، وتكيّفت مع مختلف الأزمنة والأمكنة".[7]

ولن نبالغ إذا قلنا إنّ الحفاظ على ثقافة الشعوب ينطلق ابتداءً من هذه الشّعوب الملتزمة بممارسة لغتها في مختلف المواقف، وعلى الأصعدة جميعها، فلا يمكن أن يكون وجود فعليّ للتراث الثقافي دون أن يكون له وعاء لغويّ يؤرّخه وينقله، فإذا كانت اللّغة هي الفكر الذي نتعامل من خلاله مع العالم، فإنّ الثقافة هي العالم في حدّ ذاته، وبقدر ما نحن عاجزون عن تأطير هذا الفكر بعيدا عن أبجديّات العالم الذي ينتمي إليه، كذلك نحن عاجزون عن حماية سمات هذا الأخير بغير مبنى لغويّ يحوّل وجوده المجرّد إلى واقع معيش ومتوارث.

إنّ التّمسّك باللّغة هو سبيل التّمسّك بالهويّة، وقد قدّم لنا التّاريخ دروساً أثبت فيها الحضارة الأصيلة لا تعيش خارج ثوبها، ولنا في اليابان مثال وقدوة، فقد أدركت أنّ نهضة الأمّة اليابانية مرهونة بحماية لغتها أمام الزّحف

الصّينيّ الذي أدرك هو الآخر أنّ التّمكّن من اليابان مرهون بالتّمكّن من هويتها اللّغويّة ومن ثمّت هويتها الثقافيّة ونحن نلاحظ اليوم بوضوح حجم الانسلاخ الثّقافيّ الذي يعيشه شباب الوطن العربي نتيجة التّهاون في الاعتصام بحبل اللّغة سبيلا للنّجاة من مدّ العولمة الجارف وعمليّة التذويب الثّقافي، فالهويّة هي مجموعة من الانتماءات المتجانسة التي تصنع بتكاملها كينونة تاريخيّة متأصّلة لا تقبل التّهجين.

وحريّ بالذّكر أنّ تمتّع الأمة بهويّتها يمنحها شعوراً بالقوّة والثّقة والاستقرار النّابع من شعور الانتماء، الذي يعزّز بدوره نشاط الجماعة وإرادتها في إثبات وجودها الحضاريّ العقلاني المستنير، فلا يخفى على أحد أنّ للّغة العربيّة دورًا عميقًا ومؤثّرًا في سباق النّهضة المنشودة، فهي بما تمتلكه من خصائص ومقومات ذاتية بالغة القوة يمكنها صناعة أعرق الحضارات شرط وجودها في مجتمعات بشرية تحسن توظيفها، ويمكن تلخيص هذا الدّور في النّقاط الآتية:

1. الحفاظ على وحدة الأمّة الوطنيّة والقوميّة والإسلاميّة، وقوّة انتمائها.
2. المحافظة على امتداد وفاعلية القرآن الكريم فهما ودراسةً لدلالاته ومقاصده الملهمة.
3. وسيلة لنشر العلوم الإسلامية والإسهام في بناء الانسان والمجتمع الحضاري.
4. المحافظة على تمدد الهوية العربية والإسلامية.
5. التّواصل مع التراث العلمي والأدبي للعرب والمسلمين، فهو يجمع منجزات قرون من الإنتاج الحضاري الذي استفاد منه العالم ومازال يستفيد.
6. تعزيز انتماء الجيل الجديد والقادم للحضارة العربية والإسلامية، لدعم إحيائها وعطائها واستمراريتها، فهي تضمن تواصله مع تاريخه المجيد، الأمر الذي يبعث في نفسه حافزاً للفعل والإنجاز والتنافس الحضاري.
7. حماية الأجيال المتتالية من القطيعة الثّقافيّة، فاللّغة هي سبيل خلود الذّاكرة الجماعيّة.

3- أثر التّعدّد الثّقافي على الهويّة اللّغويّة في دولة قطر:

أ-الخلفيّة السّياقيّة: لقد استطاعت دولة قطر في العقدين الأخيرين الدّخول في مصافّ الدّول التي حقّقت نهضة شاملة على مستوى جميع القطاعات، إذ تشهد حالة من الرّفاعيّة غير المسبوقة في نمط العيش، باعتبارها إحدى أهمّ الدّول المصدّرة للنّفط والغاز، رغم أنّها دولة حديثة الاستقلال(1971م) إلّا أنّ إرادتها السّياسيّة مكّنتها من تجاوز مخلّفات الاستعمار بجدارة واستحقاق.

غير أنّ هذه النهضة كانت نهضة مشروطة، قدّمت فيها قطر العديد من التّنازلات في سبيل الانفتاح الاقتصادي والاستفادة من العولمة لتمكين وجودها الحضاريّ في المنطقة والعالم، ومن أبرز ما قدّمته قرباناً لمشروعها هو انصهار الهويّة اللّغويّة أمام مدّ الثّقافات الأجنبيّة الوافدة، والحقيقة أنّ هذا الانصهار لم يكن قرارا واعيا بل نتيجةً لخيار حتمي، فتوجّه قطر نحو الإنكليزيّة لم يكن خيانة للّغة العربيّة، بل سبيلا لتحقيق النهضة المنشودة والخروج من واقع الضّعف، ولعلّ إمكاناتها الجغرافيّة والبشريّة المحدودة أسهمت بشكل كبير في تغذية هذه الأزمة الثّقافيّة واللّغويّة.

ومن الأكيد أنّ هذا الواقع الجديد، والمسار الذي سلكته دولة قطر قد أفرز تركيبة سكانيّة ولغويّة جديدة ودخيلة على المجتمع العربي القطري.

- **التركيبة السّكانيّة في قطر:** مع كلّ هذه التّغيّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي عرفتها قطر في العقدين الأخيرين، كان سيكون من الغريب عدم تأثّر تركيبتها السّكانيّة، وهي التي فتحت أبوابها للعمالة الأجنبيّة الوافدة بهدف استقطاب اليد العاملة والكفاءات التي تسهم في مشروع التّنمية، كما كان لاحتضانها للفعاليات العالمية بالغ الأثر في تحولها إلى وجهة للهجرة والاستقرار، ومن هنا سنسلّط الضّوء على مكوّنات التّركيبة السّكانيّة في قطر بهدف تبيّن حجم التّنوّع الثّقافي الموجود فيها، وهل كان فعلا مسار الانصهار اللّغويّ حتميّة لا واعية فرضها واقع العولمة؟

- عدد سكان قطر سنة 2024: 2.9مليون نسمة؛
- عدد السّكان الأصليّين: 300.000(12.10٪)؛
- العمال الوافدون من آسيا: 60٪65٪؛
- العمال الوافدون من الدّول العربيّة: 15٪20٪؛
- العمال الوافدون من الدّول الأخرى: 5٪10٪؛
- نسبة الوفود إلى قطر: 88٪90٪[8].

الجاليات الأجنبية الأكثر حضوراً في قطر:

- الجالية الهنديّة 700.000؛
- الجالية البنغاليّة: 400.000؛
- الجالية النيباليّة: 350.000؛
- الجالية المصريّة: 300.000؛
- الجالية الفلبّينيّة: 250.000؛[9]

الجاليات الأخرى الأقلّ حضوراً في قطر:

- الأفارقة؛
- الأردنيون؛
- التونسيون؛
- الجزائريون؛
- المغاربة؛
- السوريون؛
- السّودانيون.

▪ **التركيبة اللّغويّة في قطر**: تتميّز قطر بتنوّع لغوي واسع، وهذا نتيجة التّنوّع الثّقافيّ الذي تحتضنه، إذ تحمل أكثر من 12 جنسيّةً، بين الناطقة باللّغة العربيّة، والنّاطقة بغيرها.

ووسط هذه الفسيفساء اللّغويّة بقيت اللّغة العربيّة اللّغة الرّسميّة للدّولة، بوصفها رمزا من رموز الهويّة الوطنيّة والإسلاميّة، غير أنّ هذه الحقيقة ظلّت فترة طويلة من الزّمن حبرا، وهي مرتبطةٌ بالعاطفة القوميّة والمرجعيّة فقط أمام اللّغة الإنكليزيّة التي كانت تحقّق انتشاراً وتجذّراً مع كلّ نموّ اقتصاديّ واجتماعيّ، فأصبحت لغة التّواصل في التّجارة والمؤسّسات التّعليمية والصّحيّة، ومؤسّسات الإعلام، وفي الأسواق والشّوارع، وحتّى بين العربيّ وأخيه العربيّ!

على الرّغم من وجود لغات أخرى تابعة لثقافاتها، كالهنديّة مثلا، إلّا أنّها تستعمل فقط بين أبنائها، ذلك أنّ المنافسة الحقيقيّة بين اللّغة العربيّة بوصفها اللّغة الأمّ للدّولة، واللّغة الإنكليزيّة بوصفها اللّغة الكونيّة التّوافقية بين جميع الجنسيات المختلفة، فاحتلّت موقعا مهمّاً في العديد من القطاعات:

التّعليم: تعطى الأولويّة في التّعليم للّغة الإنكليزيّة، خاصّة في ظلّ انتشار المدارس الدّوليّة المستثمرة كالمدارس البريطانيّة والأمريكيّة والفرنسيّة، وفي المقابل تعامل اللّغة العربية على أنّها لغة ثانية، كما ينطبق هذا الأمر على البحث العلمي والدّراسات العليا في الجامعات القطريّة.

المعاملات التّجاريّة: تعدّ اللّغة الإنجليزيّة هي اللّغة الرّسميّة في الأسواق والمحلّات والأماكن العامّة.

الإعلام والاتّصال: تأخذ اللّغة الإنكليزية في هذا المجال حصّة متساوية مع اللّغة العربيّة، وذلك بهدف توسيع الجمهور المتلقّي ونشر المعلومة على أوسع نطاق، وهو ما يعكس مبدأ تقبّل الثّقافات واحترامها في دولة قطر.

وحريٌّ بنا لفت الانتباه إلى حقيقة لا يمكن طمسها، وهي أنّ حيويّة أيّ لغة من اللّغات تنبع من حاجة الأفراد إليها عمليّاً على مستوى التّواصل الكونيّ لا المحلّي فقط، ولعلّ هذا ما تثبته وضعية اللّغة الفرنسيّة، التي مازالت تفقد جمهورها باستمرار، والحقيقة أنّ ما تعانيه الهويّة العربيّة حالة تعانيها العديد من الثقافات الأخرى، التي لم تستطع بعد تحقيق التّوازن بين سباق الحضارة وسباق الهويّة.

▪ **أسباب تأثر قطر بظاهرة التّنوّع الثقافي واللّغويّ المتصاعدة:** ارتأينا في هذا الجزء تركيز النّظر في مسألة أسباب تأثّر قطر بالتّنوّع الثّقافيّ لهذه الدّرجة، لا على أسباب تصاعد هذه الظاهرة فهي مطروحة على الطّريق يعرفها العامّ والخاصّ، ومن خلال البحث المعمّق تبيّن أن مردّ هذا التّأثّر إلى ثلاثة أسباب مركزيّة:

السّبب الفكريّ: ويتمثّل في **عقليّة البديل** التي استحوذت على تفكير المجتمع القطريّ، وجعلته يفتح ذراعيه للجنسيّات الأجنبيّة المختلفة في اللّغة والدّين والثّقافة، ليكون بعدها مجبرا على التّنازل عن لغته في سبيل صياغة وسيلة توافقيّة للتّواصل، إذ وقع الاختيار على اللّغة الإنكليزيّة باعتبارها لغة العالم، ولعلّ هذه العقليّة قد تكوّنت نتيجة غياب نشاط المورد البشريّ الأصلي للدّولة من جهة، وحالة الرّفاهيّة التي نتجت عن الانفتاح الاقتصاديّ من جهة أخرى.

السّبب السّياسيّ: الرّغبة في الخروج من واقع التّخلّف والضّعف، خطّ الفقر، أجبر قطر دولةً وشعباً على التّكيّف مع هذا التّنوّع الثّقافيّ بوصفه حجر أساس للنّهضة القطريّة، لارتباطه بالمورد البشريّ الفعّال الذي يقود مشروع التّنمية.

السّبب النّفسيّ: ويتمثّل في الاستعداد الدّاخليّ والتّرحيب باللّغة الإنكليزيّة باعتبارها لغة العلم والاقتصاد والقوّة فطموح النّهضة كان أقوى بكثير من قيمة الهويّة، وشعور الانتماء، وهاجس التّيه، وفقدان الذّات.

ب-تحدّيات اللّغة العربيّة في دولة قطر: لقد واجهت اللّغة العربيّة ومازالت تواجه في دول الخليج عامّة، ودولة قطر بشكل خاصّ العديد من التّحدّيات التي وضعتها موضع الانصهار أمام الثّقافة الأخرى، فمن النّادر أن تجد من يتكلّم بها حتّى في المؤسّسات القطريّة، وبين العرب أنفسهم.

من جملة التّحدّيات التي تواجهها اللّغة العربيّة "غياب السياسة اللغويّة الصريحة والفاعلة لتوجيه الوضع اللغوي وتنميته"[10]، فالتّشديد على ضرورة الحرص عليها في التّشريعات والقوانين وحدها لا يكفي، بل لا بدّ من مشروع وطني واضح المعالم والأهداف والإجراءات، تسهم في إنجاحه جميع القوى الفاعلة في إعادة توجيه الوضع اللّغوي في قطر وتصحيح مساره.

إلى جانب تحدّي المنافسة الشّرسة من اللّغة الإنكليزيّة، انطلاقا من المكانة التي أكسبتها لها العولمة وضريبة التّنمية الاقتصاديّة، فقد استطاعت هذه اللّغة الارتقاء من رتبة اللّغات المركزيّة العليا إلى رتبة اللّغة المركزيّة الفائقة، كونها ارتبطت بالعلم وسوق العمل.

ولعلّ "استفحال العامّيّة وتوغّلها"[11] وانتشارها بشكل غير مسبوق في سياقات غير مناسبة لها، كبرامج الأطفال والإعلانات وغيرها من المشاهد الإعلاميّة، قد أسهم بطريقته في إضعاف استعمال اللّغة العربية في عقر دارها وممّا لاشكّ فيه أنّ حياة اللّغات في استعمالها، على هذا يكون ضعف اللّغة العربيّة في المجتمع القطري نتيجة متوقّعة وحتميّة، والغريب هو صمودها أمام جبهتين يعتمد كلّ منهما على جمهوريّة الاستعمال.

ومن أبرز التّحدّيات أيضاً ضعف تعليم اللّغة العربيّة وطرق تنمية الرّصيد اللّغويّ عند المتعلّمين، الذي يعدّ أساساً لتحقيق الكفاءة التّواصليّة (المحادثة)، ومهارتي القراءة والكتابة، علماً أنّ هذه المهارات الثّلاث تشهد ضعفا كبيراَ في مختلف الأطوار التّعليميّة، في منطقة الخليج والوطن العربي على حدٍّ سواء.

وما يزيد الطّين بلّة، استراتيجيّة المدارس الدّولية التي تركّز على اللّغة الإنكليزيّة على حساب اللّغة الأمّ والرّسميّة في قطر.

غير أنّ قطر ـ دولةَ وأسراَ في الآونة الأخيرة تسجّل اجتهادات حثيثة لإعادة الحجر إلى نصابه، سواء من خلال دعم ممارسة اللّغة العربيّة داخل البيوت، أم من خلال المشاريع الهادفة في بعض المدارس التي تؤمن بواجب إحياء الهويّة والمحافظة عليها.

ج-جهود قطر في استرجاع هويّتها اللّغويّة: على الرّغم من كلّ التّحدّيات التي تواجهها قطر في المحافظة على هويّتها اللغويّة، غير أنّ هذا لم يمنعها من محاولات الاستدراك المستمرة، لتعزيز اللّغة العربيّة في المجتمع

القطريّ، إذ تنوّعت بين إرادة حكوميّة، ومؤسّسات لغويّة ناشطة، ومبادرات مؤسّسيّة، وجوائز حافزة بتأطير من الدّولة، وأيّاً كان شكل هذه الجهود، فإنّه يعكس الرّغبة الصّادقة لقطر في بعث هويّتها، كما يكشف عن وعيها العميق بأهميّة اللّغة العربيّة في كينونتها الحضاريّة.

أ- **التّشريعات والقوانين:** لقد أكّدت قطر على عروبة هويّتها اللّغوية من خلال تشريعاتها وقوانينها، إذ تناول الدّستور في المادّة1 من باب "الدّولة وأسس الحكم" أنّ" قطر دولة مستقلّة ذات سيادة، دينها الإسلام، والشّريعة الإسلاميّة مصدر رئيس لتشريعاتها، ونظامها ديمقراطيّ، يقوم على الشّورى والعدل وسيادة القانون، ولغتها الرّسميّة هي اللّغة العربيّة، وشعب قطر جزء من الأمّة العربيّة"[12].

كما أكّد الدّستور على استعمال اللّغة العربية في تشريعات الدّولة فضلا عن الحرص على الحضور القويّ للّغة العربيّة في المجال التّجاريّ "كإلزاميّة كتابة العلامة التّجاريّة بالعربيّة، وكذا أسماء الشّركات والمعلومات المتعلّقة بالمنتجات القطريّة"[13]، مع إمكانية إرفاق التّرجمة بالإنكليزيّة، مراعاة للتّنوّع اللّغويّ ومصلحة المقيمين بها.

ب-المؤسّسات اللّغويّة:

الجمعية القطريّة للّغة العربيّة:

-تسعى هذه الجمعية إلى ابتكار مختلف المبادرات والأنشطة التي تعزّز نشر اللّغة العربيّة؛

-دعم المتهمّين باللّغة العربيّة وتنمية قدراتهم وكفاءتهم.

المنظّمة العالميّة للنّهوض باللّغة العربيّة: تأسّست المنظمة سنه 2006م، إذ تهدف إلى" تشجيع البحوث العلميّة واستخدام التّكنولوجيا في مجال اللّغة العربيّة، وتطوير محرّكات البحث والقواميس الإلكترونيّة بالعربيّة، وكذا دعم ترجمة وتعريب المصطلحات العلميّة، كما تسهر على تنظيم المبادرات لتوعية المجتمع المدني بواجب الارتقاء باللّغة العربيّة"[14].

معجم الدّوحة التّاريخيّ للّغة العربيّة (2013):

وكان بإشراف وعناية المركز العربي للأبحاث والدراسات بالدّوحة. وتوجّهت أهدافه نحو:

-فهم تطوّر اللّغة العربيّة عبر الزّمن؛

-حماية اللّغة العربيّة من الاندثار؛

-نشر الثّقافة اللّغويّة، وتعزيز الوعي بأهمّيّة اللّغة العربيّة.[15]

ج-الجوائز:

- جائزة كتارا للّغة العربيّة-2014؛
- جائزة الشّيخ حمد للتّرجمة والتّفاهم الدّوليّ-2025؛
- جائزة الشّيخ فيصل بن قاسم آل ثاني للّغة العربيّة؛
- جائزة كتارا لشاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؛

- جائزة الدّوحة للكتاب العربيّ.

د- مبادرات أخرى:

- مركز مناظرات قطر-2008-؛
- مبادرة تيد بالعربيّ لدعم إنتاج المحتوى الجذاب باللغة العربيّة؛
- قمّة بالعربية لتشجيع الأفكار المبتكرة؛
- تحدّي القراءة العربيّ.

خاتمة: إنّ محاولة دول الخليج عامّة وقطر خاصّة لخلق التّوازن بين حتميّة الانفتاح الاقتصادي والمشاركة في تحدّي الاستفادة من العولمة لتحقيق المزيد من التّنمية، وإحياء الهويّة اللّغويّة بمختلف المبادرات والبرامج على حدّ سواء، يعكس بوادر حراك ثقافي ووعي راسخ بالمقوّمات الوطنيّة والعربيّة والإسلاميّة، لم يتمكّن هذا السّباق الحضاريّ على سرعته أن يهيل عليه التّراب، فلا يمكن أن يعيش الإنسان خارج ثوبه.

وتبقى قطر في حاجة إلى مشروع وطنيّ واضح يعمل على تحقيق التّوازن بين التّنوّع الثّقافيّ، وبين الهويّة الذّاتيّة من جهة، وبين حماية اللّغة العربيّة من المنافسة الأجنبيّة، وبين تكاملها مع هذه اللّغات من جهة أخرى ذلك أنّ النّاظر إلى التّنوّع الثّقافي نظرةً منطقيّة يجد أنّه دافع للتّمسّك بالهويّة وليس العكس.

توصيات:

نقدّم في نهاية هذه الورقة البحثيّة مجموعة من التّوصيّات التي نأمل أن تسهم بشكل ما في إحياء الهويّة اللّغويّة في دول الخليج عامّة وقطر خاصّة.

- دعم تعلّم اللّغة العربيّة بالموارد المعنويّة والمادّيّة؛
- فرض تعلّم اللّغة العربيّة على غير الناطقين بها؛
- فرض التّعامل باللّغة العربيّة في المؤسّسات والإعلام والتّعليم؛
- الحرص على توجيه اهتمام المدارس الدّولية باللّغة العربيّة، بوصفها لغة رسميّة؛
- تكثيف المبادرات الحكوميّة لتعزيز تعلّم اللّغة العربيّة وتعليمها؛
- تشجيع الأدباء والكتّاب للإبداع باللّغة العربيّة من خلال الامتيازات والجوائز العربيّة والعالميّة؛
- تشجيع المبادرات المهتمة باللّغة العربيّة في المؤسّسات العلميّة والتّعليميّة؛
- توعية المجتمع القطريّ بضرورة التّمسّك بلغته العربيّة من أجل الحفاظ على هويّته الوطنيّة والقوميّة والإسلاميّة؛
- التّخطيط لمشروع وطني شامل، تسهم في تطبيقه كلّ قطاعات الدّولة؛
- إنجاز دليل سلوكيّ تربويّ لتعزيز قيمة اللّغة العربيّة بالاستفادة من الخبراء التّربويّين على المستوى الدّاخليّ والخارجيّ؛
- عصرنة مناهج وطرق تعليم اللّغة العربيّة؛
- مواجهة تمدّد استراتيجيّات المدارس الدّوليّة في التّعامل مع اللّغة العربيّة، بمشاريع عربيّة تعليميّة؛

- منافسة، ذات جودة وأهداف واضحة؛
- تطوير اللّغة العربيّة، وتكييفها مع مستجدّات العلم والإنتاج؛
- إعادة هيبة اللّغة العربيّة في الأسر العربيّة القطريّة؛
- تعميق إدراك الدور الوظيفي للغة العربية وأبعادها الاستراتيجية في العمارة والاستخلاف؛
- فرض الرّقابة على الإعلام ومنع بث البرامج التلفزيونيّة الموجّهة للأطفال باللّغة الأجنبيّة أو بالعامّيّة؛
- تشجيع البحث العلميّ والدّراسات العليا باللّغة العربيّة.

التّهميش:

1) شتيح بن يوسف، اللّغة والثّقافة ودورها في إرساء الهويّة الوطنيّة، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ص504.

2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ط1، ج15، ص376.

3) خليل نوري مسيهر العاني، الهويّة الإسلامية في زمن العولمة الثّقافية، ديوان الوقف السّنّيّ، بغداد، 2009 ص44.

4) خليل مسيهر العاني، المرجع نفسه، ص44

5) محمّد عمارة، الهويّة الحضاريّة، مجلّة الهلال، العدد2، 1997، ص36.

6) دور اللغة العربية في إبراز الجانب الحضاريّ والثقافي لدول مجلس التعاون، مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية 2023، ص27.

7) المرجع نفسه، ص26.

8)موقع وجهة، سا14:49، أفريل 2025.

9)المرجع نفسه.

10) دور اللغة العربية في إبراز الجانب الحضاريّ والثقافي لدول مجلس التعاون، مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية 2023، ص13.

11)المرجع نفسه، ص14.

12)وزارة العدل، إصدار الدّستور الدّائم لدولة قطر، الدّولة وأسس الحكم، ص1.

13)الواقع اللّغويّ للّغة العربيّة، دول مجلس التّعاون لدول الخليج، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ط1، 2025 ص.225.

14)المرجع نفسه، ص228.

15)المرجع نفسه، ص230.

توصيّات الملتقى الدّوليّ:
التّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ: من المصادمة إلى المواءمة

احْتفاءً باليَومِ العالَمِي للتّنوع الثّقافيّ من أجلِ الحِوار والتّنميّة، نظّم المجلسُ الأعلى للّغة العَربيّة ملتقى دوليّا موسومًا: التّنوّعُ الثّقافي واللُّغويّ منَ المُصادَمَةِ إلى المُواءَمَة. يوم الأربعاء 23 ذو القعدة 1446هـ= 21 ماي 2025م، برِحابِ المَجلسِ الأعلى للُّغة العَربيّة العامر.

بعد الاستماعِ إلى المُداخلات، وبعد المُناقشة، اجتمعَت لجنَةُ التّوصيّات المُكوّنة من السّادة الأساتِذة:

أ. د. عبد النّاصر بوعلي من جامعة تلمسان.

د. محمّد حرّاث من جامعة الشّلف.

أ. د. حبيب مونسي عُضو المجلس الأعلى للّغة العَربيّة.

أ. د. كبير بن عيسى، المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

أ. حنيسة كاسحي، المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

وبعد النّقاش والتّداول، اتّفقت اللّجنَة على التّوصيّات الآتيّة:

1- استحضرَ المتدخّلون روحَ الثّقافَة الوطنيّة وتنوّعِها، وأشادوا بجهود الدّولة الجزائريّة المستقلّة من أجل نشرِ قيم الائتلافِ، وقبول المُختَلف، وتبنّي الحوار الإيجابي من أجل ترسيخ ثقافَة التَّعايُش السّلمي بين أبناء الوطنِ الواحد.

2- يُؤَكّدُ المُؤتمرون أنّ الجزائرَ دأبت منذ فجـرِ الاستقلال على إثراءِ التّنوع الثّقافي والمحافظة عليه في المحيط الدّاخلي والإقليمي والعالَمي.

3- البحثُ عن القواسِمِ المُشتركَة بين المكوّنات الثّقافيّة واللُّغوية للمجتمع الجزائري، والعمل على تعزيزِها وحمايتِها من التَّفكير المُنحرف.

4-نشرُ الحِوار الإيجابي بين الشَّباب، من أجلِ تعزيز المُكوّنات الثّقافيّة واللُّغويّة للمجتمعِ الجزائريّ، وبناء جُسور التّقارب والتّفاهم حِفاظًا على سَلامَة الوطنِ وتطويره، وإسهامه في نَشرِ الأمنِ والسّلم.

5- يبقى الحوارُ الدّيموقراطي، والسُّلوك الحضاريّ؛ السَّبيلان الأقوبانِ لبناءِ جسور التَّواصل المُوصِلَةِ للتَّعايش وقبول الآخر.

6-الأخذُ بالحِوار الثّقافي اللُّغوي والذّكاء الاصطِناعي، في عصرِ التّطوّر التّكنولوجي من أجلِ إحداث التّقارب والتّعايش في الحياة اليوميّة للشّباب.

7-الأخذُ بيَدِ الأجيالِ الصّاعدةِ من أجل استثمار طاقاتهم في تحقيقِ التَّكامل الثّقافيّ واللّغويّ وفق الضّوابط الأخلاقيّة وتفادي التَّصادُم والتَّخاصُم والتَّدابُر والاختلاف.

8- يوصي المُؤتَمرون بِضرورَة مُساهَمة المَجلسِ الأعلى لِلّغة العَربيّة بما يملكُه من كَفاءاتٍ وخبراء وطاقاتٍ فكريّة مُنتشرة على مستوى أرجاء الوطنِ بتأسيسِ فَضاءاتٍ مُشتركَة للحوارِ الثَّقافيّ واللُّغويّ تحقيقًا للتَّعايُش والمُواءَمة ودَرْءًا للمُصادَمَة والعُنفِ.

عاشَتِ الجَزائرُ بِجَميع مُكوِّناتها الثّقافيّة واللُّغويّة.

والمَجْـدُ والخلودُ لشُهدائِنا الأَبرار.